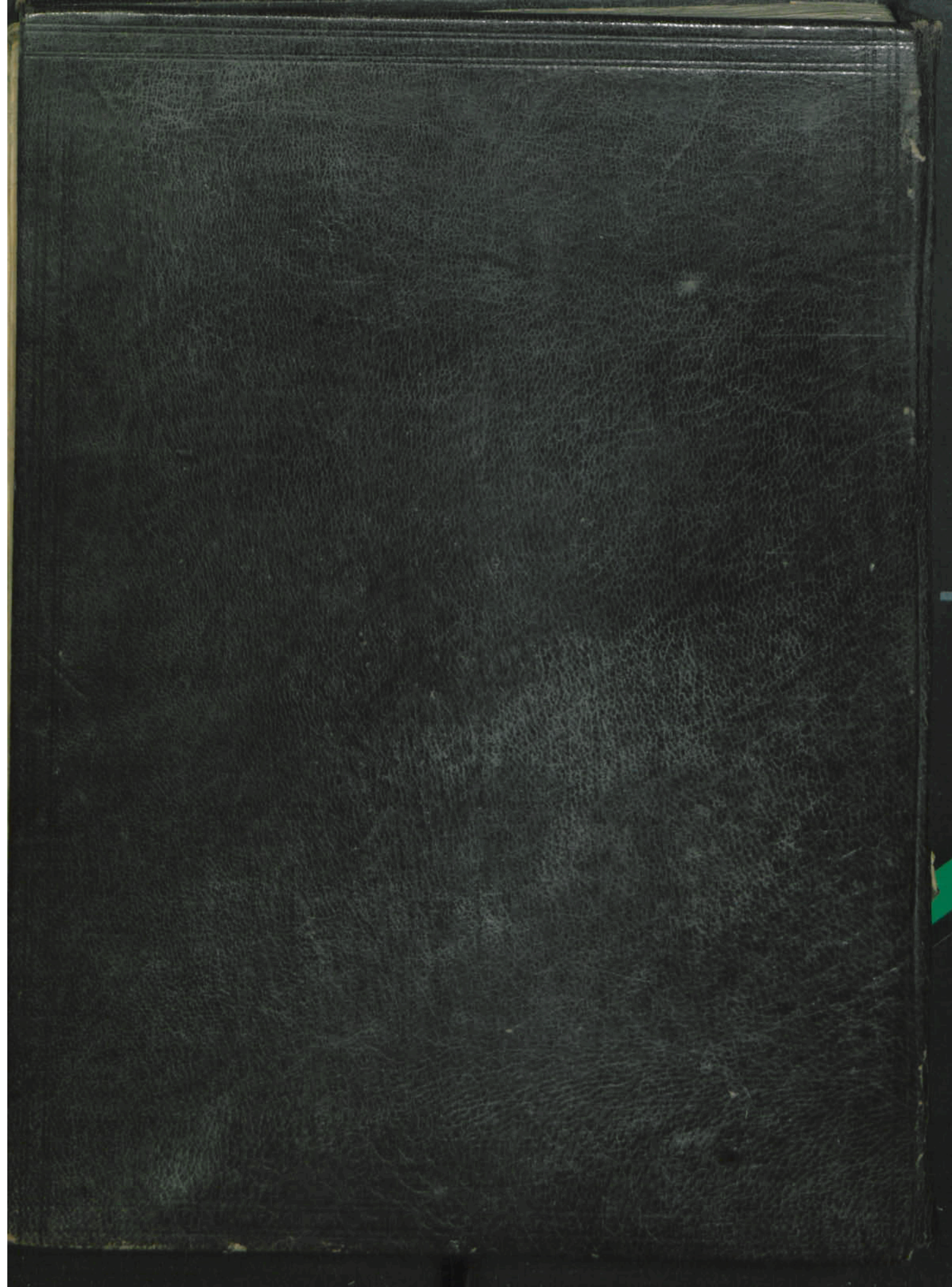
ومن الكلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلثا او سبعا واكثرها
مايه او سبعون واوسطها عشرة فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر والاوسط الاقصد
ان يكررها عشر مرات فهو احرى بان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة
على كثيرها فقليلها مع المداومة افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم قطرات ماء يتقاطر
على الارض على التوالي فتحدث فيه حفيرة ولو وقع على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات متفرقة
متباعدة الاوقات فلا يتبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشر الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية قوله سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله الثالثة قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح الرابعة
قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله التوبة السادسة
قوله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا اله الا الله الملك الحق
المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة
قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد العاشرة قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك رب من همزات
الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذه عشر كلمات اذا كرر واحدة عشر مرات حصل له مايه مرة فهو
افضل من ان يكرر واحدة مايه مرة لان لكل واحد من هذه الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحد نوع
تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال واما القراءة فيستحب له قراءة
من الايات ورد الاخبار بفضلها وهو ان يقرا سورة الحمد واية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول
وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الايتين وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم الى اخرها
وقوله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى اخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وخمس ايات
من اول الحديد وثلثا من اخر سورة الحشر وان قرا المسبعات العشر التي اهداها الخضر الى ابرهيم التيمي ووصاه
ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة فقد روي عن
كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني اخ لي من اهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه
الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه الهدية قال اعطانيها ابرهيم التيمي قلت افلم
تسال ابرهيم من اعطاه قال بلى قال كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتحميد فجاءني
رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زماني احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا واطيب
ريحا منه فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شيء جئتني فقال جئتك
للسلام عليك وحبا لك في الله عز وجل وعندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت ما هي فقال هي ان تقرا
قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب قل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق وقل
هو الله احد وقل يا ايها الكافرون واية الكرسي كل واحد سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر سبعا وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك
ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا واجلا في الدين والدنيا والاخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا
ما نحن له اهل انك غفور رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك
هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه
وسلم فسله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابرهيم التيمي انه راى ذات يوم في منامه كان الملائكة جاءته فاحتملته
حتى ادخلوه الجنة فراى ما فيها ووصف امورا عظيمة مما راه في الجنة قال فسالت الملائكة فقلت لمن هذا كله فقالوا
للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا

وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق الى المغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو
حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا
وعمله ولم ير مثل الذي رايت في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال والذي بعثني بالحق نبيا انه ليعطى
العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته
ويومر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل
بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان ابرهيم التيمي مكث اربعة اشهر
لا يطعم ولا يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليه شيئا مما انتهى اليه
ورده من القران او اقتصر عليه فحسن فالقران جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر
كما ذكرنا فضله وادبه في كتاب التلاوة واما الافكار فليكن ذلك احد وظائفه وسياتي تفصيل ما
يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين احدهما ان يتفكر فيما
ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائف يومه الذي بين يديه ويدبر
في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه
ويحضر في قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين والفن الثاني فيما ينفعه في علم
المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر الايه الظاهرة والباطنة ليزيد معرفته بها ويكثر
شكره عليها او في عقوباته ونقماته ليزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل
واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون بعض وانما نستقصي
ذلك في كتاب من يفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة وذلك
ايضا مما تكثر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الاربعة اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي
ان يكون وظيفة المريد بعد صلوة الصبح بل في كل ورد وبعد الفراغ من وظيفة الصلوة فليس بعد
الصلوة وظيفة سوى هذه الاربع ويقوى على ذلك بان ياخذ سلاحه ومجنه والصوم هو الجنة
التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح
صلوة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح الى الطلوع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يشتغلون
في هذا الوقت بالاذكار فهو الاولى الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلوة فلو صلى لذلك
فلا باس به الورد الثاني ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس
الى الزوال وذلك بمضي ثلث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثني عشر ساعة وهو الربع وفي
هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان احدهما صلوة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلوة ان الاولى
ان يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلي اربعا او ستا
او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي اراد الله عز وجل
بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات
والغبارات التي على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذي
اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند
الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان
يقتصر على مرة واحدة في الصلوة فهذا الوقت افضل لصلوة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلوة
بين طرفي وقت الكراهية وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف الرمح بالتقريب الى ما قبل الزوال

[illegible]



في ساعة الاستواء فاسم الضحى ينطلق على الكل وكان ركعتي الاشراق تقع في مبدا وقت الاذان في الصلاة
وانقضا الكراهيه اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس يطلع معها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها
فاقل ارتفاعها ان يرتفع عن حجاب الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب الوظيفة الثانية في هذا الوقت
الخيرات المتعلقه بالناس التي جرت به العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونه على بر
وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضا حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شي من ذلك عاد الى
الوظايف الاربعة التي قدمناها من الادعيه والذكر والقراة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شا
فانها مكروهة بعد صلوة الصبح وليست مكروهة الان فتصير الصلوة قسما خامسا من جملة وظايف
هذا الوقت لمن اراده واما ما بعد فريضة الصبح فيكره كل صلوة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان
يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلوة بل بالاذكار والقراة والدعا والفكر الورد
الثالث من ضحوة النهار الى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وكان بعد كل ثلث ساعات
امرا بصلوة فاذا انقضى ثلث ساعات بعد الطلوع فعندها وقيل مضيها صلوة الضحى فاذا مضت ثلثه اخرى
فالظهر فاذا مضت ثلثة اخرى فالعصر فاذا مضت ثلثة اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى ما بين الزوال والطلوع
كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم يفرض لانه وقت انكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم
والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعه ويزيد امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور
السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانه وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقه ولا ينسى
ذكر الله في جميع اشغاله ويقتصد من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب في كل يوم لوقته فاذا
حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لاخرته فان الحاجة الى زاد الاخرة اشد والتمتع به ادوم
فالاشتغال به اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المومن الا في ثلث مواطن مسجد يعمره
او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون ما عنه بد انه
لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشا والمنكر فيصغون اليه ويجمعون ما لا ياكلون
خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه الثاني في القيلولة وهي سنة
يستعان بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل ولو لم ينم
لم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى
الاذكار والوظايف المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامه وقد قال بعضهم ياتي على الناس زمان الصمت والنوم
فيه افضل اعمالهم وكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيه فكيف بالغافل
الفاسق قال سفيان الثوري كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامه فاذا نومه على قصد طلب السلامه
ونية قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان ينتبه قبيل الزوال بقدر الاستعداد للصلوة بالوضوء وحضور المسجد قبل
دخول وقت الصلوة فان ذلك من فضايل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلوة والذكر
فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه
عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل
احيا الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفله باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معنى
قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف احدهما الاخر في الفضل والثاني انه يخلفه فيتدارك
فيه ما فات في احدهما الورد الرابع ما بين الزوال الى الفراغ من صلوة الظهر ورواتبه وهذا اقصر اوراد النهار
وافضلها فاذا كان قد توضا قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدا المؤذن الاذان فلينتظر
الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احيا ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي اراده الله تعالى بقوله

وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت اربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة وهذه الصلوة وحدها من بين ساير
صلوات النهار وهكذا قاله بعض العلما ومذهب الشافعي انه يصلي مثنى مثنى كساير النوافل ويطول هذه
الركعات اذ فيها تفتح ابواب السما كما اوردنا الخبر فيه في باب صلوة التطوع وليقرا فيها سورة البقرة
او سورتين من المئين او اربعا من المثاني فهذه ساعة يستجاب فيها الدعا واحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة لا ينبغي ان
يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا وكره ابن مسعود ان يتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل
ويستحب ان يقرا في هذه النافلة اية الكرسي واخر البقرة والايات التي اوردناها في الورد الاول
ليكون ذلك جامعا له بين الدعا والذكر والقراة والصلوة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت الورد الخامس
ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشغولا بالذكر والصلوة او فنون الخير ويكون
في انتظار الصلوة معتكفا فمن فضايل الاعمال انتظار الصلوه بعد الصلوه وكان ذلك سنة السلف كان
الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة فان كان البيت اسلم
لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في حقه واحيا هذا الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم
لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار وقال بعض العلما ثلث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب
والاكل من غير جوع ونوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة
والاعتدال في نومه ثماني ساعات في الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار
وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن ادم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره
عشرين سنه ومهما نام ثماني ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذا للروح
كما ان الطعام غذا للبدن وكما ان الذكر والعلم غذا للقلب لم يمكن قطعه منه وقدر الاعتدال
هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد تمرن نفسه عليه
من غير اضطراب وهذا الورد هو من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الاصال التي ذكرها الله
تعالى اذ قال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال فاذا سجد لله
الجمادات فكيف يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات الورد السادس اذا دخل وقت العصر
دخل الورد السادس وهو الذي اقسم الله تعالى به اذ قال والعصر هذا احد معنى الاية وهو المراد بالاصال في
احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلوة
الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة
في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذا منع عن الصلوة
تلاوة القران بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعا والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد
الاقسام الثلثه الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات
والبخارات التي على وجه الارض وترى صفرة في ضوئها دخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر
الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وهو الطرف الثاني المراد بقوله واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم
لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا واخره للاخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح
والاستغفار خاصة وساير ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
واساله التوبه وسبحان الله العظيم وبحمده ماخوذ من قوله عز وجل واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
والاستغفار على الاسماء التي في القران احب كقوله عز وجل استغفروا ربكم انه كان غفارا استغفر الله انه كان

توابا



رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرا قبل غروب الشمس
والشمس وضحيها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال
اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك الدعا كما سبق ثم يجيب المودن ويشتغل بصلوة المغرب وبالغروب
قد انتهى اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة
فهل يساوي يومه امسه فيكون مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم
لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان راى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت
بشارة فليشكر الله عز وجل على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة النهار
وليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيات وليشكر على صحة جسمه وبقا
بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له اخر تغرب فيه شمس
الحيوة فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا ايام معدودة
تنقضي لا محالة جملتها بانقضا احادها **بيان اوراد الليل وهي خمسة الاول** اذا غربت الشمس
صلى المغرب واشتغل باحيا ما بين العشايين فاخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي بغيبتها
يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله تعالى به فقال فلا اقسم بالشفق والصلوة فيه ناشية الليل لانه اول
نشو ساعاته وهو انا من الانا المذكورة في قوله عز وجل ومن انا الليل فسبح وهي صلوة الاوابين وهي المراد
بقوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع روى ذلك عن الحسن واسنده ابن ابي زياد الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه سيل عن هذه الاية فقال الصلوة بين العشايين ثم قال عليكم بالصلوة بين العشايين
فانها تذهب بملاغاة النهار وتهذب اخره والملاغاة من اللغو وسيل انس رضي الله عنه عمن ينام بين
العشايين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسياتي فضل
احيا ما بين العشايين في الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرا فيهما قل يا ايها
الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام وشغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي
الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان يصليهما في بيته ان لم يكن
عزمه العكوف في المسجد وان عزم العكوف في انتظار العتمة فهو الافضل اذا كان امنا من التصنع
والريا الورد الثاني يدخل بدخول وقت العشا الى حد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام
وقد اقسم الله عز وجل به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وقال سبحانه الى غسق الليل
فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلثة امور الاول ان يصلي سوى فرض
العشا عشر ركعات اربع قبل الفرض احيا لما بين الاذانين وستة بعد الفرض ركعتان ثم اربع ويقرا فيهما من القران
الايات المخصوصة كاخر البقرة واية الكرسي واول الحديد واخر الحشر وغيرها الثاني ان يصلي ثلث عشرة ركعة اخرهن
الوتر فانه اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى به من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل
والاقويا من اخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فاخر الليل
افضل ثم ليقرا في هذه الصلوة قدر ثلثماية اية من السور المخصوصة التي كان صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل
يس والسجدة ولقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور او بعضها
قبل النوم فقد روي ثلثة احاديث ما كان يقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك
وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي رواية انه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها اية افضل من الف اية
وكان العلما يجعلونها ستا ويزيدون سبح اسم ربك اذ في الخبر انه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الاعلى
وكان يقرا في ثلث ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان

الملك القدوس

جمع ملغاة

الملك القدوس ثلث مرات الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم تكن عادته القيام قال ابو هريرة رضي الله عنه اوصاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا لصلوة الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه وسلم صلوة الليل
مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت عايشة رضي الله عنها اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل
واوسطه واخره وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضوان الله عليه الوتر على ثلثة انحا ان شئت اوترت اول
الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني انه يصير وترا لما مضى وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها
اخرى ثم اوترت من اخر الليل وان شئت اخرت الوتر ليكون اخر صلوتك هذا ما روي عنه صلى الله عليه وسلم والطر
الاول والثالث لا باس به واما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض وروي مطلقا انه عليه السلام قال
لا وتران في ليلة ولمن يتردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلما وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا
على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرا فيهما اذا زلزلت والهكم
لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التنزيه وافراد العبادة لله عز وجل فقيل
ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر في اخر صلوة وكانه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استيناف
الوتر واستحسن هذا ابو طالب المكي وقال فيه ثلثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من اخر الليل وهو كما ذكره
لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ وليطل وتره الاول فكونه مشفعا ان استيقظ
غير مشفع ان نام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين
شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وترا ان استيقظ وشفعا ان لم يستيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول
سبحان الملك القدوس رب الملايكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت
العباد بالموت وروي انه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف اجر
القايم وللنايم نصف اجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نايما الورد الثالث النوم ولا باس بان يعد ذلك في الاوراد
فانه اذا روعيت ادابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد على طهارة وذكر الله يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل
في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على الطهارة رفع بروحه الى
العرش هذا في العوام فكيف في العلما وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام منه شيا
واتفوق القران تفوقا قال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال معاذ افقه منك وادب النوم عشرة الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد على
طهارة عرج بروحه الى العرش وكانت روياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات
اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هو المؤثر في انكشاف حجب الغيب
الثاني ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما انتبه يستاك كذلك كان
يفعله بعض السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند
التنبه منها وان لم يتيسر له الطهارة فيستحب مسح الاعضا بالما فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة
وليشتغل بالذكر والدعا والتفكر في الا الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم من
اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه
من الله تعالى الثالث ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عند راسه فانه لا يامن القبض في النوم فان
من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيمة يتزاوره الاموات ويتحدثون وهو لا
يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجاة وموت الفجاة
تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت لكونه مثقل الظهر بالمظالم الرابع ان ينام تايبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين

لا يحقد على مسلم ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال صلى الله عليه وسلم من اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا
يحقد على احد غفر له ما اجترم **الخامس** ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه وكان بعض
السلف يكره التمهد ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون
منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر بتواضع نفوسهم فمن لا يسمح بذلك نفسه فليقتصد
السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان
نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن
الصلوة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس رضي الله عنهما يكره النوم قاعدا
وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى
عن ذلك وقال ليصل احدكم ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى
تملوا وقال خير هذا الدين ايسره وقيل له ان فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكني اصلي وانام واصوم
وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن شاده يغلبه فلا تبغض
اليك عبادة الله **السابع** ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي
على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام على جنب بان
يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الشق الايمن **الثامن** الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربي وضعت جنبي
وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات الماثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات ويستحب ان يقرا الآيات المخصوصة
مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها ويقرا قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى قوله يعقلون يقال
ان من قراها عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرا من سورة الاعراف هذه الآية ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض وآخر بني اسرائيل قل ادعوا الله الآية فانه يدخل في شعاره ملك موكل بحفظه يستغفر له ويقرا
المعوذتين وينفث بهما في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقرا عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها فهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي رضي الله عنه يقول
ما ارى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرا الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة **التاسع** ان يتذكر عند النوم
ان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فسماها
توفيا وكما ان المتيقظ ينكشف له مشاهدات لا تناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله
ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحيوة والممات مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمن لابنه يا بني ان كنت
تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك
فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة
وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى
وهو يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعاء
الى آخره كما ذكرناه في الدعوات فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه
حب الله وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع
من احب ومع ما احب **العاشر** الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر ما في
قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين
الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فانها علامة تنكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار ليستجر القلوب الى ذكر الله

فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر ما اوردناه من ادعية
التيقظ **الورد الرابع** يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم
العبد للتهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال
وهو وسط النهار وبه اقسم الله وقال والضحى والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه هدوه في هذا الوقت
فلا يبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود النبي صلى الله عليه وسلم
الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله
نام آخره ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم في وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوائجك وسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل وردت
الاخبار في اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وغير
ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ يتوضا وضوءه كما سبق
بآدابه وسننه وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبل القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يسبح عشرا ويحمد عشرا ويهلل عشرا ويقول الله اكبر ذو الملكوت والجبروت
والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ولك الحمد
انت زين السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق
ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك
اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها
انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف
عني سيئها الا انت اسالك مسالة البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب
شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلوته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه
من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم
يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلوتين عقيب
تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلوة وقد صح في صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل
انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصد
بالتدريج الى ثلث عشرة ركعة وسئلت عائشة اكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل او يسر
فقالت ربما جهر وربما اسر وقال عليه السلام صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال
صلوة المغرب اوترت صلوة النهار فاوتروا صلوة الليل واكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قيام الليل ثلث عشرة ركعة ويقرا في هذه الركعات من ورده من القرآن ومن السور المخصوصة ما
خف عليه وهو في حكم هذا الورد الى قريب من السدس الاخير من الليل **الورد الخامس** السدس
الاخير من آخر الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار
وهو مقارن الفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد امر بهذا الورد

فاسم التهجد

سلمان اخاه ابا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال
له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الان
فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امراة ابي الدرداء
اخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد
الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجر
انقضى اوراد الليل ودخل اوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله تعالى فسبحه وادبار النجوم ثم
يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى آخرها ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولو العلم
من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط عني
بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذه ترتيب اوراد للعبادة
وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود
جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الاخر كان له
اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة او بصلة او كسرة خبز لقوله
صلى الله عليه وسلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة رضي
الله عنها الى سائل عنبة فاخذها فنظر بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا لا يستحبون
رد السائل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما سأله احد شيئا فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي
الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف
صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة
حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تاتيان على ذلك كله او تؤديان لك ذلك **بيان اختلاف الاوراد**
باختلاف الاحوال اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم
واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره **الاول العابد** وهو المتجرد غيرها
للعبادة الذي لا شغل له اصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان تختلف وظائفه بان
يستغرق اكثر الاوقات اما في الصلاة او في قراءة القرآن او في التسبيحات فقد كان في الصحابة رضي الله عنهم من ورده
في اليوم اثنا عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى
الف ركعة واقل ما نقل في اورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن وكان
يختم القرآن الواحد منهم في اليوم مرة ويروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم او الليلة في التفكر
في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين
اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشر فراسخ ويكون مع كل اسبوع
ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة فان قلت فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم ان
قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص
ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تأثيرا
فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات
المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص
الواحد يختلف في ذلك ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا واحس لها بوقع
في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن ابراهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة
يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك

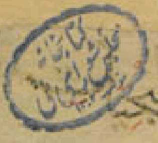
من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله
قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح قوله سبحان الله العلي الديان سبحان
الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان
المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد له وقعا في قلبه فليلازمه ومهما وجد
القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه **الثاني العالم** الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس
او تصنيف فترتيبه للاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة
ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها
ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والعلم في كتاب العلم وكيف لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى
وتامل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يتعلمها
المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي
يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا او العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموه على قصد
الاستعانة به على السلوك دون العلم الذي تزيد به الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والاولى بالعالم ان
يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح
الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان
عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين
فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن الضحوة الى
النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان
طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى
الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني
في عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة وورده الرابع
بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتبة بعد العصر ربما اضرت بالعين وعند الاصفرار
يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما الليل فاحسن
قسمة فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلاثة اجزاء ثلث للمطالعة وترتيب العلم وهو الاول
وثلث للصلاة وهو الوسط وثلث للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك
الا اذا اكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب اوراد العالم **الثالث** المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل
من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم
بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب اوقاته كما ذكرناه وكل ما ذكرناه في فضيلة
التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما
بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح
وبعد الطلوع وفي سائر الاوقات ففي حديث ابي ذر رضي الله عنه ان حضور مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة
وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا
رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال كعب الاحبار لو ان ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه
حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من
منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع على ذنوبه انصرف الى منزله وليس
عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلماء وقال رجل

للحسن رحمه الله اشكو اليك قساوة في قلبي فقال اذبه من مجالس الذكر ورأى عمار الراهب مسكينة الطفاوية
في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت
المسكنة وجاء الغنى وقيل ذهب الذل وجاء العز فقال هيه فقالت ما تسال عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها
قال وبم ذلك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما ينحل من القلب من عقدة حب الدنيا بقول واعظ
حسن الكلام زكي السيرة اشرف وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا **الرابع** المحترف
الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت
الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله في صناعته فيواظب على التسبيحات
والاذكار وقراءة القران فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلوة الا ان يكون
ناطورا فانه لا يعجز عن اقامة اوراد الصلوة معه ثم مهما فرغ عن كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد
وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو افضل من سائر الاوراد التي ذكرناها لان العبادة المتعدية
فائدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه الى الله ثم يحصل به فائدة
للغير ويجلب اليه بركة دعوة المسلمين فيتضاعف به الاجر **الخامس** الوالي مثل الامام والقاضي والمتولي
للنظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد
المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان
عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال ما لي وللنوم لو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي وقد
فهمت مما ذكرناه انه يتقدم على العبادات البدنية امران احدهما العلم والاخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد
من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة ويفضل سائر العبادات بتعدي فائدته وانتشار جدواه وكانا
متقدمين عليه **السادس** الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله
ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا ويرى الله فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة
لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله في كل
حال فلا يخطر بقلبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكرة ومزيد
فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله فهؤلاء جميع احوالهم تصلح ان تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة
عن عبادة وهم الذين فروا الى الله تعالى كما قال الله تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعالى
واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي
سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا
فلا ينبغي ان يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادة الله فذلك علامته ان لا يهجس
في قلبه معصية ولا تزعجه هواجم الاهوال ولا يستفزه عظائم الاشغال وانى يرزق هذه الرتبة كل احد فيتعين
على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرنا وجميع ما ذكرناه طرق الى الله تعالى قال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى وفي الخبر الايمان ثلثمائة وثلث وثلثون
طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلثة عشر خلقا
بعدد الانبياء فكل مؤمن هو على خلق منها فهو سالك للطريق الى الله تعالى فاذن الناس وان اختلفت طرقهم في
العبادة فكلهم على الصراط اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب فانما يتفاوتون
في درجات القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به واعرفهم به لا بد وان يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد
غيره والاصل في الاوراد في حق كل صنف المداومة فان المراد منه تغيير صفات الباطن واحاد الاعمال يقل
اثارها بل لا يحس باثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث

على الفرق فحق الاسم الاول وكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير تلو تكرار ...
ذلك ولعدم على الليالي المتواصلة لا اثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله ادومها
وان قل وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا
عمل عملا اثبته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله تعالى وهذا كان هو
السبب في صلوته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر
ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به روت ذلك عائشة وام سلمة رضي الله عنهما فان قلت فهل لغيره
ان يقتدي به في ذلك مع ان الوقت وقت كراهية فاعلم ان المعاني الثلثة التي ذكرناها في الكراهة من الاحتراز
عن التشبه بعبدة الشمس او السجود وقت ظهور قرن الشيطان والاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق
في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل لا يقتدى به

الباب الثاني

في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين وكيفية
قسمة الليل **فضيلة احياء ما بين العشائين** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة ان افضل الصلوات
عند الله صلوة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب
وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة لا ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله
له ذنب عشرين او قال اربعين وروت ام سلمة وابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست ركعات
بعد المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر وروي عن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا
على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا
لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر
رضي الله عنه اذن تكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكبر وافضل او قال اطيب وعن انس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك
من امر الدنيا ويقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى آخر الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع
ويسجد فاذا قام الى الركعة الثانية يقرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون وثلث آيات من آخر البقرة من قوله لله ما في السموات الى آخرها وقل هو الله احد
خمس عشرة مرة ووصف في ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر
علمني شيئا اعمله في كل ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى صلوة العشاء مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلوتك التي
انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من صلوتك انصرف
الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم
اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام
يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع
بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم الصلوة عليه حتى
يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حين علم هذا
الدعاء واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلوة
من داوم عليه بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد



وقد اسسه المصنف على اربعة ارباع

...ات وربع العادات وربع المنجيات وربع المهلكات

اما ربع العبادات على عشرة كتب

العلم

...سبعة ابواب

الباب الاول ... | الباب الثاني في فرض العين وفرض الكفاية وحد الفقه والكلام وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا | الباب الثالث فيما يعده العامة من علوم الدين وليس منه وفيما من جنس العلم المذموم | الباب الرابع في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل

الباب الخامس ... | الباب السادس في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة | الباب السابع في العقل وفضيلته واقسامه وما جاء فيه من الاخبار

قواعد العقائد

وفيه اربعة فصول

الكتاب الثاني من ربع العبادات من كتب احياء علوم الدين

الفصل الاول ... اهل السنة ... الشهادة | الفصل الثاني في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد | الفصل الثالث في العلم بافعال الله تعالى | الفصل الرابع السمعيات و... النبي صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه

اسرار الطهارة ومهماتها

الكتاب الثالث من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

اسرار الصلوة ومهماتها

وهو مرتب على سبعة ابواب

الكتاب الرابع ... من احياء العلوم

الباب الاول ... الصلوات | الباب الثاني في تفصيل الاعمال الظاهرة ... | الباب الثالث في تفصيل الاعمال الباطنة ... | الباب الرابع في الامامة والقدوة

الباب الخامس ... الجمعة وآدابها | الباب السادس مسائل متفرقة تعم بها البلوى | الباب السابع في ... واحكامها

الزكوة

وفيه اربعة فصول

الكتاب الخامس من ربع العبادات من كتب احياء علوم الدين

الفصل الاول ... الزكوة ... واسبابها | الفصل الثاني ... | الفصل الثالث في القابض وشروط استحقاقه وآدابه | الفصل الرابع ... صدقة التطوع وفضلها

اسرار الصيام ومهماته

وفيه ثلثة فصول

الفصل الاول ... | الفصل الثاني ... | الفصل الثالث ... الصيام وترتيب ...

اسرار الحج ومهماته

فيعز ذلك بعض ... انه ادخل الجنة ورأى فيها الانبيا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه وكلمه على الجمل
قبل احيا ما بين العشايين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بصلوة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشا وقال صلى الله عليه
وسلم من صلى ما بين المغرب والعشا فذلك صلوة الاوابين وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود رضي الله عنه في
هذا الوقت الا رايته يصلي فسالته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان انس يواظب عليه ويقول هي ناشئة
الليل ويقول فيه نزل قوله تتجافى جنوبهم وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمن الداراني اصوم النهار
واتعشى بين المغرب والعشا احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتهيا
قال افطر وصل ما بينهما

فضيلة قيام الليل اما من الايات

فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وقوله ان ناشئة الليل هي اشد وطا وقوله تعالى تتجافى جنوبهم وقوله امن هو
قانت آناء الليل الآية وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة قيل
هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس ومن الاخبار قال صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان
على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله
عز وجل انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح
خبيث النفس كسلان وفي خبر انه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذلك رجل بال الشيطان
في اذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر
واذا ذره نام بالليل حتى يصبح وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا
وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
تفطرت قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ويظهر من معناه
ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى الله
عليه وسلم يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وانت تريد رضا
ربك يا ابا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم
عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء
عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يكون له صلوة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له اجر
صلوته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر لو اردت سفرا اعددت له عدة فكيف سفر طريق
القيامة الا انبئك يا ابا ذر ما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بابي انت وامي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين
في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر
تسكت عنها وروي انه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدات العيون قام يصلي
ويقرا القران ويقول يا رب النار اجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فاذنوني فاتاه فاستمع
فلما اصبح قال يا فلان هلا سالت الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل
جبريل وقال اخبر فلانا ان الله قد اجاره من النار وادخله الجنة ويروى ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم
الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع
كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيقوم لصلوته ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد يستغفر الله حتى يطلع الفجر وقال علي بن
ابي طالب راى يحيى بن زكريا من خبز شعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله اليه يا يحيى وجدت دارا خيرا لك من
داري ام وجدت جوارا خيرا من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك
اشتياقا ولو اطلعت على جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك خوفا ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد

ردوا

بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا اصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل
وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امراته فصلت فان ابت نضح في وجهها الما
ورحم الله امراة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت في وجهه الما وقال عليه السلام
من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال عليه السلام
افضل الصلوة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر قال عليه السلام من نام عن حزبه او عن شيء منه بالليل فقراه بين
صلوة الفجر والظهر كتب له كانما قراه من الليل اما الآثار فيروى ان عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية في ورده
بالليل فيسقط حتى يعاد منها اياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا هدات العيون
قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح ويقال ان سفين الثوري شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه
زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى اصبح وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما يتقلى الحبة في المقلى
ثم يثب ويصلي الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن لا نعلم عملا اشد من مكابدة الليل
ونفقة هذا المال وقيل له ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره
وقدم بعض الصالحين من سفر فمهد له فراش فنام عليه حتى فاتته ورده فحلف ان لا ينام على فراش بعده
ابدا وكان عبد العزيز بن ابي رواد اذا جن عليه الليل ياتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين والله ان في الجنة الين منك
فلا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل اني لاستقبل الليل من اوله فيهولني طوله فافتتح القران فاصبح وما قضيت
نهمتي وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار
فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله فاذا كان في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب
الجنة ولكن اجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض العلماء اني لاضعف عن قيام الليل فقال له يا اخي لا تعص
الله بالنهار ولا تقم بالليل وكان الحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية
فقالت يا اهل الدار الصلوة الصلوة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة فقالوا لا فرجعت
الى الحسن وقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون بالليل ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي
ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا وقال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة
وضع جنبه وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله فقال اني استحيي ان اوصف بما
لا افعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى انه ما كان له فراش بالليل ويقال ان مالك بن دينار قام
يردد هذه الآية ليلة حتى اصبح ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات
وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضا بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته
العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فاي الرجلين
مالك واي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي فنمت فاذا
انا في المنام بجارية كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي اتحسن تقرا قلت نعم فدفعت الي الرقعة فاذا فيها شعر

االهتك اللذائذ والاماني عن البيض الاوانس في الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك ان خيرا من النوم التهجد بالقران

ويروى عن ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رايت
في المنام امراة لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي
وامهرني فقلت وما مهرك فقال طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من
لؤلؤ وصيصيته من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا
مضى نصف الليل ضرب وقال ليقم المصلون فاذا طلع الصبح ضرب وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم وقال ان وهب
منبه اليماني ما وضع جنبه على الارض ثلثين سنة وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم

كتاب الاذكار والدعوات

من كتب احياء علوم الدين ويحصر المقصود منه في خمسة ابواب

الباب الاول في فضيلة الذكر وفائدته — الباب الثاني في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلوة على رسول الله — الباب الثالث في ادعية مأثورة معزوة الى اصحابها واسبابها — الباب الرابع في ادعية مأثورة منتخبة محذوفة الاسانيد — الباب الخامس في الادعية المأثورة عند حدوث الحوادث

كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل

وهو العاشر من ربع العبادات من كتب احياء علوم الدين ونذكره في بابين

الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار — الباب الثاني في كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به

والقسم الثاني ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب آداب الاكل

وهو ... وفيه اربعة ابواب

الباب الاول فيما لا بد للآكل منه وان انفرد بالاكل — الباب الثاني فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الاكل — الباب الثالث فيما يخص تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين — الباب الرابع فيما يخص الدعوة والضيافة واسبابها

كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين وينكشف في ثلثة ابواب

الباب الاول في الترغيب فيه وعنه — الباب الثاني في الآداب المرعية في العقد والعاقدين — الباب الثالث في آداب المعاشرة بعد العقد الى الفراق

كتاب آداب الكسب والمعاش

وهو الثالث من ربع العادات ونشرحها في خمسة ابواب

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه — الباب الثاني في علم صحيح البيع والربا والسلم والاجارة — الباب الثالث في بيان العدل في المعاملة — الباب الرابع في الاحسان فيه — الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه

كتاب آداب الالفة والاخوة

والمعاشرة مع اصناف الخلق وهو الخامس من ربع العادات وفيه ثلثة ابواب

الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة وشروطها ودرجاتها وفوائدها — الباب الثاني في حقوق الصحبة وآدابها ولوازمها — الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك

كتاب آداب العزلة

وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين وفيه بابان

الباب الاول في نقل المذاهب والحجج فيه — الباب الثاني في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل

كتاب آداب السفر

وهو السابع من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين وشرطه في بابين

الباب الاول في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته — الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

... من ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب شرح عجائب القلب

بيان جامع اوصاف القلب — بيان خاصية قلب الانسان — بيان الفرق بين المقامين — بيان مثال القلب

كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق

وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بيان فضيلة حسن الخلق — بيان حقيقة حسن الخلق — بيان قبول الاخلاق للتغيير — بيان علامات حسن الخلق

كتاب كسر الشهوتين

وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات

بيان فضيلة الجوع — بيان شهوة البطن — بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

النصف الثاني من كتاب احياء علوم الدين آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بيان معنى الغيبة وحدها — بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان — بيان الاعذار المرخصة في الغيبة

آفة الغضب والحقد والحسد

وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بيان فضيلة كظم الغيظ — بيان حقيقة الغضب — بيان ذم الحسد

ذم الدنيا

... من ربع المهلكات

انه ادخل الجنة ورای فیها الانبیا ورای رسول الله صلى الله علیه وسلم وعلیه وکلمه فی الجمل
هل احیا ما بین العشاءین کثیر حتی قیل لعبید مولی رسول الله صلى الله علیه وسلم
هل کان رسول الله صلى الله علیه وسلم یامر بصلوة غیر المکتوبة قال ما بین المغرب والعشا وقال صلى الله علیه
وسلم من صلی ما بین المغرب والعشا فذلک صلوة الاوابین وقال الاسود ما اتیت ابن مسعود رضی الله عنه فی
هذا الوقت الا ورایته یصلی فسالته فقال نعم هی ساعة الغفلة وکان انس یواظب علیه ویقول هی ناشئة
اللیل ویقول فیه نزل قوله تتجافی جنوبهم وقال احمد بن ابی الحواری قلت لابی سلیمن لدارانی اصوم النهار
وانعشی بین المغرب والعشا احب الیک او افطر بالنهار واحیی ما بینهما فقال اجمع بینهما فقلت ان لم یستقم
قال افطر وصل ما بینهما **فضیلة قیام اللیل اما من الایات** فقوله تعالى ان ربک یعلم انک تقوم ادنی
من ثلثی اللیل ونصفه وثلثه وقوله ان ناشئة اللیل هی اشد وطا وقوله تعالى تتجافی جنوبهم وقوله امن هو
قانت اناء اللیل الایه وقوله تعالى والذین یبیتون لربهم سجدا وقیاما وقوله تعالى واستعینوا بالصبر والصلوة قیل
هی قیام اللیل یستعان بالصبر علیه علی مجاهدة النفس ومن الاخبار قال صلى الله علیه وسلم یعقد الشیطان
علی قافیة راس احدکم اذا هو نام ثلث عقد یضرب مکان کل عقدة علیک لیل طویل فارقد فان استیقظ وذکر الله
عز وجل انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة فان صلی انحلت عقدة فاصبح نشیطا طیب النفس والا اصبح
خبث النفس کسلان وفی خبر اخر انه ذکر عنده رجل فقال ذلک رجل بال الشیطان فی
اذنه وفی الخبر ان للشیطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر
واذا ذره نام باللیل حتی یصبح وقال صلى الله علیه وسلم رکعتان یرکعهما العبد فی جوف اللیل الاخر خیر له من الدنیا
وما فیها ولولا ان اشق علی امتی لفرضتهما علیهم وقال المغیرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله علیه وسلم حتی
تفطرت قدماه فقیل له قد غفر الله لک ما تقدم من ذنبک وما تاخر فقال افلا اکون عبدا شکورا ویظهر من معناه
ان ذلک کنایة عن زیادة الرتبة فان الشکر سبب المزید قال الله تعالى لئن شکرتم لازیدنکم وقال صلى الله
علیه وسلم یا ابا هریرة اترید ان تکون رحمة الله علیک حیا ومیتا ومقبورا ومبعوثا قم من اللیل فصل وانت ترید رضا
ربک یا ابا هریرة صل فی زوایا بیتک یکن نور بیتک فی السما کنور الکواکب والنجوم عند اهل الدنیا وقال صلى الله علیه وسلم
علیکم بقیام اللیل فانه داب الصالحین قبلکم وان قیام اللیل قربة الی الله عز وجل وتکفیر للذنوب ومطردة للداء
عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله علیه وسلم ما من امری تکون له صلوة باللیل فغلبه علیها نوم الا کتب له اجر
صلوته وکان نومه صدقة علیه وقال صلى الله علیه وسلم لابی ذر لو اردت سفرا اعددت له عدة قال نعم قال فکیف سفر طریق
القیامة الا انبئک یا ابا ذر بما ینفعک ذلک الیوم قال بلی بابی انت وامی قال صم یوما شدید الحر لیوم النشور وصل رکعتین
فی ظلمة اللیل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة علی مسکین او کلمة حق تقولها او کلمة شر
تسکت عنها وروی انه کان علی عهد النبی صلى الله علیه وسلم رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدات العیون قام یصلی
ویقرا القران ویقول یا رب النار اجرنی منها فذکر ذلک للنبی صلى الله علیه وسلم فقال اذا کان ذلک فاذنونی فاتاه فاستمع
فلما اصبح قال یا فلان هلا سالت الجنة قال یا رسول الله انی لست هناک ولا یبلغ عملی ذلک فلم یلبث الا یسیرا حتی نزل
جبریل وقال اخبر فلانا ان الله قد اجاره من النار وادخله الجنة ویروی ان جبریل قال للنبی صلى الله علیه وسلم نعم
الرجل ابن عمر لو کان یصلی باللیل فاخبره النبی صلى الله علیه وسلم بذلک وکان یداوم بعده علی قیام اللیل قال نافع
کان یقول یا نافع اسحرنا فاقول لا فیقوم لصلوته ثم یقول یا نافع اسحرنا فاقول نعم فیقعد یستغفر الله حتی یطلع الفجر وقال علی بن
الحسین یحیی بن زکریا من خبز شعیر فنام عن ورده حتی اصبح فاوحی الله الیه یا یحیی وجدت دارا خیرا لک من
داری ام وجدت جوارا خیرا من جواری فوعزتی یا یحیی لو اطلعت علی الفردوس اطلاعة لذاب شحمک ولزهقت نفسک
اشتیاقا ولو اطلعت الی جهنم اطلاعة لذاب شحمک ولزهقت به نفسک خوفا ولبکیت الصدید بعد الدموع ولبست الحدید

زود ابا

اسعوط داروی است که در بینی کنند و لعوق آنچه لیسند و ذرور داروی است که در چشم کنند

بعد السبع وقیل لرسول الله صلى الله علیه وسلم ان فلانا یصلی باللیل فاذا اصبح سرق فقال سینهاه ما تقول
وقال صلى الله علیه وسلم رحم الله رجلا قام من اللیل فصلی ثم ایقظ امراته فصلت فان ابت نضح فی وجهها الما
ورحم الله امراة قامت من اللیل فصلت ثم ایقظت زوجها فصلی فان ابی نضحت فی وجهه الما وقال علیه السلام
من استیقظ من اللیل وایقظ امراته فصلیا رکعتین کتبا من الذاکرین الله کثیرا والذاکرات وقال علیه السلام
افضل الصلوة بعد المکتوبة قیام اللیل وقال عمر قال علیه السلام من نام عن حزبه او عن شی منه باللیل فقراه بین
صلوة الفجر والظهر کتب له کانما قراه من اللیل **الاثار** یروی ان عمر رضی الله عنه کان یمر بالایة فی ورده
باللیل فیسقط حتی یعاد منها ایاما کثیرة کما یعاد المریض وکان ابن مسعود رضی الله عنه اذا هدات العیون
قام فیسمع له دوی کدوی النحل حتی یصبح ویقال ان سفین الثوری شبع لیلة فقال ان الحمار اذا زید فی علفه
زید فی عمله فقام تلک اللیلة حتی اصبح وکان طاوس اذا اضطجع علی فراشه یتقلی علیه کما یتقلی الحبة فی المقلی
ثم یثب ویصلی الی الصباح ثم یقول طیر ذکر جهنم نوم العابدین وقال الحسن ما نعلم عملا اشد من مکابدة اللیل
ونفقة هذا المال وقیل له ما بال المتهجدین احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره
وقدم بعض الصالحین من سفر فمهد له فراش فنام علیه حتی فاته ورده فحلف ان لا ینام علی فراش بعده
ابدا وکان عبد العزیز بن ابی رواد اذا جن علیه اللیل یاتی فراشه فیمر یده علیه ویقول انک للین والله ان فی الجنة الین منک
فلا یزال یصلی اللیل کله وقال الفضیل انی لاستقبل اللیل من اوله فیهولنی طوله فافتتح القران فاصبح وما قضیت
نهمتی وقال الحسن ان الرجل لیذنب الذنب فیحرم به قیام اللیل وقال الفضیل اذا لم تقدر علی قیام اللیل وصیام النهار
فاعلم انک محروم وقد کثرت خطیئتک وکان صلة بن اشیم یصلی اللیل کله فاذا کان فی السحر قال الهی لیس مثلی یطلب
الجنة ولکن اجرنی برحمتک من النار وقال رجل لبعض العلما انی لاضعف عن قیام اللیل فقال له یا اخی لا تعص
الله بالنهار ولا تقم باللیل وکان للحسن بن صالح جاریة فباعها من قوم فلما کان فی جوف اللیل قامت الجاریة
فقالت یا اهل الدار الصلوة الصلوة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المکتوبة فقالوا لا فرجعت
الی الحسن وقالت یا مولای بعتنی من قوم لا یصلون باللیل ردنی فردها وقال الربیع بت منزل الشافعی
لیالی کثیرة فلم یکن ینام من اللیل الا یسیرا وقال ابو الجویریة لقد صحبت ابا حنیفة ستة اشهر فما فیها لیلة
وضع جنبه وکان ابو حنیفة یحیی نصف اللیل فمر بقوم فقالوا ان هذا یحیی اللیل کله فقال انی استحیی ان اوصف بما
لا افعل فکان بعد ذلک یحیی اللیل کله ویروی انه ما کان له فراش باللیل ویقال ان مالک بن دینار قام
یردد هذه الایة لیلة حتی اصبح ام حسب الذین اجترحوا السیئات ان نجعلهم کالذین امنوا وعملوا الصالحات
وقال المغیرة بن حبیب رمقت مالک بن دینار فتوضا بعد العشا ثم قام الی مصلاه فقبض علی لحیته فخنقته
العبرة فجعل یقول اللهم حرم شیبة مالک علی النار الهی قد علمت ساکن الجنة من ساکن النار فای الرجلین
مالک وای الدارین دار مالک فلم یزل ذلک قوله حتی طلع الفجر وقال مالک بن دینار سهوت لیلة عن وردی فنمت فاذا
انا فی المنام بجاریة کاحسن ما یکون وفی یدها رقعة فقالت لی اتحسن تقرا فقلت نعم فدفعت الی الرقعة فاذا فیها شعر
االهتک اللذائذ والامانی عن البیض الاوانس فی الجنان تعیش مخلدا لا موت فیها وتلهو فی الجنان مع الحسان
تنبه من منامک ان خیرا من النوم التهجد بالقران ویروی عن ازهر بن مغیث وکان من القوامین انه قال رایت
فی المنام امراة لا تشبه نسا اهل الدنیا فقلت لها من انت فقالت الحورا فقلت زوجینی نفسک فقالت اخطبنی الی سیدی
وامهرنی فقلت وما مهرک فقال طول التهجد وقال یوسف بن مهران بلغنا ان تحت العرش ملکا فی صورة دیک براثنه من
لؤلؤ وصیصیته من زبرجد اخضر فاذا مضی ثلث اللیل الاول ضرب بجناحیه وزقا وقال لیقم المتهجدون فاذا
مضی نصف اللیل ضرب وقال لیقم المصلون فاذا طلع الصبح ضرب وقال لیقم الغافلون وعلیهم اوزارهم ویقال ان وهب
بن منبه الیمانی ما وضع جنبه علی الارض ثلثین سنة وکان یقول لان اری فی بیتی شیطانا احب الی من ان اری وسادة لانها تدعو

الاموق الدهر من عراقی

السیسیة شکال الرأس

بيان الشهرة · بيان فضيلة الخمول · بيان ذم حب الجاه · بيان معنى الجاه وحقيقته · بيان السبب في كونه محبوبا أشد من حب المال · بيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم · بيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم · بيان العلاج في حب الجاه · بيان علاج حب المدح وكراهة الذم · بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم

الشطر الثاني

في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه

بيان ذم الرياء · وبيان حقيقة الرياء وما يراءى به · وبيان درجات الرياء · وبيان الرياء الخفي · وبيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط · وبيان دواء الرياء وعلاجه

وبيان الرخصة في إظهار الطاعات · وبيان الرخصة في كتمان الذنوب · وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات · وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق · وبيان ما يجب على المريد أن يلزم نفسه قبل الطاعة وبعدها

كتاب ذم الكبر والعجب

بيان ١ ذم الكبر · بيان ٢ ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر وثمرات الكبر · بيان ٦ غاية التكبر · بيان ٧ البواعث على التكبر · بيان ٨ أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والكبر

بيان ٣ فضيلة التواضع · بيان ٤ حقيقة الكبر وآفته · بيان ٥ المتكبر عليه وأقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه · بيان ٩ الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع · بيان ١٠ غاية الرياضة في خلق التواضع

بيان ١١ ذم العجب وآفته · بيان ١٢ آفة العجب · بيان ١٣ حقيقة العجب والإدلال وحدهما · بيان علاج العجب على الجملة · بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

كتاب ذم الغرور

وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين وفيه بيان أصناف ...

بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته · بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف من الأصناف الأربعة · الصنف الأول أهل العلم والمغترون منهم فرق · الصنف الثالث المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق

الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل والمغترون منهم فرق · الصنف الرابع أرباب الأموال والمغترون منهم فرق

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب الأول

كتاب التوبة

ويشتمل ذلك بذكر أربعة أركان

الركن الأول

في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها ووجوبها وأنها واجبة وفيه

بيان وجوب التوبة وفضلها · بيان أن وجوب التوبة على الفور · بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص · بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال · بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

الركن الثاني

فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها وفيه

بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد · بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات · بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

الركن الثالث

في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر وفيه

بيان أقسام العباد في دوام التوبة وطبقاتهم · بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب ... · بيان ...

الركن [illegible]

في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار

والثاني من ربع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين

بيان حقيقة الصبر ومعناه · ...

بيان الصبر على القوة والضعف · بيان مظان الحاجة ...

بيان كشف الغطاء عن ... · بيان تمييز ما يحبه الله عما يكرهه · بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر · بيان الأفضل من الصبر والشكر

كتاب الرجاء والخوف

وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات

الشطر الثاني

من الكتاب في الخوف وفيه

بيان حقيقة الرجاء · بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه · بيان دواء الرجاء والسبيل الذي منه يحصل حال الرجاء ويغلب

بيان حقيقة الخوف · وبيان درجات الخوف · وبيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه · وبيان فضيلة الخوف والترغيب فيه · وبيان الأفضل من الخوف والرجاء وأغلب منهما

بيان دواء الخوف · وبيان معنى سوء الخاتمة · وبيان أحوال الأنبياء في الخوف · وبيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف

كتاب الفقر والزهد

وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتب إحياء العلوم وهو على شطرين

الشطر الأول

في الفقر وفيه

بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه · بيان فضيلة الفقر مطلقا · بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين · بيان فضيلة الفقر على الغنى · بيان أدب الفقير في فقره · وبيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر · بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال · بيان أحوال السائلين

الشطر الثاني

في الزهد وفيه

بيان حقيقة الزهد · وبيان فضيلة الزهد · وبيان درجات الزهد وأقسامه · وبيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات المعيشة في المطعم والملبس والمسكن والأثاث · وبيان علامات الزهد

كتاب التوحيد والتوكل

بيان فضيلة التوكل · بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل

الشطر الثاني

في أحوال التوكل وأعماله وفيه

بيان حال التوكل · وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وأحواله · وبيان أعمال المتوكلين · وبيان التوكل في التسبب بالمتزود والمعيل · وبيان أحوال المتوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال

بيان آداب المتوكل إذا سرق ماله · بيان أن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال · بيان الرد على من قال إن ترك التداوي أفضل بكل حال · بيان أحوال المتوكل في إظهار المرض وكتمانه

كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس

وهو الكتاب السادس

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تبارك وتعالى · بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى المحبة لله تبارك وتعالى · بيان أن المستحق للمحبة هو الله تبارك وتعالى وحده · بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة غيرها

بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا · بيان الأسباب المقوية لحب الله · بيان السبب في تفاوت الناس في الحب · بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى · بيان معنى الشوق إلى الله عز وجل

بيان ... · بيان ... · بيان ... · بيان فضيلة الرضا · بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

بيان ... · بيان ... · بيان حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم

خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها

المحاسبة والمراقبة

الكتاب الثامن من ربع المنجيات من إحياء علوم الدين

الى النوم وقال بعضهم رايت رب العزة في المنام فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمن التيمي فانه صلى
الغداة بوضوء العشا الاخرة اربعين سنة ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء وروي عن بعض
انه قال ان العبد الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك

بيان الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل

اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهرة فاربعة امور
الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة
ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو
تخفيف المعدة عن ثقل الطعام **الثاني** ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب
فان ذلك ايضا مجلبة للنوم **الثالث** ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على النوم بالليل **الرابع** ان يجتنب
الاوزار بالنهار فان ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة وقال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافا واحب
قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن اذا دخل السوق سمع لغطهم ولغوهم يقول اظن
ليل هؤلاء ليل سوء فانهم ما يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما ذلك الذنب قال رايت
رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد
فقلت وجع يؤلمك قال اشد قلت فما ذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرا حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته
وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال ابو
سليمن الداراني لا يفوت احدا صلوة جماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد وقال بعض
العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اي شيء تفطر فان العبد لياكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه
ولا يعود الى حالته الاولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول الحرام
وتؤثر اللقمة من الحلال في تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة
بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد لياكل
اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذا الفحشاء تنهى عن الصلوة وسائر
الخيرات وقال بعض السجانين بقيت سجانا نيفا وعشرين سنة اسال عن كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة
فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر **واما الميسرات الباطنة** فاربعة
الاول سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له
القيام وان قام فلا يتفكر في صلوته الا في مهماته ولا يجول الا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال وانشد شعر
نام **الثاني** خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم
حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله
فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا ياتيه النوم وقيل لغلام
اخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام ولذي النون المصري شعر
منع القران بوعده ووعيده مقل العيون بليلها ان تهجعا فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت اليه تخضعا
وانشدوا شعر يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات ان في القبر ان نزلت اليه لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت او حسنات امنت البيات من ملك الموت وكم نال امنا بيات **الثالث**
ان يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الايات والاثار والاخبار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق
لطلب المزيد والرغبة في درجة الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزوته وامراته كانت مفترشة فراشه تلك الليلة
فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح فقال والله اني كنت اتفكر في حوراء
من حور الجنة طول الليلة فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلي شوقا اليها **الرابع** وهو اشرف البواعث الحب لله
وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات

من الله تعالى خطاب معه فاذا احب الله احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام
ولا ينبغي ان يستبعد هذه اللذة اذ يشهد له العقل والنقل فاما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملكه
بسبب انعامه وامواله انه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول ليله فان قلت ان الجميل يتلذذ
بالنظر اليه فان الله لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته
المجردة دون النظر ودون الطمع في امر اخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه ان
كان ذلك ايضا معلوما عنده فان قلت انه ينتظر جوابه فيلتذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى فاعلم انه كان يعلم انه
لا يجيبه ويسكت عنه فقد يبقى ايضا له لذة في عرض احواله ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله كل ما يرد على
خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذي الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء انعامه
والرجاء في حق الله اصدق وما عند الله ابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات واما
النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب
حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته بعد وقال اخر انا والليل
فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انا فيها بين
حالتين افرح بظلمته اذا جاء واغتم بالفجر اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء
سوى طلوع الفجر وقال فضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي فيه بربي واذا طلعت حزنت لدخول
الناس علي وقال ابو سليمن اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا
لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه في اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا
وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست
من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل
ولقاء الاخوان والصلوة في جماعة وقال بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملاها انوارا
فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الفوائد الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى
اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكرونني
واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم
قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم
الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لي اقدامهم وافترشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا
لي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم
اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم **والثانية** لو كانت السموات السبع والارضون وما فيهما في
موازينهم لاستقللتها لهم **والثالثة** اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد
ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار قال وكانوا يرون ما يجدون
في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب من القلب وهذا له سر وتحقيق سياتي الاشارة اليه في كتاب
المحبة وفي الاخبار عن الله سبحانه اي عبدي انا الله الذي اقتربت بقلبك وبالغيب رايت نوري وشكا بعض المريدين
الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار
تصيب القلوب المتيقظة وتخطي القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل
ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل اذكى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح
عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله خيرا الا اعطاه اياه
وفي رواية اخرى يسال الله خيرا من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهو

مبهمة

التفكر ... حقيقة الفكر وثمرته ... مجاري الفكر ومجاله ... كيفية التفكر في خلق الله تعالى

كتاب ذكر الموت وما بعده

وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين ونحن نذكر ما يتعلق به في شطرين

الشطر الاول

في مقدمات الموت وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب

الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه
الباب الثاني في طول الامل وقصره
الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عنده
الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين
الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين
الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور
الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبور الى نفخة الصور
الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

الشطر الثاني

في احوال الميت من وقت نفخة الصور الى آخر الاستقرار في الجنة او النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار وفيه

صفة نفخ الصور
صفة ارض المحشر واهله
صفة عرق اهل المحشر
صفة طول يوم القيامة
صفة يوم القيامة ودواهيها واساميها
وصفة المساءلة عن الذنوب
وصفة الميزان
وصفة الخصماء ورد المظالم
وصفة الصراط
وصفة الشفاعة
وصفة الحوض
وصفة جهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها
وصفة الجنة واصناف نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها
وصفة لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم
وصفة طعام اهل الجنة
وصفة الحور العين والولدان
بيان جملة مفرقة من اوصاف اهل الجنة وردت بها الاخبار
وصفة الرؤية والنظر الى وجه الله تبارك وتعالى

خاتمة الكتاب

باب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل

والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا والصلوة والسلام على خير البرايا واشرف الانبيا محمد العربي الهاشمي الابطحي وعلى آله واصحابه وازواجه وذرياته وخلفائه ومن تابعه اجمعين وذلك في اواخر جمادى الاولى لسنة ثلاث وسبعماية هجرية [illegible] والحمد لله رب العالمين

كتاب العلم — كتاب قواعد العقائد — كتاب اسرار الطهارة
كتاب اسرار الصلوة — كتاب اسرار الزكوة — كتاب اسرار الصيام
كتاب اسرار الحج — كتاب تلاوة القرآن — كتاب الاذكار والدعوات
كتاب الاوراد في الاوقات

واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب آداب الاكل — كتاب آداب النكاح — كتاب احكام الكسب
كتاب الحلال والحرام — كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق — كتاب العزلة
كتاب آداب السفر — كتاب السماع والوجد — كتاب الامر بالمعروف
كتاب اخلاق النبوة

واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب شرح عجائب القلب — كتاب رياضة النفس — كتاب آفات الشهوتين شهوة البطن والفرج
كتاب آفات اللسان — كتاب آفات الغضب والحقد والحسد — كتاب ذم الدنيا
كتاب ذم المال والبخل — كتاب ذم الجاه والريا — كتاب ذم الكبر والعجب
كتاب ذم الغرور

واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب التوبة — كتاب الصبر والشكر — كتاب الخوف والرجا
كتاب الفقر والزهد — كتاب التوحيد والتوكل — كتاب المحبة والشوق والرضا
كتاب النية والصدق والاخلاص — كتاب المراقبة والمحاسبة — كتاب التفكر
كتاب ذكر الموت

فاما ربع العبادات فاذكر فيها من خفايا آدابها ودقائق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في فن الفقهيات **واما ربع العادات** فاذكر فيها اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني عنها متدين **واما ربع المهلكات** فاذكر فيها كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس وتطهير القلب عنه واذكر في كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والاخبار والآثار **فاما ربع المنجيات** فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين واذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف في بعض هذه المعاني كتب ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة امور **الاول** حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه **والثاني** ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه **والثالث** ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه **والرابع** حذف ما كرروه **والخامس** تحقيق امور غامضة اعتاصت على الافهام ولم يتعرض لها في الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا يستنكر ان يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لامر يخصه ويغفل عنه

ح جملة الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة **بيان طرق القسمة**
لاجزاء الليل اعلم ان احيا الليل من حيث المقدار له سبع مراتب المرتبة الاولى احيا كل الليل وهذا شان الاقوياء
الذين تجردوا لعبادة الله وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاءهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام
وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح
بوضوء العشا حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم
من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب
بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان
الداراني وعلي بن بكار الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العباديان وحبيب ابو محمد وابو
جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى بن
بكار البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقراه مرة اخرى وايضا
من المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم الرتبة الثانية ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر
عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير
حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو افضل الرتبة الثالثة ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف
الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك
ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عائشة رضي
الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن
والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال فيؤذنه للصلاة وقالت ايضا ما الفيته السحر الا نائما حتى قال
بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة والمشاهدة
من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل
من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود صلوات الله عليه الرتبة الرابعة ان يقوم سدس الليل او خمسه
وافضله ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه الرتبة الخامسة ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما
يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر بنفسه او يوكل به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في
ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم
فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض
السلف يقول هي اول نومة فان انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او سدسه يختلف ذلك في الليالي او ثلثيه
ودل عليه قوله تعالى في موضعين في سورة المزمل بقوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
فادنى من ثلثي الليل كان نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب
من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم
يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروي عن واحد انه قال راعيت صلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشا زمانا ثم استيقظ ونظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم اخرج من فراشه سواكا فاستاك وتوضا وصلى حتى قلت صلى مثل
ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال كما قال اولا وفعل ما فعل اولا الرتبة السادسة وهي الاقل
ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر

الا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة
وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا في قوله وخلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر
الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول يذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا
وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة اذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع انها صالحة لان تكون باعثة
على الحياتين كما سبق فهي اقوى آلة الشيطان على بني آدم واليه اشار عليه السلام بقوله ما رايت من ناقصات عقل
ودين اغلب لذوي الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اعوذ بك من
شر سمعي وبصري وقلبي وشر منيي وقال اسالك ان تطهر قلبي وتحصن فرجي فما يستعيذ منه رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين او ثلث
او اربع فانكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله عز وجل جلسة او وقف
بين يديه موقفا في معاملة لم يخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري كله
بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي الا نفذته لاستريح وارجع الى
شغلي ومنذ اربعين سنة ما خطر على قلبي معصية وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين
ما الذي تنكر منهم قال ياكلون كثيرا قال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون لاكلت كما ياكلون قال ينكحون كثيرا قال
وانت ايضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج
الى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع
بصره على امراة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر ان النبي
صلى الله عليه وسلم راى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت بصورة شيطان
فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل الذي معها وقال عليه السلام لا تدخلوا على المغيبات وهي التي
غاب عنها زوجها فان الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم
قال سفيان بن عيينة فاسلم انا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم ولذلك يحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة
وعلمائهم كان يفطر في الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل وذلك لتفريغ القلب
لعبادة الله تعالى واخراج عدة الشيطان منه وروي انه جامع ثلاثا من جواريه في شهر رمضان قبل العشا الآخرة
وقال ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء ولما كانت الشهوة اغلب على مزاجهم كان استكثار الصالحين منهم للنكاح
اشد ولاجل فراغ القلب ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاقا للولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل
من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون من اهلاك الدين وليس فيه الا تنغيص الحياة على الولد مدة وفي اقتحام
الفاحشة تفويت الحياة الاخروية التي تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروي انه انصرف الناس
ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم اردت ان اسال مسالة فاستحييت
من الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما كنت افضيت به الى ابيك فافض الي به
فقال اني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن
عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا وهذا تنبيه على ان العزب المغتلم مردد بين
ثلاثة شرور ادناها نكاح الامة وفيها ارقاق الولد واشد منه الاستمناء باليد وافحشه الزنا ولم يطلق
ابن عباس الاباحة في شيء منه لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع في محذور اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة
حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون الشرين في معنى الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتآكلة
من الخيرات وان كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذا في النكاح فضل من هذا الوجه لكن هذا
لا يعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته لكبر سن او مرض وغيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما

رفقاؤه او لا يغفل عن التنبه ولكن يسهوا عن ايراده في الكتب او لا يسهوا ولكن يصرفه عن
كشف الغطا عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملني
على تاسيس الكتاب على اربعة ارباع امران احدهما وهو الباعث الاصلي ان هذا الترتيب في التحقيق
والتفهيم كالضروري لان العلم الذي يتوجه به الى الاخرة ينقسم الى علم المعاملة والى علم المكاشفة
واعني بالمكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل
به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها
الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن
لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه **ولما علم المكاشفة** فلم يتكلموا
فيه الا بالرمز والايما على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال
والعلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التاسي والاقتداء ثم ان علم
المعاملة ينقسم الى علم ظاهر اعني العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعني العلم باعمال القلوب
والجاري على الجوارح اما عبادة واما عادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن
الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن
فالشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة **والشطر الباطن** المتعلق باحوال
القلب واخلاق النفس انقسم الى محمود ومذموم فكان المجموع اربعة اقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة
عن هذه الاقسام **الباعث الثاني** اني رايت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي
صلح عند من لا يخاف الله للتدرع به الى المباهات والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات
وهو مرتب على اربعة ارباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم ابعد ان يكون تصوير الكتاب
بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الروسا
الى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة
ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب الى العلم
الذي يفيد حياة الابد اهم من التلطف في اجتذابها الى الطب الذي لا يفيد الا صحة الجسد
فثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح المتوصل به الى حيوة تدوم ابد الاباد فاين منها الطب
الذي يعالج به الاجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في اقرب الاماد فنسال الله
التوفيق للرشاد والسداد انه الكريم الجواد والرحيم على العباد

كتاب العلم

وفيه سبعة ابواب **الباب الاول** في فضل العلم والتعليم والتعلم **الباب الثاني**
في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان
علم الاخرة وعلم الدنيا **الباب الثالث** فيما يعده العامة من علوم الدين وليس
منه وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره **الباب الرابع** في آفات المناظرة
وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل **الباب الخامس** في آداب
المعلم والمتعلم **الباب السادس** في آفات العلم والعلماء والعلامات
الفارقة بين علماء الدنيا والاخرة **الباب السابع** في العقل وفضيلته
واقسامه وما جاء فيه من الاخبار

الباب الاول

في فضل العلم والتعليم والتعلم
وشواهده من النقل والعقل فضيلة العلم شواهدها من القرآن قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فانظر كيف بدا بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم

وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالا ونبلا وقال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات قال ابن عباس للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبع مائة درجة
ما بين الدرجتين مسيرة خمس مائة عام وقال الله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وقال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال الله تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به
تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال الله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير بين ان عظم قدر الاخرة يعلم بالعلم وقال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون وقال الله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع الى استنباطهم فالحق رتبتهم برتبة
الانبياء في كشف حكم الله وقيل في قوله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سواتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى يعني الحياء وقال الله تعالى ولقد
جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال الله تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال الله تعالى
بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال الله تعالى خلق الانسان علمه البيان
وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان **الاخبار** قال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة
فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال عليه السلام يستغفر للعالم ما في السموات والارض
واي منصب يزيد على منصب من يشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول
بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال عليه السلام ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع
المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الاخرة خير وابقى
وقال عليه السلام خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمت وفقه في الدين فلا تشكن في الحديث
لنفاق بعض الفقهاء من اهل الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي ظننته وسياتي معنى الفقه
وادنى درجات الفقيه ان يعلم ان الاخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت برأته
عن النفاق والرياء وقال عليه السلام افضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان
استغني عنه اغنى نفسه وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته
العلم وقال عليه السلام اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلم فدلوا
الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال
عليه السلام موت قبيلة ايسر من موت عالم وقال عليه السلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة
فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقال عليه السلام يوزن يوم القيمة مداد العلماء
ودم الشهداء وقال عليه السلام من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم
كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال عليه السلام من حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم
القيمة فقيها عالما وقال عليه السلام من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا
يحتسب وقال عليه السلام اوحى الله تعالى الى ابرهيم يا ابرهيم اني عليم احب كل عليم وقال عليه
السلام العالم امين الله في الارض وقال عليه السلام صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس الامراء
والفقهاء وقال عليه السلام اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع
شمس ذلك اليوم وقال عليه السلام في تفضيل العلم على العبادة والشهادة **فضل العالم**

من امر الولد فان ذكر عليه الا التمسح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنها المراة الواحدة فيستحب
لصاحبها الزيادة على الواحدة الى الاربع فان يسر الله له مودة ورحمة واطمان قلبه بهن والا فيستحب له الاستبدال
فقد نكح علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة بسبع ليال ويقال ان الحسن بن علي رضي الله عنه كان منكاحا حتى نكح
زيادة على مائتي امراة وكان ربما عقد على اربع في وقت واحد وربما طلق اربعا في وقت واحد واستبدل بهن
وقد قال عليه السلام للحسن رضي الله عنه اشبهت خلقي وخلقي وقال الحسن مني والحسين من علي وقيل ان كثرة
نكاحه احد ما اشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امراة وكان في
الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغي ان يكون
العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه في الكثرة والقلة **الفائدة الثالثة** ترويح النفس
وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهي عن الحق
نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات في بعض
الاوقات قويت ونشطت وفي الاستيناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغي ان يكون
لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال تعالى ليسكن اليها وقال علي روحوا القلوب فانها اذا اكرهت
عميت وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ اخر لا يكون العاقل ظاعنا الا في
ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وقال عليه السلام لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت
فترته الى سنتي فقد اهتدى والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتدا الارادة والفترة الوقوف للاستراحة
وكان ابو الدردا يقول اني لاستجم نفسي بشي من اللهو لاتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الاخبار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة وهذا ان صح لا محمل له الا الاستعداد
للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم اكثر من هذا الانس
وقال عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنسا وقرة عيني في الصلوة فهذه ايضا فائدة لا ينكرها من
جرب اتعاب نفسه في الافكار والاذكار وصنوف الاعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى انها لتطرد
في حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح
ذلك واما قصد الولد وقصد دفع الشهوة مما يكثر ثم رب شخص يستانس بالنظر الى الما الجاري والخضرة وامثالها
ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النسا وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له
الفائدة الرابعة تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف
الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم تكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده اذ لو
تكفل بجميع اشغال المنزل لضاع اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة الصالحة المصلحة للمنزل عون
على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال ابو
سليمن الداراني الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للاخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء
الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قول الله تعالى ربنا اتنا في الدنيا حسنة قال المراة الصالحة وقال عليه السلام
ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مومنة تعينه على اخرته فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر
وفي بعض التفاسير فلنحيينه حيوة طيبة الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما اعطي
عبد بعد الايمان بالله خيرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذى منه ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله لا يحذى اي
لا يعتاض عنه بعطا وقال عليه السلام فضلت على ادم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اعوان
لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يامر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوائد

التي

يقصدها الصالحون الا انها تختص ببعض الاشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو الى امراتين بل الجمع ربما ينغص
المعيشة ويضطرب به امور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب
تداخل العشاير فان ذلك مما يحتاج اليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد
من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل
الفائدة الخامسة مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن
واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام
بتربية الاولاد فكل هذه اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم
وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال صلى الله عليه وسلم يوم من وال عادل
افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم راع وكلكم مسول عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره
كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد
في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل علي احمد بن حنبل بثلث احدها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه السلام
ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليوجر في اللقمة يرفعها الى في امراته وقال بعضهم لبعض العلما من كل عمل
اعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له اين انت من عمل الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة
على العيال وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال انا اعلم رجل متعفف
ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه وقال
عليه السلام من حسنت صلوته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي حديث اخر
ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الحديث اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها وقال بعض
السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بالعيال وفيه اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من الذنوب ذنوب
لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال عليه السلام من كان له ثلث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله
عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له كان ابن عباس اذا حدث بهذا قال هو والله من غرايب الحديث
وغرره وروي ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة
اروح لقلبي واجمع لهمي ثم قال رايت في المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السما فتحت وكان رجالا ينزلون
ويسيرون في الهوا يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الي فقال لمن وراه هذا هو المشوم فيقول الاخر نعم ويقول
الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فخفت ان اسالهم هيبة من ذلك الى ان مر بي اخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا
من المشوم الذي تومون اليه فقال انت فقلت ولم ذلك قال كنا نرفع عملك في اعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة
امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ندري ما احدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان او ثلث وفي اخبار
الانبيا ان قوما دخلوا على يونس النبي صلى الله عليه وسلم فاضافهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتوذيه امراته وتستطيل
عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سالت الله عز وجل وقلت ما انت معاقبي به في الاخرة فعجله لي
في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها وانا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب
وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه او المشارك لمن حسن خلقه لا يترشح منه خبايث باطنه ولا تنكشف بواطن عيوبه فحق
على سالك طريق الاخرة ان يجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها ليعتدل اخلاقه وترتاض
نفسه ويصفو عن الصفات المذمومة باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة
في نفسها فهذه ايضا من الفوايد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين اما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الاخلاق
لكونه في بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة ويرتاض به واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن
وحركة بالفكر والقلب انما عمله عمل الجوارح بصلوة او حج او عمرة او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام

فتزوجت بها

بتربيتهم

على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط
رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه
لم يكن عابدا وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب
وقال عليه السلام يشفع يوم القيمة ثلثة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا فاعظم بمرتبة هي تلو النبوة
وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وقال عليه السلام ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين
ولفقيه اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال عليه السلام
خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه وقال عليه السلام فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد
سبعون درجة وقال عليه السلام انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سايلوه
كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسياتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل
معطوه كثير سايلوه العلم فيه خير من العمل وقال عليه السلام بين العالم والعابد مائة درجة بين
كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقيل يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال العلم
بالله عز وجل قيل اي الاعمال تريد قال العلم بالله عز وجل فقيل نسال عن العمل وتجيب عن
العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال عليه السلام يبعث
الله العباد يوم القيمة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم
الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم **الاثار** قال علي رضي الله
عنه يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه
والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال ايضا العالم افضل من الصايم القايم
المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه **وقال ايضا نظما**
وقيل لابنه الحسين رضي الله عنهما الناس من جهة التمثال اكفاء ابوهم ادم والام حواء
فان يكن لهم في اصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
ووزن كل امرء ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء ففز بعلم تزد في الخير ماثرة الناس موتى واهل العلم احياء
وقال ابو الاسود الدؤلي ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك
وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمن بن داود بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي
المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد
قيل فمن السفلة قال الذي ياكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التي
يتميز الناس عن ساير البهايم هي العلم والانسان انسان بما هو شرف لاجله وليس ذلك
بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه
ولا بالاكل فان الحمار اوسع بطنا منه ولا ليجامع فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق
الا للعلم ولم يشرف الا بذلك وقال بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي
شيء فاته من ادرك العلم وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدوا يموت
قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت ولقد صدق فان غذا القلب
العلم والحكمة وبه حيوته كما ان غذا الجسد الطعام ومن فقد العلم والحكمة فقلبه مريض وموته
لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان غلبة الخوف قد يبطل
احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعباء الدنيا احس بهلاكه
وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس المفيق عن سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر

اليه تعالى عن ان تحده الاقطار والجهات وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد فكيف يصدق
قوله وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الاموال والجاه واستكثار
الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهذه الكلمة
هو خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه وجهه الا اليه
وهو امتثال قوله تبارك وتعالى قل الله ثم ذرهم وليس المراد به القول باللسان وانما اللسان
ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد
ومنبعه **اللفظ الرابع الذكر والتذكير** وقد قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه السلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها
قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله ملايكة سياحين في الهوا سوى ملايكة
الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم
ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا بانفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في الزمان
يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات **اما القصص** فهي
بدعة وورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا في زمان ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص وروي ان ابن
عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة
قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على
ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش جامع
البصرة فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال
القاص يا شيخ الا تستحيي فقال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد
اكثر الناس كذبا القصاص والسؤال واخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد البصرة
ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الاخرة والتذكير بالموت والتنبيه على
عيوب النفس وافات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بالاء الله ونعمائه وتقصير
العبد في شكره وتعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الاخرة واهوالها
فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روي الحث عليه في حديث ابي ذر حيث قال حضور مجلس ذكر
افضل من صلوة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور مجلس علم افضل
من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القران فقال وهل ينفع قراءة القران الا بالعلم وقال
عطا مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على
تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص
التي يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القران وتزيد
عليها فان من القصص ما ينفع سماعه ومنه ما يضر وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه
اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل رحمه الله
ما احوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الانبيا عليهم السلام فيما يتعلق من
امور دينهم وكان صحيح الرواية فلست ارى به باسا فليحذر الكذب وحكايات احوال تومي الى
هفوات او مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات
ومتداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم به في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه

افضل لمن العلم المدرك للازمه البدنية التي لا يتعدى خيرها الى غيره فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية
في اصل الخلقه او بمجاهده سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا
ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها واما العبادة بالعمل في الكسب على العيال فالعلم افضل من ذلك
لانه ايضا عمل وفايدته اعم واشمل لساير الخلق من فايدة الكسب على العيال فهذه فوايد النكاح في الدين التي
بها يحكم له بالفضيلة **اما افات النكاح** فثلث الاولى وهي اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر
لكل احد لا سيما في هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع في الطلب والاطعام من الحرام
وفيه هلاكه وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك اما المتزوج ففي الاكثر يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى
زوجته ويبيع اخرته بدنياه وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسال عن
رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله ومن اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبة كل اعماله
فلا تبقى له حسنة فينادي الملايكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله ويقال ان اول ما يتعلق
بالرجل في القيمه اهله وولده فيوقفونه بين يدي الله ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان
يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط الله عليه في الدنيا انيابا
تنهشه يعني العيال وقال عليه السلام لا يلقى الله سبحانه احد بذنب اعظم من جهالة اهله فهذه افة عامة قل من يتخلص
منها الا من له مال موروث او مكتسب من حلال يفي به وباهله وكان له من القناعة ما يمنعه عن الزيادة فان ذلك
يتخلص من هذه الافه او هو محترف ويقدر على كسب حلال من المباحات باحتطاب واصطياد او كان في صناعة
لا تتعلق بالسلاطين ويقدر على ان يعامل به اهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم وقد سيل
عن التزوج فقال هو افضل في زماننا لمن ادركه شبق غالب مثل الحمار يرى الاتان فلا ينتهي عنه بالضرب ولا يملك نفسه
فان ملك نفسه فتركه اولى **الافة الثانية** القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى
منهن وهذه دون الاولى في العموم فان القدرة على هذا ايسر من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام
بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفي هذا ايضا خطر لانه راع ومسول عن رعيته وقال عليه السلام كفى بالمرء اثما ان
يضيع من يعول وروي ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الابق لا يقبل له صلوة ولا صيام حتى يرجع اليهم
ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم
النار كما نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه واذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف الى نفسه
نفس اخرى والنفس امارة بالسوء ان كثرت كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزوج وقال انا مبتلى
بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى لم يسع الفارة في جحرها علقت المكنس في دبرها ولذلك اعتذر ابراهيم بن ادهم
وقال لا اغر امراة بنفسي ولا حاجة لي فيهن اي من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وانا عاجز عنه ولذلك
اعتذر بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وكان يقول لو كنت اعول دجاجة لخفت ان
اصير جلادا على الجسر وراى سفين الثوري على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رايت ذا عيال
افلح وكان سفين يقول يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا صياح فهذه افة عامة
ايضا وان كان دون عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير بعادات النساء صبور على لسانهن
وقاف على اتباع شهواتهن حريص على الوفا بحقهن يتغافل عن زللهن ويداري بعقله اخلاقهن والاغلب على
الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع تمام الانصاف ومثل هذا يزداد
بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محاله فالوحده اسلم له **الافه الثالثه** دون الاولى والثانيه ان يكون الاهل
والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا الى طلب الدنيا وتدبير المعيشه للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر
والتكاثر وكل ما شغل عن الله من اهل ومال وولد فهو مشوم على صاحبه ولست اعني بهذا ان يدعوه الى محظور فان ذلك مما اندرج

والدعا فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جا في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذا طرق
القسمه فليختر المريد لنفسه ما راه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احيا
ما بين العشايين والورد الذي بعد العشا ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نايما ويقوم بطرفي
الليل وهذه هي المرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فرتبة هذه المراتب بحسب طول الوقت واما في الرتبه
الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجري ما فيهما في التقدم والتاخر على الترتيب المذكور اذ السابعه
ليست دون ما ذكرناه في السادسة والخامسة دون الرابعة **بيان الليالي والايام الفاضلة** اعلم
ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتاكد فيها استحباب الاحيا في السنه خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل
المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضل
الاوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان وهي اوتار العشر الاخير اذ فيها يطلب ليلة القدر وليله
سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير
هي ليلة القدر واما التسع الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشورا واول ليلة من رجب وليلة النصف منه
وليلة سبع وعشرين منه وهي ليله المعراج وفيها صلوة ماثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة
حسنات مائة سنه فمن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القران ويتشهد
في كل ركعتين ويسلم في اخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة
مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه ما شا من امر دنياه واخرته ويصبح صايما فان الله
يستجيب دعاه كله الا ان يدعو في معصية واما ليله النصف من شعبان ففيها مائة ركعة في كل ركعة سورة
الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونه كما اوردناه في صلوة التطوع وليله عرفه وليلتا العيد قال صلى الله عليه
وسلم من احيى ليلة العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب فاما الايام الفاضلة وهي تسعة عشر يستحب فواضل
الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشورا ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام
يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل صلوات الله عليه على محمد
صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من شهر رمضان ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين
والايام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء
من اخذ مهناه في الايام الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الاخرة واراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشورا ومن فواضل
الايام في الاسبوع الخميس والاثنين يرفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضايل الاشهر والايام للصيام في كتاب
الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله تعالى اعلم بالصواب

كتاب اداب الاكل وهو الكتاب الاول
من ربع العادات من كتب احيا العلوم **بسم الله الرحمن الرحيم** الحمد لله الذي
احسن تدبير الكاينات فخلق الارض والسموات وانزل الما الفرات من المعصرات فانشا الحب والنبات وقدر
الارزاق والاقوات وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات واعان على الطاعات والاعمال الصالحات باكل
الطيبات والصلوة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى اله واصحابه صلوة تتوالى على ممر الاوقات وتتضاعف
بتعاقب الساعات وسلم كثيرا **اما** بعد فان مقصد ذوي الالباب لقا الله سبحانه في دار الثواب ولا طريق
للوصول الى اللقا الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا يصفو سلامة البدن الا
بالاطعمة والاقوات والتناول منها قدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين
ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القايلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويتقوى به على التقوى فلا ينبغي له ان يترك نفسه مهملا سدى

الزنا [illegible] والفحش والخنا [illegible]
[illegible]
حف

ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر فكلنا بصدد المعاصي فلا غرو ان عصيت الله
فقد عصى من هو اكبر مني ويفيده ذلك جراة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين
فلا باس به وعند ذلك يرجع القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القران وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار
ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده فيه دعوة الخلق الى
الحق وهذا من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله سبحانه ورسوله عليه
السلام غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن
ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضني اليك لا قضيت حاجتك ابدا وقد كان جاء في
حاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة
وكان السجع ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا
صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب **واما الاشعار**
فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله عز وجل والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون
وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف
في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم
مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من
قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فيشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله
يرجع الى نوع فساد فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد
واستيناس فقد قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع
على استغراق قلوبهم بحب الله ولم يكن معهم غيرهم فان ذلك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره
الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يستمعه على ما يستولي على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع
وكذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه عشرين وحضر
جماعة باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال ما هؤلاء اصحابي انما هم اصحاب المجلس
ان اصحابي هم الخواص **واما الشطح** فنعني به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما
الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم
الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا
كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس
ويستشهدون بقوله انا الحق وبما حكي عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا
فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه
الدعاوى فان هذا كلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة في الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات
والاحوال فلا تعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر
عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس
وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في بعض البلاد شرره
وعظم ضرره ومن نطق بشي منه فقتله افضل في دين الله من احيا عشرة غيره واما ابو يزيد البسطامي
فلا يصح عنه ما يحكى عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في نفسه كما
لو سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية
الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رايقة وفيها عبارات هايلة وليس وراها

طايل وهي اما ان تكون غير مفهومة عند قايلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة
احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها
وايراده بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ
الرشيقة ولا فايدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان
او يحمل على ان يفهم منها معاني ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وسلم كلموا
الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه
عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قايله فان كان يفهمه القايل دون السامع فلا يحل ذكره وقال عيسى
صلوات الله عليه لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وكونوا كالطبيب
الرفيق يضع الدواء في مواضع الداء وفي لفظ اخر من وضع الحكمة في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها
ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه **واما الطامات** فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر
اخر يخصه وهو صرف الفاظ الشرع عن الظواهر المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام كداب
الباطنية في التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها
بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان
الثقة بالالفاظ ويسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن
لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشايعة العظيمة
ضررها وانما قصد اصحابها الاغراب فان النفوس مايلة الى الغريب مستلذة له وبهذا الطريق توصل
الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما حكيناه من مذهبهم
في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل
قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون الطاغي على كل انسان
وفي قوله عز وجل ان الق عصاك اي كل ما تتوكا عليه وتعتمده مما سوى الله فينبغي ان تلقيه وفي قوله
عليه السلام تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفوا القران
من اوله الى اخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه وعن ساير العلماء
وبعض هذه التاويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر
الينا وجوده ودعوة موسى له كابي لهب وابي جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين
والملايكة ومما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظها وكذلك حمل التسحر على الاستغفار
فانه كان صلى الله عليه يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغذاء المبارك فهذه امور يدرك
بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام
وضلالة وافساد الدين على الخلق ولم ينقل ذلك شي من الصحابة ولا عن التابعين رضي الله عنهم ولا
عن الحسن البصري رحمه الله مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من
فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه
فيستجر شهادة القران اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية
ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القران بالاستنباط والفكر فان من الايات ما نقل فيها
عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ونعلم ان جميعها غير مسموعة عن النبي صلى الله عليه
وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى

يستوي في الأكل استرسال البهائم في المرعى فلأن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ينبغي أن يظهر أنوار الدين عليه وآدابه
وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها فيصير
بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر وإن كان فيها أوفى حظ للنفس قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة
يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه آدابه ووظائفه وها نحن نرشد
إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيآتها في أربعة أبواب وفصل في آخرها
الباب الأول فيما لا بد للآكل منه وإن انفرد بالأكل الباب الثاني فيما يزيد من
الآداب بسبب الاجتماع على الأكل الباب الثالث فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان
الزائرين الباب الرابع فيما يخص الدعوة والضيافة وأسبابها الباب الأول فيما
لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه القسم الأول في الآداب التي
تتقدم على الأكل وهي سبعة الأول أن يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة
والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ولا مداهنة في دين على ما سيأتي معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال
والحرام وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الأكل بالباطل على القتل تفخيما لأمر الحرام وتعظيما لبركة
الحلال فقال تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية فالأصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول
الدين الثاني غسل اليد قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر
قبل الطعام وبعده ولأن اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة ولأن الأكل
لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة الثالث أن يوضع
الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتي بالطعام وضعه على الأرض فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعلى السفرة فإنه
يذكر بالسفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى وقال أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة قيل فعلام كنتم تأكلون قال على السفر قيل أربعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الموائد والمناخل والأشنان والشبع واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلسنا نقول الأكل على
المائدة منهي عنه نهي كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهي وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل
ما أبدع منهيا عنه بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب
في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك
مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة فإن
الغسل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم أو لا يتيسر
أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضا وكان مناديلهم أخامص
أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا وأما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته إلى التنعم
المفرط وأما المائدة فلتيسير الأكل وهو أيضا مباح وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهييج الشهوات
وتحريك الأدواء في البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات الرابع أن يحسن الجلسة على السفرة في أول
جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما
نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد
والشرب متكئا مكروه للمعدة أيضا ويكره الأكل نائما ومتكئا إلا ما ينتقل به من الحبوب روي عن علي رضي الله
عنه أنه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه والعرب قد تفعله الخامس أن ينوي بأكله
أن يتقوى به على طاعة الله ليكون مطيعا بالأكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل قال إبراهيم بن شيبان منذ ثمانين سنة

ما أكلت شيئا بشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم يصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع
فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليه فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإيثار القناعة على الاتساع قال
صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث
شراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحد ما لا بد من
تقديمه على الأكل ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسيأتي فائدة قلة الأكل
وكيفية التدريج في التقليل في كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات السادس أن يرضى بالموجود
من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الخبز أن
لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بإكرام الخبز وكل ما يديم الرمق ويقوي على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن
يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلاة وإن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع قال صلى الله عليه وسلم إذا حضر
العشاء والعشاء فابدؤوا بالعشاء وكان ابن عمر ربما سمع قراءة الإمام وهو لا يقوم من عشائه ومهما كانت النفس
لا تتوق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة
وكان في التأخير ما يبرد الطعام أو يشوش أمره فتقديمه أحب عند اتساع الوقت تاقت النفس أو لم تتق لعموم
الخبر ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالبا السابع أن يجتهد
في تكثير اليد على الطعام ولو من أهله وولده قال صلى الله عليه وسلم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال أنس
كان عليه السلام لا يأكل وحده القسم الثاني في آداب حالة الأكل وهو أن يبدأ باسم الله في أوله وبالحمد لله في آخره
ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو أحسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع
الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره ويأكل باليمنى ويبدأ
بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد إلى الأخرى فإن ذلك عجلة في
الأكل وأن لا يذم مأكولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب مأكولا كان إذا أعجبه أكله وإلا تركه وأن يأكل مما يليه
إلا الفاكهة فإن له أن يجيل يده قال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك ثم كان يدور على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال
ليس هو نوعا واحدا وأن لا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف إلا
إذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين ولا يقطع اللحم أيضا فقد نهي عنه وقال انهسوه نهسا ولا
يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به قال صلى الله عليه وسلم أكرموا الخبز فإن الله سبحانه أنزله
من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال عليه السلام إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى
ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة ولا ينفخ في الطعام
الحار فهو منهي عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترا سبعا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين
أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع من فيه على ظهر كفه ثم يلقيه وكذا كل
ما له عجم وثفل وأن لا يترك ما استرذله من الطعام ولا يطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس
على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه فقد يقال إن ذلك
مستحب في الطب وإنه دباغ المعدة وأما الشرب فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا
لا عبا قال صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فإن الكباد من العب ولا يشرب قائما ومضطجعا
ويراعي أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فيه
بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم
يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فلعله لعذر والكوز وكل ما يدار
على قوم يدار يمنة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وأبو بكر عن شماله وأعرابي عن يمينه وعمر ناحية

عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التاويلات
مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد به دعوة الخلق الى الحق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسالة يراها حقا
حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام من كذب
علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار بل الشر في تاويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ
وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القران بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق
من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك بتلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت هؤلاء اعتمادا
على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع
من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الالفاظ **اللفظ الخامس وهو الحكمة** فان اسم الحكيم
صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع الطرق
والحكمة هي التي اثنى الله تعالى عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال عليه السلام كلمة
من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس
بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين
اذ الشياطين بواسطتهم تتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه ثم قال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود
والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور
وتتشبه بالخلف وكل ما ارتضاه السلف من العلوم فقد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث
وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فقيل ومن
الغرباء فقال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر اخر
هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث اخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم
اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري رحمه الله اذا
رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط فانه ان نطق بالحق ابغضوه والله اعلم **بيان القدر المحمود
من العلوم المحمودة** اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره
وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا
يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال
ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد
فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم فالقسم المذموم
قليله وكثيره ما لا فائدة فيه اصلا في دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم
فبعضه لا فائدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفايس
مذمومة ومنه ما فيه ضرر يربي على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به
بالاضافة الى الضرر الحاصل منه **واما القسم المحمود** الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله عز
وجل وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الاخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته
وللتوصل به الى سعادة الاخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر
الذي لا يدرك غوره وانما يحوم المحومون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء
والاولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم

او الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطا فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن يوزن
مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته
فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم
وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة
احب الي من احيايها وكذا عن ابي هريرة واحمد بن حنبل وقال الحسن في قوله اتنا في الدنيا حسنة
هي العلم والعبادة وفي الاخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء اي الاشيا تقتنى قال الاشيا
التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال
بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال
الشافعي رحمه الله من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن دفع عنه حزن
وقال عمر رضي الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله ردا يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه
الله بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه لكي لا يسلبه
رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل
عز لم يؤكد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثماية درهم واعتقني
فقلت باي شيء احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زائرا فلم اذن له
وقال الزبير بن ابي بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان
استغنيت كان لك جمالا وحكي ذلك في وصايا لقمان لابنه وقال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك
فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء وقال بعض الحكماء اذا مات
العالم بكاه الحوت في الماء والطير في السماء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر
لا يحبه الا ذكور الرجال **فضيلة التعلم** اما الايات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة ليتفقهوا في الدين وقوله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون **واما الاخبار**
فقال صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال عليه السلام ان
الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وقال لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان
تصلي ماية ركعة وقال عليه السلام باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وقال عليه السلام طلب
العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين وقال العلم خزاين ومفتاحها
السؤال فاسالوا فانه يوجر فيه اربعة السايل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال عليه السلام لا ينبغي
للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه حضور مجلس
علم افضل من صلوة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن
قراءة القران فقال وهل ينفع القران الا بالعلم وقال عليه السلام من جاءه الموت وهو يطلب العلم
ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة **الاثار** قال ابن عباس رضي
الله عنه ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته
رايت احسن الناس وجها واذا تكلم فاعرب الناس لسانا واذا افتى فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك
عجبت لمن لم يطلب العلم كيف يدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكماء اني لا ارحم رجالا كرحمتي
لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلبه وقال ابو الدرداء لان اتعلم مسالة احب الي
من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وساير الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا
كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطا مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو

فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن فيشرب في ثلثة انفاس يحمد الله في اواخرها
ويسمي الله في اوائلها ويقول في آخر النفس الاول الحمد لله وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن
الرحيم فهذا قريب من عشرين ادبا في حالة الاكل والشرب دل عليه الاخبار والآثار **القسم الثالث**
ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام
قال عليه السلام من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ولا يتخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين اسنانه
بلسانه اما المخرج بالخلال فيرمي به وليتمضمض بعد الخلال ففيه اثر عن اهل البيت وان يلعق القصعة فقد قيل
من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان التقاط الفتات مهور الحور العين وان يشكر الله تعالى
بقلبه على ما اطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ومهما
اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا
وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرأ بعد الطعام قل
هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم من المائدة حتى ترفع اولا وان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم
بارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عند قوم
فليقل افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن
على ما اكل من شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها بقوله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من
الحرام فالنار اولى به وليس من ياكل ويبكي كمن ياكل ويلهو وليقل اذا اكل لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا
وارزقنا خيرا منه فهذا الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب
الطعام ان يقول الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافيا من كل شيء ولا يكفي
منه شيء اطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة
فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا
اللهم اجعله لنا عونا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معاصيك واما غسل اليد بالاشنان فكيفيته
ان يجعل الاشنان على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلث من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان
اليابس فيمسح به شفتيه ثم ينعم غسل الفم باصبعيه ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم
يغسل اصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك بقية الاشنان اليابس اصابعه ظهرا وبطنا ويستغني بذلك عن
اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله **الباب الثاني** فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة
في الاكل وهي سبعة **الاول** ان لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا
ان يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرأبوا للاكل واجتمعوا له
الثاني ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات
الصالحين في الاطعمة وغيرها **الثالث** ان يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد ان ياكل زيادة على ما
ياكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي ان يقصد الايثار
ولا ياكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك واستاذنهم فان قلل رفيقه نشطه ورغبه في الاكل وقال
له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلث مرات فان ذلك الحاح وافراط كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب
في شيء ثلثا لم يراجع بعد ثلث وكان عليه السلام يكرر الكلام ثلثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما الحلف
عليه بالاكل فممنوع قال الحسن بن علي الطعام اهون من ان يحلف عليه **الرابع** ان لا يحوج رفيقه الى ان
يقول له كل قال بعض الادباء احسن الآكلين اكلا من لا يحوج صاحبه الى ان يتفقده في الاكل وحمل عن اخيه مؤونة القول
فلا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته

في الوحدة ولكن ليتعود نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من اكله
ايثارا لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد في الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط
القوم في الاكل فلا باس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول من اكل
اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لدفع الحيا
وزيادة النشاط في الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي
من يحوجني الى تعاهده في الاكل وكل هذا اشارة الى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر ايضا تبين
محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله **الخامس** ان غسل اليد في الطست لا باس به وله ان يتنخع فيه
ان اكل وحده وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم الطست اليه غيره اكراما فليقبله
اجتمع انس بن مالك وثابت البناني على طعام فقدم انس الطست اليه فامتنع فقال انس اذا اكرمك اخوك
فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروي ان هرون الرشيد دعا ابا معوية الضرير
فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا معوية هل تدري من صب على يدك فقال لا قال صب امير المومنين
فقال يا امير المومنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا باس ان يجتمعوا
على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا
ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم قيل
ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا ترفع طست من بين يدي القوم الا مملوءة ولا تشبهوا
بالعجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذي يصب على
اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي انه
صب على يد واحد خادم جالس فقام المصبوب على يده فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد وان يكون قائما وهذا اولى
لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع الذي يصب واذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس
فيه تكبر فان العادة جارية بذلك ففي الطست سبعة آداب ان لا يبزق فيه وان يقدم به المتبوع وان
يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمنة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما وان
يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه
الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي في اول نزوله عليه وقال لا يروعنك ما رايت مني فان خدمة الضيف
فرض **السادس** ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ولا
يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان
قليل الاكل توقف في الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخيرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة وان
امتنع بسبب فليعتذر اليهم دفعا للخجلة عنهم **السابع** ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا
يقدم اليها راسه عند وضع اللقمة في فيه واذا اخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس
اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التي قطعها باسنانه لا يغمس بقيتها في المرقة
والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات **الباب الثالث في ادب تقديم الطعام الى الاخوان**
الزائرين فضيلة تقديم الطعام الى الاخوان له فضل كثير قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان
على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه
وابويه فمن دونهم يحاسب عليها الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحيي ان يساله عن ذلك هذا
مع ما ورد من الاخبار في الاطعام قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين
يديه حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول

وقال عمر موت الف عابد قايم الليل وصايم النهار اهون من موت عاقل بصير بحلال الله وحرامه
وقال الشافعي رحمه الله عليه طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك
اقرا عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل
مما كنت فيه اذا صحت النية وقال ابو الدرداء من راى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد
قصر في رايه وعقله **فضيلة التعليم اما الايات** فقوله تعالى ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وهو ايجاب التعليم وقال وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون وهو تحريم الكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال
الله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة
وقال الله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة **اما الاخبار** فقال صلى الله عليه
وسلم ما اتى الله عالما علما الا اخذ عليه الميثاق كما اخذ من النبيين ان يبينه ولا يكتمه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا
خير لك من الدنيا وما فيها وقال من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين نبيا
صديقا وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات
وقال النبي عليه السلام اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة
فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل انتم عندي كبعض ملائكتي
اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا اللازم
الذي لا يتعدى وقال عليه السلام ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم
اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا
رؤساء جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال عليه السلام من كتم علما اتاه الله
الجم يوم القيمة بلجام من النار وقال عليه السلام نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها
فتنطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال عليه السلام الدنيا
ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما وقال عليه السلام ان الله وملائكته
واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس
الخير وقال عليه السلام ما افاد المسلم اخاه فايدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال عليه
السلام كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس
فقال اما هؤلاء فيسالون الله تعالى ان شا اعطاهم وان شا منعهم واما هولاء فيعلمون الناس وانما
بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير
اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها بقعة
امسكت الما فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طايفة لا تمسك ماء
ولا تنبت كلا فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني للنافع والثالث للمحروم منهما وقال عليه السلام
اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلث علم ينتفع به وصدقة جارية وولد صالح يدعو له بالخير
وقال عليه السلام الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه على
انفاقه في الحق ورجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس وقال عليه السلام على خلفاي

رحمة الله قالوا ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله **اما الاثار**
فقال عمر رضي الله عنه من حدث حديثا فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وقال ابن عباس معلم الخير
يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه
فلينظر كيف يدخل وروي ان سفين الثوري قدم عسقلان فمكث ولا يساله انسان فقال اكروا
لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء
العلم به وقال عطا دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس احد يسالني
عن شيء وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال
الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهايم اي بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد
الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه
وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد من ابايهم وامهاتهم قيل كيف ذلك قال لان اباهم وامهاتهم
يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الاخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ
ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت
وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورايته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه
لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله
لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على الهدى والمصابح
في السرا والضرا والزين عند الاخلا والقريب عند الغربا والسلاح على الاعدا ومنار سبيل الجنة
يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص اثارهم وترمق افعالهم
وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه
وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حيوة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم
وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل
بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام وبه يعرف
الحلال والحرام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء **في الشواهد العقلية**
اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق
المراد منها لم يمكن ان تعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف
ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة
فاذا تشارك شيئان في امر واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادة فيما هو كمال
ذلك الشيء كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه في قوة الكر
والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زايدة لم يقل انه افضل لان تلك
زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه
واذا فهمت هذا لم يخف عليك ان العلم فضيلة في ذاته ان اخذته بالاضافة الى ساير الاوصاف
كما ان للفرس فضيلة ان اخذته بالاضافة الى ساير الحيوانات بل شدة العدو فضيلة للفرس وليس
فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته على الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله تعالى وبه
شرف الملائكة والانبياء عليهم السلام بل الكيس من الفرس خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من
غير اضافة واعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته اشرف
وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة لهما ولولا ان الله تعالى

تهم

٤ والمصـ

بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال للخلال الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام
فلذلك احب ان استكثر مما اقدم اليكم لتاكلوا فضله وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما ياكل مع اخوانه وكان بعضهم
يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا اكل وحده وفي الخبر ثلث لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر عليه وما
اكل مع الاخوان وقال علي رضي الله عنه لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة وكان ابن عمر
يقول من كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه وكان الصحابة يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق
وكانوا يجتمعون على قراءة القران ولا يتفرقون الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الانس والالفة ليس
هو من الدنيا وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيمة يا ابن ادم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين
فيقول جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال عليه السلام اذا جاءكم الزاير فاكرموه وقال عليه السلام ان في
الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس
نيام وقال النبي عليه السلام خيركم من اطعم الطعام وقال عليه السلام من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده
الله تعالى من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسماية عام واما ادابه فبعضها في الدخول وبعضها
في تقديم الطعام اما الدخول فليس من السنة ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل وقت الاكل فان ذلك من المفاجاة
وقد نهي عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه يعني منتظرين حينه ونضجه
وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم يتربص واتفق ان صادفهم على
الطعام ان لا ياكل ما لم يؤذن له فاذا قيل كل نظر فان علم انهم يقولونه عن محبة لمساعدته فليساعد وان
كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي ان ياكل بل ينبغي ان يتعلل اما اذا كان جايعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص
وقت اكله فلا باس به قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل ابي الهيثم بن التيهان
وابي ايوب الانصاري لاجل طعام ياكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب
الاطعام وهي عادة السلف كان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثماية وستون صديقا يدور عليهم في السنة
والاخر ثلثون يدور في الشهر والاخر سبعة فكان اخوانهم معلومهم بدل الحرفة كسبهم وكان قيامهم اولئك بهم على قصد
التبرك عادة لهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا اكل من طعامه فله ان
ياكل بغير اذنه اذ المراد من الاذن الرضا لا سيما في الاطعمة وامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف
وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب غايب لم ياذن واكل طعامه محبوب وقد قال تعالى او صديقكم ودخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة واكل طعامها وهي غايبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة
محلها وذلك لعلمه بسرورها بذلك ولذلك يجوز ان يدخل الدار بغير استيذان اكتفاء بعلمه بالاذن فان لم يعلم
فلا بد من الاستيذان اولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فياكلون ما يجدون بغير اذن
وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروي عن الحسن انه كان قايما ياكل من متاع بقال ياخذ
من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فقال له هشام ما بدا لك يا ابا سعيد في الورع تاكل متاع الرجل بغير اذنه فقال
يا لكع اتل علي اية الاكل فتلا الى قوله او صديقكم فقال فمن الصديق يا ابا سعيد فقال من استروحت اليه النفس
واطمان اليه القلب وجاء قوم الى منزل سفين الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا ياكلون
فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه
اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك
فحمل كله فقدمه الى اصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له قد اخذه فلان فقال قد احسن فلما لقيه
قال يا اخي ان عادوا فعد فهذه اداب الدخول فاما اداب التقديم فترك التكلف اولا وتقديم ما حضر فان لم يحضره
شي ولم يملك فلا يستقرض لاجل ذلك فيشوش على نفسه وان حضره ما هو محتاج اليه لقوته ولم تسخ نفسه بالتقديم فلا ينبغي

ان يقدم دخل بعضهم على زاهد وهو ياكل فقال لولا اني اخذته بدين لاطعمتكم وقال بعض السلف في تفسير التكلف
ان تطعم اخاك ما لا تاكله انت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس
بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه من الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالي من اتاني من اخواني فاني لا
اتكلف له انما اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لي فيتكلف
فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا اكلنا فاما ان تقطع هذا التكلف او اقطع المجي فقطع
التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم وروي
ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال اجيبك على ثلث شرايط لا تدخل من السوق شيا ولا تدخر ما في البيت
ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم يقدم من كل ما في بيته شيا فلا يترك نوعا الا ويحضر شيا منه وقال بعضهم
دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وقال بعضهم
اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم انه زاره
اخوانه فقدم اليهم كسرا وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال لهم كلوا لولا ان الله تعالى لعن المتكلفين لتكلفت
لكم وعن انس بن مالك وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر
ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه والذي يحتقر ما عنده ان يقدمه **الادب الثاني**
وهو للزاير ان لا يقترح ولا يتحكم بشي بعينه فربما يشق على المزور احضاره فان خيره اخوه بين طعامين
فليختر ايسرهما عليه كذلك السنة في الخبر انه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيين الا اختار
ايسرهما وروى الاعمش عن ابي وايل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا
فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان اطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكلنا قال
صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا اذا توهم
تعذر ذلك على اخيه او كراهيته له فان علم انه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح
فعل الشافعي ذلك مع الزعفراني اذ كان نازلا عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من
الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الايام والحق بها لونا اخر بخطه فلما راى الزعفراني
ذلك اللون انكر وقال ما امرت بهذا فعرضت خط الشافعي ملحقا بالرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك
واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه وقال ابو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت واخذ
يجعل نصفه في القدح فقلت له ايش هو ذا تعمل انا اشربه كله في مرة فضحك وقال هذا افضل لك من حجة
وقال بعضهم الاكل على ثلثة مع الفقراء بالايثار ومع الاخوان بالانبساط ومع ابناء الدنيا بالادب **الادب الثالث**
ان يشتهي المزور من اخيه الزاير ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح
فذلك حسن وفيه اجر وفضل جزيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صادف من اخيه شهوة غفر له
ومن سر اخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر من لذذ اخاه بما يشتهي
كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة واطعمه الله من ثلث جنان
جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد **الادب الرابع** ان لا يقول له هل اقدم لك طعاما بل ينبغي ان يقدم
ان كان قال الثوري اذا زارك اخوك فلا تقل له اتاكل او اقدم اليك ولكن قدم فان اكل والا فارفع وان كان
لا يريد ان يطعمهم طعاما فلا ينبغي ان يظهره عليهم او يصفه لهم قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم عيالك
مما تاكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك وقال بعض الصوفية اذا دخل عليكم الفقراء فقدموا اليهم طعاما واذا دخل الفقهاء
فسلوهم عن مسالة واذا دخل القراء فدلوهم على المحراب **الباب الرابع** في اداب الضيافة ومظان الاداب

يسر قضاء الحاجات بهما لكانت هي والحجر بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الاخرة
ولذة النظر الى وجه الله جل وعز والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل
مطلوبة من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار
اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الاخرة وسعادتها
وذريعة الى القرب من الله ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الادمي السعادة الابدية وافضل
الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية
العمل فاصل السعادات في الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذا افضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة
الشيء ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة
ومقاربة الملاء الاعلى هذا في الاخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام
في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم
بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز
لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سياتي وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها
واما فضيلة التعليم والتعلم فظاهر بما ذكرنا فان العلم اذا كان افضل الامور كان
تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا
ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة وهي الالة الموصلة الى الله لمن اتخذها الة
ومنزلا ولم يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الادميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم
وهي تنحصر في ثلثة اقسام **احدها** اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم
والحياكة وهي للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهي للتالف والاجتماع والتعاون
على اسباب المعيشة وضبطها **الثاني** ما هي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات
وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد الاتها كالحلاجة
والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها **الثالث** ما هي متممة للاصول ومزينة كالطحانة
والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل
اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها ثلثة اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها
كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع
والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح
ولذلك يستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات
ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق
وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والاخرة على اربع مراتب **الاولى** وهي العليا سياسة
الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم **والثانية** الخلفاء والملوك والسلاطين
وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم **والثالثة** العلماء بالله
وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة
منهم ولا ينتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع **والرابعة** الوعاظ وحكمهم
على باطن العوام فقط واشرف هذه الصناعات والسياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب
نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد
بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلثة

امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ
تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل
الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل
احدهما الذهب ومحل الاخر جلد الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الاخرة انما يدرك
بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما سياتي اذ به تقبل امانة الله وبه
يصل الى جوار الله تعالى واما عموم النفع فلا يستريب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الاخرة
واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود
على الارض جنس الانس واشرف جزء من اجزاء جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله
وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله تعالى فتعليم العلم من وجه عبادة لله
ومن وجه خلافة الله وهو من اجل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو
اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو ماذون له في الانفاق على كل محتاج اليه
فاية رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم
الى جنة الماوى ولله الحمد والمنة

الباب الثاني في العلم المحمود

والمذموم واقسامهما واحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع
الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد هو وتفصيل علم الاخرة في العلم الذي هو فرض عين
الاخبار قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقال صلى الله عليه
وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة واختلف الناس في العلم الذي
هو فرض عين على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله
ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد
ويعلم ذات الله وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به يعرف العبادات والحلال والحرام
وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الاحاد دون الوقائع النادرة وقال
المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة
المراد به هذا العلم اي التصوف وقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله وقال بعضهم
هو العلم بالاخلاص وافات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقيل هو علم الباطن
وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي
هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله عليه السلام بني الاسلام على خمس
لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع
به المحصل ولا يستريب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم الى علم
معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل
البالغ بها ثلثة اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا
فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب
عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده
جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث
وبرهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم
دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم الكلمة وفهمها

وافادته

فهم

الدعوة اولا ثم الاجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها فضيلة الضيافة
قال صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد ابغض الله ومن ابغض الله
فقد ابغضه الله وقال عليه السلام لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر
كثير فلم يضيفه ومر بامراة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله
يمنح منها من يشا خلقا حسنا فعل وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به ضيف فقال
قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا اسلفه
الا برهن فاخبرته فقال والله اني لامين في السما وامين في الارض ولو اسلفني لاديته فاذهب بدرعي
وارهنه عنده وكان ابرهيم الخليل صلوات الله عليه اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى
معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة
الا وياكل عنده جماعة من بين ثلثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل الى الان ليلة عن ضيف
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم في الكفارات
والدرجات اطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب
الكلام وقال انس كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى
فلنذكر ادابها اما الدعوة فينبغي للداعي ان يقصد بدعوته الاتقيا دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم اكل
طعامك الابرار في دعايه لمن دعا له وقال لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي ويقصد الفقرا دون
الاغنيا على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنيا دون الفقرا وينبغي ان
لا يهمل اقاربه في ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في اصدقايه ومعارفه فان
في تخصيص البعض ايحاش الباقين وينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان
والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على قلب المومنين وينبغي ان لا يدعو
من يعلم انه يشق عليه الاجابة واذا حضر تاذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغي ان لا يدعو الا
من يحب اجابته قال سفين من دعا الى طعام وهو يكره الاجابة فله خطيئة فان اجاب المدعو فله خطيئتان
لانه حمله على الاكل مع كراهة ولو علم ذلك ما كان ياكله واطعام التقي اعانة له على الطاعة واطعام الفاسق
تقوية له على الفسق قال رجل خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين فهل تخاف ان اكون من اعوان الظلمة
قال لا انما اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة اما انت فمن الظلمة انفسهم واما الاجابة فهي سنة موكدة
وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدي الي ذراع
لقبلت وللاجابة خمسة اداب الاول ان لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي
عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال انتظار المرقة ذل وقال اخر اذا وضعت يدي في قصعة
غيري فقد ذلت له رقبتي ومن المتكبرين من يجيب الاغنيا دون الفقرا وهو خلاف السنة كان عليه السلام
يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن علي بقوم من المساكين الذين يسالون الناس على قارعة
الطريق وقد نشروا كسرا على الارض في الرمل وهم ياكلون وكان على بغلته فسلم عليهم فقالوا له هلم
الغدا يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض
واكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم اليهم
فاخر الطعام وجلس ياكل معهم واما قول القايل ان من وضعت يدي في قصعته ذلت له رقبتي فقد قال
بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها منة وكان
يرى ذلك يدا له على المدعو ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه بان الداعي له يتقلد منة ويرى ذلك

شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والاخرة وهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به انه يستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك
مباهاة او تكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة
من يرى انك اكلت رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة
منه وقال السري السقطي اه على لقمة ليس لله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فاذا علم المدعو انه لا منة فلا ينبغي
ان يرد وقال ابو تراب النخشبي عرض علي طعام فامتنعت فابتليت بالجوع اربعة عشر يوما فعلمت انه عقوبة
وقيل لمعروف الكرخي كل من دعاك تمر اليه فقال انا ضيف انزل حيث انزلوني الثاني انه لا ينبغي
ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة
لا ينبغي ان يمتنع لاجل ذلك يقال في التورية او بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلثة اميال اجب
دعوة سر اربعة اميال زر اخا في الله وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيها قضا حق الحي فهو اولى من الميت وقال
صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت وهو موضع على اميال من المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره الثالث ان لا يمتنع لكونه صايما بل يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب
في افطاره بنية ادخال السرور على قلبه ما يحتسب في الصوم وافضل وذلك في صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه به فليصدقه
بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك اخوك وتقول اني
صايم وقد قال ابن عباس من افضل الحسنات اكرام الجلسا بالافطار فالافطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق
ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمر والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن احد القراءين
الرابع ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال او كان يقام في الموضع
منكر من فرش ديباج او اناء فضة او تصوير حيوان على سقف او حايط او سماع شي من المزامير والملاهي او التشاغل
بنوع من اللهو والفحش والهزل واللعب وكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها او كراهيتها وكذلك اذا كان الداعي
ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والفخر الخامس ان لا يقصد بالاجابة قضا شهوة
البطن فيكون عاملا في ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للاخرة وذلك بان ينوي الاقتدا
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لو دعيت الى كراع لاجبت وينوي الحذر من معصية الله لقوله صلى الله
عليه وسلم من لم يجب الداعي فقد عصى الله وينوي اكرام اخيه المومن اتباعا لقوله عليه السلام من اكرم اخاه المومن
فكانما يكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم من سر مومنا فقد سر الله عز وجل
وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله اذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتباذل لله عز وجل
وقد حصل البذل من احد الجانبين فيحصل الزيارة من جانبه ايضا وينوي صيانة النفس من ان تسا به الظنون
في امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر او سو خلق او استحقار اخ مسلم او ما يجري مجراه فهذه ست
نيات تلحق اجابته بالقربات احادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب ان يكون لي في كل
عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امري ما نوى
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها
فهجرته الى ما هاجر اليه والنية انما توثر في المباحات والطاعات اما المنهيات فلا فانه لو نوى ان يسر
اخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر او حرام اخر لم تنفع النية ولم يجز ان يقال الاعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو
الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك المباح المردد بين وجوه الخيرات
وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنيات فتوثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث واما الحضور فادبه ان يدخل
الدار ولا يتصدر فياخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجيهم قبل تمام
الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان اشار اليه صاحب الموضع بموضع لم يخالفه البتة فانه يكون

وليس يلزمه لغير ذلك في الوقت بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله تعالى غير عاص له وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض **اما في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد** **اما الفعل** فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى شهر رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والشرب والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال فان تجدد له مال او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكوة ولكن لا يلزمه في الحال وانما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم يملك الا الابل لا يلزمه تعلم زكوة الغنم وكذلك في ساير الاصناف فاذا دخل اشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون وجوب علمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في علم ساير الافعال التي هي فرض عين

واما التروك فيجب علم ذلك بحسب ما يتجدد في الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير وجالسا في الغصب وناظرا الى غير محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه

واما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان في اول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو القي اليه الباطل لوجب ازالته من قلبه وربما عسر ذلك كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربوا وجب عليه تعلم الحذر من الربوا فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن في حق من يتصدى له واذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات الحديث ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات احوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما تتبع هذه الثلث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن الا

بمعرفة حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب واكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعنيهم ومما ينبغي ان يبادر في القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة اخرى الى الاسلام الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من اطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار واذا انتبهت لهذا التدريج علمت ان هذا المذهب الحق هذا وتحققت ان كل عبد فهو في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلو عن وقايع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا تبين انه عليه السلام انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه **بيان العلم الذي هو فرض كفاية** اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الغرض الذي نحن بصدده ينقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست شرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة **واما فرض الكفاية** فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقايق الحساب وحقايق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه **واما المذموم منه** فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات **واما المباح منه** فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه **اما العلوم الشرعية** وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة **اما المحمودة** فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي اربعة اضرب **الضرب الاول الاصول** وهي اربعة كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام واجماع الامة وآثار الصحابة والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في الدرجة الثانية وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقراين الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه فربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقراين فمن هذا الوجه راى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا الفن **والضرب الثاني الفروع** وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعاني تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ غيره كما فهم من قوله عليه السلام لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جايعا او متالما بمرض وهذا على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي

قد رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع قال
صلى الله عليه وسلم ان من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة باب حجرة النساء وسترهن
ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس
واذا دخل ضيفا للمبيت فليعرفه صاحب الدار عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي
رحمهما الله وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرمه
فحكمه ان يتقدم بالغسل وفي اخر الطعام يتاخر بالغسل لينتظر ان يدخل من ياكل معه واذا دخل فراى منكرا غيره
ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعمال اواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان
وسماع الملاهي والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال احمد اذا راى مكحلة
راسها مفضض ينبغي ان يخرج ولم ياذن في الجلوس الا في ضبة وقال اذا راى كلة ينبغي ان يخرج فان ذلك تكلف بلا
فائدة لا تدفع حرا ولا بردا ولا يستر شيئا وكذا قال يخرج اذا راى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة
وقال اذا اكترى بيتا فيه صورة او دخل الحمام وراى صورة فينبغي ان يحكها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وانما
النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى التحريم اذ الحرير يحرم على الرجال قال عليه السلام
هذان حرامان على ذكور امتي وما على الحائط ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى
اباحته لموجب قوله قل من حرم زينة الله التي لا سيما في وقت الزينة اذا لم يتخذ عادة للتفاخر وان تخيل ان
الرجال ينتفعون بالنظر اليه فلا يحرم على الرجل الانتفاع بالنظر الى الديباج مهما لبسته الجواري والنساء
فالحيطان في معنى النساء اذ ليست موصوفة بالذكورة فاما احضار الطعام فله اداب خمسة **الاول** تعجيل
الطعام فذلك من اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه
ومهما حضر الاكثرون وغاب واحد واثنان وتاخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل اولى من حق
اولئك في التاخير الا ان يكون المتاخر فقيرا وينكسر قلبه بذلك فلا باس بالتاخير واحد المعنيين في قوله تعالى هل اتاك
حديث ضيف ابرهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم دل عليه قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله
فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه
عجله ولم يلبث قال حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا في خمس فانها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الضيف
وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل في الوليمة قيل الوليمة في اول
يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء **الثاني** ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق
في الطب فانه اسرع استحالة فينبغي ان يقع في اسفل المعدة وفي القران تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله وفاكهة
مما يتخيرون ثم قال ولحم طير مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال صلى الله عليه وسلم فضل
عايشة على النساء كفضل الثريد على الطعام فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم
قوله تعالى في ضيف ابرهيم اذ احضر العجل الحنيذ اي المحنوذ وهو الذي احمي نضجه وهو احد معنى الاكرام اعني تقديم اللحم
وقال تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع
الادم ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا
من طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة من الطيبات وقال ابو سليمان الداراني اكل الطيبات يورث الرضا عن الله
ويتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل قال المامون شرب الماء بثلج يخلص
الشكر لله وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك فاطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت
الضيافة وانفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم تكن تحتاج الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماؤك
باردا وخلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من زيادة
لون

وان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل فذلك ايضا مستحب ولما فيه من التزيين بالخضرة وفي الخبر ان
المائدة التي انزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها خل
وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا اذا اجتمع حسن للموافقة **الثالث**
ان يقدم من الالوان الطف فالطف حتى يستوفي منه من يريد فلا يكثر الاكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ
ليستانف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الاكل وكان
من سنة المتقدمين ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصففون القصاع على المائدة لياكل كل واحد
مما يشتهي وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا اطيب منه ويحكى عن بعض ارباب
المروات انه يكتب نسخة بما يستحضر من الالوان ويعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الي بعض
المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق انما يقدم هذا اخرا فقال وكذلك عندنا بالشام ولم يكن له
لون غيره فخجلت منه وقال اخر كنا جماعة في ضيافة فقدم الينا الوان من الرؤس المشوية طبيخا وقديدا
وكنا ناكل ننتظر بعدها لونا او حملا فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ
وكان مزاحا ان الله تعالى يقدر ان يخلق رؤسا بلا ابدان قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا للسحور
فلهذا يستحب ان يحضر الجميع او يخبر بما عنده **الرابع** ان لا يبادر الى رفع الالوان قبل تمكنهم من الاستيفاء
حتى يرفعوا الايدي عنها فلعل فيهم من يكون بقية ذلك اللون اشهى عنده مما استحضره او بقيت فيه حاجة
الى الاكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهو من التمكن على المائدة التي يقال انه خير من لونين فيحتمل ان
يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل ان يراد به سعة المكان حكي عن الثوري وكان صوفيا مزاحا
حضر عند واحد من ابناء الدنيا على مائدة وقدم اليه حمل وكان في صاحب المائدة بخل فلما راى القوم مزقوا
الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار فقام الثوري يعدو خلف
الحمل فقيل له الى اين فقال اكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وامر برد الحمل ومن هذا الفن ان لا يرفع صاحب
المائدة يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغي ان يكون اخرهم اكلا كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان
ويتركهم يستوفون واذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده الى الطعام واكل وقال بسم الله ساعدوني
بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه **الخامس** ان يقدم من الطعام قدر الكفاية فان
التقليل عن الكفاية نقص في المروة والزيادة عليه تصنع ومراياة ولا سيما اذا كان لا يسمح نفسه بان ياكلوا
الكل الا ان يقدم الكثير وهو طيب النفس لو اخذوا الجميع ونوى ان يتبرك بفضلة طعامهم اذ في الحديث
انه لا يحاسب عليه احضر ابرهيم بن ادهم طعاما كثيرا على مائدته فقال له سفين يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون
هذا سرفا فقال ابرهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود نهينا
ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة ومن ذلك كان
لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا
ياكلون تمام الشبع وينبغي ان يعزل اولا نصيب اهل البيت حتى لا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه فلعله
لا يرجع فيضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان السنتهم ويكون قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم
وذلك خيانة في حقهم وما بقي من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذي يسميه الصوفية الزلة الا اذا
صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض او علم ذلك بقرينة حاله وانه يفرح به فان كان يظن
كراهيته فلا ينبغي ان يوخذ واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي ان ياخذ
الا ما يخصه او ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء فاما الانصراف فله اداب ثلثة **الاول**
ان يخرج مع الضيف الى باب الدار فهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال عليه السلام من كان

عند الله وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب اعني جملة كتاب احياء علوم الدين
ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول
والضرب الثالث المقدمات وهو الذي يجري منها مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن
يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر الا بلغة فيصير
تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز
في الغالب ضروريا **والضرب الرابع المتممات** وذلك في علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق
باللفظ كعلم القراءات ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل
اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص
والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول
السنة ايضا **واما المتممات في الآثار والاخبار** فالعلم بالرجال واساميهم وانسابهم واسامي الصحابة
وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم ليميز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم
ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات
فان قلت لم الحقت علم الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله عز وجل اخرج آدم من التراب
واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم
الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدؤهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد
ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل انقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها
بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم
به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان
الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طرق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري
انه متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا
والملك والدين توأمان فالدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع
ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق
بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة
فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء
ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع
وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة
امير او مأمور او متكلف فالامير هو الامام وكانوا هم المفتين والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي
يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عنه حتى كان يحيل كل واحد
على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف
المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال فان قلت
هذا ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل
عليه ربع العبادات من الصيام والصلوة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام
فاعلم ان اقرب ما يتكلم فيه الفقيه من الاعمال التي هي اعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلوة والصيام

والحلال والحرام فاذا تاملت منتهى نظر الفقيه علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة فاذا عرفت
هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها اظهر **اما الاسلام** فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس
يلتفت فيه الا الى اللسان **اما القلب** فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه للذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام
معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه
يعلم ان السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب
السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما
دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم جعل اثر ذلك في الدم والمال **واما الآخرة**
فلا ينفع فيها الاقوال بل انوار القلوب واسرارها واخلاقها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض الفقيه
فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجا عن فنه **واما الصلوة** فالفقيه يفتي بالصحة
اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلاته من اولها الى آخرها مشغولا بالتفكر
في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير وهذه الصلوة لا تنفع في الآخرة كما ان القول
باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة اي ان ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به
عنه القتل والتعزير **فاما الخشوع واحضار القلب** الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع
العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا عن فنه **واما الزكوة** فالفقيه ينظر
الى ما يقطع مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع واحد فاخذها السلطان قهرا حكم بانه برئت ذمته وحكي
ان واحدا من اصحاب ابي حنيفة كان يهب المال لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها لاسقاط
الزكوة فحكي لابي حنيفة فقال ذلك من فقهه وصدق وذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة
اعظم من كل جناية ومثل هذا العلم هو الضار **واما الحلال والحرام** فالورع عن الحرام من الدين
ولكن الورع له اربع مراتب **الاولى** الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج تركه الانسان عن
اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر **والثانية** ورع الصالحين
وهو التوقي من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات قال عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وقال عليه السلام الاثم حزاز القلوب **والثالثة** ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف
منه اداؤه الى الحرام قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة
مما به بأس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن
اكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي الى مقارفة المحظورات **والرابعة**
ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة
قرب عند الله عز وجل وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي الى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن
نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك
لا ينفي الاثم في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وان افتوك وان افتوك والفقيه
لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه
مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في شيء من صفات القلب واحكام الآخرة فذلك
يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام
وكما يدخل الحكمة في النحو والشعر وكان سفيان الثوري وهو امام في العلم الظاهر يقول ان طلب هذا

يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال عليه السلام ان من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار قال ابو
قتادة قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك
يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافيهم وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب
الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وقال يزيد بن
ابي زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا **الثاني** ان
ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ودعي بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع
حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا فخرج اليه صاحب المنزل وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال
فكسرة ان بقيت قال لم تبق قال فالقدر امسحها قال قد غسلتها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك
فقال قد احسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا معنى التواضع وحسن الخلق وحكي ان الاستاذ ابا القاسم
الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع مرات فرده الاب في المرات الاربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا
لقلب الصبي والخضوع لقلب الاب في الانصراف فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله فاطمأنت بالتوحيد
وصار لا يشاهد في كل رد وقبول غيره فيما بينه وبين ربه فلا ينكسر بما يجري من العباد من اذلال
كما لا يستبشر بما يجري منهم من اكرام بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم انا لا اجيب
الدعوة الا لاني اتذكر به طعام الجنة اي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤونته وحسابه **الثالث**
ان لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة ايام
فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاثة فما زاد فصدقة نعم
لو الح رب المنزل عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك ويستحب ان يكون عنده فراش للضيف النازل قال صلى
الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش للمراة وفراش للضيف والرابع للشيطان **فصل** يجمع آدابا ومناهي
طبية وشرعية متفرقة **الاول** حكي عن ابرهيم النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة واسنده الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واسناده غريب وقد نقل ضده عن ابن عمر انه قال كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ورؤي بعض مشايخ الصوفية المعروفين يأكل في السوق فقيل له في
ذلك فقال ويحك اجوع في السوق وآكل في البيت فقيل تدخل المسجد فقال استحيي منه ان ادخل بيته للاكل
ووجه الجمع ان الاكل في السوق تواضع وترك تكلف في بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة في بعضهم فهو مكروه
ويختلف ذلك بعادات البلاد واحوال الاشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر اعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط
الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع اعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا **الثاني**
قال علي رضي الله عنه من ابتدأ غذاءه بالملح اذهب الله تعالى عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل سبع
تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت
اللحم والثريد طعام العرب والشفارجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء
والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن
والسواك يذهبان البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين **الثالث**
قال الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة آخذ بها ولا اعدوها قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا
تاكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تاكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تاكلن طعاما الا اجدت
مضغه وكل ما احببت من الطعام ولا تشرب عليه فاذا شربت فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول واذا اكلت
بالنهار فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب تغد تمدد تعش تمش كما قال

عجوة نوع من التمر

تمدد الرجل اي تمطى

الى اهله يتمطى اي يتمطط وقال ان خبث البول يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا انسد مجراه **الرابع**
قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة يعني الالية وقال بعض الحكماء
لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك اي تتغدى اذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو ايضا اقل للشهوة
فيما يرى في السوق وقال حكيم لسمين ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فمما هي قال اكل لباب البر وصغار المعز
وادهن بشيرج بنفسج والبس الكتان **الخامس** الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض هكذا قيل وقال
بعض الحكماء من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العافية وهذا حسن في حال الصحة ورأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صهيبا ياكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال اتاكل التمر وانت رمد فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق الآخر
يعني جانب السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** يستحب ان يحمل طعام الى اهل الميت ولما جاء
نعي جعفر بن ابي طالب قال عليه السلام ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون فذلك
سنة واذا قدم ذلك الى الجمع حل الاكل منه الا ما هيئ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي ان يؤكل
معهم **السابع** لا ينبغي ان يحضر طعام ظالم فان اكره فليقلل الاكل ولا يقصد الطعام الاطيب وقد رد بعض المزكين
شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رايتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت
مكرها عليه واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان آكل واخلي التزكية او ازكي ولا آكل
فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكي ان ذا النون المصري حبس فلم ياكل اياما في السجن وكانت له اخت
في الله فبعثت اليه من مغزلها طعاما على يد السجان فامتنع ولم ياكل فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان حلالا
ولكن جاءني على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع **الثامن** حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي
زائرا فاخرج بشر درهما الى احمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت
لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا
جيدا فقدمت اليه فاكل واخذ الباقي فقال بشر تدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا لان الطعام الطيب يستخرج
خالص الشكر تدرون لم لم يقل لي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب الدار كل تدرون لم حمل ما بقي لانه اذا
صح التوكل لم يضر الحمل وحكى ابو علي الروذباري عن رجل انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له
رجل قد اسرفت فقال له ادخل فكل ما اوقدته لغير الله فاطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها
فانقطع واشترى ابو علي الروذباري احمالا من السكر وامر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرفات
ومحاريب على اعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها **التاسع** قال الشافعي
الاكل على اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث اصابع من السنة وباربع وخمس
من الشره واربع تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع توهن البدن
كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة واربع تقوي البصر الجلوس حيال القبلة
والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف الملبس واربع توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب
والنظر الى فرج المرأة والقعود في استدبار القبلة واربع تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل الاكبر
واكل الفستق واكل الجرجير والنوم على اربعة انحاء نوم على القفا وهو نوم الانبياء عليهم السلام يتفكرون
في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم
طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين واربع تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة
الصالحين والعلماء واربع هي من العبادة ان لا يخطو خطوة الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة
قراءة القرآن وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم
ثم يبادر الاكل كيف لا يموت وقال لم ار شيئا انفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب

كتاب آداب النكاح

ليس فيه زاد للاخرة كيف وقد اتفقوا على ان الشرف في العلم العمل به فكيف يظن انه علم اللعان
والظهار والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله عز وجل
فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشريف هو علم تلك الاعمال فان
قلت فقد سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك
يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير
لازمة بل بينهما فرق والفقه اشرف منه من ثلثة اوجه احدها انه علم شرعي اي مستفاد
من النبوة بخلاف الطب فهو ليس من علم الشرع **والثاني** انه لا يستغني عنه
احد من سالكي طريق الاخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب وهم الاقلون فلا
يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقل **والثالث** ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الاخرة
لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشاؤها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال
يصدر من الاخلاق المحمودة المنجية في الاخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال
الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشاؤهما صفات من المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف
البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق
الاخرة الى الفقه ظهر ايضا شرف علم الاخرة فان قلت فصل لي علم الاخرة تفصيلا يشير الى تراجمه
وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة فاما علم المكاشفة
فهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا
العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال اخر من كان
فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على
هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه وهو علم
الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته
من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها ويتوهم لها معاني
مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وصفاته التامات وبافعاله
وبحكمته في خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه للاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي
ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانس وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية
وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلوب وكيفية تصادم جنود الملائكة
والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب
القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله كفى بنفسك اليوم حسيبا ومعنى قوله وان الدار الاخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في
جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات
اهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله
اذ للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان
الذي اعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع
الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة
من الفاظها وكذلك يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله تعالى الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم
يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو

انه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى تتضح جلية
الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان
لولا ان مرآة القلب قد تراكم صدأه وخبثه بقاذورات الدنيا وانما نعني بعلم طريق الاخرة العلم
بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله تعالى وعن معرفة صفاته
وافعاله وانما تصفيته وتطهيره بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء عليهم السلام
في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل اليه
الا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعه وبالتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب
ولا يتحدث بها من انعم الله عليه بشيء منها الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة
وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو الذي اراده صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة
المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالدنيا ولم يجهله
الا اهل الاعتراف بالله فلا تحقروا عالما اتاه الله علما فان الله لم يحقره اذ آتاه. **واما القسم**
الثاني وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فهو كالصبر والشكر والخوف
والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال والاحسان
وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال
وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى
وما زال حتى يعود من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد
والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء
والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر
وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار
عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب
والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية
منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية
على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة
والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس
بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه
وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق
المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها وعلاجها
هو علم الاخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الاخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الاخرة
كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر
الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الاخرة ولو سئل فقيه
عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف
فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الاخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي
لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان
احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا في
حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين فاذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين

وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتاب احيا علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام في عجايب صنعه مجرى ولا ترجع العقول عن اوايل بدايعها الا والهة
حيرى ولا تزال لطايف نعمه على العالمين تترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدايع الطافه ان خلق من
الما بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة جبرا واستبقى بها نسلهم
اقهارا وقسرا ثم عظم امر الانساب وجعل لها قدرا فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه
جريمة فاحشة وامرا امرا وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا وامرا فسبحان من كتب الموت على عباده
فاذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف في اراضي الارحام وانشا منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها
على ان بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة على محمد
المبعوث بالانذار والبشرى وعلى آله واصحابه صلاة لا تستطيع لها الحساب عدا وحصرا وسلم كثيرا اما بعد
فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة
سيد المرسلين سائر النبيين فما احراه بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وادابه وتشرح مقاصده وادابه وتفصل
فصوله وابوابه والقدر المهم من احكامه ينكشف في ثلثة ابواب الباب الاول في الترغيب فيه وعنه
الباب الثاني في الاداب المرعية في العقد والعاقدين الباب الثالث في اداب
المعيشة بعد العقد الى الفراق

الباب الاول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه

اعلم
ان العلما قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله واعترف اخرون
بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع
وقال اخرون الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكساب محظورة واخلاق
النسا مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان نقدم اولا ما ورد من الاخبار والاثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح
فوايد النكاح وغوايله حتى يتضح منهما فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوايله

الترغيب في النكاح

اما من الايات فقال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر وقال تعالى فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهذا
منع من العضل ونهي عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية فذكر ذلك في معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح اوليايه بسؤال ذلك في الدعا فقال والذين يقولون ربنا
هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الاية ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبيا الا المتاهلين فقالوا ان
يحيى عليه السلام قد تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر واما عيسى فانه
سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم النكاح من سنتي فمن احب فطرتي
فليستن بسنتي وقال ايضا تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة حتى بالسقط وقال ايضا من رغب عن سنتي فليس
مني وان من سنتي النكاح فمن احبني فليستن بسنتي وقال صلى الله عليه وسلم من ترك التزوج مخافة العيلة فليس منا
وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا طول فليتزوج وقال صلى الله عليه وسلم من
استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان
الصوم له وجاء وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجا هو عبارة عن رض الخصيتين
للفحل حتى يزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه
وامانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل للترغيب لخوف الفساد وقال صلى
الله عليه وسلم من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله وقال صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله
في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء
في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزوج احدهما وقال صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن ادم ينقطع الا ثلاثة ولد صالح يدعو له

ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح واما الاثار فقال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين
غير مانع منه وحصر المانع في امرين مذمومين وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل انه جعله
من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزوج ولا يتم النسك الا
بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان
العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج
لا القى الله عزبا وماتت امراتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره
ان القى الله عزبا وهذا منهما يدل على انهما رايا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز من غايلة الشهوة وكان عمر
يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تتزوج فقال يا رسول الله انا فقير
لا شي لي وانقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا فاعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله اعلم
بما يصلحني في دنياي واخرتي وما يقربني الى الله لين قال لي الثالثة لافعلن فقال له الثالثة الا تتزوج قال فقلت
يا رسول الله زوجني قال اذهب الى بني فلان فقل ان رسول الله يامركم ان تزوجوني فتاتكم قال فقلت يا رسول
الله لا شي لي فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به الى القوم فانكحوه فقال له اولم
وجمع له من الاصحاب شاة للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل انه توسم فيه الحاجة الى
النكاح ويحكى ان بعض العباد في الامم السالفة فاق اهل زمانه في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته
فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشي من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسال النبي عن ذلك فقال انت تارك
للتزوج فقال لست احرمه ولكني فقير وانا عيال على الناس قال فانا ازوجك ابنتي فزوجه النبي ابنته وقال
بشر بن الحارث فضل علي احمد بن حنبل بثلث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح
وضيقي عنه ولانه نصب اماما للعامة ويقال ان احمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام ولده عبد الله وقال
اكره ان ابيت عزبا واما بشر فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك بتركك النكاح ويقولون هو تارك
للسنة فقال قل لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعني من التزوج الا قوله تعالى
ولهن مثل الذي عليهن فذكر ذلك لاحمد فقال واين مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روي
انه رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رفعت منازلي في الجنة واشرف بي على مقامات الانبيا ولم ابلغ
منازل المتاهلين وفي رواية قال لي ما كنت احب ان تلقاني عزبا قال فقلنا له ما فعل ابو نصر التمار فقال
رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال وقال سفين بن عيينة كثرة
النسا ليست من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة
وسبع عشرة سرية والنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبيا وقال رجل لابرهيم بن ادهم طوبى لك قد تفرغت
للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه قال فما الذي يمنعك من النكاح فقال ما لي حاجة
الى امراة وما اريد ان اغر امراة بنفسي وقد قيل فضل المتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متاهل
افضل من سبعين ركعة من عزب واما ما جا في الترغيب عن النكاح فقد قال صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المايتين
الخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته
وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وفي الخبر قلة
العيال احد اليسارين وكثرتهم احد الفقرين وسيل ابو سليمن الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر
عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال ايضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتاهل وقال مرة
ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال ايضا ثلث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا

وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلله والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض
الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلد ليس فيه طبيب
الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل
به ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء ممن يشتغل
بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به
جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولي الاوقاف والوصايا
وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء
هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء فالله المستعان واليه الملاذ في ان
يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر
مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب كان الشافعي رحمه الله عليه يجلس بين يدي شيبان
الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي
فيقول ان هذا وفق لما علمناه وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن
في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا امر لم   وكانا
نجده في كتاب ولا سنة فقال سلوا الصالحين فاجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر
زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد رضي الله عنه قال لي
السري شيخي رضي الله عنه اذا قمت من عندي فمن تجالس قلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه
وادبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله
صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى ان من حصل العلم والحديث
ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت لم تورد في اقسام العلوم الكلام
والفلسفة وتبين انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة
التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهي
من البدع كما سيأتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات
التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما
لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن   مألوفا
تغير الآن حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة
لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل
صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة
وذلك الى حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي هذا **واما الفلسفة** فليس علما برأسها
بل هي اربعة اجزاء احدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف
عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع فيصان
الضعيف عنهما لا لعينهما كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد
بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم **والثاني المنطق**
وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام **والثالث**
الالهيات وهو بحث عن ذات الله وصفاته وهو داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط
آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما برأسه بل اصحابه من

طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة **والرابع الطبيعيات**
وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى نورده في اقسام العلوم وبعضها بحث عن
صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن
الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث يتغير ويتحرك ولكن
للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه **واما علومهم** في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذن الكلام
صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام من تخيلات المبتدعة وانما حدث
ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة استئجار البذرقة في طريق الحج لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق
ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه
لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة وليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه
موقع الحارس في طريق الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم ان تجرد للمناظرة
والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من علماء الدين وليس عند المتكلم
من الدين الا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيها وهو من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان
وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فاما معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وجميع ما
اشرنا اليه من علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجابا ومانعا عنه وانما
الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه وتعالى مقدمة للهداية حيث قال والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا فان قلت قد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة
كما ان حد البذرقة حراسة اقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذي
به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين
وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله عز وجل فكيف تنزل
درجاتهم الى هذه المنزلة الساقطة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات
الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر
من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة رضي الله عنهم وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت
بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه
بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام
ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بشيء وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه
فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس
على تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواعي يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاف
من الصحابة كلهم علماء بالله واثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن منهم احد يحسن صنعة
الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن
الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس وضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى
في القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة
اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام انما اريد
العلم بالله تعالى افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات
بموت عمر رضي الله عنه وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما اورد عليه
سؤالا في تعارض آيتين من كتاب الله تعالى وهجره وامر الناس بهجره واما قولك ان المشهورين من العلماء

او تزوج امراة او كتب الحديث وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال وقال ابن ابي الحواري تناظر
جماعة في هذا الحديث واستقر رايهم على انه ليس معناه ان لا يكون له بل ان يكون له ولا يشغله وهو اشارة الى قول
ابي سليمن الداراني ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم وبالجملة لم ينقل عن احد التنفير عن النكاح
مطلقا الا مقرونا بشرط واما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشروط فلنكشف الغطاء عنه
بحصر آفات النكاح وفوائده آفات النكاح وفوائده وفيه فوائد خمس الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة
العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن الفائدة الاولى الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود
بقاء النسل وان لا يخلو العالم عن جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في اخراج
البذر وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير
في بث الحب الذي يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتداء
من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا
للقدرة واتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشية وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل
الى الولد قربة من اربعة اوجه هي الاصل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة حتى لم يحب احدهم ان يلقى الله
عزبا الاول موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان والثاني طلب محبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع طلب الشفاعة
بموت الولد الصغير اذا مات قبله اما الوجه الاول فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو احقها واقواها
عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمته وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات
الحرث وهيا له ارضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل
وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت
والعتاب من سيده والله سبحانه وتعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة في الفقار وهياها
في الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى
فهذه الافعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له
هذا ان لم يصرح به الخالق على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمراد فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر اذ قال
تناكحوا تكثروا فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق من الآلة المعدة وجان على
مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم حروف واصوات
يقراه كل من له بصيرة ربانية نافذة في ادراك دقائق الحكمة الازلية ولذلك عظم الشرع الامر في القتل للاولاد وفي
الواد لانه منع لتمام الوجود واليه اشار من قال العزل احد الوادين فالناكح ساع في اتمام ما احب الله تعالى تمامه والمعرض
معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله لبقاء النفوس امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة
القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فان قلت قولك ان بقاء النسل والنفس محبوب يوهم ان فناءها مكروه
عند الله وهو فرق بين الموت والحيوة بالاضافة الى ارادة الله ومعلوم ان الكل بمشية الله وان الله غني عن
العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حيوتهم وبقاهم عن فنائهم فاعلم ان هذه كلمة حق اريد بها باطل
فان ما ذكرناه لا ينافي اضافة الكائنات كلها الى ارادة الله خيرها وشرها نفعها وضرها ولكن المحبة والكراهة
تتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب والمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة
مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقول انه مرضي ومحبوب بل قال
تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فكيف يكون الفناء بالاضافة الى محبة الله تعالى كراهته كالبقاء وانه تعالى يقول ما
ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المسلم وهو يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له من الموت فقوله لا بد من
الموت

تحت الآفة الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح بل الى الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والانغماس
في التمتع بهن ويثور من النكاح انواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب بالليل والنهار فلا يتفرغ
المؤمن منها للفكر في الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال ابراهيم بن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شيء وقال
ابو سليمن من تزوج فقد ركن الى الدنيا اي يدعوه ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم
على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل تتخذ
هذه الآفات والفوائد معتبرا ومحكما ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بان كان
له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك شاب محتاج الى تسكين
الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يمارى في ان النكاح افضل له مع ما فيه من
السعي في تحصيل الولد فان انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة افضل له وان تقابل الامر وهو الغالب
فينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان
منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة واظهر الآفات الحاجة
الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول من لم يكن في اذية من الشهوة
وكانت فائدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى
فالعزوبة له اولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الامرين امر الولد
لان النكاح للولد سعي في طلب حيوة للولد موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحيوة نفسه وصونها
عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين راس المال وفي فساد الدين بطلان الحيوة الاخروية
وذهاب راس المال فلا يقاوم هذه الفائدة احدى هاتين الآفتين واما اذا انضاف الى امر الولد حاجة كسر
الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى في راسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح
اولى لانه متردد بين ان يقتحم الزنا واكل الحرام والكسب الحرام اهون الشرين وان كان يثق بنفسه انه لا يزني
ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح اولى لان النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام
والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر
زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو الى العفو اقرب من اكل الحرام الا ان يخاف افضاء النظر الى معصية
الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو ان يقوى على غض البصر ولكن لا
يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب اولى بترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب وانما يراد فراغ
القلب للعبادة ولا يتم عبادة مع الكسب الحرام واكله واطعامه فهكذا ينبغي ان توزن هذه الآفات والفوائد
ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقل عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه
اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح فان قلت فمن امن من الآفات فالافضل له التخلي لعبادة الله او النكاح
فاقول الجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب
فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل لان الليل وسائر اوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة
والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له
وقت سوى الاوقات المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة
الا بالصلوة النافلة او بالحج او ما يجري مجراه من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل لان في الكسب الحلال والقيام
بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النساء انواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات
وان كانت عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح افضل فان قلت
فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا عليه السلام

هم الفقها والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شي وما ينال به الشهرة عند الناس
فهو شي آخر فلقد كان شهرة ابي بكر بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره
وكان شهرة عمر بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله عز وجل الذي مات تسعة اعشاره بموته
وبقصده التقرب الى الله في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو امر باطن في سره فاما سائر
افعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون
الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه فالفقها والمتكلمون مثل الخلفا والقضاة
والعلما وقد انقسموا فمنهم من اراد الله عز وجل بعلمه وفتواه وذبه عن سنته ولم يطلب فيه ريا ولا
سمعة فاوليك اهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله تعالى
بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل بانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على
التقرب الى الله بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله به والسلطان يتوسط بين
الخلق لله فيكون مرضيا عند الله لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد بعمل يقصد
به التقرب الى الله واقسام ما يتقرب به الى الله ثلثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد
كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الاخرة فان صاحبه
من العلما والعمال جميعا فانظر الى نفسك اتكون الى يوم القيمة في حزب علما الله وعمالها او في
حزبهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما وهذا اهم لك من التقليد بمجرد الاشتهار كما قيل خذ ما تراه ودع
شيا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل على انا سننقل من سيرة فقها السلف ما تعلم به
ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من اشد خصمايهم يوم القيمة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله
وقد شوهد من احوالهم ما هو علامات علما الاخرة كما سياتي في باب علامات علما الاخرة فانهم ما كانوا
متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه
ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع انهم كانوا فقها مستقلين بعلم الفتاوى والصوارف
والدواعي متيقنة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الان نورد من احوال فقها الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرنا
ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتدا بهم منتحلا مذهبهم وهو مخالف لهم في اعمالهم وسيرهم فالفقها
الذين هم زعما الفقه وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك وابو حنيفة
واحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمه الله عليهم وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم
الاخرة وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى وهذه خمس خصال اتبعهم فقها
العصر من جملتها على خصلة واحدة وهو التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح
الا للاخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والاخرة ان اريد بها الاخرة قل صلاحها للدنيا تشمروا لها
وادعوا بها مشابهة اوليك الايمة وهيهات فلا تقاس الملايكة بالحدادين فلنورد من احوالهم ما يدل
على هذه الخصال الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة اما الشافعي رضي الله عنه فيدل على كونه
عابدا ما روي انه كان يقسم الليل ثلثة اجزا ثلثا للعلم وثلثا للصلوة وثلثا للنوم وقال الربيع كان
الشافعي رحمه الله عليه يختم القران في شهر رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلوة وكان البويطي
احد اصحابه يختم القران في كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي
نحوا من ثلث الليل فما رايته يزيد على خمسين اية فاذا اكثر فماية وكان لا يمر باية رحمة الا سال الله لنفسه
ولجميع المومنين ولا باية عذاب الا تعوذ منها وسال النجاة لنفسه وللمومنين وكانما جمع له الرجا والرهبة
معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين اية على تبحره في اسرار القران وتدبره فيها وقال الشافعي

ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف
صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم جده في العبادة اذ طرح الشبع لاجله
وراس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعي ما حلفت بالله عز وجل لا صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته
وتوقيره لله تعالى وذلك دلالة على علمه بجلال الله وسيل رحمه الله عن مسلة فسكت فقيل الا
تجيب رحمك الله فقال حتى ادري الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر في مراقبته للسانه مع انه
اشد الاعضا تسلطا على الفقها واعصاها على الضبط والقهر وبه يستبين انه كان لا يتكلم ولا
يسكت الا لنيل الفضل وطلب للثواب وقال احمد بن يحيى الوزير خرج الشافعي رحمه الله عليه يوما
في سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت الشافعي رحمه الله الينا
فقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القايل
وان السفيه لينظر الى اخبث شي في وعايه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة
السفيه لسعد رادها كما يشقى بها قايلها وقال الشافعي رحمه الله عليه كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت
علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم **واما زهده**
فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب
وقال الحميدي خرج الشافعي رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة وانصرف الى مكة بعشرة الاف
درهم فضرب خباء في موضع خارج من مكة وكان الناس ياتونه فما برح من موضعه ذلك
حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه من يده فرفعه
اليه انسان فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاوة الشافعي رحمه الله اظهر من ان تحكى
وراس الزهد السخا لان من احب شيا امسكه فلم يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا
في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله عز وجل واشتغال همته بالاخرة
ما روي انه روى سفيان بن عيينة حديثا من الزهريات في الرقايق فغشي على الشافعي رحمه
الله فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوي
قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت اورع ولا
افصح من محمد بن ادريس الشافعي خرجت انا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا وكان الحرث
تلميذ الصالح المري فافتتح يقرا وكان حسن الصوت فقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم
فيعتذرون فرايت الشافعي وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا
عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت
قلوب العارفين وذلت هيبة المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري
بكرم وجهك قال ثم قمنا فانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط
اتوضا للصلوة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك احسن الله اليك في الدنيا والاخرة
فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوي وجعلت اقفو اثره فالتفت الي وقال
هل لك حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيا فقال لي اعلم ان من صدق الله عز وجل نجا ومن
اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه لما يراه من ثواب الله
غدا افلا ازيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلث خصال فقد استكمل الايمان من امر بالمعروف وايتمر
ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله الا ازيدك قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي
الاخرة راغبا واصدق الله في جميع امورك تنجو مع الناجين ثم مضى فسالت من هذا فقالوا هو الشافعي

من الازواج فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قويت بنيته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسول الله
عليه السلام اخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله وقد كان
قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير
حتى لا يشتغلوا في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهمومهم غير غافلة عن مهماتهم وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلو درجته لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى وكان ينزل عليه الوحي وهو في
فراش امرأته ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغير السواقي ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي ان
يقاس عليه غيره واما عيسى عليه السلام فانه اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها
الاشتغال بالاهل او يتعذر معها طلب الحلال او لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فاثر التخلي للعبادة
وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طيب المكاسب واخلاق النساء وغوائل النكاح وما له فيه ومهما كانت
الاحوال منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها افضل حقيقا ان تنزل افعال الانبياء على الافضل في كل حال

الباب الثالث فيما يراعى حالة العقد من احوال المرأة وشروط العقد

اما العقد فاركانه وشروطه لينعقد اربعة الاول اذن الولي فان لم يكن فالسلطان الثاني رضا المرأة ان كانت ثيبا بالغة او كانت بكرا
ولكن يزوجها غير الاب والجد الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة
الرابع ايجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح والتزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين
ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج او الولي او وكيلهما واما اداته فتقديم الخطبة مع الولي لا في حالة عدة
المرأة بل بعد انقضائها ان كانت معتدة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ نهى عن الخطبة على الخطبة ومن اداته
الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها
على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب ومن اداته ان يلقي امر الزوج
الى سمع الزوجة وان كانت بكرا فذلك اولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يؤدم
بينهما ومن الاداب احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ومنها ان
ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وساير الفوائد التي ذكرناها فلا يكون قصده
مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال
عمر بن عبد العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ النفس
وحق الدين باعثا معا ويستحب ان يعقد في المسجد وفي شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني عليه السلام
في شوال وبنى بي في شوال واما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان احدهما للحل والثاني لطيب المعيشة
وحصول المقاصد **النوع الاول** ما يعتبر فيها للحل وهو ان تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة
عشر **الاول** ان تكون منكوحة للغير **الثاني** ان تكون معتدة عن الغير سواء كانت عدة وفاة
او طلاق او وطء بشبهة او كانت في استبراء وطء عن ملك يمين **الثالث** ان تكون مرتدة عن الدين لجريان
كلمة على لسانها من كلمات الكفر **الرابع** ان تكون مجوسية **الخامس** ان تكون وثنية او
زنديقة لا تنتسب الى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة
مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده **السادس** ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد
مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين لم
يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف **السابع** ان تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول
الحرة او غير خائف من العنت **الثامن** ان تكون كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك يمين **التاسع**
ان تكون قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول اول اصوله او اجزاء اول فصل من كل اصل بعده اصل

خطبة ... يقول وفي تحميد الله والصلوة على رسول الله

بالنرسيان

اشارة الى سبق الارادة والتقديرات المذكورة في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وفي قوله الذي خلق الموت والحيوة
ولا مناقضة بين قوله قدرنا بينكم الموت وبين قوله وانا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي
تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقايقها فان السابق الى الافهام منها امور تناسب ارادة
الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته وذاتهم وكما ان
ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله سبحانه مقدس عنهما ولا يناسب ما ليس بجوهر ولا عرض الجوهر والعرض
فكذى صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقايق داخلة في علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذي منع من
افشائه فلنقبض عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان
احدهما مضيع نسلا ادام الله وجوده من ادم صلى الله عليه وسلم عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع عن
النكاح قد حسم الوجود المستدام من وجود ادم على نفسه فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد
دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون زوجوني لا القى الله عزبا فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت
فما وجه رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر لا يدخل في الاختيار
انما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه
والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها
حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع امرار
الموسى على راسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الان وقد كان
المراد منه اولا اظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين اظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم
ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب في حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من
كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه
على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة **الوجه الثاني** السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه
بتكثير ما به مباهاته وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة امر الولد بالوجوه كلها جملة
ما روي عن عمر انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح للولد وما روي من الاخبار في مذمة المرأة العقيم وقال عليه
السلام لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد وقال عليه السلام خير نسائكم الولود الودود وقال عليه السلام
سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة
لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة **الوجه الثالث** ان يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما
ورد في الخبر ان جميع عمل ابن ادم ينقطع الا ثلث وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من نور وقول
القائل ان الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فانه مومن والصلاح هو الغالب على اولاد ذوي الدين لا سيما اذا عزم
على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المومن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته
فانه من كسبه وغير مواخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك قال تعالى الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم
من عملهم من شيء اي ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا في احسانهم **الوجه الرابع** ان يموت الولد قبله فيكون
له شفيعا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه الى الجنة وفي بعض الاخبار
ياخذ بثوبه كما انا الان اخذ بثوبك وقال ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا
اي ممتليا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة وفي خبر ان الاطفال
يجتمعون في موقف القيمة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب
الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون اين اباؤنا وامهاتنا فيقول الخزان
اباؤكم وامهاتكم ليسوا مثلكم الا كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون

على باب الجنة

ضجة واحدة

فانظروا الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا
الخوف والزهد الا من معرفة الله فانما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي رحمه
الله هذا الخوف من علم كتاب السلم والاجارة وساير كتب الفقه بل من علوم الاخرة المستخرجة من
القران والاخبار اذ حكم الاولين والاخرين مودعة فيهما واما كونه عالما باسرار القلوب وعلوم
الاخرة فتعرفه من الحكم الماثورة عنه ما روى انه سيل عن الريا فقال على البديهة الريا فتنة
عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلما فنظروا اليها بسو اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال
رحمه الله اذا انت خفت على عملك العجب فاذكر رضا من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي
عقاب ترهب واية عافية تشكر واي بلا تذكر فانك اذا ذكرت في واحد من هذه الخصال
صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الريا وعلاج العجب وكلاهما من كبار افات القلب وقال
رحمه الله من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال ما من احد الا وله محب ومبغض فاذا كان كذلك
فكن مع اهل طاعة الله عز وجل وروى ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان
يسال الشافعي رحمه الله عن مسايل الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه فقال للشافعي رحمه
الله ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي رحمه الله التمكين درجة الانبيا عليهم
السلام ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر فاذا صبر مكن الا ترى ان الله تعالى
امتحن ابرهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن ايوب عليه السلام
ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم اتاه ملكا والتمكين افضل الدرجات قال الله عز وجل وكذلك
مكنا ليوسف وايوب بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة الاية
فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره في اسرار القران واطلاعه على مقامات السايرين الى
الله تعالى من الانبياء والاوليا وكل ذلك من علوم الاخرة وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون الرجل
عالما قال اذا تحقق في علم يعلمه وتعرض لساير العلوم فنظر فيها فانه قيل لجالينوس انك تامر للدا
الواحد الادوية الكثيرة المجتمعة قال انما المقصود منه واحد وانما يجعل معه غيره ليسكن حدته
لان الافراد قاتلة وهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله وعلوم الاخرة واما
ارادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روي انه قال وددت ان الناس
انتفعوا بهذا العلم وما نسب الي منه شي فانظر كيف اطلع على افة العلم وطلب الاسم به وكيف كان
منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى وقال الشافعي رحمه الله ما ناظرت احدا قط
فاحببت ان يخطي وقال ما كلمت احدا قط الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية
من الله وحفظ وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لسانه او على لساني وقال
ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني على الحق احد
ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادته الله بالفقه والمناظرة
فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها ايضا ولهذا
قال ابو ثور ما رايت ولا راي الناس مثل الشافعي رحمه الله وقال احمد بن حنبل ما صليت صلوة منذ اربعين سنة الا
وانا ادعو للشافعي رحمه الله فانظر الى انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال
من العلماء في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضا لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتدا بهولا
ولكثرة دعايه له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي حتى تدعو له هذا الدعا فقال احمد يا بني كان الشافعي
كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وقال احمد ما مس احد بيده محبرة الا وللشافعي

في عنقه منة وحق وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلوة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو فيها
للشافعي لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فانها خارجة
عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابرهيم المقدسي رحمه
الله في مناقب الشافعي رحمه الله **واما مالك رحمه الله** فانه كان ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه سيل
ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه
وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث توضا وجلس على صدر فراشه وسرح
لحيته واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان
اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشا وليس بكثرة الرواية
وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى **واما** ارادته وجه الله بالعلم فيدل
عليه قوله الجدال في الدين ليس بشي ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله اني شهدت مالكا سيل عن ثمان
واربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلثين منها لا ادري ومن يريد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه
بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي رحمه الله اذا ذكر العلما فمالك النجم وما احد
امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر بن سليمان امير المدينة منعه من رواية الحديث في طلاق المكره
ثم دس عليه من يساله فروى على ملا من الناس قال عليه السلام ليس على مستكره طلاق فضربه
بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك ما كان رجل صادق في حديثه لا يكذب الا متع بعقله
ولم يصبه مع الهرم افة ولا خرف **واما زهده** في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي
امير المومنين ساله وقال هل لك دار فقال لا ولكن احدثك سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن
يقول نسب المر داره وساله الرشيد هل لك دار فقال لا فاعطاه ثلثة الاف دينار وقال اشتر بها
دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت
ان احمل الناس على الموطا كما حمل عثمان الناس على القران فقال له اما حمل الناس على الموطا
فليس الى ذلك سبيل لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا
فعند اهل كل مصر علم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة **واما الخروج**
معك فلا سبيل اليه قال عليه السلام المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال عليه السلام المدينة تنفي خبثها
كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شيتم فخذوها وان شيتم فدعوها يعني انك تكلفني
مفارقة المدينة بما اصطنعته لدي فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان
زهد مالك في الدنيا ولما حمل اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها
في وجوه الخير ودل سخاوته على زهده وقلة حبه الدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ
القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روي
عن الشافعي رحمه الله انه قال رايت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت
احسن منه فقلت لمالك ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك دابة
تركبها فقال انا استحيي من الله عز وجل ان اطا تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر
الى سخاوته اذ وهب جميع ذلك دفعة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله
تعالى واستحقاره الدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هرون الرشيد فقال يا ابا عبد الله ينبغي
ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطا قال فقلت اعز الله الامير ان هذا العلم منكم خرج
فان انتم اعززتموه عز وان انتم اذللتموه ذل والعلم يوتى ولا ياتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد

ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو اعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة
الا مع ابائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بايدي ابائكم فادخلوهم الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من مات له
اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلثة لم يبلغوا الحنث ادخله الله
الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم واثنان قال واثنان وحكي ان بعض الصالحين كان يعرض
عليه التزويج فيابى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال
لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الاخرة ثم قال رايت في المنام كان القيمة قد قامت وكاني في جملة
الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد ان يقطع عنقي وكذى الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك اذ
ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد
يتخللون الجمع ويتجاوزون اكثر الناس فمددت يدي الى احدهم وقلت اسقني فقد اجهدني العطش فقال ليس لك
فينا ولد انما نسقي اباءنا فقلت ومن انتم فقالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد المعاني المذكورة في قوله تعالى فاتوا
حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الاخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح
لاجل كونه سببا للولد الفائدة الثانية التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر
وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله عليه السلام من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الاخر واليه
الاشارة بقوله عليه السلام عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء واكثر ما نقلناه من الاثار
والاخبار اشارة الى هذا المعنى وهذا المعنى دون الاول لان الشهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد فالنكاح كاف
لشغله ودافع لجيشه وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص
عن غائلة الموكل والشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز ان يقال المقصود اللذة والولد لازم منها
كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة
عليه ولعمري في الشهوة حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو
دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع ولو رغب العنين في لذة
الجماع او الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب فاحدى فوايد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون
باعثا على عبادة الله فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة
حيوتان حيوة ظاهرة وحيوة باطنة فالحيوة الظاهرة حيوة المرء ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحيوة
الباطنة هي الحيوة الاخروية فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام
فتستحث على العبادة الموصلة اليه فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله الى نعيم
الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان ظاهرا وباطنا بل من ذرات ملكوت السموات والارضين الا
وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ما تحار العقول فيها ولكن ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر
رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى
عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة اذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه اشار
بقوله عليه السلام الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف
الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت الاختيار بل لا
يزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه في اكثر الاوقات وقد يعرض له ذلك في
اثناء الصلوة حتى يجري على خاطره من امور الوقاع ما لو صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيى منه والله مطلع على
قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق وراس الامر للمريد في سلوك طريق الاخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا تقطع
مادة الوسوسة في حق اكثر الخلق الا ان ينضاف اليه ضعف في البدن وفساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس لا يتم نسك الناسك

واعني باصوله الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة واولادهم
وباول فصل من كل اصل بعده اصل العمات والخالات دون اولادهن العاشر ان تكون محرمة بالرضاع
ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم
الحادي عشر المحرم بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او جدتها او عقد بهما من قبل او وطئهن بالشبهة
في عقد او وطئ امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد ومجرد العقد على المراة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها
الا بالوطئ الثاني عشر ان تكون المنكوحة خامسة اي يكون تحت الناكح اربع سواها اما في نفس النكاح
او في عدة الرجعة فان كانت في عدة بينونة لم تمنع الخامسة الثالث عشر ان يكون تحت الناكح اختها او عمتها
او خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا والاخر انثى لم يجز بينهما
النكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما الرابع عشر ان يكون هذا الناكح قد طلقها من قبل ثلثا فهي لا تحل له ما لم
يطاها زوج اخر في نكاح صحيح الخامس عشر ان يكون الناكح قد لاعنها فانها تحرم عليه ابدا بعد
اللعان السادس عشر ان تكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام
التحلل السابع عشر ان تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ الثامن عشر ان تكون يتيمة
فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ التاسع عشر ان تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها
او دخل بها فانهن امهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه هي الموانع المحرمة واما الخصال المطيبة
للعيش التي لا بد من مراعاتها في المراة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده فثمانية الدين والخلق والحسن وخفة المهر
والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة الاول ان تكون صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه
ينبغي ان يقع الاعتناء فانها ان كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسودت بين الناس
وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغصت بذلك عيشه فان سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة
وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية والانفة واذا كانت مع الفساد جميلة كان
بلاؤها اشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا رسول الله ان لي امراة لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني احبها قال امسكها وانما امره بامساكها
خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها نفسه وفسد هو ايضا معها فراى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه
اولى وان كان فاسدة الدين باستهلاك ماله او وجه اخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت ولم ينكر
كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وان انكر وخاصم تنغص العمر ولهذا بالغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين وفي حديث اخر
من نكح المراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال لا تنكح المراة
لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المراة لدينها وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل هذه المراة
تكون عونا على الدين فاما اذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له الثانية حسن الخلق وذلك اصل
مهم في طلب الفراغة والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان
الضرر منها اكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الاولياء قال بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستة لا انانة
ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة اما الانانة فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب
راسها كل ساعة فنكاح الممراضة او نكاح المتمارضة لا خير فيه والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك
كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوج اخر او ولدها من زوج اخر وهذا ايضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شيء
بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين احدهما ان تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه
ليكون لوجهها بريق محصل بالتصنع والثاني ان تغضب على الطعام فلا تاكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء

حتى تسمعوا من الناس وأما أبو حنيفة رحمة الله عليه فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله خائفا
منه مريدا وجه الله بعلمه وأما كونه عابدا فيعرف بما روي عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله
له مروءة وكثرة صلاة وروى حماد بن سليمان أنه كان يحيي الليل كله وروي أنه كان يحيي
نصف الليل فأشار إليه إنسان وهو يمشي وقال لغيره هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعد ذلك
يحيي كل الليل وقال أنا أستحيي من الله أن أوصف بما ليس في من عبادة **وأما زهده** فلقد روي
عن الربيع بن عاصم قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراده على بيت المال
فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية فاحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام
الثقفي حدثت بالشام عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان
أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله تعالى وروي أنه ذكر أبو حنيفة
رضي الله عنه عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي
عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة رحمه الله قد أمر لك أبو جعفر أمير المؤمنين بعشرة
آلاف درهم قال فما رضي أبو حنيفة رضي الله عنه بالمال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال
صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه
فقال من حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب
في زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه إذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة
فاذهب إلى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة فقال ابنه ففعلت
ذلك فقال الحسن رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحا على دينه وروي أنه دعي إلى ولاية القضاء
فقال أنا لا أصلح لهذا فقيل له لم فقال إن كنت صادقا فما أصلح لها وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح
للقضاء **وأما علمه** بأمور الآخرة وطرق الدين ومعرفته بالله تعالى فيدل عليه شدة خوفه
من الله وزهده في الدنيا فقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد
الخوف من الله وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة رحمه الله طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة
للناس فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت
والزهد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة **وأما أحمد بن حنبل وسفيان** وأتباعهما
رحمهم الله أقل من هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد وكان اشتهارهما بالورع والزهد أظهر وجميع
هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن في سير
هؤلاء الأئمة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله هل
يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والإجارة والظهار واللعان أو يثمرها علم آخر
أعلى وأشرف منه فانظر إلى الذين ادعوا الاقتداء بهم صدقوا في دعواهم أم لا

الباب الثالث فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منه

وفيه بيان الوجه الذي به يكون
بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة
وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها بيان علة ذم العلم المذموم لعلك تقول
العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله سبحانه وتعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون
مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة
الأول أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه وإما لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو
حق إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوسل به إلى التفرقة بين الزوجين وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام فأخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم
بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور
ويترصد له وقت مخصوص من المطالع ويقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع
ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال
غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست مذمومة ولكنها ليست تصلح
إلا للإضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر شر وكان ذلك هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع وليا من
الأولياء ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب
الكذب فيه وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر
الثاني أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو
قسمان قسم حسابي فقد نطق القرآن بأن مسير الكواكب محسوب إذ قال الله تعالى الشمس والقمر
بحسبان وقال الله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني الأحكام وحاصله
يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض
وهو معرفة لمجاري سنة الله وعادته في خلقه ولكنه ذمه الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وقال عليه السلام أخاف على أمتي
بعدي ثلاثا حيف الأئمة وإيمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر وقال عمر رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدوا
به في البر والبحر ثم أمسكوا وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه أحدها أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا ألقي
إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة
لأنها جواهر شريفة نفيسة سماوية يعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا إليها ويرى الخير والشر
محذورا أو مرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله تعالى عن القلب فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم
الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف
إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس
وهو ينظر إلى سواد الخط يتجدد فيعتقد أنه فعل القلم ولا يترقى نظره إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى
اليد ثم منه إلى الإرادة المحركة لليد ثم منه إلى الكاتب القادر المريد ثم منه إلى خالق اليد والقدرة
والإرادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة فإنه مقطوع عن الترقي إلى مسبب الأسباب
فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص
لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم ولقد كان ذلك
معجزة لإدريس النبي عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس ذلك العلم وانمحى وما يتفق من إصابة المنجم على ندور
فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر
الاطلاع عليها فإن اتفق أن قدر الله بقية الأسباب وقعت الإصابة وإن لم يقدر أخطأ ويكون ذلك
كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار
بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين
الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع
عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم أيضا وثالثها أنه لا فائدة فيه فأقل
أحواله أنه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان بغير فائدة وهو غاية الخسران فقد مر
رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب

العرب

ومن لغة يمانية يقولون برقت المراة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله
عليه السلام ان الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين وحكي ان السائح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته
فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة اما المختلعة فهي
التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة
التي تعرف بخليل وخدن وهي التي قال تعالى ولا متخذات اخدان والناشزة التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال
والنشز العالي من الارض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خير خصال النسا البخل والزهو
والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم كل احد
بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شي فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهم خيفة من
زوجها فهذه الحكايات ترشد الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح **الثالثة** حسن الوجه فذلك ايضا
مطلوب اذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي بالدميمة غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان
وما نقلناه من الحث على الدين وان المراة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح
لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الامر يرغب في النكاح ويهون امر الدين
ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالفة والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع الى مراعاة اسباب الالفة
ولذلك استحب النظر فقال اذا اوقع الله في نفس احدكم من امراة فلينظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينهما اي
يؤلف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة
في الايتلاف وقال عليه السلام ان في اعين الانصار شيا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان
في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كرايمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش
كل تزوج يقع على غير نظر فاخره هم وغم ومعلوم ان النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال
والقبح وروي ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل
المراة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه عمر رضي الله عنه ضربا وقال غررت القوم وروي ان بلالا
وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا
ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عايلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا
فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب
ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغي ان يقدم ذلك على النكاح ولا
يستوصف في اخلاقها وجمالها الا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن لا يميل اليها فيفرط في الثنا
ولا يحسدها فيقصر فالطباع مايلة في مبادي النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط والتفريط وقل من
يصدق فيه ويقتصد بل الخداع والاغراء اغلب فالاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف الى غير زوجته
فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الى الزهد اقرب
لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمن الداراني
الزهد في كل شي حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار يقول يترك
احدكم ان يتزوج يتيمة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها تكون خفيفة المونة ترضى باليسير ويتزوج
بنت فلان وفلان يعني ابنا الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل
عورا على اختها وكانت اختها جميلة فسال من اعقلهما فقيل العورا فقال زوجوني اياها فهذه دأب من
لم يقصد التمتع فاما من لا يامن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين وقد قيل اذا كانت

المراة

حسنا خيرة الاخلاق سودا الحدقة والشعر كبيرة العين بيضا اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على
صورة الحور العين فان الله وصف نسا الجنة بهذه الصفة في قوله خيرات حسان اراد بالخيرات حسن الخلق وفي
قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا والعروبة هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة والحور
البياض والحورا شديدة بياض العين شديدة سواد الشعر والعينا الواسعة العين وقال عليه السلام
خير نسايكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله
وانما تسر بالنظر اذا كانت محبة للزوج **الرابعة** ان تكون خفيفة المهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير النسا احسنهن وجوها وارخصهن مهورا وقد نهى عن المغالاة في المهر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعض نسايه على عشرة دراهم واثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف واولم على بعض نسايه
بمدين من شعير وعلى اخرى بمدي تمر ومدي سويق وكان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم ولو كانت المغالاة لمهور النسا مكرمة لسبق اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم
وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي هريرة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها هو من الباب ثم انصرف
ثم جاها بعد سبعة ايام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلما فلا باس وفي الخبر من بركة
المراة سرعة تزويجها وسرعة رحمها اي الولادة ويسر مهرها وقال ايضا ابركهن اقلهن مهرا وكما تكره المغالاة
في المهر من جهة المراة فيكره السوال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي ان ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج
وقال اي شي للمراة فاعلم انه لص فاذا اهدى اليهم شيا فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه
وكذلك اذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة فاسدة منه فاما التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام
تهادوا تحابوا واما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر ودخل تحت قوله
وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله فان الربا هو الزيادة وهذه طلب زيادة على الجملة وان لم
يكن في الاموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح **الخامسة**
ان تكون المراة ولودا فان عرفت بالعقر فليمتنع من تزوجها قال عليه السلام عليكم بالولود الودود وان لم يكن لها زوج
ولم يعرف حالها فيراعي صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين **السادسة** ان تكون بكرا قال عليه
السلام لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة ثلث فوايد احدها ان تحب الزوج وتالفه فتوثر
في معنى الود وقد قال عليه السلام عليكم بالودود والطباع مجبولة على الانس باول مالوف واما التي اختبرت الرجال
ومارست الاحوال فربما لا ترتضي بعض الاوصاف التي تخالف ما الفته فتقلي الزوج الثانية ان ذلك اكمل في مودته لها
فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا اشد نفورا
الثالثة انها لا تحن الى الزوج الاول واكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا **السابعة** ان تكون نسيبة اعني
ان تكون من اهل الدين والصلاح فانها تربي بناتها وبنيها واذا لم تكن موذبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك
قال عليه السلام اياكم وخضرا الدمن فقيل وما خضرا الدمن قال المراة الحسنا في المنبت السو وقال عليه السلام تخيروا
لنطفكم فان العرق نزاع **الثامنة** ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا وذلك لتاثيره في تضعيف الشهوة
فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود
الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر به ولا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة
في النسا ويجب على الولي ان يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن سا خلقه وخلقه او ضعف دينه او قصر
عن القيام بحقها او كان لا يكافيها في نسبها قال عليه السلام النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته والاحتياط في حقها

اهم

فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال عليه السلام انما العلم آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة فالخوض
في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف الطب
فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه **السبب الثالث** الخوض في علم لا يستقل الخائض به فانه مذموم في حقه
كتعلم دقائق العلوم قبل جليلها وكالبحث عن الاسرار الالهية اذ يطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها
ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الانبيا والاوليا فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق
به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق فكم من شخص خاض في العلم فاستضر به ولو لم يخض فيه لكان حاله احسن في الدين
منه مما صار اليه ولا ينكر كون بعض العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلاوى اللطيفة
بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكا الى طبيب عقم
زوجته وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها فقال لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما
وقد دل النبض عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت
وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال لم تمت فقال الطبيب علمت
ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذلك قال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها وعلمت انها
لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار
خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية
ولا تكن بحاثا عن علوم قد ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتدا بالصحابة واقتصر على اتباع السنة
فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال به ولا تكثر اللهج برايك ومعقولك ودليلك وبرهانك
وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليها فاي ضرر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر
وكم من شي تطلع عليه فيضرك اطلاعك ضررا يكاد يهلكك في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته واعلم
انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الانبيا اطبا القلوب
والعلما باسباب الحيوة الاخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في
اصبعه فيقتضي عقله ان يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه طلا الكتف من الجانب الآخر من
البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه
التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابها وفي عقائدها التي تعبد
الناس بها اسرار ولطائف ليس في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار امورا عجائب غاب عن اهل
الصنعة علمها حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد والعجائب والغرائب
في العقائد والاعمال وافادتها لصفا القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها للترقي الى جوار الله
عز وجل وتعرضها لنفحات فضله اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن
ادراك منافع الادوية مع ان للتجربة سبيلا اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حيوة الآخرة مع ان
التجربة غير متطرقة اليها انما كانت التجربة تتطرق اليها ان لو رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا
عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة اليه زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وذلك لا مطمع فيه فيكفيك من منفعة — وكذا عن العقايد
العقل ان يهديك الى صدق النبي عليه السلام ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف
ولازم الاتباع فلا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيالا ومعلوم
ان العلم لا يكون جهلا ولكنه يوثر تاثير الجهل في الاضرار وقال ايضا قليل من التوفيق خير من كثير
من العلم وقال عيسى عليه السلام ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر

العلوم وليس كلها نافع **بيان ما بدل من الالفاظ** اعلم ان منشا التباس العلوم المذمومة بالعلوم
الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معاني غير ما اراده
السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وهذه
اسامي محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة
وصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم
اللفظ الاول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع
الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة
بها فمن كان اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر
الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة
بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك قوله تعالى ليتفقهوا في — ق
الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق
واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار وتخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب
وينزع الخشية منه كما يشاهد من المتجردين له وقال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد
به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وانما يتكلم
في عادة الاستعمال قديما وحديثا وقال الله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم
لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله عز وجل واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان
ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى والاقضية او نتيجة ما ذكرنا من العلوم وقال عليه
السلام علماء فقهاء حكماء للذين وفدوا عليه وسئل سعيد بن ابراهيم اي اهل المدينة افقه فقال
اتقاهم وكانه اشارة الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن النافع دون الفتاوى والاقضية وقال — وهو
عليه السلام الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله عز وجل ولم يؤمنهم
من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله عز وجل ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك
قوله صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون الله عز وجل من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان
اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم
هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن
ونتفقه في الدين ونعد نعم الله تعالى علينا فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها وقال عليه السلام لا يفقه
العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله تعالى وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وروي ايضا موقوفا
على ابي الدردا مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وسال فرقد السبخي الحسن عن شي فاجابه
فقال ان الفقها يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا
الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم
الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا
للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان اطلاقهم له على علم — او الاستتباع
الآخرة اكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة واحكام القلب
ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضا
والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم
محمود في الشرع به **اللفظ الثاني العلم** وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله عز وجل وباياته وبافعاله

الاضرار فيتقيه بالنكاح المخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما او فاسقا او مبتدعا او شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فممن ازوجها قال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال عليه السلام من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها

الباب الثالث في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في النشوز والوقاع والمفارقة بالطلاق

الادب الاول الوليمة وهي مستحبة قال انس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بسويق وتمر وقال صلى الله عليه وسلم طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به ولم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب ويستحب التهنئة فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه السلام فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة بني بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من آبائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذه وقولي التي كنت تقولين قبلها

والادب الثاني حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال والصاحب بالجنب قيل هي المرأة وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في ايديكم يعني اسرى اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال عليه السلام من صبر على سوء خلق امرأته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان ازواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال اتراجعيني يا لكعاء فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابي قحافة فانها حبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروي انه دفعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وجرى بينه عليه السلام وبين عائشة كلام حتى ادخل بينهما ابا بكر حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال يا عدية نفسها او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولم نرد منك هذا وقالت له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك ويقال اول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وكان يقول لها كنت لك كأبي زرع لام زرع وكان يقول لنسائه لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امرأة منكن غيرها وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم الناس بالنساء والصبيان

الثالث ان يزيد على احتمال

الاذى

بالملاعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي انه كان يسابق عائشة رضي الله عنها في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال هذه بتلك وفي الخبر انه من افكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان تري لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقال عليه السلام خياركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال لقمان ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي واذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه وهو احد ما قيل في معنى قوله عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله وقال عليه السلام لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد غير سائل عما فقد

الرابع ان لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله في النار وقال عمر خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية واطاع الشيطان كما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين وسمى الزوج سيدا فقال تعالى والفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي رضي الله عنه ثلاثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المرأة والخادم والنبطي اراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج كانت المرأة تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعي زج رمحه فان سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان صبر فاقعدي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارضون فكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي ان تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة قال عليه السلام مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم بين مائة غراب يعني الابيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل الشيب واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال عليه السلام استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن امرأة سوء فانها المشيبة قبل المشيب وفي لفظ آخر ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك وقد قال عليه السلام في خيرات النساء انكن صواحبات يوسف يعني ان صرفكن

فى عيان وفى الخبر انه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رضى الله عنه مات تسعة اعشار العلم
عرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه فى الاكثر بمن يشتغل
بالمناظرة مع الخصوم فى المسايل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل فى العلم ومن لا
يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفه ولا يعتد به فى زمرة اهل العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص
ولكن ما ورد من فضايل العلم والعلماء اكثر فى العلماء بالله وباحكامه وافعاله وصفاته فصار الان يطلق على
من لا يحيط من العلوم الشرعية بشى سوى رسوم جدلية فى مسايل خلافية فيعد به من فحول العلماء مع
جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من الطلبة **اللفظ**
الثالث التوحيد وقد جعل الان عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة
بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتاليف الالزامات
حتى لقب طوايف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو
خاصية فى هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شى فى العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم على من
يفتح بابا من الجدل والمماراة فاما ما يشتمل عليه القران من الادلة الظاهرة التى تسبق الاذهان الى
قبولها فى اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقران هو العلم كله وكان التوحيد عندهم
عبارة عن امر اخر لا يفهمه المتكلمون وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله عز وجل
روية تقطع التفاته عن الاسباب والوسايط فلا يرى الخير والشر الا منه وهذا مقام شريف احدى ثمراته
التوكل كما ياتى فى كتاب التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم
لحكم الله تعالى وكان احدى ثمراته قول ابى بكر رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه انطلب لك طبيبا فقال
الطبيب امرضنى وقول اخر لما مرض وقيل له ماذا قال لك الطبيب فى مرضك فقال قال لى انى فعال
لما اريد وسياتى شواهده فى كتاب التوكل وكان التوحيد جوهرا نفيسا **وله قشران** احدهما ابعد من
اللب والاخر فخص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية **فالقشر الاول**
ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى يصرح به النصارى ولكنه قد
يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره **والقشر الثانى** ان لا يكون فى القلب مخالفة وانكار لمفهوم
هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما
سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة **والثالث** وهو اللباب وهو ان يرى الامور
كلها من الله روية تقطع التفاته عن الوسايط وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا
التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد فى الارض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق من تامل
عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مايلة الى دين ابايه فيتبع ذلك الميل وميل
النفس الى المالوفات احد المعانى التى يعبر عنه بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والتفات
اليهم فان من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو
من مقامات الصديقين فانظر الى ماذا حول وباى قشر قنع وكيف اتخذوا معتصما فى التمدح والتفاخر باسمه
محمود مع الافلاس عن المعنى الذى يستحق به الحمد الحقيقى وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه الى القبلة
ويقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وهو اول كذب يفاتح الله عز وجل به كل يوم
ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله على الخصوص فانه ان اراد وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما
صرفه الا عن ساير الجهات والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والارض حتى تكون المتوجه اليها متوجها

وهذا هو العلم الذى لا يسطر فى الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الاخرة كما سياتى علاماتهم
هذا فى اول الامر ويعين عليه فى الاخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علايق الدنيا
والتشبه فيه بانبياء الله تعالى واوليايه ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد
ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها **واما العلوم التى**
لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهى العلوم التى اوردناها فى فروض الكفايات فان فى كل علم منها اقتصارا
وهو الاقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد والامر كله الى اخر العمر فكن احد رجلين اما
مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح
نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذى هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق
منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلوة والطهارة والصوم وانما الاهم الذى اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد
منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخواتها وجميع
ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهى الاشتغال بطلى ظاهر البدن عند التاذى بالجرب
والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير
الطرقية من الاطباء بطلى ظاهر البدن وعلماء الاخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر وافساد
منابتها وقلع مغارسها وهى فى القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال
الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى طلى الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة المنفرة فلا يزال
يتعب فى الطلاء ويزيد فى المواد ويتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد
فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه فى ربع المهلكات ثم ينجر ذلك الى المقامات المحمودة المذكورة
فى ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلا بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها انواع
الزرع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفى الخلق من قام به فان مهلك
نفسه فى طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعى والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب
مذبة يدفع بها الذباب من غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت
من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك
فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم
التفسير وساير علوم القران من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك فى السنة
ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع
له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك فى فن واحد منها طلبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم
الات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغى ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه
فاقتصر من شايع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القران وغريب الحديث ودع
التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن
نشير اليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار فى التفسير ما يبلغ ضعف القران فى
المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القران كما صنفه من
الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له الا العمر واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين
بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول
على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر ما يحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه
فان تضيف اليهما ما خرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل

اما محض من التقدم ميل منكوس عن الحق الى الهوى وقال الله تعالى في اثنين من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اى مالت وقال ذلك في خير ازواجه وقال عليه السلام لا يفلح قوم تملكهم امراة
وقد زجر عمر امراته لما راجعته وقال ما انت الا لعبة في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما انت فاذن
فيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر
العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل الى اخلاقها بالتجربة ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها **الخامس** الاعتدال
في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النساء وفي لفظ آخر ان تبغت النساء ولما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سفر قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا فخالفه رجلان فسبقا فراى كل واحد منهما في منزله
ما يكره وفي الخبر المشهور المراة كالضلع ان قومته كسرته فدعه تستمتع بها على عوجها وهذا في تهذيب اخلاقها وقال عليه
السلام غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة ولان ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان
بعض الظن اثم وقال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك **واما الغيرة** في محلها فلا بد
منها وهي محمودة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغار والمومن يغار وغيرة الله تعالى ان ياتي المومن ما حرم عليه
وقال عليه السلام اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ولاجل غيرة الله حرم الله الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدح
من الله تعالى ومن اجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في الجنة قصرا وفيه جارية فقلت لمن هذا فقيل
لعمر فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال اعليك اغار يا رسول الله وكان الحسن يقول اتدعون
نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار وقال عليه السلام ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغض الله
ومن الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله **فاما الغيرة** التي يحبها الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله
فالغيرة في غير الريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال الذي
يبغضه الله الاختيال في الباطل وقال عليه السلام اني لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب والطريق المغني عن الغيرة
ان لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج الى الاسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها اي شي
خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض فاستحسن قولها وكان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا تطلع النسوان الى الرجال وراى معاذ امراته
تطلع في الكوة فضربها وراى امراته دفعت الى غلام له تفاحة قد اكلت بعضها فضربها وقال عمر رضي الله عنه اعروا النساء
يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال ايضا عودوا نساءكم لا وكان قد اذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور المساجد والصواب الآن المنع الا العجائز بل استصوب ذلك في زمن الصحابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم حتى قالت عايشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما احدثت النساء بعده لمنعهن
من الخروج ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه
وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرا على المخالفة لعلمه بتغير
الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اذن لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن والخروج الآن ايضا مباح للمراة العفيفة
برضا زوجها ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم فان الخروج الى النظارات والامور التي ليست مهمة تقدح
في المروة وربما تفضي الى الفساد واذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها
عورة كوجه المراة في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا
باس اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لامروا بالتنقب

او يمنعن

او يمنعن من الخروج الا لضرورة **السادس** الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي
ان يسرف بل يقتصد قال الله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وقال تعالى ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وقال صلى الله عليه وسلم
دينار انفقته في سبيل الله ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته في رقبة ودينار انفقته على اهلك
اعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك وقيل كان لعلي رضي الله عنه اربع نسوة وكان يشتري لكل واحدة
في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال الحسن رضي الله عنه كانوا في الرجال مخاصيب وفي الاثاث والثياب مجاديب
وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة وكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات
ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك وهذا ثم
اقل درجات الخير وللمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستاثر
عن اهله بماكول طيب ولا يطعمهم منه فان ذلك يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان
مزمعا على ذلك فلياكله بخفية بحيث لا يعلمه اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه
واذا اكل فليقعد العيال على مائدته فقد قال سفيان بلغنا ان الله تعالى وملائكته يصلون على اهل بيت
ياكلون في جماعة واهم ما يجب عليه من مراعاته في الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل
السوء لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد اوردنا الاخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح
السابع ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام
الصلوة وما تقضي منها في الحيض وما لا تقضي فانه امر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم
نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها بدعة ان استمعت ويخوفها بالله اذا تساهلت
في امر الدين ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لا بد
من ارشاد النساء اليه في امر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبيل الغروب بمقدار
ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا
اقل ما تراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وان قصر علم الرجل
ولكن ناب عنها في السؤال واخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج وان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال
بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هي من الفرائض ما عليها فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر
ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما اهملت المراة حكما من احكام الحيض او الاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج
الرجل معها وشاركها في الاثم **الثامن** اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعض فان بعضهن
خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظلم
امراة بليلتها قضى لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره
وقد قال عليه السلام من كان له امراتان فمال الى احديهما دون الاخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيمة
واحد شقيه مائل وانما عليه العدل في العطاء والمبيت اما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار
قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لا تعدلون في شهوة القلب وميل النفس ويتبع
ذلك التفاوت في الوقاع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول
اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب وقد كانت عايشة رضوان الله عليها احب نسايه
اليه وساير نسايه يعرفن ذلك وكان يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول
اين انا غدا ففطنت امراة منهن فقالت انما يسال عن يوم عايشة فقلن يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون
في بيت عايشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولوني الى بيت عائشة

من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم
واوصافهم **واما الفقه** فالاقتصاد ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد
فيه ما يبلغ ثلثه امثاله وهو القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه في البسيط الى ما وراء
ذلك من المطولات **واما الكلام** فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء
ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقه ومقصود حفظ السنة يحصل برتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو
القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذي
اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسده وينزعه عن قلب
العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم اما المبتدع بعد ان تعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع
معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال بالقصور على نفسه وقدر ان عند غيره جوابا ما هو عاجز عنه وانما انت
ملبس بقوة المجادلة عليه فاما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان يشتد التعصب
للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع الياس عنهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو ايضا من آفات العلماء السوء
فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافاة
والمقابلة وتتوفر دواعيهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا من جانب
اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم
الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم والتهم
وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس
واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار المتاخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات
والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فاياك ان تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء
العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سياتيك تفصيل غوائلها وآفاتها
وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس اعداء ما جهلوا ولا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت فيه
واقبل النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله
عز وجل رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع
ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم
يعرفها الاولون ولا الصحابة وكانوا اعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع انها غير مفيدة في علم
المذهب فهي ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه
لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات
الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه
يطلب به علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا ينصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن
في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة
فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة
والنار وتامل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد راى بعض الشيوخ بعض العلماء
في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يديه ونفخ فيهما وقال طاحت
كلها هباء منثورا وما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه
الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية
هم اهل الجدل الذين عنى الله تعالى بقوله فاحذرهم ان يفتنوك وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان

قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسياتي
قوم يلهمون الجدل وفي الاثر المشهور ابغض الخلق الى الله عز وجل الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق
الا منعوا العمل وعن علي بن نصر الجهضمي عن ابيه قال رايت الخليل بن احمد في النوم بعد موته فقلت
احد اعقل من الخليل لا اسالنه فقال لي رايت ما كنا فيه فاني لم ار شيئا مما رايت انفع من قول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والله اعلم

الباب الرابع في سبب اقبال الخلق

على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا ائمة وعلماء بالله وفقهاء في احكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الاقضية
وكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة
وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم
كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام
اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي
من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا
اذا طلبوا هربوا واعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فراى اهل تلك الاعصار
عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرابوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه
من قبل الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن
ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض
عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك
الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء
من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام
فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات
في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله تعالى والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان
غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله عز وجل ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك
من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات
الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه
وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم
واكبوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع
مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد اصول
الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون
عليه الى الآن وليس ندري ما الذي قدر الله عز وجل فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب
على الخلافيات والمناظرة لا غير ولو مالت نفوس اهل الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من
العلوم لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب
الى رب العالمين

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضوان الله عليهم

اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس اليه بان غرضنا من المناظرة
المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كان عادة
الصحابة في مشاوراتهم كتشاورهم في مسالة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطا كما نقل من

ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
بين نسائه فقصد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعايشة وسألته ان يقرها على الزوجية
حتى تحشر في زمرة نسائه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعايشة ليلتين ولساير ازواجه ليلة ليلة ولكنه صلى الله
عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه او ليلته
على ساير نسايه فمن ذلك ما روي عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسايه في ليلة
واحدة وعن انس انه عليه السلام طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار **التاسع** في النشوز ومهما وقع بينهما خصام
ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبيهما جميعا او من الرجل فلا تسلط الزوجة ولا يقدم على اصلاحها فلا بد من حكمين
احدهما من اهله والاخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما وان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر
رضي الله عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح امرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما فعاد الرجل واحسن النية وتلطف في الامر فاصلح بينهما واما اذا كانت من المراة خاصة
فالرجال قوامون على النسا فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تاديبها وهو
ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضاجع او انفرد عنها بالفراش وهجرها
وهو في البيت في ليلة الى ثلث ليال فان لم ينجع ضربها ضربا غير مبرح بحيث يولمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها
جسما ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق المراة على الرجل قال
يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجر الا في البيت وله ان
يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ارسل
بهديته الى زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك هديتك اي اذلتك واستصغرتك
فقال عليه السلام انتن اهون على الله ان تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن **العاشر** في اداب
الجماع ويستحب ان يبدا بسم الله تعالى ويقرا قل هو الله احد اولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم
اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج من صلبي وقال صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله قال اللهم
جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل في نفسك
ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا الاية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار
صوته ثم لينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يغطي راسه ويغض صوته ويقول للمراة عليك بالسكينة وفي الخبر اذا جامع احدكم اهله فلا يتجردان
تجرد العيرين اي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال عليه السلام لا يقعن احدكم على امراته كما تقع البهيمة
ليكن بينهما رسول قيل وما الرسول قال القبلة والكلام وقال صلى الله عليه وسلم ثلث من العجز في الرجال ان يلقى من
يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه وكنيته ونسبه والثاني ان يكرمه احد فيرد عليه كرامته والثالث
ان يقارب الرجل جاريته فيصيبها قبل ان يحادثها ويوانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها
منه ويكره الجماع في ثلث ليال من الشهر الاول والاخر والنصف يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال ان
الشياطين يجامعون فيها وروي كراهة ذلك عن علي ومعوية وابي هريرة رضي الله عنهم ومن العلما من استحب
الجماع يوم الجمعة تحقيقا لاحد التاويلين في قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره فليتمهل
على اهله حتى تقضي هي ايضا نهمتها فان انزالها ربما يتاخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذا لها والاختلاف في
طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق في وقت الانزال الذ عندها ليشتغل الرجل
بنفسه عنها فانها ربما تستحيي وينبغي ان ياتيها في كل اربع ليال مرة فهو اعدل اذ عدد النسا اربعة فجاز التاخير
الى هذا الحد نعم ينبغي ان يزيد او ينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه وان كان لا تثبت المطالبة

على زوجها

بالوطي وذلك لقصد المطالبة والوفاء بها ولا ياتيها في الحيض ولا بعد انقطاعه قبل الغسل فهو محرم بنص الكتاب
وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحايض ولا ياتيها في غير الماتى اذ حرم غشيان
الحايض لاجل الاذى والاذى في غير الماتى دايم فهو اشد تحريما من اتيان الحايض وقوله تعالى فاتوا حرثكم انى شيتم اي
اي وقت شيتم وله ان يستمني بيدها وان يستمتع بما تحت الازار منها سوى الوقاع وينبغي ان تتزر المراة بازار من حقوها
الى فوق الركبة في حالة الحيض فهذا من الادب وله ان يواكل الحايض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه
اجتنابها فان اراد ان يجامع ثانية بعد اخرى فليغسل فرجه اولا وان احتلم فلا يجامعن حتى يغسل فرجه او يبول
ويكره الجماع في اول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فان اراد النوم او الاكل فليتوضا اولا وضوء الصلوة فهو
سنة قال ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضا ولكن فيه رخصة قالت عايشة
رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام جنبا لم يمس ماء ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه او لينفضه
فانه لا يدري ما حدث بعده ولا ينبغي ان يحلق او يقلم او يستحد او يخرج الدم او يبين من نفسه جزءا وهو جنب اذ ترد
اليه ساير اجزايه في الاخرة فيعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها ومن الاداب ان لا يعزل بل لا يسرح
الى محل الحرث وهو الرحم فما من نسمة قدر الله كونها الا وهي كاينة هكذا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عزل
فقد اختلف العلما في اباحته وكراهته على اربعة مذاهب فمن مبيح مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قايل
يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكان هذا القايل يحرم الايذا دون العزل ومن قايل يباح في المملوكة دون الحرة
والصحيح عندنا ان ذلك مباح واما الكراهة فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه
بالمعنى **الثالث** اي فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا لا يشتغل بذكر وصلاة وللحاضر
في مكة مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهة ترك الاولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة
في الولد ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له من جماعه اجر ولد ذكر قاتل في
سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له اجر التسبب اليه مع ان الله تعالى خالقه
ومحييه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الامنا في الرحم وانما قلنا
الكراهة لمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهي انما يمكن بنص او قياس على منصوص ولا نص ولا اصل
يقاس عليه بل ههنا اصل يقاس عليه وهو ترك النكاح اصلا او ترك الجماع بعد النكاح او ترك الايلاج او ترك
الانزال بعد الايلاج فكل ذلك ترك الافضل وليس بارتكاب نهي ولا فرق اذ الولد يتكون بوقوع النطفة في
الرحم ولها اربعة اسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه
الاسباب اقرب من بعض فالامتناع من الرابع كالامتناع من الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالاول وليس هذا
كالاستجهاض والواد لان ذلك جناية على موجود حاصل وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود ان تقع النطفة
في الرحم وتختلط بما المراة فتستعد لقبول الحيوة فافساد ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقة كانت الجناية
افحش فان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال
حيا وانما قلنا مبدا سبب الوجود من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث الخروج من الاحليل لان الولد لا يخلق من مني الرجل
وحده بل من الزوجين جميعا اما من مايه ومايها او من مايه ودم الحيض قال بعض اهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير
الله من دم الحيض وان الدم منها كاللبن من الرايب وان النطفة من الرجل شرط في خثورة دم الحيض وانعقاده
كالانفحة للبن اذ بها ينعقد الرايب وكيفما كان فما المراة ركن في الانعقاد فيجري الماان مجرى الايجاب والقبول
في الوجود الحكمي في العقود فمن اوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما
اجتمع الايجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما ان النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا
بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بما المراة او دمها فهذا هو القياس الجلي فان قلت فان لم يكن العزل مكروها

من اجهاض المراة جنينها خوفا من عمر وكان قد نقل في مسايل الفرايض وغيرها وما نقل عن الامام الشافعي رحمه الله ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلماء ويطلعك على هذا التلبيس ما ذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات **الاول** ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ عن فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلوة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي به ستر عورة من يصلي عاريا ولا يجد الثوب فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلوة التي هي اقرب القربات الى الله عز وجل عصى به فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيها الوقت والشروط والترتيب **الثاني** ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان راى ما هو اهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيايهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة المهمة بجماعة العطشى من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قايم بها واما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد عن جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب واذ لا يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول الطبيب فيه شرعا ولا يرغب احد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا الحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسالة لا يتفق وقوعها قط وان وقع قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد ان يتقرب الى الله تعالى بفرض الكفاية وقد روى انس انه قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال اذا ظهرت الادهان في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في اراذلكم **الثالث** ان يكون المناظر مجتهدا يفتي برايه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة رحمهما الله وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والايمة رحمة الله عليهم اجمعين واما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم اهل العصر فانما يفتي فيه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاي فايدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في اصل الشرع ولو كانت مباحثه عن المسايل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه فانه ربما يفتي باحد الوجهين او القولين ويميل الى احد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسالة التي فيها وجهان او قولان وطلبت مسالة يكون الخلاف فيها مبتوتا **الرابع** ان لا يناظر الا في مسالة واقعة او قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقايع او ما يغلب وقوعه كالفرايض ولا نرى الناظرين يهتمون بانتقاد المسايل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي يتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسالة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجايب ان يكون المطلب هو الحق ثم يترك المسالة لانها خبرية ومدرك الحق هو الاخبار او لانها ليست من الطبوليات فلا يطول فيها الكلام والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب والقصر **الخامس** ان تكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من ان تكون في المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للهم واحرى بصفاء الذهن وادراك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الريا ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع وان الواحد يخلو

بصاحبه مدة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا الا نزع حتى يكون هو المتخصص بالكلام **السادس** ان يكون في طلب الحق كمنشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطا واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق اخر فكان يشكره ولا يذمه وكان يكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة حتى ردت امراة على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال اصابت امراة واخطا رجل وسال رجل عليا فاجاب فقال ليس كذلك يا امير المومنين ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطات وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما فقال لا تسالوني عن شي وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سيل ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان امير الكوفة فقال ابن مسعود اعده على الامير فلعله لم يفهم فاعيد فاعاد الجواب فقال ابن مسعود انا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال وهكذا يكون انصاف طالب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظري زماننا كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر **السابع** ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقايق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق ابدا يكون مناقضا للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له وما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح واولى منه فاذكره حتى انظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معاني سوى ما ذكرته وقد عرفته ولا اذكره ولا يلزمني ذكره ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه وراه هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويتزجى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السوال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرف ولا اذكره اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه كان لا يعرف معنى وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خالي منها وان كان صادقا فقد فسق باخفايه ما عرفه من امر الشرع وقد ساله اخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل الى نور العلم ولا خلاف ان اظهار ما علم من علم الدين بعد السوال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم في الشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى اية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه **الثامن** ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذا شروط دقيقة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدوه ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل الى مناظرة غيره في مسايل المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به بما غمسه فيه من ظلمات الافات التي نعدها ونذكر تفصيلها والله اعلم

بيان افات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والتشرف عند الناس وقصد المباهاة والمماراة والمجادلة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله عز وجل المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر

من حيث انه دفعة لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة عليه اذ لا يبعث عليه الا نية فاسدة فيها
شي من شوايب الشرك الخفي فاقول النيات الباعثة على العزل خمس الاولى في السراري وهي حفظ الملك
باستحقاق العتاق وقصد استبقا الملك بترك الاعتاق ودفع اسبابه ليس بمنهي عنه الثانية استبقا
جمال المراة وسمنها لدوام التمتع واستبقا حيوتها خوفا من خطر الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه الثالثة الخوف
من كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا ايضا
غير منهي عنه فان قلة الحرج معين على الدين نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله تعالى حيث قال
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الافضل ولكن النظر في العواقب
وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول انه منهي عنه الرابعة الخوف من الاولاد الاناث
لما في تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب في قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها اصل
النكاح او اصل الوقاع اثم بها لا بترك النكاح وكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينزل منزلة امراة تركت النكاح استنكافا من ان يعلوها رجل وكانت تتشبه بالرجال ولا ترجع
الكراهة الى ترك النكاح الخامسة ان تمتنع المراة لتعززها ومبالغتها في النظافة فتحرز من الطلق والنفاس
والرضاع وكان ذلك عادة نسا الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات ايام الحيض ولا يدخلن
الخلا الا عاريات فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستاذنت واحدة منهن على عايشه رضوان الله عليها لما
قدمت البصرة فلم تاذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا قلنا فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا اي ليس موافقا لنا
على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الافضل فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الواد الخفي وقرى
واذا الموؤدة سيلت وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح ايضا اخبار صحيحة في الاباحة وقوله صلى الله عليه وسلم
الواد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما فان قلت فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما العزل
هو الواد الاصغر وان الممنوع وجوده به هو الموؤدة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو
قياس ضعيف ولذلك انكره عليه علي رضي الله عنهما لما سمع وقال لا تكون الموؤدة الا بعد سبع اي بعد سبعة
اطوار وتلا الاية الواردة في اطوار الخلقة وهو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين الى قوله ثم انشاناه خلقا اخر اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله تعالى في الاية الاخرى واذا
الموؤدة سيلت واذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس
رضي الله عنهم في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف وفي المتفق عليه في الصحيحين عن جابر انه قال كنا نعزل
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران ينزل وفي لفظ اخر كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم
ينهنا وفيه ايضا عن جابر انه قال ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا
في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال عليه السلام اعزل عنها ان شئت فانه سياتيها ما قدر لها فلبث الرجل
ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال قد اخبرتكم انه سياتيها ما قدر لها كل ذلك في الصحيحين الحادي عشر
في اداب الولادة وهي خمسة الاول ان لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري ان الخيرة له
في ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يكون بنتا بل السلامة منهن اكثر والثواب فيهن اجزل قال صلى الله
عليه وسلم من كان له ابنة فادبها واحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاها واسبغ عليها من النعمة التي اسبغ الله عليه
كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يدرك
ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة وقال انس قال عليه السلام من كان له ابنتان او اختان فاحسن
اليهما ما صحبتا كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج الى سوق من اسواق

المسلمين

فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه وعن انس رحمه الله
عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها
فيهم وليبدا بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله يمينه
بدنه على النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ثلث بنات او اخوات فصبر على لاوائهن
وضرائهن وسرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل وثنتان يا رسول الله فقال وثنتان
فقال رجل او واحدة فقال وواحدة الادب الثاني ان يؤذن في اذن المولود روى رافع عن ابيه
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم اذن في اذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها وروي عن النبي ن
صلى الله عليه وسلم انه قال من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى رفعت عنه ام الصبيا
علة تغير في الصبيان ويستحب ان يلقنوه اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان
في اليوم السابع ورد به الخبر الثالث ان يسميه باسم حسن فذلك من حق الولد وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا
سميتم فعبدوا وقال احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلما كان
ذلك في عصره اذ كان ينادى يا ابا القسم والان فلا باس وتسمى الرجل ابا عيسى فقال عليه السلام ان عيسى لا اب له فكره
ذلك والسقط ينبغي ان يسمى قال عبد الرحمن بن زيد بن معوية بلغني ان السقط يوم القيمة يقف ورا ابيه ويقول
انت ضيعتني وتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لا يدري انه غلام او جارية فقال عبد الرحمن
يجعل له من الاسما ما يجمعهما حمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيمة
باسمايكم واسما ابايكم فاحسنوا اسماكم ومن له اسم يكره يستحب تبديله بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسم العاص بعبد الله وقال صلى الله عليه وسلم لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان هذا ايضا كان في حيوته وقال ابو
هريرة كان اسم زينب برة رضي الله عنها فقال عليه السلام تزكي نفسها فسماها زينب وكذلك ورد نهي في اسم افلح
ونافع وبركة لانه يقال اثم بركة فيقولون لا الرابع العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا
باس بالشاة ذكرا كان او انثى روت عايشه رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر في الغلام بشاتين ل
مكافيتين وعن الجارية بشاة وروي انه عق عن الحسن بشاة وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال رسول الله مكافيتين
صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقته فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره
ذهبا او فضة فقد روي فيه خبر روي انه عليه السلام امر فاطمة يوم سابع حسين ان تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره
فضة قالت عايشه رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم الخامس ان يحنكه بتمرة او حلاوة وروي عن اسما
انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقبا ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم
تفل في فيه فكان اول شي دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان اول
مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود سحرتكم فلا يولد لكم الثاني عشر
في الطلاق وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله عز وجل وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه ايذا بالباطل
ومهما طلقها فقد اذاها ولا يباح ايذا الغير الا بجناية من جانبها او بضرورة من جانبه قال الله تعالى فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا حيلة للفراق وان كرهها ابوه فليطلقها قال ابن عمر كان تحتي امراة احبها وكان
ابي يكرهها ويامرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امراتك فهذا يدل على ان نعم
حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر ومهما اذت زوجها وبذت على اهله فهي جانية
وكذلك مهما كانت سيئة الخلق او فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة
مهما بذت على اهله واذت زوجها فهو فاحشة وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى
من الزوج فلها ان تفتدي ببذل مال ويكره للرجل ان ياخذ منها اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة

والعجب والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف
والقتل والسرقة وكما ان الذي خُيّر بين الشرب وساير الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك
الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة
دعاه ذلك الى اضمار الخبايث كلها في النفس وهيّج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق ستاتي ادلة
مذمتها من الايات والاخبار في ربع المهلكات ولكنا نشير الان الى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد وقال
صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة
يُغلب وتارة يُحمد كلامه واخرى يُحمد كلام غيره فما دام في الدنيا يبقى واحد يذكر بقوة في العلم والنظر او يظن انه احسن
منه كلاما واقوى نظرا فلا بد ان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب منه اليه والحسد نار محرقة من بلي
بها فهو في العذاب الاليم في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه خذوا العلم حيث وجدتم
ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض فانهم يتغايرون كما يتغاير التيوس في الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس
فقد قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وقال حكاية عن الله تعالى العظمة ازاري
والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره حتى
انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيها في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد عنها والتقدم
في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم وان المؤمن منهي
عن اذلال نفسه فيعبّر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى عليه وساير انبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله
عز وجل بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر
يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان
لا يضمر حقدا على من يحرك راسه على كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد
ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في
غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع
احواله في ايراده واصداره ثم لو صدر من خصمه ادنى سبب فيه او قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا
يقلعه يد الدهر الى اخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله تعالى باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على اكل الميتة
فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه ان يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة
ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة واما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن
التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم
والبلادة ومنها تزكية النفس قال الله عز وجل فلا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء
على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة
عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك
مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح مذمومان عقلا
وشرعا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس فقد قال الله عز وجل ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب
عثرات اقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن احواله ويستخرج
بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست اليه حاجته حتى انه ليستكشف عن احوال
صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة من جهته
عرّض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطايف التسبيب ولا يمتنع عن الافصاح ان كان متبجحا بالسفاهة
والاستهزاء كما حكي عن قوم من اكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم ومنها الفرح لمساءة الناس والغم بمسرتهم

ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من اخلاق المؤمنين ومن طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء
اقرانه واشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرات فكما ان احدى الضرات اذا رات
صاحبتها من بعيد ارتعدت فرايصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا راى مناظرا تغير لونه واضطرب
عليه فكره فكانما شاهد شيطانا او سبعا ضاريا فاين الاستيناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين
عند اللقاء وما نقل عنهم من المواساة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي رحمه الله العلم بين اهل
الفضل رحم متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان يستلم الانس
مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات فناهيك بالشيء شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبريك عن اخلاق المؤمنين
المتقين ومنها النفاق والحاجة الى ذكر الشواهد في ذمه وهم يضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم
ولا يجدون بدا من التودد باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطِب والمخاطَب وكل من يسمع
ذلك منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فانهم متوادون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله منه فقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام
لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن فقد صح ذلك مشاهدة ومنها الاستكبار عن الحق وكراهيته والحرص
على المماراة فيه حتى ان ابغض شيء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده
وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ثم تصير المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من
طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القران والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء
في مقابلة الحق على الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل فقال من ترك المراء
وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في اعلى الجنة وقد سوى الله عز وجل بين من افترى
على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال جل جلاله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وقال عز من قايل فمن اظلم
ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء والملاحظة والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء
العضال الذي يدعو الى اكبر الكباير كما سياتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق السنتهم
بالثناء عليه فهذه عشر خلال من امهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي
الى الضرب واللطم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان اولئك ليسوا
معدودين في زمرة الناس المعتبرين فانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها
مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منها مع
اشكاله المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر اخرى من الرذائل لم نطول بذكرها
وتفصيل احادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه والتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر
والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة
واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة
عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما الذي يصلي وما الذي يقرأ ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه واستغراق العمر
في العلوم التي تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الاخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير
ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من
مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم ان هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير
والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم الفتوى
والمذهب اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من طلب بالعلم
غير ثواب الاخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس

عن بيع فيه شيء ولا جناح عليهما فيما افتدت به فرد ما اخذه فما دونه لائق بالفدا فان سالت الطلاق بغير
ما باس فهي اثمة قال صلى الله عليه وسلم ايما امراة سالت زوجها طلاقها في غير ما باس لم ترح رايحة الجنة وفي لفظ
فالجنة عليها حرام وقال المختلعات هن المنافقات ثم ليراع الزوج في الطلاق اربعة امور **فالاول** ان يطلقها
في طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق في الحيض او الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل
العدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر رضي الله عنه في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر
مر ابنك فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شا طلقها وان شا امسكها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق
لها النسا وانما امره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط **الثاني** ان يقتصر
على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم
في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة
وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه اعني زوجة المحلل
بعد ان زوجت منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور
ولست اقول الجمع حرام ولكنه مكروه لهذه المعاني واعني بالكراهة تركه النظر لنفسه **الثالث** ان يتلطف
في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من
اذى الفراق قال الله تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في اصل النكاح كان الحسن بن علي رضي الله عنه
مطلاقا منكاحا ووجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امراتين وقال قل لهما اعتدا وامره ان يدفع الى كل واحدة عشرة
الاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احديهما فنكست راسها وسكتت واما الاخرى فبكت وانتحبت
وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امراة بعدما فارقتها لراجعتها
ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه
ضربت المثل عائشة حيث قالت لو لم اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه في مجلسه وقال الا ارسلت
الي فكنت اجيئك فقال الحاجة لنا فقال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع راسه فقال
والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز علي منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلاق واخاف
ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك فانك بضعة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن رضي الله عنه وقام وخرج وقال بعض
اهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه
يضجر من كثرة تطليقه وكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام
رجل من همدان فقال والله يا امير المومنين لننكحنه ما شا فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا رضي الله
عنه فقال **هذا الشعر** ولو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام وهذا تنبيه على ان من
طعن في حبيبه من اهل وولد بنوع حيا فلا ينبغي ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة
ما امكن فان ذلك اسر لقلبه واوفق لباطن رايه والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله
الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته **الرابع** ان لا يفشي سرها لا في الطلاق
ولا عند النكاح فقد ورد في افشا سر النسا في الخبر الصحيح وعيد عظيم ويروى عن بعض الصالحين انه اراد
طلاق امراة فقيل له ما الذي يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال ما لي ولامراة
غيري فهذا بيان ما على الزوج **القسم الثاني من هذا الباب** النظر في حقوق الزوج عليها والقول الشافي
فيه ان النكاح نوع رق وهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد نوع

في تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة
وكان رجل خرج الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في الاسفل فمرض فارسلت
المراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذن في النزول الى ابيها فقال عليه السلام اطيعي زوجك فمات
فاستامرته فقال اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها ان الله قد غفر عت
لابيها بطاعتها لزوجها وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت
زوجها دخلت جنة ربها واضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
النسا فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات باولادهن لولا ما ياتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن
الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها النسا فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن
ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر اخر اطلعت على الجنة فاذا اقل اهلها النسا فقلت اين النسا قيل
شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عائشة رضي الله عنها اتت فتاة الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله اني فتاة اخطب واني اكره التزويج فما حق الزوج على المراة قال لو كان
من قرنه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت فلا اتزوج قال بلى تزوجي فانه خير وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اتت امراة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت اني امراة ايم واريد ان اتزوج
فما حق الزوج فقال ان من حق الزوج على الزوجة اذا ارادها على نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه
ان لا تعطي شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا
الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت
لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت
المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال عليه السلام اقرب ما تكون المراة من وجه ربها اذا كانت
في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها افضل من صلاتها في صحن
دارها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم المراة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال ايضا للمراة عشر عورات واذا تزوجت ستر الزوج عورة
واحدة فاذا ماتت ستر القبر عشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة
والستر والاخر ترك المطالبة بما ورا الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النسا
في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امراته او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر
ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة كان
فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة
بنت اسمعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله ما لي همة في النسا لشغلي طريقا
بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت ان انفقه على
اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا الى الله فقال حتى استاذن استاذي فرجع الى ابي سليمن قال وكان ينهاني في
عن التزويج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية الله هذا كلام
الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كن من جص ففني من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن
غسل بالاشنان قال فتزوجت عليها ثلث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك
الى ازواجك وكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة ومن الواجبات عليها ان لا تفرط في ماله
بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب الذي يخاف فساده فان
اطعمت عن رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقها على الوالدين تعليمها

عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه فالقدر ضرره مع انه لا ينفعه وليته يتخلص منه راسا براس وهيهات فخطر العلم
عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم يتفق الاصابة
لم يطمع في سلامة الاذلال بل لا بد من لزوم افضح الاحوال فان قلت ففي الرخصة في المناظرة فائدة وهو ترغيب الناس في طلب العلم
اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان
واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم
ولا يدل على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره
ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله الشمع
الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله النار المحرقة
التي تاكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد
نفسه وغيره وهم الداعون الى الله عز وجل ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الاخرة
وقد رفض الدنيا في الظاهر وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد
له ولا تظن ان الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسياتيك في كتاب الرياء من ربع المهلكات ما ينفي عنك
الريبة فيه ان شاء الله عز وجل

الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم

اما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة ولكن ينتظم تفاريقها عشر جمل الوظيفة الاولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف
اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا
بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق
وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة الاسلام وكذلك ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى
انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة فالمشرك قد يكون
نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد
منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب
والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى يدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه
الله عز وجل في القلب الا بواسطة الملائكة لقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهكذا
ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما يتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤون عن المذمومات
فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله عز وجل الا طيبا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب
وبالكلب الغضب والصفات ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه
للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء
والابرار ومعنى الاعتبار ان يعبر مما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون له فيها عبرة
بان يعبر منها الى نفسه لكونه ايضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه
الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه
وتعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى روح الكلبية وهو السبعية واعلم
ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة
ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الاخرة تتبع الصور
المعاني وتغلب المعاني الصور فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره

ذئبا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر
والابصار فان قلت كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الاخرة
الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه
سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم
في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية
اذ قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم
تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا فلم ينكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه
والفاظه فان قلت اني ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا في جملة الفحول واخلاقهم
ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الاخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث
كونه علما لله اذا قصدوا به التقرب الى الله وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان

الوظيفة الثانية

ان يقلل علائقه من اشغال الدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته
كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض
بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ الزرع

الوظيفة الثالثة

ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر
على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي
ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي رحمه الله صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلة ليركبها
فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس هكذا
امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على العلم ومن تكبره على العلم
ان يستنكف من الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب
مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى الهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد
من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ولذلك
قيل العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع
وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما القي اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم
لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق في
التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه
يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب
منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر عليه السلام انك لن تستطيع معي صبرا
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا
ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا دون اختيار
المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال الله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالسؤال مامور به فاعلم
انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم يبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليهما
السلام عن السؤال اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهل له وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة
من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السؤال وقد قال علي رضي الله عنه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته

المرموق المشهور

حسن المعيشة وآداب العشرة مع الزوج كما روي أن أسماء بنت خارجة الفزاري قال لابنته عند التزوج إنك خرجت من العش
الذي فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك
عمادا وكوني له أمة يكن لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك إن دنا فاقربي منه وإن نأى فابعدي
عنه واحفظي أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا **وقال رجل لزوجته**
خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب ولا تنقريني نقرك الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيب
فإني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب والقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل أن تكون
قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول
تحفظ بعلها في غيبته وتطلب مسرته في جميع أمورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن خرجت بإذنه
مختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها
بشخصها لا تتعرف إلى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه همها صلاح شأنها وتدبير بيتها
مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده في
الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها متنظفة
في نفسها مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء مشفقة على أولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الأولاد
ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين امرأة آمت من زوجها وحبست نفسها يتيمة
على بناتها حتى يبلغن أو يمتن وقال صلى الله عليه وسلم حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي غير أني أنظر عن يميني
فإذا امرأة تبادرني إلى باب الجنة فأقول ما لهذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى
لها فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها
ولا تزدري زوجها لقبحه فقد روي أن الأصمعي قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها تحت رجل
من أقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد أسأت في قولك
لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي أفلا أرضى بما رضي الله
فأسكتتني **وقال الأصمعي** رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما أبعد هذا من
هذا فقالت **شعر** ولله مني جانب لا أضيعه وللهو مني والبطالة جانب ثم من آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض
في غيبة زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال عن معاذ بن
جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه
قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا ومما يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها
أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر وتجتنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت أبي سلمة دخلت على
أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت
به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا ويلزمها لزوم
مسكن النكاح إلى آخر العدة وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة **ومن آدابها** أن تقوم بكل خدمة
في الدار تقدر عليه فقد روي عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما أنها قالت تزوجني الزبير وما له في الأرض من
مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه
وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلي أبو بكر بخادم فكفتني
سياسة الفرس فكأنما أعتقني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه أصحابه رضوان الله عليهم والنوى على رأسي
فقال صلى الله عليه وسلم إخ إخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس

فعرف رسول الله أني قد استحييت فجئت الزبير فحكيت ما جرى فقال والله لحملك النوى على رأسك أشد علي من
ركوبك معه

كتاب آداب الكسب والمعاش وهو الكتاب الثالث من ربع العادات

من كتب إحياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله حمد موحد تمحق في توحيده ما سوى
الواحد الحق وتلاشى ونمجده تمجيد من يصرح بأن كل شيء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى وأن كل من في السموات
والأرض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا ونشكره إذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد الأرض
بساطا لهم وفراشا وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا لينتشروا في ابتغاء فضله
وينتعشوا به عن ضرعة الحاجات انتعاشا ونصلي على رسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد
ورودهم عليه عطاشا وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا وسلم كثيرا
أما بعد فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التمحل
والاضطراب والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة
إلى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها والناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده
فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذي
شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد
ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة وها نحن نورد
آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة أبواب **الباب الأول**
في فضل الكسب والحث عليه **الباب الثاني** في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات **الباب الثالث**
في بيان العدل في المعاملة **الباب الرابع** في بيان الإحسان فيه **الباب الخامس**
في شفقة التاجر على دينه

الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه أما من الكتاب فقوله
تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون
فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم وقال تعالى وآخرون يضربون
في الأرض يبتغون من فضل الله وقال فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله **وأما الأخبار** فقد قال صلى
الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة وقال عليه السلام التاجر الصدوق يحشر
يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على
عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم
فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى
الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل
الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تفاخرا
وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس وفي
الخبر يبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي الخبر إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف وقال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل
الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح وقال صلى الله عليه وسلم
عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق وروي أن عيسى صلوات الله عليه رأى رجلا فقال له ما تصنع
فقال أتعبد قال من يعولك قال أخي قال أخوك أعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم إني لا أعلم شيئا يقربكم من الجنة
ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به ولا أعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن
الروح الأمين نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب
أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية

المهنة الخدمة

في الجواب ولا يلح عليه اذا كسل ولا ياخذ بثوبه اذا نهض ولا يفشي له سرا ولا يغتابن عنده احدا ولا يطلبن عثرته وان زل
قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله عز وجل ما دام يحفظ امر الله تعالى ولا تجلس امامه وان كان له حاجة سبقت القوم
الى خدمته **الوظيفة الرابعة** ان يحترز الخائض في العلم في مبدا الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه
من علوم الدنيا او علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل
ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا
باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحترز منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان
وارشادهم ومن هذا حاله فهو بعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام
عن مخالطة الكفار وندب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولذلك يمنع العاجز
عن التهجم على صف الكفار ويندب له الشجاع ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء
بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك ان وظايف الاقوياء تخالف وظايف الضعفاء ولذلك قال بعضهم
من راني في البداية صار صديقا ومن راني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح
الا عن رواتب الفرض فيتراءى للناظر انه بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود
والحضور وملازمة الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى في ظاهره انه هفوة
يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بان اضعاف هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز
فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه الى صفته والقليل
يغلب الكوز ويحيله الى صفته ومثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من
القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه
حتى يجر الى معصية الله تعالى في طلب رضاهن فما افلح من قاس الملائكة بالحدادين **الوظيفة الخامسة**
ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده
العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم فاستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط
بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال الله تعالى واذ لم يهتدوا
به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم على
درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود
والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الاخرة اذا قصد به وجه الله تبارك
وتعالى **الوظيفة السادسة** ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي
منه بشمة ويصرف جمام قوته في الميسور عليه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسمي المعاملة
والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله عز وجل ولست اعني به الاعتقاد الذي تلقفه العامي
وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو
ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن
بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فلعمري ان ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد
على العامي الا في الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان لا يعجز عنه عمر وعثمان وعلي وساير الصحابة حتى كان يفضلهم
ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ثم يزدري ما يسمعه على
وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغي ان تتئد في هذا فعنده ضيعت راس المال فكن حريصا
على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم
وغايتها معرفة الله وهو بحر لا يدرك غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء عليهم السلام ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد

روي انه رؤي صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد في يد احدهما رقعة وفيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك
احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان عرفت الله
سبحانه اشرب واظما حتى اذا عرفته تعالى رويت بلا شرب **الوظيفة السابعة** ان يعرف السبب الذي
به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم
الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحياة الابدية وثمرة الاخر الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم
الحساب وعلم النجوم فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها وان نسبت الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار
ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى ولذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا
يتبين ان اشرف العلوم العلم بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك ان ترغب
الا فيه وتحرص الا عليه **الوظيفة الثامنة** ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المال
القرب من الله عز وجل والترقي الى جوار الملا الاعلى من الملائكة المقربين ولا يقصد به الرياسة والمال ومماراة السفهاء
ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو علم الاخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر
بعين الحقارة الى ساير العلوم اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات
والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا يفهمن من غلونا في الثناء على علم الاخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون
بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم
الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن اجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله تعالى والفضيلة بسببه
دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال الله تعالى هم درجات
عند الله واستصغارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن
الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم للاولياء ثم للعلماء الراسخين ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم
وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن قصد الله تعالى بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة **الوظيفة التاسعة**
ان تعلم نسبة العلوم الى المقصد كيلا تؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا
والاخرة واذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة كما نطق به القران وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان
فالاهم ما يبقى ابد الاباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله عز وجل
ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله تعالى والنظر الى وجهه
الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها
بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت وتممت حصل لك العتق والملك
جميعا وان ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون
سعادة الملك فله ثلاثة اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة
والاخر السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل **والثالث الاشتغال** باعمال الحج ركنا بعد ركن
ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحقاق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول
اعداد الاسباب الى اخره ومن اول سلوك البوادي الى اخره ومن اول اركان الحج الى اخره وليس قرب من ابتدا باركان الحج
من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدا بالسلوك بل هو اقرب منه فالعلوم ايضا ثلاثة اقسام
قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى
سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون
والاخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق
البوادي دون سلوكها فكذلك لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري

فان الله تعالى لا يبالي باى اودية معصيته وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق موايد الله تعالى فمن اتاها اصاب منها وقال صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من ان ياتي رجلا اعطاه الله من فضله فيساله اعطاه او منعه وقال من فتح على نفسه بابا من السوال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر **واما الاثار** فقد قال لقمن الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروته واعظم من هذه الثلث استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السما لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت استغن عن الناس يكن اصون لدينك واكرم لك عليهم كما قال صاحبكم احيحة فلن ازال على الزورا اعمرها ان الكريم على الاخوان ذو المال وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر اخرته وسيل ابرهيم عن التاجر الصدوق اهو احب اليك ام المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطا فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه ما من موضع ياتيني الموت فيه احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع في فاذكر استغناي عنه فيهون ذلك علي وقال ايوب كسب فيه شي احب الي من سوال الناس وجات ريح عاصف في البحر فقال اهل السفينة لابرهيم بن ادهم اما ترى هذه الشدة فقال ما هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيا حتى ياتيني رزقي فقال هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وقال ابو قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد وروي ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانه بلغني انه من وقف موقف مذلة في طلب حلال وجبت له الجنة وقال ابو سليمن ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدا برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد وقال معاذ بن جبل ينادي يوم القيمة اين بغضا الله في ارضه فيقوم سوال المساجد فهذه مذمة الشرع للسوال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه عن ذلك الا الكسب والتجارة فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وقيل لسلمان الفارسي اوصنا فقال من استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خاينا **فالجواب** ان وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة افضل مطلقا من كل شي ولكن التجارة اما ان يطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا ليصرف الى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا التي حبها راس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظالما خاينا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراد سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خاينا واراد بالتاجر طالب الزيادة **فاما** اذا طلب بها الكفاية لنفسه واولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسوال وكان يعطى من غير سوال فالكسب افضل لانه انما يعطى لانه سايل بلسان حاله ومنادي بين الناس بفقره فالتعفف والتستر اولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات او عالم يشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وامثالهم او رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل امورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهولا اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح او الاوقاف المسبلة

على العلما والفقرا فاقبالهم على ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان كن من التاجرين لانه كان جامعا لهذه المعاني الاربعة الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة رضي الله عنهم على ابي بكر رضي الله عنه بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان ياخذ كفايته من مال المصالح وراى ذلك اولى ثم لما توفي اوصى برده الى بيت المال ولكنه راه في الابتدا اولى ولهولا الاربعة حالتان احدهما ان تكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكوة او صدقة من غير حاجة الى سوال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة للناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم او فضل لهم **الحالة الثانية** الحاجة الى السوال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويناها في السوال وذمه تدل ظاهرا على ان التعفف عن السوال اولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بان يقابل ما يلقى في السوال من المذلة وهتك المروة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم او العمل ويهون عليه بادنى تعريض في السوال تحصيل الكفاية ورب شخص يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغي ان يستفتي المريد فيه قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال ولقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين بهم يتقلدون منة من قبولهم خيراتهم وكان قبولهم لخيراتهم خيرا مضافا لهم الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر الاخذ كاجر المعطي مهما كان الاخذ يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن طيبة قلب ومن اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل له بالاضافة الى حاله ووقته والله اعلم فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعا لاربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابا ونبتدي بذكر اسباب الصحة في الباب الثاني والله اعلم

الباب الثاني في علم الكسب

بطريق البيع والربوا والاجارة والسلم والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب اعلم ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب يحتاج الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسال فانه اذا لم يعلم اسباب الفساد بعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسوال ولو قال لا اقدم العلم ولكني اصبر الى ان تقع لي الواقعة فعندها اتعلم واستفتي فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من تفقه والا اكل الربوا شاء ام ابى وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهي البيع والربوا والسلم والاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها

العقد الاول البيع وقد احله الله وله ثلثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ

الركن الاول العاقد فينبغي للتاجر ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبي والمجنون والعبد والاعمى لان الصبي غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل ولا يصح بيع الصبي وان اذن فيه الولي عند الشافعي وما اخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه اليهما في المعاملة فضاع في ايديهما فهو المضيع له واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراوه الا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم ان لا يعاملوا العبيد ما لم ياذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بان يسمعه صريحا او ينتشر في البلد انه ماذون في الشرا لسيده والبيع له فيعول على الاستفاضة او على قول عدل يخبره بذلك فان عامله بغير اذن السيد فعقده باطل وما اخذه منه مضمون عليه لسيده وما سلمه اليه ان ضاع في يد العبد

يجري مجرى الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز
بالسعادة والنجاة حاصل لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد وهو السلامة وأما الفوز بالسعادة فلا ينالها إلا العارفون وهم
المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة
كما قال الله عز وجل فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وكل
من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال
ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة
في الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فتحقق وحال
غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم
المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق
المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون
الذي يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناحية
الفقيه وأما أسباب الصحة فهو في ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان وأشار إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة — العلم
الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة فإن قلت لم شبهت علم الفقه والطب بإعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعي إلى الله عز وجل
لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله تعالى لا يدركه الحس ولطيفة
من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وأخرى بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر
وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا
رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية وإنما هو أمر إلهي كما
قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر
الأعضاء من البدن فلله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله المتقدمة بهذه الرتبة
على السموات والأرضين والجبال إذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا تعريضا بقدمها فالقائل بقدم الأرواح مغرور
جاهل لا يدري ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية
إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها وأما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها في
طريق الله تعالى كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء الذي يفتقر إليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن
فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى أن الطب كذلك فإنه يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الإنسان وحده لاحتاج
إليه والفقه يفارقه في أنه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل
بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى المخالطة
والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم
بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الأخلاط المتنازعة
من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب وعلم طريق اعتدال الأحوال
الناس في المعاملات والأفعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه
ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشرى الناقة وعلفها وشرى الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقائق
الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها يستحكم الخيط الذي تخرز به راوية الحج
ونسبة هؤلاء من السالك لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالك طريق الحج أو ملابس أركانها فتأمل
هذا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل إليه إلا بعد جهد شديد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة في
النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم **بيان وظائف المعلم المرشد** اعلم أن للإنسان في علمه

٢٥

أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال
وحال إنفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتنى كالمال
فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير
وهو أشرف الأحوال فمن علم وعمل وعلّم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في
نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا
يقطع وكالإبرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق فما هو إلا ذبالة تضيء للناس وهي
تحترق ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه **الوظيفة الأولى** الشفقة
على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم مثل الوالد لولده بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة
وهو أهم من إنقاذ الأبوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الأبوين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر
والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية
الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك
وإهلاك نعوذ بالله منه وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد
التحاب ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصودهم الدنيا فإن العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق
الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التوادد والتحابب
فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع
ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب
قوله إنما المؤمنون إخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين **الوظيفة
الثانية** أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكورا
بل يعلم لوجه الله وطلبا للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ
هذبوا قلوبهم لأن يتقرب إلى الله بزراعة العلوم فيها كالذي يعير الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها
تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت
هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله كما قال الله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا فإن المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن
مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بمحاسنه
لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الأكبر
مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الذين يزعمون أن مقصودهم
التقرب إلى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فإنهم يبذلون المال والجاه ويتحملون
أصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف إليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم
أن يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في أوطاره فإن قصر في حقه
ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من أن يقول غرضي من
التدريس نشر العلم تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات **الوظيفة
الثالثة** أن لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي
قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح
ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده فإن علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم
الذي يطلبه فإن كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فإن
هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث

الآخرة ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصودهم صح

لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل لوليه الا المطالبة به اذا اعتق واما الاعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح
فليامره بان يوكل وكيلا بصيرا ليشتري له او يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله بنفسه فالمعاملة
فاسدة وما اخذ منه مضمون عليه بقيمته وما سلمه اليه ايضا مضمون له بقيمته واما الكافر فتجوز معاملته
لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح ان كان من اهل الحرب فان فعل فهي معاملات
مردودة وهو عاص بها ربه واما الجندية من الاتراك التركمانية والعرب والاكراد والسراق والخونة واكلة
الربوا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان يتملك مما في ايديهم شيئا لاجل ان اكثرها حرام الا ما عرف بعينه انه
حلال وسياتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام **الركن الثاني** في المعقود عليه وهو المال المقصود
نقله من احد العاقدين الى الآخر ثمنا كان او مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط **الاول** ان لا يكون نجسا في عينه
فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والاواني المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر
الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الخمر ولا الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل
وان كان يصلح للاستصباح او طلاء السفن ولا باس ببيع الدهن الطاهر الذي نجس بوقوع نجاسة او موت
فارة فيه فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا ارى باسا ببيع بزر القز فانه اصل
حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل حيوان اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى
بطهارتها اذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة **الثاني** ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات والفار
والحية ولا التفات الى انتفاع المشعبذ بالحية وكذلك انتفاع ارباب الحلق في اخراجها من السلة وعرضها
على الناس ويجوز بيع الهرة والنحل وبيع الفهد والاسد وما يصلح لصيد او ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لاجل الحمل
ويجوز بيع الطوطي وهو الببغا والطاوس والطيور المليحة الصورة والصوت وان كانت لا تؤكل فان التفرج
باصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح وانما الكلب هو الذي لا يجوز ان يقتنى اعجابا بصورته لنهي رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي فانه لا منفعة لها شرعا وكذا بيع الصور
المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الاعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا وصور الاشجار
يتسامح بها واما الثياب والاطباق التي عليها صور الحيوان يصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعايشة رضي الله عنها اتخذي منها نمارق ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة فاذا جاز الانتفاع
من وجه صح البيع لذلك الوجه **الثالث** ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او ماذونا من جهة المالك
ولا يجوز ان يشتري من غير المالك انتظارا للاذن من المالك بل لو رضي بعد ذلك وجب استيناف العقد ولا ينبغي
ان يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على انه لو عرف رضي به
فانه اذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وامثال ذلك مما يجري في الاسواق فواجب على العبد المتدين ان
يحترز منه **الرابع** ان يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح
بيعه كالآبق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع
لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعه
ايضا وكذا بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الام لان تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح
التفريق بينهما بالبيع **الخامس** ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف اما العلم بالعين فبان يشير اليه
بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع اي شاة اردت او ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك او ذراعا من هذا
الكرباس وخذه من اي جانب شئت او عشرة اذرع من هذه الارض وخذه من اي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك
مما يعتاده المتساهلون في الدين الا ان يبيع نصف الشيء او عشره فان ذلك جائز **واما العلم** بالقدر فانما يحصل
بالكيل والوزن او النظر اليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك

شائعا مثل ان يبيع

بزنة

هذه الصنجة فهو باطل اذا لم تكن هذه الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة او بعتك بهذه
الصرة من الدراهم او بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار
واما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الاعيان فلا يصح بيع الغايب الا اذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب
التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العين هذا احد المذهبين ولا يجوز بيع الثوب في المنسوج اعتمادا على الرقوم
ولا بيع الحنطة في سنبلها ويجوز بيع الارز في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع اللوز والجوز في القشرة السفلى ولا
يجوز في القشرتين ويجوز بيع الباقلي الرطب لتفرقة الحاجة ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الاولين به ولكن
يجعله اباحة بعوض فلو اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لانه ليس مستتر الخلقة ولا يبعد ان يتسامح به اذ
في اخراجه افساده كالرمان وما يستتر خلقة **السادس** ان يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه
بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض ويستوي فيه العقار والمنقول
فكل ما اشتراه وباعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه
بشرط الكيل لا يتم الا بان يكيله فاما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة فهو
جائز قبل القبض **الركن الثالث** لفظ العقد ولا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود منهما
اما صريح او كناية فلو قال اعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلت جاز مهما قصدا به البيع فانه قد
يحتمل الاعارة اذا كان في ثوبين او دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية
تفيد الملك والحل ايضا فيما نختاره ولا ينبغي ان يقرن بالبيع شرط على خلاف مقتضى العقد فلو شرط ان يزيد
شيئا او ان يحمل المبيع الى داره او اشترى الحطب بشرط النقل الى بيته كل ذلك فاسد الا اذا افرد استئجاره
على النقل باجرة معلومة عن الشراء للمنقول ومهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد
البيع عند الشافعي رحمه الله اصلا وانعقد عند ابي حنيفة رحمه الله ان كان في المحقرات ثم ضبط المحقرات
عسير فان رد الامر الى العادات فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة اذ يتقدم الدلال الى البزاز ياخذ منه
ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله الى المشتري ويعود اليه بانه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فياخذ
من صاحبه العشرة ويسلمه الى البزاز فياخذه ويتصرف فيه ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب
وقبول اصلا ويجتمع المجهزون على حانوت البياع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فمن يزيد فيقول هذا
علي بتسعين ويقول الآخر علي بخمسة وتسعين ويقول الآخر بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم وياخذ المتاع من غير
ايجاب وقبول وقد استمرت به العادات وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات ثلث
اما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد احل الله
تعالى البيع والبيع اسم للايجاب والقبول ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم فبماذا يحكم
بانتقال الملك من الجانبين لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب والثياب النفيسة وما يكثر
التنازع فيها اذ للمسلم ان يرجع ويقول قد ندمت وما بعته ولم يصدر مني الا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع
الاحتمال الثاني ان نسد الباب كما قاله الشافعي رحمه الله وفيه اشكال من وجهين احدهما انه يشبه
ان يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمن الصحابة رضي الله عنهم ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول
مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الاعراض بالكلية
عن تلك العادة فان الاعصار في مثل هذا تتفاوت والثاني ان الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الانسان
شيئا من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان البائع قد تملكه بالمعاطاة فاي فائدة في تلفظه بالعقد اذا كان الامر
كذلك **الاحتمال الثالث** ان نفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله ابو حنيفة رحمه الله وعند ذلك يعسر
الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج رحمه الله الى تخريج قول للشافعي

رحمه الله

وما كان الاولون يشتغلون به وعلم الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلم الطالب وقصده الدنيا فلا
باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن ينبهه في اثناء الامر وآخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله
المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك ان يرده الى الصواب بالآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه
مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل
وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلافيات المحضة ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات
الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله وتماديا في الضلال وطلبا للجاه الا من
تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر
لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله اعلم وقد رأى سفيان الثوري حزينا فقيل له ما لك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا
احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا **الوظيفة الرابعة** وهو من دقائق صناعة التعليم ان يزجر
المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب
الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم
لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة آدم وحواء وما نهيا عنه
فما ذكرت لك القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان
الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته **الوظيفة
الخامسة** ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح علم الفقه
ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شان العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام
ينفر عن الفقه ويقول ذلك فرع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين
ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم ينبغي ان يراعي
التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة **الوظيفة السادسة** ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه
عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء بسيد البشر حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على
قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها وقال صلى الله عليه وسلم ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم
الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان هاهنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه
فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف
فيما لا يفهمه وقال عيسى صلوات الله عليه لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر
من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت
المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم
القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقهه وكتمته فليلجمني وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
تنبيها على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق وما احسن ما قال
الشافعي رحمه الله فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم **الوظيفة السابعة** ان المتعلم القاصر
ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه
ويوهم اليه البخل به اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله في كمال عقله واشدهم حماقة واضعفهم
عقلا اسرهم فرحا بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد الماثورة عن السلف من غير
تاويل ومن غير تشبيه وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك لا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى
وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين
المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم

العبادات وتعليم الامانة في الصناعات التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما
نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلق الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة
لا ينبغي ان يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص
الوظيفة الثامنة ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر
والعمل يدرك بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس
لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس منه واتهموه وزاد حرصهم عليه ويقولون لولا انه اعظم الاشياء والذها لما
كان يستاثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والعود من الظل فكيف ينتقش الطين بما لا نقش
فيه ومتى استوى الظل والعود اعوج ولذلك قيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال الله تعالى
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكثر من وزر الجاهل اذ يزل بزلته عالم فيقتدون به ومن سن
سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك
فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه

الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما تقدم من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء
السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا
وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ويروى عنه ايضا انه قال صلى الله عليه وسلم لا يكون
المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب
فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ايضا لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به
السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال عليه السلام من كتم علما عنده الجمه الله بلجام من نار وقال ايضا لانا
من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال الائمة المضلون وقال ايضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا
بعدا وقال عيسى صلوات الله عليه الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم
خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة **واما الآثار**
فقد قال عمر رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل
وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة رضي الله عنه اني اريد ان
اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة اي الناس اطول ندامة قال اما في عاجل
الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه
يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه
ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه وقال الثوري يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك
لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما تلعب
به الدنيا وانشد عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا
يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به العالم الفاجر وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى
بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت
آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله تعالى
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا
انه ثالث ثلاثة ولكن انكروا بعد المعرفة اذ قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال الله تعالى
واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي كتاب الله

علما

وقال الحسن عقوبة العلماء

على وفقه وهو اقرب الاحتمالات الى الاعتدال فلا باس لو ملنا اليه لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق وللغلبة على الظن بان ذلك كان معتادا في الاعصار الاول فاما الجواب عن الاشكالين فهو ان يقول اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فان ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان اذ لا يخفى ان شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود في المحقرات التي لا يعتاد فيها الا المعاطاة وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ويستبرد تكلفه لذلك ويستثقل وينسب الى انه يقيم الوزن لامر حقير لا وزن له فهذا طرف الحقارة **والطرف الثاني** الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيها وبينهما اوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم الى اطراف واضحة واوساط مشكلة **واما الثاني** وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل باليد اخذا وتسليما سببا اذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل للدلالة وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها واي فرق بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك لا بد من نقله في الهبة ايضا الا ان العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه اعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين ان لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ولا ينبغي ان يمتنع بان البائع قد تملكه بغير ايجاب وقبول فان ذلك لا يعرفه تحقيقا فربما اشتراه بايجاب وقبول فان كان حاضرا عند شرائه او اقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشيء محقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ فانه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن فان قلت امكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل اذا حضر في ضيافة او على مائدة وهو يعلم ان اصحابها يكتفون بالمعاطاة او سمع منهم ذلك او رآه ايجب عليه الامتناع من الاكل فاقول يجب عليه الامتناع من الشراء اذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات واما الاكل فلا يجب الامتناع منه فاني اقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي ان نتردد في جعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة اوسع وامر نقل الملك اضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة الحال كاذن الحمامي في دخول الحمام والاذن في الاطعام لمن يريده المشتري فينزل منزلة ما لو قال ابحت لك ان تاكل هذا الطعام او تطعم من اردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه لحل الاكل ويلزمه الضمان بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة اكل ملكه وتسلط له فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وان كان قادرا على مطالبته فانه لا يتملك ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين ان يصرفه الى دينه فعليه المراجعة واما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد ان يجعل الفعل دلالة على الرضا بان يستوفي دينه مما سلم اليه فياخذه بحقه لكن على الاحوال جانب البائع اغمض لان ما اخذه قد يريد الملك فيه ليتصرف ولا يمكنه التملك الا اذا تلف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول واما جانب المشتري للطعام فهو ان يريد الا الاكل فهين فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من قال هذا ان الضيف يضمن ما اتلفه وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البائع ما اخذه من المشتري فيكون كالقاضي دينه والمتحرز عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون اوردناها ولا يمكن بناء الفتوى الا على هذه الظنون واما الورع فانه ينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبه

العقد الثاني عقد الربا وقد حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على الاطعمة اذ لا ربا الا في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل اما النسيئة فلا يبيع

شيئا

ان

ان فقد

من جواهر النقدين بشيء من جواهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة به حرام من حيث النساء ومن حيث ان الغالب انه يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه واما الفضل فليحترز منه في ثلاث في بيع المكسر بالصحيح فلا تجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان يشتري رديا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل **والثالث** في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليه اصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة عليه اذا لم تقابل بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس اذا لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليه لان المقصود منه النقرة وهي مجهولة وان كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة اصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشتري بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة وبما اريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفي ان يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا ان يبيعه بل بالفضة يدا بيد ان لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بالذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى او لم يختلف فان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشتري به اللحم نقدا او نسيئة فهو حرام او معاملة الخباز بان يسلم اليه الحنطة ويشتري به الخبز منه نسيئة او نقدا فهو حرام او معاملة العصار بان يسلم اليه البزر والسمسم والزيتون ليأخذ منه الادهان وهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر اجزاء اللبن فلا يباع الطعام بغير جنسه الا نقدا وبجنسه الا نقدا ومماثلا وكل ما يتخذ من الشيء فلا يجوز ان يباع به متماثلا ومتفاضلا فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متماثلا ومتفاضلا فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها اذا تشكك والتبس عليه واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري

العقد الثالث السلم وليراع التاجر فيه عشرة شروط **الاول** ان يكون راس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمة راس المال فان اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر حنطة لم يصح في احد القولين **الثاني** ان يسلم راس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم **الثالث** ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين واشباهها ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما تختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة اجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه **الرابع** ان يستقصي وصف هذه الامور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتا لا يتغابن به الا ذكره فان ذلك هو القائم مقام الرؤية في البيع **الخامس** ان يجعل الاجل معلوما ان كان مؤجلا فلا يؤجل الى الحصاد والى ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان الادراك قد يتقدم ويتأخر **السادس** ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فان كان

والغالب وجوده

فالنظر الى الشهوات فتشبه بالكلب اى سواء اوتى الحكمة اولم يوت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى صلوات الله عليه مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والاثار تبين ان العالم الذى هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم علماء الاخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الاخرة وصفاءها ودوام نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين ومهما ارضيت احديهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتى الميزان مهما رجحت احديهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت عن الاخر وانهما كقدحين احدهما مملو والاخر فارغ فبقدر ما تصب منه فى الاخر حتى يمتلى يفرغ الاخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الاخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان الجمع بينهما طمع فى غير مطمع فهو جاهل بشرايع الانبياء كلهم بل هو كافر بالقران من اوله الى اخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يوثر الاخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته وفى اخبار داود صلوات الله عليه ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتى ان احرمه لذيذ مناجاتى يا داود لا تسال عنى عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى اولئك قطاع طريق على عبادى يا داود اذا رايت لى طالبا فكن له خادما يا داود من رد الى هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا ولذلك قال الحسن رضى الله عنه عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الاخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازى انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال عمر رضى الله عنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال مالك بن دينار قرات فى بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتى من قلبه وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى اهل العلم فى نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازى يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين المحمدية وانشد الشاعر

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين اترى ان من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله قال لا اشك ان من تكون الدنيا اثر عنده من الاخرة لا يعرف الله وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الاخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا لى وقد دفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهى ان احدث ولو ذهبت عنى شهوة الحديث حدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشتهه فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم من كل تنعم فى الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك قال الثورى فتنة الحديث اشد من فتنة المال والاهل والولد فكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والاخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلصون على وجل حتى يختم له به وقال ابو سليمان الدارانى اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر فى طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذى لا يحتاج اليه فى طريق الاخرة وقال عيسى صلوات الله عليه كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى الاخرة وهو مقبل على طريق الدنيا وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن حسان البصرى ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى ابو هريرة انه عليه السلام قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الاخرة بالخشوع والزهد فقال تعالى فى علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله ثمنا قليلا وقال تعالى فى علماء الاخرة وان من اهل الكتاب

لمن

۲۷۰

لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله لهم اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون فى زمرة الانبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين وفى معنى القضاة كل فقيه طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء ان النبى عليه السلام قال اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب والسنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياى يخادعون وبى يستهزؤن لافتحن لهم فتنة تذر الحليم حيران وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال علماء هذه الامة رجلان رجل اتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيمة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل اتاه الله علما فى الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا ياتى يوم القيمة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رؤس الخلايق هذا فلان بن فلان اتاه الله علما فى الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الناس واشد من هذا ما روى ان رجلا كان يخدم موسى صلوات الله عليه فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام فجعل يسال عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل اسود فقال له موسى عليه السلام اتعرف فلانا قال نعم وهو هذا الخنزير فقال موسى عليه السلام يا رب اسالك ان ترده الى حاله حتى اساله فيم اصابه هذا فاوحى الله تعالى اليه لو دعوتنى بالذى دعانى به ادم ومن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما روى عن معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا فى رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يومن على صاحبه الخطاء وفى الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شئ من علمه او تهوون بشئ من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرايب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطاء والله يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك فى الدرك السابع من النار عليك بالصمت فيه تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشى فى غير ارب وفى خبر اخر ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروى ان الحسن انصرف من مجلسه فجاءه رجل من خراسان بكيس فيه خمسة الاف درهم وعشرة اثواب من دقيق البز وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم القيمة ولا خلاق له وروى عن جابر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالما يدعوكم من الخمس الى الخمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة قال الله تعالى فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فعرف اهل العلم بايثار الاخرة على الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشئ ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال فى قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه وقال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال الله تعالى لعيسى صلوات الله عليه يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسرى بى بقوم كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال عليه السلام هلاك امتى عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال

... أو يعجز عن التسليم بسبب آخر فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال **السابع** أن يذكر
مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كيلا يثير ذلك نزاعا **الثامن** أن لا يعلقه بعين فيقول من حنطة
هذا الزرع أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يبطل كونه دينا نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك
التاسع أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها أو جارية حسناء معها ولدها أو غير
ذلك مما لا يقدر عليه غالبا **العاشر** أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه أو لم
يكن ولا يسلم في نقد إذا كان رأس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربا **العقد الرابع الإجارة** وله ركنان
الأجرة والمنفعة فأما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والأجرة كالثمن فينبغي أن يكون معلوما وموصوفا
بكل ما شرطناه في المبيع إن كان عينا وإن كان دينا فينبغي أن تكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن أمور
جرت العادة بها وهو كرا الدار بعمارتها فذلك باطل إذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكتري أن
يصرفها إلى العمارة لم يجز لأن عمله في الصرف إلى العمارة مجهول ومنها استيجار السلاخ على أن يأخذ الجلد بعد السلخ واستيجار
حمال الجيف بجلد الجيفة واستيجار الطحان بالنخالة أو ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله
وانفصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يجعل أجرة ومنها أن يقدر في إجارة الدور والحوانيت مبلغ الأجرة فلو قال لكل شهر
دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الإجارة **الركن الثاني المنفعة المقصودة**
بالإجارة وهي العمل وحده أن كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير يجوز الاستيجار
عليه وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول شرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات وإنما
نشير إلى ما يعم به البلوى فليراع في العمل المستأجر عليه أمور خمسة **الأول** أن يكون متقوما بأن يكون فيه كلفة وتعب
فلو استأجر متاعه ليزين به الدكان أو أشجارا ليجفف عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فإن هذه المنافع
تجري مجرى حبة السمسم وتبر من الأعيان وذلك لا يجوز بيعهما ولهذا لو استأجر بياعا على أن يتكلم بكلمة تروج بها سلعته
لم يجز وما يأخذ البياعون عوضا عن جاههم وحشمتهم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة
لا تعب فيها ولا قيمة لها وإنما يحل لهم إذا تعبوا إما بكثرة التردد وإما بكثرة الكلام في تأليف أمر المعاملة ثم لا يستحقون
إلا أجرة المثل فأما ما تواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذا بالحق **الثاني** أن لا يتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة
فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاعه وإجارة المواشي للبنها وإجارة البساتين لثمارها ويجوز استيجار المرضعة ويكون اللبن
تابعا لأن إفراده غير ممكن وكما يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لأنهما لا يقصدان على حيالهما **الثالث** أن يكون
العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استيجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استيجار الأخرس على التعليم ونحوه
وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستيجار على قلع سن سليمة أو قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه أو استيجار
الحائض على كنس المسجد أو المعلم على تعليم السحر والفحش أو استيجار المصور على صور الحيوانات أو استيجار الصائغ على صنعة
الأواني من الذهب والفضة وكل ذلك باطل **الرابع** أن لا يكون العمل واجبا على الأجير أو لا يكون بحيث لا تجري
النيابة فيها عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد وعلى سائر العبادات التي لا نيابة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر
ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان
وعلى التصدي للتدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستيجار على تعليم مسألة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح
الخامس أن يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها
وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز إهماله وتفصيل ذلك
يطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام ويتفطن به لمواقع الإشكال فيسأل فإن الاستقصاء شأن المفتي
لا شأن العوام **العقد الخامس القراض** وليراع فيه ثلاثة أركان **الركن الأول** رأس المال وشرطه
أن يكون نقدا معلوما مسلما إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة

استيجار زوجة الغير للإرضاع دون إذن زوجه

من الدراهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لأنه تضييق طريق التجارة **الركن الثاني**
الربح وليكن معلوما بالجزئية بأن يشترط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي
لي لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع **الثالث** العمل الذي على
العامل وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت فلو شرط أن يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها
ويتقاسمان النسل وحنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما
يقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف أعني الخبز ورعاية المواشي ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان
أو لا يتجر إلا في الخز الأحمر أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل يتصرف بالغبطة
تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة والمال كله نقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضا
ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وإن قال العامل
أبيعه وأبى المالك فالمتبوع رأي المالك إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال فمهما كان ربح فعلى العامل
بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه وليس له بيع الفاضل على رأس
المال ومهما كان رأس الحول فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة وأما إذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقيس أن زكاة
نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك فإن فعل
صح تصرفاته ولكنه يضمن الأعيان والأثمان جميعا لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن المنقول وإن سافر بالإذن
جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على
رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يبذل عليه أجرة وعلى العامل نفقته وسكناه
في البلد وليس عليه أجرة الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض فإذا رجع فعليه
أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما **العقد السادس الشركة** وهي أربعة أنواع ثلاثة منها
باطلة **الأول** شركة المفاوضة وهي أن يقولا تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا وما لهما متمايز **الثاني**
شركة الأبدان وهي أن يتشارطا الاشتراك في أجرة العمل **الثالث** شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة
وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة الغير العمل وإنما الصحيح **الرابع** المسماة شركة العنان وهو
أن يختلطا مالا لهما بحيث يتعذر التمييز إلا بقسمة ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران
على قدر المالين ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك
والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب
تعلمه على كل مكتسب وإلا اقتحم الحرام من حيث لا يدري وأما معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغني عنها المكتسب
وغير المكتسب والخلل فيه من ثلاثة وجوه من إهمال شروط البيع أو إهمال شروط السلم أو الاقتصار على المعاطاة إذ العادة
جارية بكتبة الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي فذلك مما نرى
القضاء بإباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على إباحة التناول مع انتظار العوض فيحل أكله ولكن يجب الضمان بأكله ويلزم
قيمته يوم الإتلاف فيجتمع في الذمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار فينبغي أن يلتمس منهم الإبراء المطلق حتى لا يبقى
عهدة إن تطرق إليه تفاوت في التقويم فهذا يجب القناعة به فإن تكليف وزن الثمن لكل واحد من الحوائج في كل
يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذلك تكليف الإيجاب والقبول ووزن ثمن كل قدر يسير منه عسر وإذا كثر من كل نوع
سهل تقويمه **الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة** اعلم
أن المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط
الله إذ ليس كل نهي مقتضيا فساد العقد وهذا الظلم نعني به ما يستضر به الغير وهو منقسم إلى ما يعم ضرره وإلى ما يخص
المعامل **القسم الأول** فيما يعم ضرره وهو أنواع الاحتكار فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام

تركت الدواوين تجد من نتن جيف الكفار فرحم الله العلماء يطلبون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال الفضيل بلغني أن الفسقة
من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة إلى النار قبل عبدة الأوثان وقال أبو الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات
وقال الشعبي يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل
تأديبكم وتعليمكم قالوا إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الأصم ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا
به ولم يعمل به ففازوا بسببه وهلك وقال مالك بن دينار إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن
الصفا وأنشدوا قول الشاعر يا واعظ الناس قد أصبحت متهما إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها وقيل
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم وقال إبراهيم بن أدهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته
فإذا عليه مكتوب يا ابن آدم أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من
مخوف بالله جريء على الله وكم من مقرب إلى الله بعيد عن الله وكم من داع إلى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله
منسلخ من آيات الله وقال إبراهيم بن أدهم لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نعرب وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم
أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا وقال الأوزاعي إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع وقال
عيسى صلوات الله عليه مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك
من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وقال معاذ رضي الله عنه احذروا زلة العالم لأن قدره
عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه إذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلاث بهن يهدم
الزمان أحدهن زلة عالم وقال ابن مسعود رضي الله عنه سيأتي على الناس زمان يملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ
بالعلم عالمه ولا متعلمه فيكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك
إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من
قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور بين في عمله فما أخصب الألسن يومئذ وأجدب
القلوب فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله وفي الإنجيل مكتوب لا
تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي زمان من
عمل بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم أن مثل العالم مثل القاضي وقد قال عليه السلام القضاة ثلاثة قاض
بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهما في النار وقال كعب يكون في آخر الزمان علماء يزهدون
الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة
يأكلون بألسنتهم يقربون الأغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جليسه
إذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الشيطان ربما يسبقكم بالعلم
فقيل يا رسول الله وكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل
وقال سري السقطي اعتزل للتعبد رجل كان حريصا على طلب العلم الظاهر فسألته فقال رأيت في النوم قائلا يقول إلى كم
تضيع العلم ضيعك الله فقلت إني لأحفظه فقال إن حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس العلم
بكثرة الرواية إنما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم
الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين
تصبح إلى حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيئا وقال ابن مسعود أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه مثل
القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفي مثله قال الله تعالى
ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر مما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم
النافع في الآخرة المرغب في الطاعة مجتنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الأعمال

ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال
عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روي أن
رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم قال وما رأس العلم قال
هل عرفت الرب قال نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال
ما شاء الله قال اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك غرائب العلم بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ما روي عن حاتم الأصم
تلميذ شقيق البلخي أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم الأصم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة
قال ثماني مسائل قال شقيق إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم
غيرها وإني لا أحب أن أكذب فقال هات هذه الثماني المسائل حتى أسمعها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد
يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال
أحسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قول الله عز وجل وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى
فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله والثالثة أني نظرت إلى هذا الخلق
فرأيت كل من معه شيء له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق
فكلما وقع معي شيء له مقدار وقيمة وجهته إلى الله ليبقى عنده والرابعة أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع
إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله عز وجل إن أكرمكم عند الله أتقاكم فعملت
في التقوى حتى أكون عند الله كريما والخامسة نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل
هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن
القسمة من عند الله فتركت عداوة الخلق عني والسادسة نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا
فرجعت إلى قوله تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله شهد عليه أنه
عدوي فتركت عداوة الخلق غيره والسابعة نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل
فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله
رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت ما لي عنده والثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين كلهم على مخلوق هذا
على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت إلى قوله تعالى ومن
يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله فهو حسبي قال شقيق يا حاتم وفقك الله فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور
والفرقان العظيم فوجدتها تدور على هذه الثماني مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بإدراكه
والتفطن له إلا علماء الآخرة وأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي
بعث الله بها الأنبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام
ومنها أن لا يكون مائلا إلى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الأثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع
ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما ازداد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه
وارتفع في علماء الآخرة درجته ويشهد لذلك ما حكي عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلت مع
حاتم الري ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل
من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فإني أريد أن أعود
فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض لها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان العليل
محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب فإذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحال
ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار قوراء وإذا بزة وسعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه فإذا
بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر وسأل وحاتم قائم فأومى إليه ابن مقاتل أن

وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة للاحتكار وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله تعالى منه وقيل وكانما قتل الناس جميعا وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه وعنه وانه احرق طعام محتكر بالنار وروي في فضل ترك الاحتكار من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ آخر فكانما اعتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل تحته وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فربح فيه امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا فانك قد خالفت وما نحب ان نربح اضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة وليتني انجو من الاحتكار كفافا لا علي ولا لي واعلم ان النهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس اما الجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات اما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالادوية والعقاقير والزعفران وامثاله فلا يتعدى النهي اليه وان كان مطعوما واما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغني عن القوت في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه واما الوقت فيحتمل ايضا طرد النهي في جميع الاوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في تاخير بيعه ضرر ما فاما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا فليس فيها اضرار واذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وامثالها اضرار فينبغي ان يقضى بتحريمه ويعول في نفي التحريم واثباته على الضرار فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية لانه ينتظر مبادي الضرار وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار ايضا هو دون الاضرار فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات اصول خلقت قواما والربح من المزايا فينبغي ان يطلب فيما خلق من جملة المزايا التي لا ضرورة للخلق اليها ولذلك اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان ان يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة **النوع الثاني** ترويج الزيف من الدراهم في اثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره وكذا ذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله كله راجعا اليه فانه الذي فتح ذلك الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيئا وقال بعضهم انفاق درهم زيف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ومائتي سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسأل عنها الى آخر انقراضها قال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم اي نكتب ايضا ما اخروه من آثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر وانما اخر آثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم في الزيف خمسة امور

الاول انه اذا رد عليه شيء منه فينبغي ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه في بيع آخر وان افسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز **الثاني** انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن لئلا يسلم الى مسلم زيفا وهو لا يدري فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم **الثالث** انه ان سلم وعرف المعامل انه زيف لم يخرج عن الاثم لانه ليس ياخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا فانما يتخلص من اثم الضرر الذي يختص بمعامله فقط **الرابع** انه ان اخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر وان كان عازما على ان يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء **الخامس** ان الزيف نعني به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه اعني في الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وقد راينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق افضل من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال حملت على فرسي لاقتل علجا فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج ثم حملت الثالثة فقصر مني فرسي وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرايت في النوم كان الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك اردت ان تاخذ علي العلج ثلاث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا ابدا فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وابدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وتقيس عليه امثاله

القسم الثاني ما يخص ضرره المعامل فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب له الا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم من باع اخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانق فانه ترك النصح المأمور به في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته فاما تفصيله ففي اربعة امور ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه اما الاول فهو ترك الثناء فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروءة اذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروءة وان اثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة يتكلم بها انه لم تكلم بها ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب فلا باس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه ويقضي بسببه حاجته ولا ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد جعل الله تعالى

أجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة قال نعم فقال ما هي قال مسألة اسألك عنها قال سلني قال قم فاستو حتى اسألك عنها فاستوى قال حاتم علمك هذا من اين اخذته قال الثقات حدثوني به قال عمن قال عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبريل صلوات الله عليه عن الله عز وجل الى رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك هل سمعت في العلم من كان في داره ميزا وسعته اكثر كان له عند الله من المنزلة اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة واحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة اكبر قال له حاتم فانت بمن اقتديت ابالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الصالحين رضي الله عنهم ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا ان الطنافسي بقزوين اكثر شيئا منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل عجمي احب ان تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف اتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فأتي به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ قال حاتم مكانك حتى اتوضأ بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل الذراعين اربعا اربعا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف من ماء اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم فدخل البيت ولم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن عجمي ليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلاث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطأ واحفظ نفسي ان لا اتجاهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل رحمه الله فقال يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا فقال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم اية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض قال فاين قصور اصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كانت لهم قصور انما كانت لهم بيوت لاطئة فقال يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان فقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذاك قال حاتم لا تعجل علي انا رجل عجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة الرسول عليه السلام فقلت واين قصره وقص القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تأسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ام بفرعون اول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه فهذه حكاية حاتم وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وامور اخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما سيأتي بيانه فقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد في الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغني انك تأكل الرقاق وتلبس الدقاق وتجلس على الوطاء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وضربت اليك المطي وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه الا الله تعالى والسلام فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام عليك اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والادب متعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا واسأل الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاما ما ذكرت لي اني آكل الرقاق والبس الرقاق

واحتجب واجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف بان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان جاءوا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح الشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن وقال صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله تعالى قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من يأخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون ابواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا القليل ولذلك قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء وقال مكحول الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت ان انجو من الدخول كفافا مع اني لا آخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواهم ولو اخبروا بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن المبارك عنى به سعد بن ابي وقاص قال وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك هزلا قال يا بني لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب يأكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك

عرضة لايمانه وقبيحا ما فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفي الخبر ويل
للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة
ممحقة للكسب وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة لا ينظر الله اليهم
يوم القيمة عتل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه وان كان الثناء على السلعة مع الصدق
مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في امر اليمين وقد روى عن يونس بن عبيد
وكان خزازا انه طلب منه خز للشراء فاخرج غلامه سفط الخز ونشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة
فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة فمثل هؤلاء هم الذين
اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علموا ان ربح الآخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا

الثاني ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فان اخفاها كان ظالما غاشا والغش
حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب فمهما اظهر احسن وجهي الثوب واخفى الثاني كان غاشا وكذلك
اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك اذا عرض احسن فردي الخف والنعل وامثاله ويدل على تحريم الغش
ما روى انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فرأى بللا فقال ما هذا فقال اصابته السماء فقال
فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روى
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم
وكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك
اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن
الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح
به ويقول يا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رأيته وانها لا تتابع السير فعاد فردها
فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح
لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك
الا بينه فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضيه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضائل وزيادة المقامات
بل اعتقدوا انه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي
للعبادة والاعتزال عن الناس لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون
ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما ان تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه
بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة وقد حكي ان واحدا
كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض اولاده ان تلك المياه المتفرقة
التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم البيعان اذا صدقا
ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما وفي الحديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا
فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان
بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان
في الدين والدنيا والالوف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس
منه ويراه اصلح له في بعض احواله فيعرف معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه
والمعنى الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا
وان فوائد اموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي
هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال لا اله الا الله تدفع عن

سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفي لفظ آخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا
فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله كذبتم لستم بها صادقين وفي حديث آخر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة
قيل وما اخلاصها قال ان يحجزه عما حرم الله وقال ايضا ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ومن علم ان هذه الامور
قادحة في ايمانه وان ايمانه رأس ماله في تجارة الآخرة لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع بها اياما
معدودة وعن بعض التابعين لو دخلت الجامع وهو غاص باهله وقيل لي من خير هؤلاء لقلت من انصحهم لهم
فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قالوا من شرهم قلت من اغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو شرهم والغش
حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي ان يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي
ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب فبذلك يتخلص وسأل رجل حذاء ابن سالم فقال كيف لي ان اسلم
في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء ولا تفضل اليمنى على الاخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب
بين الخرز ولا تطبق احدى النعلين على الاخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه احمد من الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز
لمن يبيعه ويخفيه وانما يحل للرفاء اذا علم انه يظهره او انه لا يريده للبيع فان قلت لا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان
ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري للبيع الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه
لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا يحتاج الى تلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح
اليسير وليس يسلم الكثير الا بالتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع
ابن سيرين شاة فقال للمشتري ابرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال
للمشتري انها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة او ليوطن نفسه
على عذاب الآخرة

الثالث ان لا يكتم في المقدار وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي
ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون
ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان
فان من استقصى حقه بكماله يوشك ان يتعداه وكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا
اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والارض وما اخسر من
باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدي حقوقهم
ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وارجح ونظر فضيل الى ابنه وهو
يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين
وعشرين عمرة وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان عليه
السلام لابنه يا بني كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه كان
فاسقا فسكت فاعيد عليه فقال كانك قلت لي كان صاحب ميزانين يعطي باحدهما ويأخذ بالآخر اشار به الى ان فسقه مظلمة
بينه وبين الله وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه ابعد والتشديد في امر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل
بحبة ونصف حبة وفي قراءة عبد الله بن مسعود لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن باللسان والحجر والميزان اي
لسان الميزان فان النقصان والرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو في كلمة ولا ينصف
بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فان تحريم ذلك في الكيل
ليس لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا يترك العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع الاعمال فصاحب الميزان
في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل ومال
عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلا
ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما فلذلك يتفاوت مدة مقامهم

عليهم ما زجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى ان تخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمة الله عليهما اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف تستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك وايوب وابن عون يتكلمون في بعض علماء الدنيا من اهل الكوفة وكان الفضيل وابرهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في بعض علماء الدنيا من اهل مكة والشام والبصرة اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم السلاطين حتى قال بعضهم لو قيل لي من احمق الناس لاخرجت يد القاضي وقلت هذا ومنها ان لا يكون متسارعا الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري قال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر رضي الله عنهما اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري فاذا اخطاها اصيبت مقاتله وقال ابرهيم بن ادهم ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسألوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر علي وعبد الله برجل يتكلم على الناس فقالا هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انما العالم الذي اذا سئل عن المسئلة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى نار جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيامة من اين اجبت وكان ابرهيم التيمي اذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية الرياحي وابرهيم والثوري وابن ادهم يتكلمون على اثنين وثلثة ونفر يسير فاذا كثروا انصرفوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري اتبع ملعون ام لا وما ادري ذو القرنين نبي ام لا ولما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل جبريل صلوات الله عليه فسأله فقال لا ادري لما سأله النبي صلى الله عليه وسلم الى ان اعلمه الله ان خير البقاع المساجد وشرها الاسواق وكان ابن عمر رضي الله عنه يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنه يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من احد يسأل عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ اخر كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى الاخر ويردها الاخر الى الاخر حتى تعود الى الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم راس مشوي وهو في غاية الضر فاهداه الى الاخر واهدى الاخر الى اخر وهكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الان كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد بحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما روي مسندا انه لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة قراءة القران وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوا من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن ادم عليه

انّ

لا له الا ثلث امر بمعروف ونهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الاية ورأى بعض العلماء بعض اصحاب الراي من الكوفة في المنام فقال ما رايت فيما كنت عليه من الفتوى والراي فكره وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت دأب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب الاساطين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المتفردون ويقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منه ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وقال ابو سليمان المعرفة الى السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي الدرداء وكان قد اخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك قعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس رضي الله عنه اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وابن عباس رضي الله عنه يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى صحابي في حضور الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويته فاخذ الحسن في تفسير حديث حديث فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم به وقال تسالوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة في دقائق علم القلب تتفجر به ينابيع الحكمة من القلب واما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر وياتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي باداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق الصديقين اظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل التستري رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القران تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة محبة العالم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه ان ههنا علما جما لو وجدت له حملة بلى اجد لقنا طالبا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه

والعلم يزكو على [illegible]

[illegible]

في النار الى ان يخلص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم في النار الوف سنين فقال الله تعالى ان تقربنا من الاستقامة والعدل فان لم تستقم على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه مطموع فيه فانه ادق من الشعر واحد من السيف ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته انه ادق من الشعر واحد من السيف وبقدر الاستقامة على الصراط تخف العبد يوم القيامة على الصراط وكل من خلط بالطعام ترابا ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده مدا واذا باعه مده مدا في الذرع ليظهر تفاوت في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل. الرابع ان لا يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان ونهى عن النجش اما تلقي الركبان فهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال عليه السلام لا تتلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وهذا الشراء منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وان كان صادقا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر وزوال التلبيس ونهى ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو ان يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد ان يتسارع الى بيعه فيقول له الحضري اتركه عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهي ولانه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق ونهى عن النجش وهو ان يتقدم الى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها انما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا ان لم تجر مواطاة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وان جرى مواطاة ففي ثبوت الخيار خلاف والاولى اثبات الخيار لانه تغرير بفعل يضاهي التغرير في المصراة وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على انه لا يجوز ان يلبس على البائع والمشتري سعر الوقت ويكتم منه امرا لو علمه لما اقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب وقد حكي عن رجل من التابعين انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد اصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلثين الفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته فقال ربحت ثلثين الفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما اصبح غدا الى بائع السكر فدفع اليه ثلثين الفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن اين صارت لي فقال اني قد كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد اعلمتني الان وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيا مني فتركها لي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو اطيب لقلبي واخذ منه ثلثين الفا فهذه الاخبار في المناهي والحكايات تدل على انه ليس له ان يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر ومن المشتري تراجع الاسعار فان فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول بعتك بما قام علي فعليه ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب او نقصان ولو اشترى باجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة من صديق او ولد يجب ذكره لان المعامل يعول على عادته في الاستقصاء لانه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته

الباب الرابع في الاحسان في المعاملة

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى سلامة راس المال والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا براس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان وقد قال الله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ونعني بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه

وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين
كشاف

فان الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور. الاول في المغابنة فينبغي ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة واما اصل المغابنة فماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة حاجته في الحال فينبغي ان يمتنع عن قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمة كل حلة منها اربعمائة وضرب قيمة ماتيان ثمن الى الصلاة وخلف ابن اخيه في الدكان فجاء اعرابي وطلب حلة باربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمضى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال للاعرابي بكم اشتريت فقال باربعمائة فقال لا تساوي اكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وانا ارتضيه فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن اخيه في ذلك وقاتله وقال اما استحييت اما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذها الا وهو راض بها قال فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك وهذا ان كان فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث غبن المسترسل حرام وقال الزبير بن عدي ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم احد يحسن ان يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم وان كان من غير تلبيس فهو من ترك الاحسان وقل ما يتم هذا الا بنوع تلبيس واخفاء لسعر الوقت وانما الاحسان المحض ما نقل عن السري السقطي انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه وكانه راى ان يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فاتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه فقال بكم فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين فقد صار اللوز بتسعين فقال السري قد عقدت عقدا لا احله لست ابيعه الا بثلاثة وستين فقال الدلال وانا عقدت بيني وبين الله ان لا اغش مسلما لست آخذ منك الا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض الاحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال وروي عن محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له ان الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وان رضيت فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى من ثلاث خصال اما ان تاخذ شقة من العشريات بدراهمك واما ان نرد عليك خمسة واما ان ترد شقتنا وتاخذ دراهمك فقال اعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الاعرابي يسال ويقول من هذا الشيخ فقيل هذا محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي اذا قحطنا فهذا احسان في ان لا يربح على العشرة الا نصفا او واحدا على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه يظهر البركة كان علي رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب يسارك قال بثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب مني حيوان فاخرت بيعه ولا بعت نسيئة ويقال انه باع الف ناقة فما ربح الا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها الفا وربح من نفقته عليها ليومه الفا. الثاني في احتمال الغبن في المشتري اذا اشترى طعاما من ضعيف او شيئا من فقير فلا باس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله عليه السلام رحم الله سهل البيع وسهل الشرى فاما اذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير اجر ولا حمد فقد ورد في حديث من طريق اهل البيت المغبون لا محمود ولا ماجور وكان اياس بن معاوية قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين كان يقول لست بخب والخب لا يغبني

ويستظهر بحججه على خلقه او منقاد لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له وليسا من رعاة الدين في شيء الا لا ذا ولا ذاك فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه اقرب شبها بهما الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذي ذكره اخرا هو وصف علماء الاخرة وهو العلم الذي اثمره العمل والمواظبة على المجاهدة ومنها ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوايله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل منه خير من كثير من العمل وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من ادمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القران الى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشيء له اربع مقامات **الاول** ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ونفي بل يستوي عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا **الثاني** ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساوق لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا **الثالث** ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليه ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تابى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة اذ لو احسن صاحب هذا المقام التامل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر له امكان خطا امامه نفر عن قبوله **الرابع** المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هولاء ومثاله انه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم ازلي ضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان يتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة وان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وذلك

والتكرر

محال فالمؤدي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لان الاقسام ثلاثة وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كان كلها قديما فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدي الى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث او الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ مسهل او بدليل كما ذكرناه فشرط اطلاق الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هولاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك **الاصطلاح الثاني** اصطلاح الفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا شك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا ياتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتحريض والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه والى الاستعداد له وكانه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن اردنا بقولنا ان من شان علماء الاخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها وهو المتصرف فيها واذا فهمت هذا علمت ان المراد من قولنا ان اليقين ينقسم ثلاثة انقسامات بالقوة والضعف والقلة والكثرة والخفاء والجلاء فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني واما التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر اعني الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى صلوات الله عليه ووجود يوشع مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما اقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بادلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال فاما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما من فلان اي معلوماته اكثر ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين في بعضه فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه فاعلم ان جميع ما ورد به الانبياء من اوله الى اخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في احصائها ولكني اشير الى بعضها وهي امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازال منه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما التين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخير القلم بيد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله بالرزق في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله

اى

رزقها

وكره ابن سيرين ان يغبن المحسن ويغبن اى يغبن معونة من قوة والكمال ان لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر
رضى الله عنه فقال كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهم من خيار السلف رضى
الله عنهم يستقصون فى الشرا ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب
الكثير ولا تبالى فقال ان الواهب يعطى فضله وان المغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما اغبن عقلى وبصيرتى فلا امكن
الغابن منه واذا وهبت فاعطى لله ولا استكثر له شيا **الثالث فى استيفا الثمن** وساير الديون والاحسان
مرة فيه بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتاخير ومرة بالمساهلة فى طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه
ومحثوث عليه وقال عليه السلام رحم الله سهل البيع سهل الشرا سهل القضا سهل الاقتضا فليغتنم دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم اسمح يسمح لك وقال صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا
وفى لفظ اخر اظله الله فى ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم توجد له
حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا انى كنت رجلا اداين الناس فاقول لفتيانى سامحوا الموسر وانظروا المعسر
وفى لفظ اخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله نحن احق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له وقال صلى الله عليه وسلم من اقرض
دينا الى اجل فله بكل يوم صدقة الى اجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وقد كان
من السلف من لا يحب ان يقضى غريمه الدين لاجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم
رايت مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقيل معناه ان الصدقة قد تقع فى يد المحتاج
وغير المحتاج ولا يحتمل ذل الاستقراض الا محتاج ونظر النبى صلى الله عليه وسلم الى رجل يلازم رجلا بدين فاومى الى
صاحب الدين بيده اى ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكل من باع شيا وترك ثمنه فى الحال ولم يرهقه الى الطلب
فهو فى معنى المقرض وروى ان الحسن باع بغلة له باربع مائة درهم فلما استوجب المال قال له المشترى اسمح يا ابا سعيد
قال قد اسقطت عنك مائة فقال له فاحسن يا ابا سعيد فقال وهبت لك مائة اخرى فقبض من حقه مائتى درهم
فقيل يا ابا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا وفى الخبر خذ حقك فى عفاف واف او غير
واف يحاسبك الله حسابا يسيرا **الرابع فى توفية الدين** ومن الاحسان فيه حسن القضا وذلك بان يمشى الى صاحب
الحق ولا يكلفه ان يمشى اليه يتقاضاه فقد قال عليه السلام خيركم احسنكم قضاء ومهما قدر على قضا الدين فليبادر اليه
ولو قبل وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن وان عجز فلينو قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم من ادان دينا
وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة
لهذا الخبر ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ جاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاوه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهم به اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان
ان يكون الميل الاكثر من المتوسط الى من عليه الدين فان المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن
حاجة وكذلك ينبغى ان يكون الاعانة للمشترى اكثر فان البائع راغب عن السلعة يبغى ترويجها والمشترى محتاج اليها هذا
هو الاحسن الا ان يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته فى منعه من التعدى واعانة صاحبه اذ قال صلى الله
عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال منعك اياه من الظلم نصرة له **الخامس** ان يقيل من
يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع ولا ينبغى ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه قال
صلى الله عليه وسلم من اقال نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيمة او كما قال **السادس** ان يقصد فى معاملته جماعة
من الفقراء بالنسية وهو فى الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم يظهر لهم ميسرة فقد كان فى صالحى السلف من له دفتران
للحساب احدهما ترجمته مجهول فيه اسما من لا يعرف من الضعفا والفقراء وذلك ان الفقير كان يرى الطعام
او الفاكهة فيشتهيه فيقول احتاج الى خمسة ارطال من هذا مثلا وليس معى ثمنه وكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة

ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يثبت اسمه فى الدفتر اصلا ولا جعله دينا ولكن يقول خذ ما تريد
فان تيسر لك فاقض والا فانت فى حل منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقايم به محيى لهذه
السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل لا تغرنك من المرء قميص رقعه
او ازار فوق كعب الساق منه رفعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل جيرانه
فى الحضر واصحابه فى السفر ومعاملوه فى الاسواق فلا تشكوا فى صلاحه وشهد عند عمر رضى الله عنه شاهد
فقال ايتنى بمن يعرفك فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذى يعرف مدخله ومخرجه فقال
لا فقال كنت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال فعاملته بالدينار والدرهم الذى يستبين
به ورع الرجل فقال لا قال اظنك رايته قايما فى المسجد يهمهم بالقران يخفض راسه طورا ويرفعه اخرى فقال نعم
قال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فاتنى بمن يعرفك **الباب الخامس فى شفقة**
التاجر على دينه فيما يخصه ويعم اخرته لا ينبغى للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته
خاسرة وما يفوته من الربح فى الاخرة لا يفى به ما يناله فى الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالاخرة بل العاقل
ينبغى ان يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف
اولى الاشيا بالعاقل احوجه اليه فى العاجل واحوج شى اليه فى العاجل احمده عاقبة فى الاجل وقال معاذ بن جبل فى وصيته
انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك من الاخرة احوج فابدا بنصيبك من الاخرة فخذه فانه
سيمر على نصيبك من الدنيا فينتظمه قال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اى لا تنس فى الدنيا نصيبك منها للاخرة فانها
مزرعة الاخرة وفيها تكتسب الحسنات وانما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة امور **الاول** حسن النية والعقيدة
فى ابتدا التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السوال وكف الطمع عن الناس استغنا بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه
على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لساير الخلق ما يحب
لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والاحسان فى معاملته كما ذكرناه ولينو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل ما يراه
فى السوق فاذا اضمر هذه العقايد والنيات كان عاملا فى طريق الاخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر فى الدنيا
ربح فى الاخرة **الثانى** ان يقصد القيام فى صنعته وتجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات
لو تركت بطلت المعايش وهلك الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبل كلهم
على صنعة واحدة لتعطلت البواقى وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله اختلاف امتى رحمة اى اختلاف
هممهم فى الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هى مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها الى طلب التنعم والتزين
فى الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون فى قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما فى الدين وليجتنب صناعة النقش
والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما تزخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه ذوو الدين فاما عمل الملاهى
والالات التى يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القبا من
الابريسم للرجال وصياغة الصايغ مراكب الذهب او خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصى والاجرة الماخوذة
عليه حرام ولذلك اوجبنا الزكوة فيها وان كنا لا نوجب الزكوة فى الحلى لانها اذا قصدت للرجال فهى محرمة
وكونها مهياة للنسا لا يلحقها بالحلى المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا ان بيع
الطعام وبيع الاكفان مكروه لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلا الاسعار ويكره ان يكون جزارا لما فيه
من قساوة القلب وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما فى معناه وكره ابن سيرين
الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغنا الدلال عن الكذب والافراط فى الثنا على السلعة
لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر فى مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب
هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغى ان ينظر الى قدر التعب وكرهوا شرا الحيوان لان المشترى يكره قضا الله فيه وهو الموت

ويعلم مستقرها ومستودعها واليقين بان ذلك يأتيه وأن ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب
ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما يفوته واثمر هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق المحمودة ومن ذلك ان
يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات
الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طلبا
للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك طالب الثواب يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فيجتنب
المعاصي كلها صغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المومنين اما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة
هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيات وكلما كان اليقين اغلب
كان الاحتراز اشد والتشمير ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك
وفكرك وهذا متيقن عند كل مومن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون
وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متادبا في جميع اعماله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متادبا متماسكا
محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله مطلع على سريرته كما يطلع
على ظاهر الخلق فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالية اشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس
وهذا المقام في اليقين يورث الحيا والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق
تورث انواعا من الطاعات الرفيعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة منها
وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجاري
وابواب اكثر مما عددناه وسياتي ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ الآن ومنها ان يكون حزينا منكسرا
مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره
مذكرا لله وكان صورته دليلا على عمله وعلمه فالجواد عينه فراره فعلما الاخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والمسكنة
والتواضع وقد قيل ما البس الله تعالى عبدا لبسة احسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الانبيا وسيما الصديقين والعلما فاما التهافت
في الكلام والتشدق والاستغراب في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من اثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب
الله وشديد سخطه وهو دأب ابنا الدنيا الغافلين عن الله دون العلما به وهذا لان العلما به ثلثة كما قاله سهل التستري عالم
بامر الله لا بايام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم الصديقون
والخشية والخشوع انما تغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة
واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا
لمن تعلمون وليتواضع لكم من تعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلما فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما اتى الله تعالى عبدا علما الا اتاه
معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من اتاه الله تعالى علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق
فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذاب الله
ابدانهم في الارض وقلوبهم في السما ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الاخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال
الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه
فانه ممقوت في السما والارض ويروى في الاسرائيليات ان حكيما من الحكما صنف ثلثمائة وستين مصنفا
في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملات الارض نفاقا ولم تردني من ذلك بشي واني لا اقبل
من نفاقك شيا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله
تعالى الى نبيهم قل له الان وافقت رضاي وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي
وروي انه قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فاي الاصحاب
خير قال صاحب ان ذكرت اعانك وان نسيت ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك

عموم المومنين وعالم بالله وبامر الله وبايام الله وهم

قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى قالوا فاي
الناس شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلما اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم ان اكثر الناس امانا يوم
القيمة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الاخرة اكثرهم بكا في الدنيا واشد الناس فرحا في الاخرة اطولهم حزنا في الدنيا
وقال علي رضي الله عنه في خطبته ذمتي رهينة وانا به زعيم لمن صرحت له العبر انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظما
على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما اغار به في اغباش الفتنة
سماه اشباه الناس وارذالهم عالما ولم يعش في العلم يوما سالما تكثر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من اجن واكتنز
من غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره وان نزلت به احدى المبهمات هيا لها حشو الراي من رايه
فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اخطا ام اصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر
مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم تبكي منه الدما وتستحل
بقضاياه الفروج الحرام والملي والله باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما قرظ به اولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت
عليهم النياحة والبكا ايام حيوة الدنيا وقال علي رضي الله عنه ايضا اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل
فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلثا تمت النعمة بها على المتعلم
الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة
فالاخلاق التي ورد بها القران لا ينفك عنها علما الاخرة لانهم يتعلمون القران للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر لقد عشنا برهة من
الدهر وان احدنا يوتى الايمان قبل القران فينزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وامرها وزاجرها وما ينبغي ان يتوقف
عنده منها ولقد رايت رجالا يوتى احدهم القران قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحته الى خاتمته ولا يدري ما امره وزاجره وما ينبغي
ان يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر اخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القران
وسياتي بعدكم قوم يوتون القران قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده يقولون قرانا فمن اقرا منا وعلمنا فمن
اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ اخر اولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علما الاخرة مفهوم من
خمس ايات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الاخرة على الدنيا وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلما واما الخشوع فمن قوله خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك
للمومنين واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
فقيل ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه عن علم الاعمال
عما يفسد الاعمال ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها المواظبة
على ذكر الله بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك
ما يغلب مسيس الحاجة اليه ويعم به البلوى في سلوك طريق الاخرة واما علما الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في الحكومات
والاقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع وان وقع فانما تقع لغيرهم لا لهم وان وقع كان في القايمين
به كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم انا الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة
من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق على التقرب من الله تعالى وشرها في ان يسميه البطالون
من ابنا الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاوه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب
الزمان ثم يرد القيمة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن
البصري رحمه الله عليه اشبه الناس كلاما بكلام الانبيا واقربهم هديا من الصحابة اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان

موسومون كالحياكة والحلاوة وقيل بيع الحيوان واشترى الموتان وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير
ولأنه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفي ربح إلا باعتماد جهالة
معامله بدقائق النقد فقلما يسلم الصيرفي وإن احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الدرهم الصحيح والدينار
إلا عند الشك في جودته أو عند ضرورة وقال أحمد بن حنبل ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه
في الصياغة من الصحاح وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البز
وقال سعيد بن المسيب ما من تجارة أحب إلي من البز ما لم يكن فيها أيمان وقد روي خير تجارتكم البز وخير صنائعكم
الخرز وفي حديث آخر لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف وقد كان غالب
أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد
وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي أحمد بن حنبل ما صنعتك قلت
الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب إلا مواضعه واستثن الحواشي وظهر
الأجزاء وأربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل
ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء تزيد
في العقل وعن مجاهد أن مريم مرت في طلبها لعيسى صلوات الله عليه بحاكة وطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق
فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقرا وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف أخذ الأجرة
على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الأموات ودفنهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وإن حكم
بصحة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فإن هذه أعمال حقها أن يتجر بها للآخرة وأخذ الأجرة عليها
استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك **الثالث** أن لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة
المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقال في بيوت أذن الله أن ترفع
ويذكر فيها اسمه فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الأوراد وكان عمر
رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحو السلف يجعلون أول النهار وآخره
للآخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤوس بكرة إلا الصبيان وأهل الذمة لأنهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر
أن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفي أول النهار وفي آخره ذكر وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيئ الأعمال
وفي الخبر يلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم
يصلون وجئناهم يصلون فيقول الله أشهدكم أني قد غفرت لهم ثم مهما سمع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر
فينبغي أن لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة مع الإمام في أول
الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون
الأسواق للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير
قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أنهم كانوا حدادين وخرازين وكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشفى
فسمع الأذان لم يخرج الإشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة **الرابع** أن لا يقتصر على هذا بل
يلازم ذكر الله في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل فذكر الله في السوق بين الغافلين أفضل قال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وكالحي بين الأموات وفي لفظ آخر كالشجرة الخضراء بين الهشيم وقال صلى الله
عليه وسلم من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق
قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة وله ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان
الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها وكان عمر رضي الله عنه إذا دخل السوق يقول اللهم إني أعوذ

بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة وقال أبو
جعفر الفرغاني كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما
يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل
المسجد ويأخذ بأذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه إني لأعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم
ثلاثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة قال فسبق إلى وهمي أنه يعني به نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب
الكفاية لا للتنعم في الدنيا فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والمسجد
والبيت له حكم واحد وإنما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا
تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت عليهم الأحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم إذ فيه يرون تجارتهم
وربحهم وقد قيل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح في لا شيء **الخامس** أن
لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة
فهما مكروهان يقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا يركب البحر إلا لحج أو عمرة أو غزو
وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لا تكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فإن فيها باض الشيطان وفرخ وروي
عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر أن إبليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين
لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع الأسواق
وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا وتمام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفاية وقته انصرف
واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحو السلف فقد كان منهم من إذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان حماد بن
سلمة يبيع الخمر في سفط بين يديه وكان إذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لإبراهيم
بن أدهم أمر اليوم أعمل في الطين فقال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب ما لا يفوتك
أما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت إن لي دانقا عند البقال فقال عز علي بك تملك دانقا وتطلب العمل
وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم لا يعمل في الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكتفون بكل
السادس أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواقع الشبهة ومظان الريب ولا ينظر إلى الفتاوى بل
يستفتي قلبه فما وجد فيه حزازة اجتنبه وإذا حمل إليه سلعة رابه أمرها سأل عنه حتى يعرف وإلا أكل الشبهة
وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من أين لكم هذا فقيل من الشاة فقال ومن أين لكم هذه الشاة
فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا وقال إن الله تعالى
أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسأل النبي عليه السلام عن أصل الشيء
وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه
عليه السلام كان لا يسأل عن كل ما يحمل إليه وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله فكل منسوب إلى ظلم أو
سرقة أو خيانة أو ربا فلا يعامله وكذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه
معين بذلك على الظلم وحكي عن رجل أنه تولى عمارة سور بعمارة ثغر من الثغور فقال وقع في نفسي من ذلك
شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الإسلام لكن كان الأمير الذي تولى عن جهته من الظلمة
فسألت سفيان فقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن أقل ما يدخل
عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك فتكون قد أحببت بقاء من يعصي الله وقد جاء في الخبر من دعا لظالم بالبقاء فقد
أحب أن يعصى الله في أرضه وفي الحديث أن الله ليغضب إذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من أكرم فاسقا فقد أعان على
هدم الإسلام ودخل سفيان على المهدي وبيده درج أبيض فقال يا سفيان أعطني الدواة حتى أكتب فقال أخبرني
بأي شيء تكتب فإن كان حقا أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طينا ليختم

به الكتاب

الى كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام ليس يسمع من غيرك فمن اين اخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ اخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسألونه عن فضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما راني اسأل عن افات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله عنه قد خص ايضا بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن وكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر باعداد من بقي ولا يخبر باسمائهم وكان عمر يسأله عن نفسه هل تعلم به شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب واحواله دأب علماء الاخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق ويرون التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال قيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق افراد لا يعرفون ولا يدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيرها عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من يجعل العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك قيل كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلثة منهم سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس الى اولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فامره قريب ومنها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه فيما امر به وقاله وانما يقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا قلد صاحب الشرع في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان الرسول صلى الله عليه وسلم فعله والرسول عليه السلام لم فعله لا بد وان يكون لسر فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان شانه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ما من احد الا ويؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله قبلناه على الراس والعين وما جاءنا عن الصحابة فناخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورا ادركت بالقرائن فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطا واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منه في زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القران وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجماعة من الصحابة تصحيف القران في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القران يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هو شغلهم

وهمهم حتى اشار عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتبة القران خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر لذلك فجمع القران في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطا ويقول ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الاثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس رضي الله عنه بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفين الثوري ثم في القرن الرابع حدث مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم يكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون به مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الاخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كان اذا قيل لهم فلان اعلم ام فلان يقول احدهم فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى ان مظهر الانكار يستهدف للنسبة الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت ومنها ان يكون شديد التوقي عن محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكبر همهم اكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الاوقاف والوصايا واكل مال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة ام في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن وليعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان يكترث بمخالفة اهل العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس راوا رايا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سوء زعم ان الجنة لمن راى مثل رايه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار ان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه قد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن افعالهم ويقتص اثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفا ومسندا انه قال انما هما اثنتان الكلام والهدى فاحسن الكلام كلام الله واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو ات قريب الا ان البعيد ما ليس بات وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة وجانب اهل الذل والمعصية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول حسن الهدي في اخر الزمان خير من كثير من العمل وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب

فقال نادى في الغياب اولا حتى انظر ما فيه فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم اشد انواع الاعانة فينبغي ان يجتنب ذو الدين ما وجد اليه سبيلا وبالجملة فينبغي ان ينقسم الناس عنده الى من يعامل ومن لا يعامل وليكن من يعامله اقل ممن لا يعامله في هذا الزمان قال بعضهم اتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لي ان اعامل من الناس فيقال عامل من شئت ثم اتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت الا فلانا وفلانا ثم اتى زمان آخر فكان يقال لا تعامل احدا الا فلانا وفلانا واخشى ان ياتي زمان يذهب ايضا وكان قد كان الذي حاذر ان يكون انا لله وانا اليه راجعون **السابع** ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعلة وقولة انه لم اقدم عليها ولاجل ماذا فانه يقال انه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رايت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خمسون الف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقيل هذه معاملات الناس عدد من كنت عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بينك وبينه من اول المعاملة الى اخرها فهذا ما على المكتسب في معاملته من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين وان اضاف اليه الاحسان كان من المقربين وان راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكرناه في الباب الخامس كان من الصديقين والله اعلم

كتاب الحلال والحرام وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الانسان من طين لازب من صلصال ثم ركب صورته في احسن تقويم واتم اعتدال ثم غذاه في اول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال فلقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يروجه الى اعماق العروق الا الشهوات المائلة الى الغلواء والاهمال فبقي لما زمته ازمة الحلال خائبا خاسرا ماله من ناصر ولا وال والصلوة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل اما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض اعصاها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في الموات وما عداه فقد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا بين الاموال فرقا وفصلا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات ولا تزال هذه الثلثة مفترقات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في سبعة ابواب والله اعلم بالصواب **الباب الاول** في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام **الباب الثاني** في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام **الباب الثالث** في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما في الحلال والحرام **الباب الرابع** في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية **الباب الخامس** في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم **الباب السادس** في الدخول على السلاطين ومخالطتهم **الباب السابع** في مسائل متفرقة

الباب الاول في الحلال والحرام وفيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه

فضيلة الحلال ومذمة الحرام قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال وقال الله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال الله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله

شروط الذابح والآلة والمذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح والخل والجبن فان الاحتراز عنها غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة ولا سبب في تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها فان الصحيح انها لا تنجس بالموت اذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يغمس الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ولو تهرت نملة او ذبابة في قدر لم يجب اراقتها اذ المستقذر جرمه اذا بقي له جرم ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة فهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دانق حرم الكل لا لنجاسته فان الصحيح ان الآدمي لا ينجس بالموت ولكن لان اكله محرم احتراما بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منه بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس في الاعيان شيء نجس الا من الحيوانات واما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فان نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشهي ومهما وقعت قطرة من النجاسة او جزء من نجاسة جامدة في مرقة او طعام او دهن حرم اكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الاكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته **القسم الثاني** ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه وفيه يتسع النظر فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره فالذي بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا يكون من مالك كنيل المعادن او يكون من مالك والذي يؤخذ من مالك فاما ان يؤخذ قهرا او يؤخذ تراضيا والماخوذ قهرا اما ان يكون بسقوط عصمة المالك كالغنائم او باستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة اقسام **الاول** ما يؤخذ من غير مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الآدميين فاذا انفك من الاختصاصات ملكها آخذها وتفصيل ذلك في كتاب احياء الموات **الثاني** الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوها من كافر له حرمة وامان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير وكتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية **الثالث** ما يؤخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم الوصف الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه من يملك الاستيفاء من قاض او سلطان او مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكوة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرائطها كان الماخوذ حلالا **الرابع** ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين اعني الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات **الخامس** ما يؤخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات **السادس** ما يحصل بغير اختيار كالميراث فهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمسة على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكوة والحج والكفارات ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض فهذه مجامع مداخل

الحلال

جاهزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين في الاذان والقران ومن ذلك التقشف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظاير ذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم زمان يكون العلم تابعا للهوى وكان احمد يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرايب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس فيما مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام وحلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب ومعناه انهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب فاما الحرام فكان فجوره ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسالوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيا من الخير ان يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الاراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب فربما يشوش صفاء القلوب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الاثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة انها خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تاتون بخير مما اعلم ابدا ووالله لا صليت وراءك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكا في خطبته للعيد والاستسقاء على قوس او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد وفي خبر اخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امره في خدمة معينة وذلك قد يغفر واما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال اخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما راينا مثل هولاء ما نصيب منهم شيا قد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما راينا اعجب من هولاء نصيب منهم الشي بعد الشي من الذنوب فاذا كان اخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سياتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هولاء شيا لصحة توحيدهم واتباع سنة نبيهم ولكن سياتي بعد هولاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شيتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل حسناتهم سيات قال فجاء قوم بعد القرون الاولى فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادوهم اين شاؤوا فان قلت من اين عرف قائل هذا ما قاله ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرويا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام وهذا من اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرويا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك وان يكون حظك من العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين انهم احاطوا بعلوم المعقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكاره للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور

لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وانما هو مشتغل بالعلوم التي هي وسائل الى الدنيا من سلوك طريق الدين لا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان اثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا ينفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد ولو تامل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك الة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردا وظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقراين احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الاخرة تجمع كل واحدة جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد الرجلين اما متصفا بهذه الاوصاف او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل الة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الايسين نعوذ بالله من خدع الشياطين فيها هلك الجمهور فنسال الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحيوة الدنيا ولا يغره بالله الغرور والله اعلم بالصواب

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل

اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والاخرة وكيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا راى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وترايا لهم ما كان يتلالا على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والايات في ذكر شرفه وقد سماه الله سبحانه وتعالى نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد به روحا ووحيا وحيوة فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال الله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهرا قائما بنفسه لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه السلام

أو ما الى جملتها ليعلم المريد أنه ان كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور وكل طعمة
من جهة من هذه الجهات ينبغي ان يستفتي فيها اهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما لا يقال للعالم لم خالفت
علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم

درجات الحلال والحرام

اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب واصفى من بعض وكما
ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر وبعضها في الثانية كالفانيذ
وبعضها في الثالثة كالدبس وبعضها في الرابعة كالعسل وكذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الاولى وبعضه في الثانية
والثالثة والرابعة وكذلك الحلال يتفاوت درجات صفائه وطيبه ولنقتد باهل الطب في الاصطلاح على اربع درجات
تقريبا وان كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر اذ يتطرق الى كل درجة من الدرجات ايضا تفاوت لا ينحصر فان من
سكر اشد حرارة من سكر وكذا غيره فلذلك نقول الورع عن الحرام على اربع درجات ورع العدول وهو الذي يجب
الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى
الفقها **الثانية** ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بنا
على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية **الثالثة**
ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس وهذا ورع
المتقين قال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس **الرابعة** ما لا باس به
اصلا ولا يخاف ان يؤدي الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوى به على عبادة الله او يتطرق الى اسبابه
المسهلة له كراهية او معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد
واما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الاولى وهو ما يشترط التورع عنه في العدالة واطراح سمة الفسق فهي ايضا على درجات
في الخبث فالماخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر
بل المغصوب اغلظ اذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وايذا الغير وليس في المعاطاة ايذا وانما فيه ترك طريق التعبد فقط
ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من تركه بالربوا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتاكيده في بعض
المناهي على ما سياتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل الماخوذ ظلما من فقير او صالح او يتيم اخبث
واغلظ من الماخوذ من قوي او غني او فاسق لان درجات الايذا تختلف باختلاف درجات المؤذى فهذه دقائق في تفاصيل
الخبائث لا ينبغي ان يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار واذا عرفت مثارات التغليظ فلا
حاجة الى حصره في ثلث درجات او اربع فان ذلك جار مجرى التحكم والتشهي وهو طلب حصر فيما لا حاصر له ويدرك على
اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سياتي في تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض حتى اذا اضطر الى اكل ميتة
او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانا نقدم بعض هذه على بعض

امثلة الدرجات الاربع في الورع وشواهدها

اما الدرجة الاولى وهي ورع العدول فكل ما اقتضت الفتوى تحريمه مما يدخل من المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل
الحرام لفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي يعد مقتحمه في الفسق والمعصية وهو الذي نريده بالحرام المطلق
فلا يحتاج الى امثلة وشواهد **واما الدرجة الثانية** فامثلتها كل شبهة لا يوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها
كما سياتي في باب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فيلتحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها والورع عنه ورع
الموسوسين كمن يمتنع عن الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما
يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على نهي التنزيه
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم كل ما اصميت ودع ما انميت والانماء ان تجرح الصيد فيغيب عنك ثم تدركه ميتا اذ
يحتمل انه مات بسقوطه او بسبب اخر فالذي نختاره كما سياتي ان هذا ليس بحرام لكن تركه من ورع الصالحين
وقوله دع للتنزيه اذ ورد في بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا من غير سهمك ولذلك قال صلى الله
عليه

وذروا ما بقي من الربوا ثم قال فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤس اموالكم ثم قال ومن
عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جعل اكل الربوا في اول الامر مؤذنا بمحاربة الله وفي اخره متعرضا للنار والايات الواردة
في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال صلى
الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلما اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين
واحدا وقال صلى الله عليه وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة
الشهدا وقال عليه السلام من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفي رواية
زهده الله تعالى في الدنيا وروي ان سعدا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسال الله تعالى ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب
طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر عليه السلام الحريص على الدنيا قال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام
وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فالصرف النافلة والعدل
الفريضة وقال عليه السلام من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلوته ما دام عليه وقال صلى الله عليه
من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال عليه السلام العبادة عشرة اجزا فتسعة منها في طلب
الحلال روي هذا مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة ايضا وقال عليه السلام من امسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا
له واصبح والله عنه راض وقال عليه السلام من اصاب مالا من ماثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله
ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال عليه السلام خير دينكم الورع وقال عليه السلام من لقي الله ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام
كله ويروى ان الله عز وجل قال واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال عليه السلام درهم من ربوا اشد عند الله
من ثلثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة
صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس
وقوي استقام البنا وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله افمن اسس بنيانه على تقوى
من الله ورضوان خير وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراه كان زاده
الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب اداب الكسب تكفي عن فضيلة كسب الحلال واما الاثار فقد روي ان
الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم ساله فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقي
حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعا وفي بعض الاخبار انه عليه السلام
اخبر بذلك فقال اوما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من لبن ابل الصدقة غلطا فادخل
اصبعه وتقيا وقالت عايشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة وهو الورع وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما يقبل ذلك منكم الا بورع حاجز وقال ابرهيم بن ادهم ما ادرك من ادرك
الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا
مسكين وقيل لابرهيم بن ادهم رحمه الله لم لا تشرب من ما زمزم قال لو كان لي دلو لشربته وقال سفين الثوري من انفق
من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا الما والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ
الطاعة خزانة من خزائن الله ومفتاحها الدعا واسنانه لقم الحلال وقال ابن عباس لا يقبل الله صلوة امرئ في جوفه حرام
وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال ادا الفرائض بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي
من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب ان يكاشف بايات الصديقين فلا ياكل الا حلالا ولا
يعمل الا في سنة او ضرورة ويقال من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بماية الف وماية الف حتى بلغ ستماية الف وقال بعض
السلف ان العبد لياكل اكلة فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل الاديم فلا يعود الى حاله ابدا وقال سهل من اكل الحرام عصت جوارحه

حاجرا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات
ومن ذلك التلحين في الاذان والقران ومن ذلك التقشف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة
الثياب مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظاير ذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه
تابع للعلم وسياتي عليكم زمان يكون العلم تابعا للهوى وكان احمد يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرايب ما اقل الفقه فيهم والله
المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس فيما مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلما يقولون
حرام وحلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب معناه انهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب فاما الحرام
فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسالوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة
فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيا من الخير ان يعمله حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق
ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الاراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب فربما يشوش صفاء القلوب فيتخيل بسببه
الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الاثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلوة العيد عند المصلى قام اليه
ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت
ان يبلغهم الصوت وقال ابو سعيد والله [illegible] ورا اليوم وانما انكر ذلك
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان [illegible] او عصا لا على المنبر وفي الحديث
المشهور من احدث في ديننا هذا ما ليس فيه [illegible] ه والملائكة والناس اجمعين قيل
يا رسول الله وما حدثه قال ان يشرع [illegible] ن الله تعالى ملكا ينادي كل يوم من
خالف سنة رسول الله لم تنله شفاعته [illegible] بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من
عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من [illegible] اما قلب الدولة فلا وقال بعض العلما
ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفا [illegible] الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر
عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال النبي [illegible] يرجع اليه الغالي ويرتفع اليه التالي
وقال ابن عباس ان الضلالة لها حلاوة في [illegible] وقال الله تعالى افمن زين له سوء
عمله فراه حسنا وكلما احدث بعد الصحا[illegible] ب واللهو فهو من هذا القبيل لعنه الله
انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا [illegible] من هولاء رما نصيب منهم شيا
قد اتعبونا فيقول انكم لا تقدرون عليهم [illegible] سياتي بعدهم قوم تنالون منهم
حاجتكم فلما جا التابعون بث جنوده [illegible] من هولاء نصيب منهم الشي
بعد الشي من الذنوب فاذا كان آخر [illegible] جنابت فقال انكم لن تنالوا
من هولاء شيا لصحة توحيدهم واتباع [illegible] اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا
وتقودونهم بازمة اهوايهم كيف شيت [illegible] سنات قال الحا
قوم بعد القرون الاولى فبث فيهم الا[illegible] ينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون
عنها فسلط عليهم الاعدا وقادهم ابن [illegible] قاله ولم يات بهذا ابليس والا جرته
بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون [illegible] يخطر لهم على سبيل الورود عليهم
من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرويا [illegible] المعاني بمشاهدة الامثلة كما
يكون في المنام وهذا من اعلى الدرجات [illegible] يا الصالحة جزو من ستة واربعين
جزا من النبوة فاياك وان يكون حظك م[illegible] المتحذلقون من العلما الزاعمين
انهم احاطوا بعلوم المعقول والجهل خير [illegible] الله ومن انكر ذلك الاولى ليا لزمه انكار
للانبيا وكان فارها عن الدين بالكلية و[illegible] الابدال لطائف الى رض فاستتر واعز عن الجماهير

لانهم لا يطيقون النظر الى العلما الى الوقف لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علما قال سهل التستري
ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى
الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق
الدين المعتقدين انهم من العلما لان العامي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم
وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسايله الى الدنيا من سلوك طريق الدين لا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى
الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد
عنهم كما سياتي في كتاب العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر
الله تعالى معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا ينفك عن
غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد ولو تامل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل
ذلك آلة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردا وظهيرا ومهيئا للاسباب كالذي يبيع السيف من قطاع
الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقراين احواله انه يريد
به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علما الاخرة تجمع كل واحد جملا من اخلاق علما السلف
فكن احد الرجلين اما متصفا بهذه الاوصاف او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك
بان تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلما الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الايسين
نعوذ بالله من خدع الشياطين فبها هلك الجمهور فنسال الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحيوة الدنيا ولا يغره بالله الغرور
والله اعلم بالصواب

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل

اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم
يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والروية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والاخرة
وكيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهايم بدنا واشدهم ضراوة واقواهم
سطوة اذا راى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلايه عليه لما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي
هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهايم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين
قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى
لهم ما كان يتلالا على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة
وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والايات في ذكر شرفه وقد سماه الله سبحانه وتعالى نورا في قوله الله نور السموات
والارض وسمى العلم المستفاد به روحا ووحيا وحيوة فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال الله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه
وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس
اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله
وان كان ذميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف
المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانهم
من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي
ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب فان قلت هذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل
الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قايما بنفسه لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة
وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه السلام

شانه الا علم اقام يعلم ومن كان طعمته حلالا اطاعت جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف ان اول لقمة ياكلها العبد
من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما تساقط ورق
الاشجار وروى في اثار السلف ان الواعظ كان اذا جلس للناس قال العلما تفقدوا منه ثلثا فان كان معتقدا لبدعة فلا
تجالسوه فانه على لسان الشيطان ينطق وان كان سيئ الطعمة فعن الهوى ينطق وان لم يكن مكين العقل فانه
يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الاخبار المشهورة عن علي وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب
وزاد اخرون وشبهتها عتاب وروى ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم ياكله فساله عنه فقال نحن لا ناكل دفع
الا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف بالملكوت ونشاهد الاخرة ولو اكلنا مما تاكلون ثلثة ايام
لما رجعنا الى شي من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فاني اصوم الدهر واختم القران
في كل شهر ثلثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة من لبن التي رايتني شربتها احب الي من ثلثين ختمة في ثلثمائة ركعة
من اعمالك وكانت شربته لبن من ظبية وحشية وقد كان بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة فهجره احمد اذ
سمعه يقول اني لا اسال احدا شيا ولو اعطاني الشيطان لاكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال تمزح بالدين
اما علمت ان الاكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وفي الخبر انه
مكتوب في التورية من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله من اي ابواب النار ادخله وعن علي رضي الله عنه انه لم
ياكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة واجتمع فضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك
عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الي الا اني لا اكله لاختلاط رطب
مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال ابن المبارك ان نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال ان
اصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفين قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما اردت
الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله علي ان لا اكل خبزا ابدا حتى القاه وكان يشرب اللبن فاتته امه بلبن
فسالها فقالت هو من شاة بني فلان فسال عن ثمنها وانه من اين لهم فذكرت فلما ادناه من فيه قال بقي انها من
اين كانت ترعى فسكتت فلم يشرب لانه كان ترعى من موضع للمسلمين فيه حق فقالت امه اشرب فان الله يغفر لك
فقال ما احب ان يغفر لي وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته وكان بشر الحافي من الورعين فقيل له من اين تاكل
فقال من حيث ياكلون ولكن ليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل وهو يضحك وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر
من لقمة فهكذا كانوا يحترزون عن الشبهات **اصناف الحلال ومداخله** اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يتولى
بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها وكان لا ياكل من غيرها
فاما من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه ونحن الان
نشير الى مجامعه في سياق تقسيم وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه **القسم الاول**
الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله ان الاعيان الماكولة على وجه الارض لا تعدو ثلثة اقسام
فانها اما ان تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من الحيوان اما المعادن وهي اجزاء الارض
وجميع ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث يضر بالاكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز لو كان مضرا لحرم
اكله والطين الذي يعتاد اكله لا يحرم الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انها لا تحرم مع انها لا تؤكل انه لو وقع شي
منها في مرقة او طعام لم يصر به محرما **واما النبات** فلا يحرم منها الا ما يزيل العقل او يزيل الحيوة او الصحة فمزيل العقل
البنج والخمر وساير المسكرات ومزيل الحيوة السموم ومزيل الصحة الادوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر
الا الخمر والمسكرات فان الذي لا يسكر منها ايضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة واما السم فاذا خرج عن كونه
مضرا لقلته او لعجنه بغيره فلا يحرم واما الحيوانات فتنقسم الى ما يوكل والى ما لا يوكل وتفصيله في كتاب الاطعمة والنظر
يطول في تفصيله لا سيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل اكلها فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعي فيه

قال وان اكل

لعدي بن حاتم في الكلب المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه لاجل الخوف اذ قال
الى ثعلبة الخشني كل منه فقال وان اكل قال وان اكل اذ كانت حالة ابي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا يحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله
ويحكى عن ابن سيرين انه ترك لشريك له اربعة الاف درهم لانه حاك في قلبه شي مع اتفاق العلما على انه لا باس به وامثال هذه
الدرجة نذكرها عند التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة **اما الدرجة**
الثالثة وهي ورع المتقين فيشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به
باس وقال عمر كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام وقال ابو الدرداء ان تمام التقوى ان يتقي العبد
في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم
على انسان فحملها اليه فاخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرز فكل ما يستوفيه
ياخذه بنقصان حبة وما يعطيه يزنه مع زيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح
الناس به فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه ان يجر الى غيره وتالف النفس الاسترسال فيترك الورع
فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد انه قال كنت ساكنا في بيت بكرى فكتبت كتابا واردت ان اخذ من تراب الحائط لاتربه
واجففه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فاخذت من التراب حاجتي فلما نمت فاذا انا بشخص واقف
يقول يا علي سيعلم غدا الذين يقولون وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط منزلته فان للتقوى منزلة
تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد انه يستحق عقوبة على فعله ومن ذلك ما روي ان عمر رضي الله عنه وصله مسك من
البحرين فقال وددت لو ان امراة وزنت حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امراته عاتكة انا اجيد الوزن فقال لا اخاف ان
تضعيه هكذا ثم تقولي فيها اثر الغبار تمسحين بها عنقك فاصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يدي عمر بن
عبد العزيز مسك المسلمين فاخذ بانفه حتى لا يصيبه الرايحة وقال وهل ينتفع الا بريحه لما استبعد ذلك منه واخذ الحسن رضي الله عنه
تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال عليه السلام كخ كخ القها ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه كان عند محتضر فمات ليلا
فقال اطفيوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن وروى سليمن التيمي عن نعيمة العطارة قالت كان عمر يدفع الى امراته
طيبا من طيب المسلمين قال فتبيعه امراته فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر باسنانها فتعلق باصبعها
شي منه فقالت به هكذا باصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر فقال ما هذه الريح فاخبرته فقال طيب المسلمين
تاخذينه فانتزع الخمار من راسها واخذ جرا من ماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه
في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم اتيتها مرة اخرى فلما وزنت علق باصبعها منه شي فادخلت اصبعها فيها ثم مسحت
به التراب فهذا من عمر ورع التقوى لخوف اداء ذلك الى غيره والا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب الى المسلمين ولكن
اتلفه عليها زجرا وردعا وتقاء من ان يتعدى الامر ومن ذلك ما سيل احمد بن حنبل رضي الله عنه عن رجل يكون في المسجد
فيحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود الا برايحته وهذا
قد يقارب الحرام فان القدر الذي يعلق بثوبه من رايحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به فلا يدري انه يتسامح به ام لا
وسيل احمد عمن سقط منه ورقة فيها احاديث فهل لمن وجدها ان يكتب منه ثم يرده فقال لا بل يستاذن ثم يكتب وهذا ايضا
قد يشك في ان صاحبه يرضى به ام لا فما هو في محل الشك فالاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ومن ذلك التورع
عن الزينة لانه يخاف منها ان يدعو الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها وقد سيل احمد بن حنبل عن النعال السبتية
فقال اما انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فارجو فاما من اراد الزينة فلا ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه لما
ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من
ترك ما لا باس به مخافة مما به باس اي مخافة من ان يفضي اليه واكثر المباحات داعية الى المحظورات حتى استكثار الاكل
واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو الى الفكر والفكر الى النظر والنظر الى غيره وكذلك
النظر الى دور الاغنيا وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو الى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله

كيف عقل الرجل فقالوا الخير كل عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال عليه السلام ان الاحمق يصيب
بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضي الله عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد
ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم للرجل
حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه
صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم حكاية قول الفاجر
لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر رضي الله عنه انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سالتك فقال كما قلت ثم قال سالت جبريل ما السودد قال العقل وعن البراء بن عازب
رضي الله عنه قال كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل شيء مطية ومطية
المرء العقل واحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة افضلهم عقلا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله عليه
السلام عن غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل
وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل
على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب قال قال عليه السلام جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله بالعقل وجد
المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله اوفرهم عقلا وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا
رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال
يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله تعالى من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا
يجزون وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن
وعدته العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية
وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل
ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه
ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل
وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المؤمنين الى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه
فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به
ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا **بيان حقيقة العقل واقسامه** اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل
وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء
فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى
فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه **فالاول** الوصف الذي به يفارق الانسان
سائر البهائم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث
المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها ادراك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك
الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين
باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم كما ان الحي حي بغريزة بها يتهيا الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك
العقل غريزة بها يتهيا بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة فيقال لا فرق الا
ان الله بحكم اجراء العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهائم لجاز ان يسوى بين الجماد والحمار في الحياة
ويقال لا فرق الا ان الله يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا لوجب القول بان كل حركة

تشاهد منه فالله قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم تكن مفارقته الجماد في الحركة الا بغريزة
اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة
التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق
الجبهة في هيئات وصفات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن
والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي هذه الغريزة **الثاني**
هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من
الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم
الضرورية بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا
ظاهر وانما الفاسد ان ينكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم **الثالث** علوم تستفاد من التجارب بمجاري
الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل
فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا **والرابع** ان ينتهي قوة تلك الغريزة الى ان تعرف عواقب الامور وتقمع الشهوة الداعية
الى اللذة العاجلة وتقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في
العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن الحيوان فالاول هو الاس والاصل
والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية يستفاد
علم التجارب والرابع هي الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي
رضي الله عنه ان العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع
والاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقول النبي عليه السلام لابي الدرداء ازدد عقلا تزدد
من ربك قربا فقال بابي انت وامي كيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات
من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز وعن سعيد بن المسيب ان
عمر وابي بن كعب وابا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم
الناس فقال العاقل فقالوا فمن اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل
من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام وان كل ذلك لما متاع
الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا وقال في حديث
آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه ان يكون الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة
وكذا في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم
من يخشى الله فان الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان
هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها والاختلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول والصحيح وجودها بل
هي الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر الى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود
حتى كان هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكانها كانت مستكنة فيه فظهرت ومثاله الماء في الارض فانه
يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليه شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال
الله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار
نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص الى مقر والى جاحد ولذلك قال ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل آدمي
فطر على الايمان بالله تعالى بل على معرفة الاشياء على ما هي عليه اعني انها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان

وهكذا المباحات كلها اذا لم يوخذ بقدر الحاجات وفي وقت الحاجة مع التحرز عن غوايلها بالمعرفة اولا ثم بالحذر ثانيا
فقلما يخلو عن خطر وكذلك كل ما اخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر حتى كره احمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال اما
تجصيص الارض فيمنع التراب واما تجصيص الحايط فزينة لا فايدة فيه حتى انكر تجصيص المسجد وتزيينه واستدل
بما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل ان يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى وانما هو شي مثل الكحل يطلى فلم ير
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من ان يجر الى
اتباع الشهوات في المباحات الى غيرها فان المحظور والمباح يشتهيهما بشهوة واحدة واذا تعودت الشهوة المسامحة
استرسلت فاقتضى خوف التقوى الورع من هذا كله وكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهي الحلال الطلق في الدرجة
الثالثة وهو كل ما لا يخاف اداوه الى معصية البتة اما الدرجة الرابعة وهي ورع الصديقين فالحلال الطلق عندهم كل
ما لا يتقدم في اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضا وطر بل يتناول لله تعالى للتقوى
على عبادته واستبقا الحيوة لاجله وهولاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ انفسهم المفردين لله تعالى بالقصد ولا شك ان من تورع عما يوصل اليه بمعصية او يستعان
عليه بمعصية فيتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية او كراهية فمن ذلك ما روى عن يحيى بن يحيى انه شرب الدواء
فقالت له امراته لو مشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدواء فقال هذه مشية لا اعرفها وانا احاسب نفسي منذ ثلثين سنة فكانه
لم تحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجوز الاقدام عليه وعن سري رضي الله عنه انه قال انتهيت الى حشيش في
جبل وما يخرج منه فتناولت الحشيش وشربت الما وقلت في نفسي ان كنت قد اكلت يوما حلالا طيبا فهذا هو اليوم فهتف
هاتف ان القوة التي اوصلتك الى هذا الموضع من اين هي فرجعت وندمت ومن هذا ما روى عن ذي النون المصري رحمه
الله انه كان جايعا محبوسا فبعثت له امراة صالحة طعاما على يد السجان فلم ياكل ثم اعتذر وقال جاني على طبق ظالم
يعني ان القوة التي اوصلت الطعام الي لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع ومن ذلك ان بشرا رضي الله عنه
كان لا يشرب الما من الانهار التي حفرها الامرا فان النهر سبب لجريان الما ووصوله اليه وان كان الما مباحا في نفسه
فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجرا وقد اعطيت اجرتهم من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من
الكرم الحلال وقال لصاحبه افسدته اذ سقيته من ما يجري من النهر الذي حفرته الظلمة وهذا ابعد عن الظلم
من شرب الما لانه احتراز من استمداد العنب من ذلك الما وكان بعضهم اذا مشى في طريق الحج لم يشرب من المصانع
التي عملها الظلمة مع ان الما مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع والمصنع عمل بمال حرام فكانه انتفع به وامتناع ذي النون
من يد السجان اعظم من هذا كله لان يد السجان لا توصف بانها حرام على الطبق المغصوب اذا حمل عليه ولكن
وصل اليه بقوة اكتسبت بالغذا الحرام ولذلك تقيا الصديق من اللبن خيفة من ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه شربه
على جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تخلية الباطن عن الخبث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال الكسبة
خياط يخيط في المسجد فان احمد رضي الله عنه كره جلوس الخياط في المسجد وسيل عن المغازلي يجلس في قبة من المقابر في وقت
يخاف من المطر فقال المقابر انما هي من امر الاخرة واطفا بعضهم سراجا اوقده غلامه من قوم يكره مالهم وامتنع من تسجير تنور الخبز
وقد بقي فيه جمر من حطب مكروه وامتنع من ان يحكم شسع نعله في مشعلة السلطان فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الاخرة
والتحقيق فيه ان الورع له اول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو
الامتناع من كل ما ليس لله مما اخذ بشهوة او توصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكل
ما كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم القيامة واسرع جوازا على متن الصراط وابعد عن ان يترجح كفة
سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل في الاخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت درجات النار
في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث واذا علمت حقيقة الامر فالك الخيرة فان شئت فاستكثر من الاحتياط وان
شئت فترخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك تترخص والسلام الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها

عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرا
لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا الحديث نص في اثبات الاقسام
الثلثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطا
عنها فان ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل فنقول الحلال المطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه
وانحل عن اسبابه ما يتطرق اليه تحريم او كراهية ومثاله الما الذي ياخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على ملك احد ويكون
هو واقفا عند اخذه وجمعه من الهوا في ملك نفسه او في ارض مباحة والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها
كالشدة المطربة في الخمر والنجاسة في البول او حصل بسبب منهي عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربوا ونظايره فهذان طرفان ظاهران
ويلتحق بالطرفين ما تحقق امره ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر
حلال ومن اخذ ظبية فيحتمل ان يكون قد ملكها صياد ثم افلتت منه وكذلك السمك يتصور ان يكون قد تزلق من الصياد
بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى ما المطر المختطف من الهوا ولكنه في معنى ما المطر
والاحتراز منه وسواس فلنسم هذا الفن من الورع ورع الموسوسين حتى يلحق به امثاله وذلك لان هذا وهم مجرد
لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان قاطعا كما لو وجد حلقة في اذن السمكة او كان محتملا كما لو وجد على الظبية
جراحة يحتمل ان تكون كيا لا يقدر عليه الا بعد الضبط ويحتمل ان يكون جرحا فهذا موضع الورع واذا انتفت الدلالة
من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير دابة فيغيب عنه
الغير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس اذا لم يدل على موته سبب قاطع او مشكك اذ
الشبهة المحذورة ما نشا من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشا عن سببين فما لا سبب له لا يثبت
عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا نقول من شك انه صلى ثلثا او اربعا انه ياخذ بالثلث
اذ الاصل عدمه ولو سيل انسان ان صلوة الظهر التي اداها قبل هذا بعشر سنين كانت اربعا او ثلثا لم يتحقق قطعا
انه اربع واذا لم يقطع جوز ان يكون ثلثا وهذا التجويز لا يكون شكا اذ لم يحضره سبب اوجب اعتقاد كونها ثلثا
فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا ما يلتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام
المحض ما تحقق تحريمه وامكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له
سواه فغاب عنه فقال يحتمل انه مات وقد انتقل الملك الي فاكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض لانه احتمال
لا مستند له فلا ينبغي ان يعد هذا النمط من اقسام الشبهات وانما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا امره بان
تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين ومثارات الشبهة اربع حكم الكلام
لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وان غلب احد الاحتمالين المثار الاول الشك في السبب المحلل والمحرم وذلك
اما ان يكون متعادلا او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالان او غلبة تصدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا
يتبين هذا الا بالامثلة والشواهد فلنقسمه على اقسام اربعة القسم الاول ان لا يكون الحل معلوما من قبل ثم
يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها مثاله ان يرمي الى صيد فيجرحه ويقع في الما فيصادفه
ميتا ولا يدري انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق
فلا يترك اليقين بالشك كما في الاحداث والنجاسات وركعات الصلوة وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم
لعدي بن حاتم لا تاكله فلعله قتله كلب غير كلبك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا اتي بشي اشتبه عليه انه صدقة
او هدية سال عنه حتى يعلم ايهما هو وروي انه ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله قال اجل وجدت
تمرة فخشيت ان تكون من الصدقة وفي رواية فاكلتها فخشيت ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه قال كنا في سفر
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلي بها اذ قال صلى الله عليه وسلم
امة مسخت من بني اسرائيل فاخاف ان تكون هذه فاكفانا القدور ثم اعلمه الله تعالى بعد ذلك انه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا

مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى من اعرض فنسي وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر وكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال الله تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكان التذكر ضربان احدهما ان يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه ولكن غابت بعد الوجود والاخر ان يكون عن صورة كانت متضمنة فيه بالفطرة وهذه حقايق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الايات ويتعسف في تاويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والايات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيتعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده عمى فقال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبيا بعضها كان بالبصر وبعضها بالبصيرة وسمي الكل روية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقايقه فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل عليها

بيان تفاوت الناس في العقل

اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون الشخص الواحد في مكانين وكون الشي الواحد قديما حادثا وكذا ساير النظاير وكل من يدركه يدركه ادراكا محققا من غير شك فاما الاقسام الثلثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلا القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الريا والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرفة بغايلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتما عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة في قمع الشهوة وكسرها وكذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي من العامي لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد **واما القسم الثالث** وهو علم التجارب فتفاوت الناس فيه لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وبسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوتا في الغريزة واما تفاوتا في الممارسة اما الاول وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوايله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر فالفرق مدرك بين الاعمش وبين حاد البصر بل سنة الله تعالى جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيا فشيا على التدريج وكذا جميع القوى والصفات ومن انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل احاد السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من احاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولا لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقايق الامور دون التعليم يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبيا عليهم السلام اذ يتضح لهم في باطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شيت فانك ميت واعمل ما شيت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملايكة للانبيا يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شي ووجود المعلوم شي ولا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقايقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الما ويقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الى القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا لاختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي ان عبد الله بن سلام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في اخره وصف عظم العرش وان الملايكة قالت يا رب هل خلقت شيا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي حبتين ومنهم الثلث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من اعطي وسقا ومنهم من اعطي اكثر من ذلك فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطاتم في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذي يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الادمي عن البهايم حتى ادرك بها حقايق الامور واكثر هذه التخبطات نشات من جهل اقوام طلبوا الحقايق من الالفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله تعالى اعلم بالصواب

كتاب قواعد العقايد وفيه اربعة فصول

الفصل الاول في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي احد مباني الاسلام فنقول وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المبدي المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقايدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفا اثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتاييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد المعرف اياهم انه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا اخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دايم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضا وتصرم الاماد وانقراض الاجال بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن

التنزيه

وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض وانه لا يماثل الاجسام ولا يماثله موجود ليس كمثله شي وهو السميع البصير ولا هو مثل شي وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استوا منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ولا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق

العرش

وكان امتناعه اولا لان الاصل عدم الحل وشك في كون الكلب مجلا والقسم الثاني ان يعرف الحل ويشك في المحرم
فالاصل الحل وله الحكم كما اذا نكح رجلان امراتين وطار طاير فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامراتي طالق وقال الاخر
ان لم يكن فامراتي طالق والتبس امر الغراب فلا يقضي بالتحريم في واحدة ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما
وتطليقهما حتى تحل لساير الازواج وقد امر مكحول بالاجتناب في هذه المسالة وافتى الشعبي بالاجتناب في رجلين
كانا تنازعا فقال احدهما للاخر انت حسود فقال الاخر احسدنا زوجته طالق ثلثا فقال الاخر نعم واشكل الامر
وهذا ان اراد به اجتناب الورع فصحيح وان اراد التحريم المحقق فلا وجه له اذ ثبت في المياه والنجاسات والاحداث
والصلوات ان اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه فان قلت واي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم
انه لا يحتاج الى المناسبة فانه لازم في بعض ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن طهارة الما ثم شك في نجاسته
جاز له ان يتوضا به فكيف لا يجوز له ان يشربه واذا جوز الشرب فقد سلم ان اليقين لا يترك بالشك الا ان هاهنا
دقيقة وهو ان وزان الما ان يشك في انه طلق زوجته ام لا فيقال الاصل انه ما طلق ووزان مسئلة الطاير
ان يتحقق نجاسة احد الانايين ويشتبه عينه فلا يجوز له ان يستعمل احدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين
النجاسة بيقين الطهارة فيبطل الاستصحاب فكذلك هاهنا قد وقع الطلاق على احدى الزوجتين قطعا والتبس
عين المطلقة بغير المطلقة فنقول قد اختلف اصحاب الشافعي في الانايين على ثلثة اوجه فقال قوم يستصحب
بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد
وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه ان يكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب طالق
وان لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد اذ لا علامة في تحريمها
عليه لانه لو وطيهما كان مقتحما للحرام قطعا وان وطي احدهما وقال اقتصر على هذه كان متهجما بتعيينها
من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد وشخصين لان التحريم على شخص واحد محقق بخلاف الشخصين
اذ كل واحد يشك في التحريم في نفسه فان قيل فلو كان الانا ان لشخصين فينبغي ان يستغني عن الاجتهاد ويتوضا
كل واحد باناية لانه تيقن طهارته وقد شك الان فيه فنقول هذا محتمل في الفقه والارجح في الظن المنع
فان تعدد الشخص هاهنا كاتحاده لان صحة الوضوء لا يستدعي ملكا بل وضوء الانسان بما غيره في معرض الكف
كوضوئه بمائه فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده اثر بخلاف الوطي زوجة الغير فانه لا يحل ولان للعلامات
مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع به قوة
يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة وابواب الاستصحابات والترجيحات من غوامض الفقه ودقايقه
وقد استقصيناه في الكتب الفقهية ولسنا نقصد الان الا التنبيه على قواعدها **القسم الثالث** ان يكون
الاصل التحريم ولكن طرا ما اوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند
غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختاره فيه ان يحل وان اجتنابه من الورع مثاله ان يرمي الى صيد
فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه مات بسقطة او بسبب اخر فان ظهر عليه اثر
صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول وقد اختلف قول الشافعي رضي الله عنه في هذا القسم والمختار
انه حلال لان الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه لم يطرا غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع
اليقين بالشك فان قيل فقد قال ابن عباس رضي الله عنه كل ما اصميت ودع ما انميت وروت عايشة رضوان
الله عليها ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم بارنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال اصميت ام انميت فقال
بل انميت قال ان الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله اعان على قتله شي وكذلك قال عليه السلام
لعدي في كلبه المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه والغالب ان الكلب المعلم لا يسيء
خلقه ولا يمسك الا على صاحبه ومع ذلك نهي عنه اذا اكل وهذا التحقيق وهو ان الحل انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب

وتمام السبب ان يفضي الى الموت سليما من طريان غيره عليه وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه
ان موته على الحل او على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل ساعة ثم شك فيما يطرا عليه فالجواب
ان نهي ابن عباس وانميت رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات
انه قال كل منه وان غاب عنك ما لم تر فيه اثرا غير سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو
انه ان وجد اثرا اخر فقد تعارض السبب فتعارض الظن وان لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به
على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها فاما
قول القايل انه لم يتحقق موته على الحل ساعة فيكون شكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذ الجرح
سبب الموت وطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب
القصاص على جارحه بل ان لم يغب يحتمل ان يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الانسان فجاة
فينبغي ان لا يجب القصاص الا في حز الرقبة والجرح المذفف لان العلل القاتلة في الباطن لا يؤمن ولاجلها
يموت الصحيح فجاة فلا قايل بذلك مع ان القصاص مبناه على الشبهة وكذلك جنين المذكى حلال ولعله مات
قبل ذبح الاصل لا بسبب ذبحه او لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم ينفخ فيه او كان قد مات قبل الجناية
بسبب اخر ولكن يبنى على الاسباب الظاهرة فان الاحتمال الاخر اذا لم يستند الى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس
كما ذكرناه فكذلك هذا واما قوله صلى الله عليه وسلم اخاف ان يكون انما امسك على نفسه فللشافعي في هذه الصورة قولان
والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالالة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو
استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور منه ان يصطاد لنفسه ومهما انبعث باشارته ثم اكل دل ابتداء انبعاثه
على انه نازل منزلة الته وانه يسعى في وكالته ونيابته ودل اكله اخرا على انه امسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض
السبب الدال فتعارض الاحتمال والاصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلا بان يشتري له
جارية فاشترى جارية ومات قبل ان يبين انه اشتراها لنفسه او لموكله لم يحل للموكل وطيها لان للوكيل قدرة
على الشرا لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل يرجح والاصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الاول لا بالقسم الثالث **القسم
الرابع** ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرتفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم
ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن ومثاله ان يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد الانايين بالاعتماد على علامة
معينة توجب غلبة الظن فيوجب تحريم شربه كما اوجب منع الوضوء به وكذلك اذا قال ان قتل زيد عمرا او قتل زيد
صيدا منفردا بقتله فامراتي طالق فجرحه وغاب ووجد ميتا حرمت زوجته لان الظاهر انه منفرد به كما سبق
وقد نص الشافعي ان من وجد في الغدران ما متغيرا احتمل ان يكون بطول المكث او بالنجاسة فيستعمله ولو
راى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل ان يكون بالبول او بطول المكث لم يجز له استعماله اذ صار البول المشاهد
دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استندت الى علامة متعلقة بعين الشي فاما غلبة
الظن لا من جهة علامة متعلقة بعين الشي فقد اختلف قول الشافعي في ان اصل الحل هل يزال به اذ اختلف قوله في التوضي
من اواني المشركين ومدمني الخمر والصلوة في المقابر المنبوشة والصلوة مع طين الشوارع اعني المقدار الزايد
على ما يعتاد الابتلا به وعبر الاصحاب عنه بانه اذا تعارض الاصل والغالب فايهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب
من اواني مدمني الخمر والمشركين لان النجس لا يحل شربه وماخذ النجاسة والحل واحدة فالتردد في احدهما يوجب
التردد في الاخر والذي اختاره ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الاصل
وسياتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهو شبهة الخلط فقد اتضح من هذا ان الحكم بالحل ان شك في
طريان محرم عليه او ظن والحكم بحرام ان شك في طريان محلل عليه او ظن وبان فرق بين ظن يستند الى علامة
في عين الشي وظن لا يستند اليه وكل ما حكمنا في هذه الاقسام الاربعة بحله فهو حلال في الدرجة الاولى والاحتياط تركه

ما لا يستند

وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه باين من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم

القدرة وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور وعجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فنا ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وانه المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته

العلم وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السما بل يعلم دبيب النملة السودا على الصخرة الصما في الليلة الظلما ويدرك حركة الذر في جو الهوا ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضماير وحركات الخواطر وخفيات السراير بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الازال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال

الارادة وانه مريد للكاينات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل او كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة او عصيان الا بقضايه وقدره وحكمه ومشيته فما شا كان وما لم يشا لم يكن لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدي المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملايكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عنه وان ارادته قايمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشيا في اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم وتاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل وتغير دبر الامور لا بفكر وتربص زمان فلذلك لم يشغله شان عن شان

السمع والبصر وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رويته مرئي وان دق لا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رويته ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا يشبه صفاته صفات الخلق كما لا يشبه ذاته ذات الخلق

الكلام وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم قايم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هوا واصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القران والتورية والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القران مقرو بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قايم بذات الله لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يري الابرار ذات الله من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحيوة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات

الافعال وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفايض من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسما وارض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاه بعد ان لم يكن شيا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعده اظهارا للقدرة وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره

اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب الالام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيايه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاوا به

معنى الكلمة الثانية وهي شهادة الرسول وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرايع الا ما قرره وفضله على ساير الانبيا وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهي قول لا اله الا الله ما لم تقترن به شهادة الرسول وهي قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه من الدنيا والاخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يومن بما اخبر عنه بعد الموت واوله سوال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هايلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسالانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسوالهما اول فتنة بعد الموت وان يومن بعذاب القبر وانه حق وحكمة وعدل على الجسم والروح على ما يشا وان يومن بالميزان ذي الكفتين واللسان ووصفه في العظم انه مثل طباق السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله والصنج يوميذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل ويطرح صحايف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله ويطرح صحايف السيات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله وان يومن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر تزل عليها اقدام الكافرين بحكم الله فتهوي بهم الى النار وتثبت عليها اقدام المومنين بحكم الله فيساقون الى دار القرار وان يومن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المومنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لا يظما بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عددها نجوم السما فيه ميزابان يصبان من الكوثر وان يومن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال من شا من الانبيا عن تبليغ الرسالة ومن شا من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسال المبتدعة عن السنة ويسال المسلمين عن الاعمال وان يومن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله وان يومن بشفاعة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا ثم ساير المومنين كل على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المومنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مومن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الاثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسال الله كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين

الفصل الثاني في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد ما ذكرناه من ترجمة العقيدة فينبغي ان يتقدم الى الصبي في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيا فشيا فابتداوه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتدا على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه فلا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران وتفسيره وقراة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القران

فالمقيم عليه لا يلتحق في زمرة المتقين والصالحين بل في زمرة العدول الذين لا يقضى في فتوى الشرع بفسقه وعصيانه
واستحقاقه العقوبة الا انا الحقناه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع اصلا **المثار الثاني** للشبهة
شك منشاه الاختلاط وذلك بان يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر
من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز
بالاشارة كاختلاط المايعات او يكون اختلاط استبهام مع تميز الاعيان كاختلاط الاعبد والدور والافراس والذي
يختلط بالاستبهام فلا يخلو اما ان يكون مما يقصد عينه كالعروض او لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم اقسام
القسم الاول ان تستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلطت ميتة بذكية او بعشر مذكيات او تختلط رضيعة بعشر
نسوة او تزوج احدى الاختين ثم تلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع لانه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا
واذا اختلط بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فيتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين ان يثبت
حل فيطرا اختلاط المحرم كما لو وقع الطلاق على احدى زوجتيه في مسئلة الطاير او يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلط
رضيعة باجنبية فاراد استحلال واحدة وقد يشكل في طريان التحريم كطلاق احدى الزوجتين كما سبق من الاستصحاب وهذا
فقد نبهنا على وجه الجواب وهو ان يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الحظر اغلب في نظر
الشرع فلذلك ترجح وهذا اذا اختلط حلال محصور بحرام محصور فان اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى
ان وجوب الاجتناب اولى **القسم الثاني** حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر رضايع بنسوة بلد
كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز ان يعلل بكثرة الحلال اذ يلزم عليه
ان يجوز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسعة حلال ولا قايل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع
له رضيع او قريب او محرم بمصاهرة او سبب من الاسباب لا يمكن ان يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال الدنيا
خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشرا والاكل فان ذلك حرج وما في الدين من حرج ويعلم هذا بانه لما سرق في زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن وغل واحد في الغنيمة عباءة لم يمتنع احد من شرا المجن والعباء في الدنيا وكذلك كل
ما سرق وكذلك كان يعرف ان في الناس من يربي في الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا الناس الدراهم بالكلية وبالجملة انما تنفك الدنيا عن الحرام اذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال واذا
لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط ايضا في بلد الا اذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين
اذ لم ينقل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من احد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا في
عصر من الاعصار فان قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو اراد الانسان ان يحصر اهل بلد لقدر عليه
ايضا ان تمكن منه فاعلم ان تحديد هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر
على الناظر عدهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين
اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استفتي فيه القلب فان الاثم حزاز القلوب وفي مثل
هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك وكذلك الاقسام
الاربعة التي ذكرناها في المثار الاول يقع فيها اطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات واوساط متشابهة فالمفتي
يفتي بالظن وعلى المستفتي ان يستفتي قلبه فان حاك في صدره شي فهو الاثم بينه وبين الله فلا ينجيه في الآخرة فتوى المفتي
فانه يفتي بالظاهر والله عز وجل يتولى السراير **القسم الثالث** ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال
في زماننا هذا فالذي ياخذ الاحكام من الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد
حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هاهنا والذي نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيئا بعينه احتمل
انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل عليه فتركه ورع واخذه
حلال لا يفسق به اكله ومن العلامات ان ياخذ من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سياتي ويدل عليه الاثر

١٥١

والقياس اما الاثر فما علم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت اثمان الخمور ودراهم الربوا من ايدي
اهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الربوا كما لم يتركوا
شرب الخمر وساير المعاصي حتى روي ان بعض اصحاب النبي عليه السلام قال اول ربوا اضعه ربوا العباس ما ترك الناس
الربوا باجمعهم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لعن الله فلانا هو اول من سن بيع الخمر اذ لم يكن قد فهم ان تحريم
الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وسلم ان فلانا يجر في النار عباءة قد غلها وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا
فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غله وكذلك ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة
الظلمة ولم يمتنع احد عن الشرا في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها اصحاب يزيد ثلثة ايام وكان من يمتنع
من تلك الاموال مشارا اليه في الورع والاكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في ايام الظلمة
ومن اوجب ما لم يوجبه السلف الصالحون وزعم انه تفطن من الشرع ما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل
العقل ولو جاز ان يزاد عليهم في امثال هذا لجاز مخالفتهم في مسايل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم لهم
ان الجدة كالام في التحريم وان ابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور في القران والربوا جار
فيما عدا الاشياء الستة وذلك محال فانهم اولى بفهم الشرع من غيرهم واما القياس فانه لو فتح هذا الباب
لانسد باب التصرفات وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع
في العقود ويؤدي ذلك لا محالة الى الاختلاط فان قيل فقد نقلتم انه امتنع من الضب وقال اخشى ان يكون
مما مسخه الله وهو في اختلاط غير المحصور قلنا يحمل ذلك على الورع والتنزه او نقول الضب شكل غريب ربما يدل
على انه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول فان قيل فهذا معلوم من زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان
الصحابة بسبب الربوا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال
فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام اكثر ما في ايدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة الربوا
وكثرة السلاطين الظلمة فمن اخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام ام لا فاقول ليس ذلك
حراما وانما الورع تركه وهذا الورع اهم من الورع اذ كان قليلا لكن الجواب عن هذا ان قول القايل اكثر الاموال
حرام في زماننا غلط محض ومنشاه الغفلة عن الفرق بين الكثير والاكثر فاكثر الناس بل اكثر الفقهاء
يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل
الاقسام ثلثة قليل وهو النادر وكثير واكثر ومثاله ان الخنثى بين الخلق نادر واذا اضيف اليه المريض وجد
كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم ان
المرض ليس بنادر وليس بالاكثر ايضا بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر
عام اراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط فالصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير
والمستحاضة والخنثى نادر فاذا فهم هذا فنقول قول القايل الحرام اكثر باطل لان مستند هذا القايل
اما ان يكون كثرة الظلمة والجندية او كثرة الربوا والمعاملات الفاسدة او كثرة الايدي التي تكررت
في اول الاسلام الى زماننا هذا على اصول الاموال الموجودة اليوم اما المستند الاول فباطل فان الظالم كثير
وليس بالاكثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة وهم اذا اضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم
فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة الف مثلا فيملك اقليما يجمع الف الف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد
مملكته تزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين اكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان
يجب على كل واحد من الرعية ان تقوم بعشرة منهم مع تنعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع
من الف وزيادة وكذا القول في السراق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على عدد قليل واما المستند الثاني وهو
كثرة الربوا والمعاملات الفاسدة فهي ايضا كثيرة وليس بالاكثر اذ اكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هولاء

وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وبما يسري إليه من
مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وهيآتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كإلقاء
بذر في الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها
ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده
وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها
وربما يفتتها ويفسدها وهو الأغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة أهل الصلاح
والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه
الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الريح مرة
هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا ولا فرق بين التقليد
في تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقن الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوه
على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف
العرب أكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوا أصلا
وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس
عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور
إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تعالى إذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس
الذي هو غاية إيمان الصديقين والمقربين وإليه الإشارة بالسر الذي وقر في قلب أبي بكر الصديق حيث فضل
به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة
عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف
ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه مسألة فإن
قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا
وذهب الكلام فيه أطرافا فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد لأن يلقى الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن
يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات
فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع
أهل الحديث من السلف رضوان الله عليهم قال أبو عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول يوم ناظر حفصا الفرد وكان
من متكلمي المعتزلة لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام ولقد
سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يبتلى
العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي أن الشافعي سئل عن شيء
من الكلام فغضب فقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص
الفرد فقال من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس
ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى
فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له قال الزعفراني قال الشافعي حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف
بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب
الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه
بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك
على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث وقال أحمد علماء الكلام زنادقة

وقال مالك أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك لا تجوز
شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال
أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث
من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة رضي الله عنهم مع أنهم أعرف
بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون هلك
المتنطعون هلك المتنطعون أي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم
ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني على أربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم إلى حفظ الفرائض وأثنى عليهم
ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا وعلى هذا استمر الصحابة فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم وهم الأستاذون والقدوة
ونحن الأتباع والتلامذة **وأما الفرقة الأخرى** فاحتجوا بأن المحذور من الكلام إن كان هو لفظة الجوهر والعرض وهذه
الاصطلاحات الغريبة التي لم يعهدها الصحابة فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث
والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فإحداث
عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وإن كان المحذور هو المعنى فنحن
لا نعني به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن أين تحرم معرفة الله بالدليل
وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن
الكبر والرياء وطلب الرياسة مما يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم
لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محذورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم وقال ليهلك من
هلك عن بينة وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وقال إن عندكم من سلطان أي حجة وبرهان وقال قل فلله الحجة البالغة
وقال ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إلى قوله فبهت الذي كفر إذ ذكر احتجاج إبراهيم عليه السلام ومجادلته
وإفحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه وقال الله تعالى يا نوح قد جادلتنا فأكثرت
جدالنا وقال في قصة فرعون وما رب العالمين إلى قوله أولو جئتك بشيء مبين وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة
مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي البعث قل يحييها الذي أنشأها أول
مرة إلى غير ذلك من الأدلة ولم تزل الرسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن
والصحابة أيضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة
بالمجادلة إلى الحق علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ بعث ابن عباس إلى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على إمامكم
قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار أفرأيتم لو سبيت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت
في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة
بمجادلته ألفان وروي أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن أبي طالب رجلا من القدرية وناظر عبد
الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الإيمان فقال عبد الله لو قلت إني مؤمن لقلت إني في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول
الله هذه زلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة
ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أنا من أهل الجنة فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة فقال
ابن مسعود صدقت والله إنها مني زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق
التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال أما قلة خوضهم فيه فإنه كانت لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما
القصر فقد كان الغاية إفحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه لطال لا محالة إلزامهم وما كانوا
يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا بمكيال بعد الشروع فيه وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا كان دأبهم في الفقه والتفسير
والحديث أيضا فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق إلا على الندور إما ادخارا ليوم وقوعها وإن كان نادرا

الشهود الذي يقابل بالربوا وغيره فلو عدّت معاملاته وجعله لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الا ان
الانسان يوهمه في البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الديانة حتى يتصور ان يقال معاملاته الفاسدة اكثر
ومثل ذلك المخصوص نادر وان كان كثيرا فليس بالاكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلوا هو ايضا
عن معاملة صحيحة تساوي الفاسدة او تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تامله وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار
النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له وان كان نادرا حتى ربما يظن ان الزنا وشرب الخمر قد شاع
كما شاع الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو خطأ فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة واما المستند الثالث وهو
اخيلها ان يقال الاموال انما تحصل من المعادن والنبات والحيوان والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة
مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد اصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا
يخلوا هذا ان يتطرق الى واحد من تلك الاصول غصب او معاملة فاسدة فكيف يقدر ان يسلم اصولها عن
تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة اصل او الف الى اول الشرع ولا يكون هذا
حلالا ما لم يكن اصله واصل اصله وكذا الى اول زمان النبوة حلالا واما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل
الابتداء وهي اقل الاموال واكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج الا من دار الضرب وهي في ايدي
الظلمة بل المعادن في ايدي الظلمة يمنعون الناس عنها ويلزمون الفقراء استخراجها بالاعمال الشاقة ثم
ياخذونها منهم غصبا فاذا نظر الى هذا علم ان بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق عقد فاسد او ظلم اليه وقت
النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربوا بعيد نادر او محال فلا يبقى اذا
حلال الا الصيد والحشيش في الصحارى والمعادن والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على اكله فيفتقر الى
ان يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة
حرام فهذا هو اشد الطرق تخييلا والجواب ان هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن
النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل في هذه الاموال قبولها
التصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القولين
للشافعي في النجاسات والصحيح عندنا انه يجوز الصلاة في الشوارع اذا لم ير نجاسة وان طين الشوارع طاهر وان
الوضوء من اواني المشركين جائز والصلاة في المقابر المنبوشة جائزة فلنثبت هذا اولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه
ويدل على ذلك توضي عمر رضي الله عنه من الماء في جرة نصرانية مع ان مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون
عما نجسه شرعنا فكيف تسلم اوانيهم عن ايديهم بل نقول نعلم قطعا انهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب
المصبوغة والمقصورة ومن تامل احوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة وان
الطهارة في تلك الثياب محال او نادر بل نقول نعلم انهم كانوا ياكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع انه كان
بالبقر والدواب وهي تبول عليها وتروث وقل ما يخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون
ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن امها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الامطار
وقد لا تزيلها وما كان يحترز عنها وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب
ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليه ويستنزهون عنه ومتى تسلم
الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وابوالها وكثرة الدواب وارواثها ولا ينبغي ان يظن ان الاعصار والامصار
تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم او كانت تحرس عن الدواب هيهات فذلك
معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل انهم لم يحترزوا الا من نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة دالة على العين
فاما الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه وهذا عندنا لما مع وهو يرى
ان الماء القليل ينجس من غير تغير اوقع اذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه
القليلة

والايدي المختلفة تنغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضي من جرة نصرانية ثبت
جواز شربه والتحق في حكم الحل بحكم النجاسة فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارة
ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه قلنا ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها
معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب ان يعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا
حيث لم يجب وكان في محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة
تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح واما تورعهم في الحلال كان بطريق التقوى وهو ترك ما لا باس به مخافة ما به باس لان
امر الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم تضبط عنها وامر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض
خيفة ان يشغل قلبه وهل حكي عن واحد انه احترز من الوضوء من ماء البحر وهو الطهور المحض فالافتراق في ذلك
لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه على انا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قررناه في المستندين السابقين ولا نسلم
ما ذكروه من ان الاكثر هو الحرام لان المال وان كثر اصوله فليس بواجب ان يكون في اصوله حرام بل الاموال الموجودة اليوم
مما تطرق الظلم الى اصول بعضها دون بعض وكما ان الذي يسرق او يغصب اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب
ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل اصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول بالفساد في كل زمان بالاضافة
الى غيره اقل فليس يدرى ان هذا الفرع بعينه من اي القسمين فلا نسلم ان الغالب تحريمه فان كان يزيد المغصوب
بالتوالد يزيد غير المغصوب فيكون فرع الاكثر لا محالة اكثر في كل عصر وزمان بل الغالب ان الحبوب المغصوبة تغصب
للاكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة اكثرها توكل ولا تقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام اكثر من فروع اصول
الحلال اكثر من اصول الحرام وليتفهم المسترشد من هذا طرق معرفة الاكثر فانه مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون
فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحبوب والحيوانات فاما المعادن فانها مخلاة ياخذها في بلاد الترك وغيرها
من شاء ولكن قد ياخذ السلاطين بعضها منهم او ياخذون الاقل لا محالة لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه
بمنع الناس عنه فاما ما ياخذه الاخذ منه فياخذه من السلطان باجرة والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات
والاستيجار عليه فالمستاجر على الاستقاء اذا جاز لم يدخل في ملك المستقي له واستحق الاجرة فكذا النيل فاذا فرعنا
على هذا لم يحرم عين الذهب الا ان يقدر ظلمه بنقصان اجرة العمل وذلك قليل بالاضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب
بل يكون ظالما ببقاء الاجرة في ذمته واما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من اعيان ذهب السلطان الذي غصبه
وظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك او النقد الردي ويستاجرونهم على السبك والضرب وياخذون
مثل وزن ما سلموه الا شيئا قليلا يتركونه اجرة لهم على العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة من ذهب السلطان
فهو بالاضافة الى مال التجار اقل لا محالة نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بان ياخذ منهم ضريبة لانه خصصهم بها من
بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال الحشمة السلطان فما ياخذه عوض عن حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالاضافة
الى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشر
فكيف يكون هو الاكثر فهذه اغاليط تسبق الى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى يقبحوا
الورع ويسدوا بابه ويستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال فان قيل فلو قدر غلبة
الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه اذا لم يكن في العين المتناولة علامة خاصة فنقول الذي
نراه ان تركه ورع وان اخذه ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظايرها بل
ازيد واقول لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا انه لم يبق في الدنيا حلال لكنا نقول نستانف تمهيد الشروط من وقتنا
ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده فمهما حرم الكل حل الكل وبرهانه انه اذا وقعت هذه الواقعة
فالاحتمالات خمسة احدها ان يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند اخرهم الثاني ان يقتصروا منها على قدر الضرورة
وسد الرمق ويزجون عليها اياما الى الموت الثالث ان يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير
تمييز

او تشحيذ الخاطر بحر ايضا ترتيب طرق المحاجة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة وهيجان مبتدع او لتشحيذ الخاطر والادخار
الحجة حتى لا يعجز عنه عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن ان يذكر
للفريقين فان قلت فما المختار فيه فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطا بل لا بد
فيه من تفصيل واعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار
والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا نلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا
غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك في وقت الخيار والبيع وقت النداء
وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي
يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره مما يضر بالمحرور وكاكل
الطين وكان اطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال
فالاولى والابعد عن الالتباس ان يفصل فنعود الى علم الكلام ونقول فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت
الانتفاع حلال او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة
الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف
فيه الاشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم
ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن
ان يزال اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشؤه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والاخرون
لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من
ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله لك الغطا فيعرفك بالعيان ان الحق مع الخصم لكره ذلك خيفة من ان يفرح
به خصمه وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد من العباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته
فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليها وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط
والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا
فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق
في علوم اخر تناسب نوع الكلام وتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف
وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور في امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد
وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه
جدل المبتدعة وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد
الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم واجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة
كما تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب
الحاذق في استعمال الدواء الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله ان العوام المشتغلين
بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم
الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح واما العامي
المعتقد للبدعة فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من
سياق ادلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك انفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامي
اذا سمع ذلك اعتقد انه نوع صنعة تعلمها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر ان المجادلين من مذهبه
ايضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا من وقع له شك اذ يجب ازالته باللطف والوعظ والادلة القريبة
المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل انما ينفع في موضع واحد وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل

سمعه في ابتداء ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة
بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا يشفيه الا دواء الجدل فجاز ان يلقى اليه واما في بلاد
يقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص
وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت البدعة شايعة وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا باس ان
يعلموا القدر الذي اودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون سببا لدفع تاثير مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم وهذا مقدار
مختصر وقد اودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال او ثار في نفسه شبهة فقد
بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا باس ان يرقى منه الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين
ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد الى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان اقنعه ذلك كف عنه وان
لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر امكانه وينتظر قضاء الله
ذات فيه الى ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب
وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فاما الخارج منه فقسمان احدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات
والاكوان وعن الادراكات والخوض في ان الرؤية هل لها ضد يسمى المنع او العمى وان كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى
او يثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك
الادلة في غير تلك القواعد وزيادة اسولة واجوبة وذلك ايضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك
القدر فرب كلام يزيده الاطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيها فائدة
تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا باس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من
الدين وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف منها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر
المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد فيها والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع فان قلت مهما اعترفت
وسلم بالحاجة اليه في دفع المبتدعة والان قد ثارت البدع وعمت البلوى وارهقت الحاجة فلا بد وان يصير القيام بهذا العلم
من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس
فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون
التدريس فيه ايضا من فروض الكفاية بخلاف زمان الصحابة فان الحاجة ما كانت ماسة اليه فاعلم ان الحق انه لا بد
في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس
من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء
لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من انواع الضرر فالعالم به ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال يحرز
احدها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت والثانية
الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى
فيه نفعه والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بادنى شبهة
ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص
من اعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان الحجة المحمودة
ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات
التي لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصنعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة
قاومه وعرفت ان الشافعي رحمه الله وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه
العقيدة وان ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي
الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد يختلف الاعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا حكم

يبق ملك ... من جهة الرابع أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعد من غير اقتصار على الحاجة الخامس أن يقتصروا
مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يخفى بطلانه وأما الثاني فباطل قطعا لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا
أوقاتهم مع الضعف فشى فيهم الموتان وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين
لأنها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها
مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة ل / وامنا
والتراضي وكيف ما اتفق رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد فيمتد الأيدي بالغصب والسرقة وأنواع
الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فإنه حرام عليه وعلينا وذو اليد له
قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجا فإنا أيضا محتاجون وإن كان في حقي زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد
على حاجة يومه وإن لم يراع حاجة اليوم أو السنة فما الذي يراعى وكيف ينضبط ويؤدي إلى بطلان سياسة الشرع
وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يبقى كل ذي يد على ما في يده ويقال هو أولى بها
إن لم تعرف منه سرقة وغصب بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع تتعلق به المصالح فلم يعتبر أصل التراضي
ويبطل تفصيله وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي
فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لإيجابه على الكافة ولا إدخاله في فتوى العامة
لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق وكل من غلب وكل من وجد
فرصة سرق ويقول لا حق له إلا في قدر الحاجة وأنا محتاج فلا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على الحاجة
من أيدي الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة ويدر على الكل الأموال يوما فيوما أو سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع
أموال أما تكليف الشطط فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو
أن ما فضل على الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتعفن فإن الذي خلقه الله
عز وجل من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجاتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط
الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس إذا خرج الناس لا يملكون إلا قدر حاجتهم وهو في
غاية القبح بل أقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويمهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضي
وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير فرق وأعني بقولي يجب عليه إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكافة إلى قدر الضرورة والحاجة البتة فإن لم يبعث للصلاح
لم يجب هذا ونحن نجوز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فإنه يضل من
يشاء ويهدي من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكنا نقدر الأمر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى في بعثة الأنبياء
لصلاح الدين والدنيا ومالي أقدر هذا فقد كان ما أقدره فقد بعث نبينا صلى الله عليه وسلم وقد أتى عليه ستمائة سنة والناس
منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبدة الأوثان وإلى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن
والكفار مخاطبون بفروع الشريعة والأموال كانت في أيدي المكذبين له والمصدقين أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير
شرع عيسى صلوات الله عليه وأما المصدقون فتساهلوا مع أصل التصديق كما تساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبي أقرب
وكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفا صلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدي
بالأموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لأجل بعثة رسول ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذي في يده الحرام
فإنا لا نأخذ في الجزية من أهل الذمة ما نعرف بعينه أنه ثمن خمر ومال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا
الآن وأمر العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى من الاحتمالات والخامس
طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن
نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه

صح
على فترة من الرسل وكان
شرع عيسى صلى الله عليه وسلم

خلق

إلا الآحاد ولو اشتغل كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فإن ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك
الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة لبطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك أيضا فالمحترفون إنما سخروا
لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوي الدين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم
لذوي الدين أيضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم ويشتغلون بأمور الدنيا وذلك
قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية وإليه الإشارة بقوله عز وجل ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا فإن قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فإن ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك أن البعض
حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر وما ذكرتموه في أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلي ولكن لا بد من دليل
محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كأنها مصالح مرسلة ولا بد لها من شاهد معين
يقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فإن بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة فأقول إن سلم أن الحرام
هو الأقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب
وإن قدر زمان يكون الأكثر هو الحرام فيحل التناول أيضا وبرهانه ثلاثة أمور الأول التقسيم الذي حصرناه وأبطلنا
منه أربعة وأثبتنا القسم الخامس فإن ذلك إذا جرى فيما إذا كان الكل حراما كان أجرى فيما إذا كان الحرام هو الأكثر
أو الأقل فقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فإن ذلك إنما تخيل من تخيله في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فإنا
لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا نشك في أن رد كافة الناس
إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج
إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بآحاد الأشخاص البرهان الثاني أن يقال بقياس
محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالأقيسة الجزوية عليه وإن كانت الجزويات مستحقرة عند المحصلين بالإضافة
إلى مثل ما ذكرناه في الأمر الكلي الذي هو ضرورة للنبي لو بعث في زمان عم التحريم حتى لو حكم بغيره لخرب العالم والقياس المحرر
الجزوي هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الأمور التي ليست محصورة فيحكم بالأصل
لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية وأواني المشركين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا
انقطعت العلامات المعينة احتراز عن الأواني التي يتطرق الاجتهاد إليها وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس الميتة
والرضيعة بالذكية والأجنبية فإن قيل كون الماء طهورا مستيقن به وهو الأصل ونحن لم نسلم أن الأصل في الأموال الحل بل
الأصل فيها التحريم فنقول الأموال التي لا تحريم لصفة في عينها كحرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات
بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الأمرين فإنها تخرج
عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليها ولا فرق والجواب
الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به إذ من ادعى على
غيره مالا فالقول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملكه في يده فالقول أيضا قوله إقامة لليد مقام
الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة البرهان الثالث هو أن ما أخذ عامل
جلس للقضاء ولم يدل على عين لم نعرف به وإن كان قطعا فإنا لا نعتد إذا لم يعرف الطريق أولى وبيانه أن ما علم أنه مال زيد
بعينه امتنع من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أن له مالكا في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه
فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على أن له مالكا محصورا في عشرة أشخاص
مثلا أو عشرين امتنع التصرف فالذي يشك في أن له مالكا سوى صاحب اليد أم لا يزيد على الذي يتيقن قطعا أن له
مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الأقسام الخامسة فيكون هذا الأصل
شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان إلى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف إلى
فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه ولو سرق منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير وليس ذلك إلا لحكمنا بأن المصلحة

التي تعلق الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فاما ازالة الشبهة وكشف الحقايق ومعرفة الاشيا على ما هي عليها
ودرك الاسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح لها الا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله
وملازمة الفكر الصافي عن شوايب المجادلات وهي رحمة من الله تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب
التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله فان قلت هذا الكلام يشير
الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث
والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شي من اشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع
ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية
لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في اوايل الصبى شيا وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترقي الى
شاو العلى ومقامات العلما والاوليا وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم ان لهذا القران ظاهرا وباطنا
وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال صلى الله عليه وسلم
نحن معاشر الانبيا امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ما حدث احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم
وقال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه
الا العالمون بالله الحديث الى اخره كما اوردناه في كتاب العلم وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا منع من افشايه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى اخر فلم لم يذكره لهم ولا شك في
انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن
لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ لقلتم انه كافر وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام وصلاة ولكن
بسر وقر في صدره ولا شك ان ذلك كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا
بظواهرها على غيره وقال سهل التستري للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه اظهاره الا
لاهله وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين افشا سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية
سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلما بالله سر لو اظهروه لبطلت الاحكام وهذا القايل ان
لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفا لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض فيه وان الكامل من لا يطفي
نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة فان قلت هذه الايات والاخبار يتطرق اليها تاويلات فبين لنا كيفية اختلاف
الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا مخالفا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف
الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول
به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا السوال يحرك خطبا عظيما وينجر
الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقايد التي ذكرناها من اعمال القلوب
وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان يتوصل الى ان ينكشف لنا حقايقها فان ذلك لم يكلف به
كافة الخلق ولولا انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في
الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة
الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن يناقض الظاهر فهو الى الكفر
اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها ويمتنعون عن افشايها
اليهم ترجع الى خمسة اقسام **القسم الاول** ان يكون الشي في نفسه دقيقا يكل اكثر الافهام عن دركه فيختص
بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الادراك واخفا
رسول الله صلى الله عليه وسلم سر الروح وكفه عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما يكل الافهام عن دركه
وتقصر الاوهام عن تصور كنهه ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف

فكانه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاوليا والعلما
وان لم يكونوا انبيا ولكنهم متادبون بادب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله سبحانه وتعالى
من الخفايا ما تقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم
والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كانت لهم من الاوصاف ما يسمى
علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مناسبة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شي
لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي او العنين لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة الطعام الذي يدركه ولا يكون ذلك
فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل
وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال او مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة
اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله ما هو
ثابت لنفسه من الفعل والقدرة والعلم وغيره من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم
تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثنا عليك
انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى به اني عجزت عن التعبير عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه
جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل
سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام
ما يكل الافهام عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله ولعل الاشارة الى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم
ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادركه بصره **القسم الثاني من الخفيات**
التي يمتنع الانبيا والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين
ولا يضر بالانبيا والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم عن افشايه من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقايق
مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر
والزنا والمعاصي والشرور بقضا الله وارادته ومشيته حق في نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم دلالة
على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم والجور وقد الحد ابن الراوندي وطايفة من المخذولين بمثل ذلك فلذلك سر القدر
لو افشي لاوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قايل ان القيامة لو ذكر
ميقاتها وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة
اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطات النفوس وقت العقاب او الحساب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة في علم الله
ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح يكون مثالا لهذا القسم
القسم الثالث ان يكون الشي بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز
ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قايل رايت فلانا يقلد الدر
في اعناق الخنازير وكنى به عن افشا العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم
ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك ومن هذا
قول الشاعر رجلان خياط واخر حايك متقابلان على السماك الاعزل لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل فانه
عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين
المعنى او مثله ومنه قوله عليه السلام ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة على النار وانت ترى ساحة المسجد لا
تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد ومعناه كونه معظما ورمي النخامة تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار
لاتصال اجزا الجلد وكذلك قوله اما يخشى من يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة قط لا يكون
ولم يكن ولكن من حيث المعنى هو كاين اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته لونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحمق وهو المقصود دون

تقتضي ان ينقل الملك اليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة فان قيل ذلك تختص بالتصرف فيه للسلطان فنقول والسلطان
لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير اذنه ولا سبب له الا المصلحة وهو انه لو تركه لضاع فهو مردد بين تضييعه وبين صرفه
الى مهم والصرف الى مهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه ان يحكم بدلالة اليد وترك
على ارباب الايدي اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة تؤدي الى الضرر الذي ذكرناه ووجهات المصلحة
تختلف فان السلطان تارة يرى من المصلحة ان يبني بذلك المال قنطرة وتارة ان يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء
ويدور مع المصلحة كيف ما دارت وكذلك الفتوى في مثل هذا يدور على المصلحة وقد خرج من هذا ان الخلق غير مأخوذين في
اعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في تلك الاعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه لعلمهم
ان المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه والفرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى فهذا
بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المائعات والدراهم او العروض في يد مالك واحد وسياتي بيانه
في باب تفصيل طرق الخروج من المظالم **المثار الثالث** للشبهة ان يتصل بالسبب المحلل معصية اما في قرائنه واما
في لواحقه واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وابطال السبب المحلل مثال المعصية
في القرائن البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب والاحتطاب بالقدوم المغصوب والبيع على بيع الغير
والسوم على سومه وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع من جميع ذلك ورع وان لم يكن المستفاد
بهذه الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه
والجهل ولا اشتباه هاهنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة ايضا معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من
المشابهة وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهية تشبه التحريم فان اريد بالشبهة هذا فتسميته هذا شبهة
له وجه والا فينبغي ان يسمى هذه كراهية لا شبهة واذا عرف المعنى فلا مشاحة في الاسامي فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات
ثم اعلم ان هذه الكراهة لها ثلاث درجات الاولى منها يقرب من الحرام والورع عنه مهم والاخيرة تنتهي الى نوع من المبالغة
تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة في صيد كلب مغصوب اشد منها في الذبيحة
بسكين مغصوب او المقتنص بسهم مغصوب اذ الكلب له اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه
البذر المزروع في ارض مغصوبة فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو انتصب الحق لمالك الارض في الزرع لكان
كالثمن الحرام ولكن الاقيس ان الثبت حق حبس كما يطحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق
صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المغصوب اذ لم
يذهب احد الى التحريم للذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه ضعيف التعلق بمقصود العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد
اذ ليس فيه الا انه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو افسد البيع بمثله لافسد بيع كل من عليه زكوة درهم او صلاة فائتة
وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق فان الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب
بعد النداء ويتجر ذلك الى ان لا ينكح بنات الظلمة وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب
عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما يسبق الى الافهام خصوص فيه فتكون الكراهة
اشد ولا باس بالحذر منه ولكن قد يجر الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وسائر معاملاتهم وقد
حكي عن بعضهم انه اشترى شيئا فسمع انه اشتروه يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتري وقت النداء وهذا
غاية المبالغة لانه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقوى الناس او المفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الايام والورع
حسن والمبالغة فيه احسن ولكن الى حد معلوم فقد قال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون فليحذر من امثال هذه المبالغات
فانها وان كانت لا تضر صاحبها ربما اوهم غيره ان مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه فيترك اصل الورع وهو مستند
اكثر الناس في زماننا هذا اذ ضيق عليهم الطريق فايسوا عن القيام فاطرحوه كما ان الموسوس في الطهارة قد يعجز عن
الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين في الحلال سبق الى اوهامهم ان مال الدنيا كله حرام فتوسعوا وتركوا التمييز وهو

عن الضلال واما مثال اللواحق فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من
المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ منه
والاقيس ان ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال
فانه يعصي عصيان الاعانة على المعصية ولا يتعلق ذلك بعين العقد والمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة
وتركه من الورع المهم وليس بحرام ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن يغزو
ويظلم ايضا لان الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة من ان يشتريه ظالم
فهذا ورع فوق الاول والكراهة فيه اخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة انه لا يجوز
معاملة الفلاحين بآلات الحرث لانهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة فلا يباع منهم البقر
والفدان وهذا ورع الوسوسة اذ ينجر الى ان لا يباع من الفلاح طعام لانه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء
العام لذلك وينتهي هذا الى حد التنطع المنهي عنه وكل متوجه الى شيء على قصد خير لا بد وان يسرف ان لم يزمه العلم
المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستعظم الناس ما يأتيه وهو يظن انه مشغول بالخير ولهذا قال عليه
السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم ان يكونوا ممن قيل فيهم
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبالجملة لا ينبغي ان يشتغل الانسان بدقائق
الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده اكثر مما يصلحه
وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه احرق كرمه خوفا من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا اعرف له وجها
ان لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الاحراق اذ ما احرق نخيله وكرمه من كان ارفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز
قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب الى غير ذلك من الاتلافات واما المقدمات فلتطرق
المعصية اليها ايضا ثلاث درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ما بقي اثره في المتناول كالاكل
من شاة علفت بعلف مغصوب او رعت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا لبقائه وربما يكون الباقي
من لحمها ودمها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف رحمهم الله
وكان لابي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم الى الصحراء ويرعاها ويصلي وكان يشرب من لبنها
فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل اخذها فان قيل فقد روي عن عبد
الله بن عمر وعبيد الله انهما اشتريا ابلا فبعثاها الى الحمى فرعت ابلهما حتى سمنت فقال عمر رضي الله عنه رعيتما في الحمى فشاطرهما
فهذا يدل على انه راى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما قلنا ليس كذلك فان العلف يفسد بالاكل
واللحم خلق جديد وليس من العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر غرمهما قيمة الكلأ وراى ذلك مثل شطر الابل
فاخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن ابي وقاص ماله لما ان قدم من الكوفة وكذلك شاطر ابا هريرة اذ راى ان كل ذلك لا يستحقه
العامل وراى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا والرتبة الوسطى ما نقل عن بشر من امتناعه عن الماء الساق
في نهر الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله بحفره وامتنع آخر عن عنب كرم يسقى بماء جرى في نهر حفر ظلما وهو ارفع
منه وابلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب في مصانع السلاطين في الطرق واعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام
حلال وصل اليه على يد سجان وقوله انه جاءني على يد ظالم ودرجات هذه لا تنحصر الرتبة الثالثة وهي قريبة من الوسواس
والمبالغة ان يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا او القذف وليس هذا كما لو عصى باكل الحرام فان
الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا او القذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من حلال وصل
على يد كافر وفاسق بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا الى ان لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة
او كذبة وهو غاية التنطع والاسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد
المستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب من كوز لان الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب انسان

الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتدا وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف هذا السر
على خلاف الظاهر اما بدليل عقلي او شرعي اما العقلي فان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله عليه السلام قلب المومن بين
اصبعين من اصابع الرحمن اذا فتشنا عن صدور المومنين فلسنا نجد فيها اصابع فعلم انها كناية عن القدرة التي هي سر الاصابع وروحها
الخفي وكنى بالاصبع عن القدرة لان ذلك اعظم واتم في تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار انما قولنا لشي — بقوله
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا للشي قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم
الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع في النفوس في تفهيم
غاية الاقتدار عدل اليها واما المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراوه على الظاهر ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر
كما ورد في تفسير قوله تعالى انزل من السما ما فسالت اودية بقدرها الاية وان معنى الما هو القران ومعنى الاودية القلوب
وان بعضها احتملت شيا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل للكفر فانه وان ظهر وطفى على راس الما
فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد في الاخرة من الميزان والصراط وغيرهما
وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراوه على الظاهر غير محال فيجب اجراوه على الظاهر **القسم الرابع** ان
يدرك الانسان الشي جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول
كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والاخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه في الظلمة او على البعد فيحصل — شخص
له نوع علم فاذا راه في القرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك العلم
والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل
من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وساير الاحوال ثلثة احوال متفاوتة وادراكات متباينة الاول
تصديقه بوجوده قبل وقوعه والاخر عند وقوعه والثالث بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق قبل الزوال
فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم
الصحيح ففي هذه الاقسام الاربعة يتفاوت الخلق وليس في شي منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر
والله تعالى اعلم بالصواب **القسم الخامس** ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده
نطقا والبصير بالحقايق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد سل من يدقني فلم يتركني
وراي الحجر الذي ورايي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض ايتيا طوعا
او كرها قالتا اتينا طايعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر حيوة تخلق للارض وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو
صوت وحرف تسمعه الارض فتجيب بصوت وحرف وتقول اتينا طايعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه
انبا عن كونه مسخرا بالضرورة ومضطرا الى التسخير ومن هذا قوله وان من شي الا يسبح بحمده فان البليد يفتقر فيه
الى ان يقدر للجماد حيوة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى تقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به
نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله كما يقال وفي كل شي له شاهد دليل على انه واحد
وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصاحبها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات والحال
وكذلك ما من شي الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد
لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصاير دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم
اما القاصرون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شي شهادات شتى على تقديس الله وتسبيحه فيدرك كل واحد بقدر — اصلا واما المقربون والعلما الراسخون فلا يفقهون
ذوقه وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصاير
في علمه ويظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذه المقالات لارباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع
الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر والبراهين حتى حملوا قوله وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان وفي الحساب

ومما اولوا احوال النار واهل الجنة في قولهم ان افيضوا علينا من الما زعموا ان كل ذلك لسان الحال وغلا اخرون في حسم
الباب منهم احمد بن حنبل حتى منع تاويل قوله تعالى كن فيكون وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى
في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه انه حسم باب التاويل الا لثلثة الفاظ قوله صلى الله عليه وسلم الحجر
الاسود يمين الله في الارض وقوله قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن
ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن باحمد بن حنبل انه علم ان الاستوا ليس هو الاستقرار والنزول ليس
هو الانتقال ولكنه منع من التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج عن — ن
الضبط وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط ولا باس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون
امروها كما جاءت حتى قال مالك رضي الله عنه لما سيل عن الاستوا الاستوا معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب
والسوال عنه بدعة وذهب طايفة الى الاقتصاد ففتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله وتركوا ما يتعلق
بالاخرة على ظواهرها ومنعوا التاويل وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفات الله تعالى الروية
واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة
من احكام الاخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على الماكولات والمشروبات والمنكوحات والملاذ
المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلا — سفة
عليهم فاولوا كل ما ورد في الاخرة وردوها الى الام عقلية وروحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا
ببقا النفوس وانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهولا هم المسرفون وحد الاقتصاد بين
هذا الانحلال وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم
اذا انكشفت لهم اسرار الامور على ما هي عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه
وما خالف اولوه فاما من ياخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر
على السمع المجرد مقام احمد بن حنبل والان فكشف الغطا عن حد الاقتصاد في هذه الامور فان الاستقصا داخل في علم — م
المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن للظاهر وعدم مخالفته له وقد انكشف بهذا من الاقسام
الخمسة واذا رأينا ان نقتصر لكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى
الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيترقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق
فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية وهي هذه الفصل
الثالث من كتاب قواعد العقايد في لوامع الادلة للعقايد التي ترجمناها فنقول بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين واثر رهط الحق بالهداية الى دعايم الدين وجنبهم زيغ الزايغين وضلال
الملحدين ووفقهم للاقتدا بسيد المرسلين وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفا اثار السلف الصالحين حتى
اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقايدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتايج
العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طايل ولا محصول
ان لم تتحقق الاحاطة بما يدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازهما تتضمن
اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول وعلموا ان بنا الايمان على هذه الاركان وهي اربعة
ويدور كل ركن على عشرة اصول **الركن الاول** في معرفة ذات الله ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله وقدمه
وبقايه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وانه يرى وانه واحد **الركن الثاني**
في صفاته ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم
الكلام والعلم والارادة **الركن الثالث** في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله وانها مكتسبة
للعباد وانها مرادة لله وانه متفضل بالخلق وان له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البري ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا يجب

او بشبهة لكان هذا وسواسا ولو اشترى من لحم شاة ساقها اهل حرام فهذا ابعد من بدا الحجاب لان الطعام بسوقه توقع
الجان والشاة تمشي بنفسها والسايق يمنعها عن العدول عن الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف
تدرجنا في بيان ما يتعدى اليه هذه الامور واعلم ان كل هذا خارج عن فتوى علما الظاهر فان فتوى الفقيه يختص بالدرجة
الاولى التي يمكن تكليف كافة الخلق به ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين
والتقوى في هذا ما قال صلى الله عليه وسلم لوابصة اذ قال استفت قلبك وان افتوك وان افتوك وحاك قال الاثم حزاز القلوب
فكل ما حاك في صدر المريد من هذه الاسباب فلو اقدم عليه مع حزازة القلب استضر به واظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها
بل لو اقدم على حرام في علم الله وهو يظن انه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة القلب ولو اقدم على ما هو حلال في فتوى علما الظاهر
ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره واما الذي ذكرناه في النهي عن المبالغة اردنا به ان القلب الصافي المعتدل هو الذي
لا يجد حزازة في مثل تلك الامور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم مع ما يجده في قلبه فذلك يضره لانه
ماخوذ في حق نفسه بينه وبين الله بفتوى قلبه ولذلك يشدد على الموسوسين في الطهارة ونية الصلوة فانه اذا غلب
على قلبه ان الماء لم يصل الى جميع اجزائه بثلث مرات لغلبة الوسوسة عليه يجب عليه ان يستعمل الرابع وصار ذلك حكما في حقه
وان كان مخطئا في نفسه واولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك شدد على اصحاب موسى لما استقصوا في السوال
عن البقرة ولو اخذوا اولا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لاجزاهم فلا تغفل عن هذه الدقايق التي اوردناها نفيا
واثباتا فان من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل في دركه معانيه **واما المعصية في العوض** فلها ايضا
درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ان يشتري شيا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام فينظر فان
سلم البايع اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلب فاكله قبل قضا الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع وليس ايضا
من الورع المؤكد فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقبض الثمن ولو لم يقضه اصلا لكان متقلدا للمظلمة
بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وابراه البايع مع العلم بانه حرام فقد برئت ذمته
ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفه الى البايع فان ابراه على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراءة لانه
يبريه مما اخذه ابراء استيفا ولا يصلح ذلك للايفا فهذا حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه بطيبة قلب
ولكن اخذه فاكله حرام سوا اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعده لان الذي نرى الفتوى به ثبوت حق الحبس للبايع
حتى يتعين ملكه باقباض النقد كما تعين ملك المشتري وانما يبطل حق حبسه اما بالابرا او الاستيفا ولم يجر شي
منهما ولكنه اكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين
اكل طعام الغير فرق ولكن اصل التحريم شامل هذا كله اذا قبض قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البايع او من غير طيبة
قلبه فاما اذا وفى الثمن الحرام اولا ثم قبض فان كان البايع عالما بان الثمن حرام ومع هذا اقبض المبيع بطل حقه من حبسه
وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذه ليس بثمن ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقا الثمن واما اذا لم يعلم انه حرام وكان
بحيث لو علم لما رضي به ولا اقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فاكله حرام تحريم اكل المرهون الى ان يبريه او يوفي
من حلال او يرضى هو بالحرام ويبري فيصح ابراوه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى
من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشي تشتد الكراهة
فيه كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البايع بتسليمه اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه
مكروها كراهة شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا
او ارضا في الذمة وقبضه برضا البايع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه او غيره صلة او خلعة وهو شاك في انه سيقضي
ثمنه من الحلال او الحرام فهذا اخف اذ وقع الشك في تطرق المعصية الى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة
الحرام وقلته في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه اشد من بعض والرجوع فيه الى ما ينقدح في القلب
الرتبة الوسطى ان لا يكون العوض غصبا وحراما ولكن يكون مهيجا للمعصية كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والاخذ شارب

خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهية
التي في الغصب ويتفاوت درجات هذه الرتبة ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندورها ومهما كان
العوض على هذا الوجه فبدله حرام وان احتمل تحريمه ولكن ان ظن فبدله مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن كسب الحجام
وكراهته اذ نهى عليه السلام عنه مرات ثم امر بان يعلفه الناضح وما يسبق الى الوهم من ان سببه مباشرة النجاسة
والقذر فاسد اذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قايل به وان قيل به فلا يمكن طرده في القصاب اذ كيف يكون
كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب للنجاسة اكثر منه للحجام والفصاد
فان الحجام ياخذ الدم بالمحجمة ويمسحه بالقطنة ولكن السبب ان في الحجامة والفصد جراحة فيها تخريب لبنية الحيوان واخراج
لدمه وبه قوام حيوته والاصل فيه التحريم وانما يحل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا
ويكون ضارا فيكون حراما عند الله ولكن يحكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد عبد وصبي ومعتوه
الا باذن الولي والسيد ولولا انه حلال في الظاهر لما اعطى عليه السلام اجرة الحجام ولولا انه يحتمل التحريم لما نهى فلا يمكن
الجمع بين اعطايه ونهيه الا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي ان نذكره في القراين المقرونة بالسبب فانه اقرب
اليه **الرتبة السفلى** وهي درجة الوسواس وذلك في ان يحلف انسان على ان لا يلبس من غزل امه فباع غزلها
واشترى به ثوبا فهذا لا كراهة فيه والورع عنه وسوسة وروى عن المغيرة انه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد
بان النبي عليه السلام لعن اليهود اذ حرمت عليهم الخمور فباعوها وهذا غلط لان بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر منفعة
في الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا ان يملك الرجل جارية هي اخته من الرضاع فباعها
بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عنه ويشبه ذلك ببيع الخمر فهذا غاية الشرف وهذا الطرف قد عرفت امثال الدرجات
وكيفية التدريج فيها وان كان تفاوت هذه الدرجات لا تنحصر في ثلث واربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد
التقريب والتفهيم فان قيل فقد قال عليه السلام من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل له صلوة ما كان عليه
ثم ادخل ابن عمر اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته منه قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها
لا في الذمة واذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في اكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك توعد عليه بمنع قبول الصلوة
لمعصية تطرق الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالشراء في وقت النداء وغيره **المثار الرابع** الاختلاف
في الادلة فان ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة
فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا فايدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في علم الله وهي اما ان يكون
لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او لتعارض التشابه **القسم الاول** ان تتعارض ادلة الشرع
مثل تعارض عمومين من القرآن او السنة او تعارض قياسين او تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع
فيه الى الاستصحاب او الاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر في
جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه واتقا مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان كان المقلد
يجوز له ان ياخذ بما افتى له مقلده الذي يظن انه افضل علما بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل اطبا البلد
بالتسامع والقراين وان كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب اوسعها عليه بل عليه ان يبحث
حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالفه اصلا نعم ان افتى له امامه بشي ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف الى
الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له
الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل اشيا لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها ولنقسم
هذا ايضا على ثلث مراتب **المرتبة الاولى** ما يتاكد الاستحباب في الورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق
وجه ترجيح المذهب الاخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم اذا اكل منها وان افتى المفتي بانه حلال لان الترجيح
فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك حرام وهو الاقيس وقول الشافعي رحمه الله مهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب

ابي حنيفه

الا بالشرع وان بعثة الانبيا عليهم السلام جايزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مويدة بالمعجزات الركن الرابع
في السمعيات وهو اثبات الحشر والنشر وعذاب القبر وسوال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة
فالركن الاول من اركان الايمان معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة اصول الاصل الاول معرفة وجوده تعالى
واول ما يستضاء به من الانوار ويسلك فيه من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القران فليس بعد بيان الله بيان وقد قال الله تعالى
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا
وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا
وقال الله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من
السما من ما فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض
لايات لقوم يعقلون وقال الله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا
والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال الله تعالى افرايتم ما تمنون الى قوله متاعا للمقوين
فليس يخفى على من معه ادنى مسكة من عقل اذا تامل بادنى فكرة مضمون هذه الايات وادار نظره على عجايب خلق الله في الارض
والسموات وبدايع فطرة الحيوانات والنبات علم ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل
يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى
افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبيا كلهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما
امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدا نشوهم وفي عنفوان شبابهم
ولذلك قال ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال الله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة
الله التي فطر الناس عليها فاذا في فطرة الانسان وشواهد القران ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على
سبيل الاستظهار والاقتدا بالعلما النظار نقول من بداية العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن
سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب اما قولنا الحادث لا يستغني عن سبب فجلي
فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقديمه وتاخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده
يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما
حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلث دعاوي الاولى ان الاجسام لا تخلو عن الحركة
والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا
كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا والثانية قولنا انهما حادثان فيدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما
بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك
الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري منهما حادث لطريانه والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه
على ما سياتي بيانه وبرهانه في اثبات بقا الصانع تعالى وتقدس والثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها ولو لم تنقض تلك بجملتها لا ينتهي النوبة
الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضا ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا تخلو
اعدادها من ان تكون شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان تكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا
ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الاخر وفي نفي احدهما اثبات الاخر ومحال ان تكون
شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان تكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد
فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه
كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة الاصل الثاني العلم بان البارى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده
اول بل هو اول كل شي وقبل كل حي وميت وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه

الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه
صانع العالم وباريه ومحدثه ومبديه الاصل الثالث العلم بانه مع كونه ازليا ابدي ليس لوجوده اخر فهو الاول
والاخر والظاهر والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او
بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شي يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شي يتصور انعدامه بنفسه فكما يحتاج
طريان الوجود الى سبب فكذا يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما
لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد
المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث
حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اقوى من الحادث الاصل الرابع العلم بانه ليس بجوهر متحيز
بل تعالى وتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه
او متحركا عنه ولا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز
قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسمي جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطيا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى
الاصل الخامس العلم بانه تعالى ليس بجسم مولف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المولف من الجواهر واذا بطل كونه
جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر ويستحيل خلوه عن الاجتماع
والافتراق والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز
ان يعتقد الالهية للشمس والقمر ولشي اخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير
ارادة التاليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم الاصل السادس العلم بان الله
تعالى ليس بعرض قايم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف
يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر
مريد خالق كما سياتي بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قايم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل
من هذه الاصول انه موجود قايم بنفسه ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا
لا يشبه شيا ولا يشبهه شي بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شي وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدر المصور مقدره
ومصوره والاجسام والاعراض كلها من صنعه وخلقه فاستحال القضا عليها بمماثلته ومشابهته الاصل
السابع العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما سفل واما يمين واما شمال او
قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض
ويسمى رجلا والاخر يقابله ويسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الراس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى ان النملة
التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحديهما
اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى والشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا
وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابله
فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات
وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة او كيف صار بجهة بعد ان لم يكن له ابان خلق العالم تحته وتعالى
ان يكون له تحت اذ تعالى ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل لان المعقول
من كونه بجهة انه مختص بالحيز اختصاص الجوهر او مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا
او عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على
المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه او اكبر وكل ذلك
تقدير محوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر فاما رفع الايدي عند السوال الى جهة السما فهو لانها قبلة الدعا وفيه ايضا

اورع من الائمة رحمهم الله كان الورع مهما وان افتى المفتي بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية والذي يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لان الآية ظاهرة في ايجابها والاخبار متواترة فيه فانه عليه السلام قال لكل من سأله عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل ونقل ذلك على التكرر وقد شهر الذبح بالتسمية وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله عليه السلام المؤمن يذبح على اسم الله سمى او لم يسم واحتمل ان يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الاخبار عن ظواهرها واحتمل ان يخصص هذا بالناسي وتترك الظواهر ولا تأول وكان حمله على الناسي ممكنا تمهيدا لعذره في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا كان اقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الاولى **الرتبة الثانية** وهو مزاحم درجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الاخبار حديث الجنين ان ذكاته ذكاة امه صحة لا يتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف الى سنده وكذلك صح انه اكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقل ذلك في الصحيحين فاظن ان ابا حنيفة لم تبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته لقال بها ان انصف وان لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد **الرتبة الثالثة** ان لا يشتهر في المسئلة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فانا اتورع فان النقلة وان كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم فان العدل ايضا قد يكذب والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق الى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة رضي الله عنهم فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفسهم اليه فاما اذا تطرق شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف في اخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في اصل الاجماع وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان من ان ياخذ ميراث الجد اب الاب ويقول ليس في كتاب الله الا ذكر البنين والحاق ابن الابن بالابن من اجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز اذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم بعمومات القرآن اذ من المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لا طرف من اطراف الشبهات الا وفيها غلو واسراف فليفهم ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وليترك حزاز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالاشخاص والوقائع ولكن ينبغي ان يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة في مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد صلى الله عليه وسلم كل احد الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرفه من حاله

القسم الثاني ان تتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلا في يد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على انه حرام فيتعارض الامران وكذلك يخبر عدل بانه حرام وآخر بانه حلال او تتعارض شهادة فاسقين او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسياتي تفصيله في باب التعرف بالبحث والسؤال

القسم الثالث تعارض الاشباه في الصفات التي تناط بها الاحكام مثاله ان يوصي بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدأ التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما لا حيلة له فيه اذ يكون المتصف بالصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله الى احدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم انه محتاج ومن له مال كثير معلوم انه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار واثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف اليه

والفاضل عنه يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتصدى منه النظر في مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع اثاث البيت اذا كان من الصفر لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما يحتاج اليه كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة من آلات الشتاء وما لا يحتاج اليه الا في سنين وشيء من ذلك لا حد له والوجه في هذا ما قاله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وكل ذلك في محل الريب فان توقف المفتي فلا وجه له الا التوقف وان افتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر وان الآخر زائد وبينهما امور متشابهات تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلثة ارطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب اذ العرب وسائر اهل اللغات لم يقدروا مسميات اللغات بحدود محدودة تنقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانها لا تحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد وسائر الفاظ الحساب والتقديرات فليست الالفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنة رسول الله عليه السلام الا ويتطرق الشك الى اوساط في مقتضياتها تدور بين اطراف متقابلة فتعظم الحاجة الى هذا الفن في الوصايا والاوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض وكذلك سائر الالفاظ وسنذكر مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليتعلم به طريق التصرف في الالفاظ والا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجاذب الى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او باستصحاب بموجب قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وبموجب سائر الادلة التي سبق ذكرها وهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الامر اغلظ مثل ان ياخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام ليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف الشبهات الى ان يشتد الامر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح اخذ به وما التبس فليجتنب فان الاثم حزاز القلوب وحيث قضينا باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح المفتي اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن الى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال وهو المحك الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته وفي الزبور ان الله اوحى الى داود عليه السلام قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلاتكم ولا صيامكم ولكن انظر الى من شك في شيء فتركه لاجلي فذلك الذي ايده بنصري واباهي به ملائكتي

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما في الحلال والحرام

اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري منه او تتهب فليس لك ان تفتش عنه وتسأل وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا آخذه بل افتش عنه وليس لك ايضا ان تترك البحث فتاخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأ الريبة ومثارها اما امر يتعلق بالمال او يتعلق بصاحب المال

المثار الاول احوال المالك وله بالاضافة الى معرفتك ثلثة احوال اما ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة

الحالة الاولى ان يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم وغيره من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرايت رجلا لا تعرف من حاله شيئا وليس عليه علامة تنسبه الى اهل صلاح او اهل فساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا

اشارة الى ما هو وصف للمتغوّ من الجلال والكبريا تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلا فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلا

الاصل الثامن العلم بان الله تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده الله بالاستوا وهو الذي لا ينافي وصف الكبريا ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفنا وهو الذي اريد بالاستوا الى السما حيث قال في القران ثم استوى الى السما وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلا كما قال الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق فاضطر اهل الحق الى هذا التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله عليه السلام قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذلك الاستوا لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او اصغر وذلك محال وما يودي الى المحال محال

الاصل التاسع العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في الدار الاخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله موسى عليه السلام او كيف سال موسى الروية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهوا من الجهلة والاغبيا اولى من الجهل بالانبيا واما وجه اجرا اية الروية على الظاهر انه غير مودي الى المحال فان الروية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الروية وكما يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك من غير كيفية وصورة

الاصل العاشر العلم بان الله تعالى واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا

الركن الثاني في العلم بصفات الله ومداره على عشرة اصول الاصل الاول العلم بان صانع العالم قادر وانه تعالى في قوله وهو على كل شي قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن راى ثوبا من ديباج حسن النسج والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم انه صدر نسجه من ميت لا استطاعة له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل

الاصل الثاني العلم بان الله تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض والسموات صادق في قوله تعالى وهو بكل شي عليم ومرشد الى صدقه بقوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشي الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله تعالى هو المنتهى في الهداية والتعريف

الاصل الثالث العلم بكونه حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة ارباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات

الاصل الرابع العلم بكونه مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيته وصادر عن ارادته فهو المبدي والمعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر ذلك بعينه قبله او بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال تعالى انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده

الاصل الخامس انه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رويته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السودا في الليلة الظلما على الصخرة الصما وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اشرف واتم من الصانع وكيف يعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه

وصنعته او كيف تستقيم حجة ابرهيم عليه السلام على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لاضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما

الاصل السادس انه متكلم بكلام وهو وصف قايم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طايفة من الاغبيا ولم يلتبس على جهلة الشعرا حتى قال قايلهم ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شي وان البا قبل السين في قوله بسم الله ولا يكون السين المتاخر عن البا قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت فليستنكر ان يرى في الاخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بجسم ولا لون ولا قدر ولا كمية وهو الى الان لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه من العبارات وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب ومرئية في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة والورقة فليعقل كون الكلام مقروا بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حل ذات الله تعالى بكتبة اسمه في الورق لحل ذات النار بكتبة اسمها في الورق واحترق

الاصل السابع ان الكلام القايم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا يعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبني على هذا ان كلامه قديم قايم بذاته وانما الحادث هو الاصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله تعالى اخلع نعليك بذات الله تعالى ومصير موسى مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم

الاصل الثامن ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم اخر فهكذا ينبغي ان يفهم قدم علم الله تعالى

الاصل التاسع ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في اوقاتها اللايقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذلك الارادة الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان يحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة

الاصل العاشر ان الله تعالى عالم بعلم حي بحيوة قادر بقدرة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة فقول القايل عالم بلا علم كقوله غني بغير مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والعالم والمعلوم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل فكذلك لا يتصور عالم بلا علم وعلم بلا معلوم ومعلوم بلا عالم بل هذه

ثيابا أو قرينة أو حال أو علامة تدل على كونه فرضا أو خائنا أو ظالما ولا ما يدل على نقيضه فهذا مجهول الحال ولا نقول إنه مشكوك
فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين
ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك ما لا يدرى قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته وتكلم
جماعة في أشد الأعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن أبي سنان ما شيء عندي أسهل من الورع إذا حاك في صدري شيء تركته
فهذا شرط الورع وإنما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاما أو حمل إليك هدية أو أردت
أن تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم على أخذه وليس لك أن تقول الفساد
والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وإن بعض الظن إثم وهذا المسلم يستحق بإسلامه عليك
أن لا تسيء الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنك رأيت فسادا من غيره فقد جنيت عليه وأثمت في الحال نقدا من غير شك
ولو أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا
ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم
سؤال إلا عن ريبة إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل إليه بل سأل في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة
أم هدية لأن قرينة الحال وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء تغلب على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة ثم إسلام
المعطي ويده لا يدل على أنه ليس بصدقة وكان يدعى إلى الضيافات فيجيب ولا يسأل أصدقة أم لا إذ العادة ما جرت بالتصدق
بالضيافة ولذلك دعته أم سليم ودعاه الخياط الذي رواه أنس بن مالك وقدم إليه طعاما فيه قرع ودعاه الرجل الفارسي
فقال عليه السلام أنا وعائشة فقال لا فقال فلا ثم أجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب إليهما إهالة ولم ينقل السؤال
في شيء من ذلك وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من أمره شيء وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاه من لبن
الصدقة إذ رابه فإنه أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة قبله وهذه أسباب الريبة وكل من وجد ضيافة عند رجل
مجهول لم يكن عاصيا بإجابته من غير تفتيش بل لو رأى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عزيز وهذا كثير
فمن أين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه إذا احتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به
وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع ولا يدخل جوفه إلا ما يدري من أين هو فهو حسن فليتلطف
في الترك وإن كان لا بد له من أكله فليأكل بغير سؤال فإن السؤال إيذاء وهتك ستر وإيحاش وهو حرام بلا شك فإن قلت لعله
لا يتأذى فأقول لعله يتأذى وأنت تسأل حذرا من لعل فإن قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الإثم المحذور في إيذاء مسلم بأقل
من الإثم في أكل الشبهة أو حرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدري هو به
لأن الإيذاء في ذلك أكثر وإن سأل من حيث لا يدري هو ففيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة وإن
لم يكن صريحا وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب
بعضكم بعضا وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي وإنما يحسن الشيطان عنده
ذلك لطلب الشهرة بأكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى أشد من خوفه على بطنه أن يدخله
ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدريه إذا لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس وإذا
لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن هذا هو المألوف من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع فهو
ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق ما في الأرض جميعا كيف وقد أكل رسول الله عليه السلام
طعام بريرة فقيل إنها صدقة فقال عليه السلام لها صدقة ولنا هدية ولم يسأل عن المتصدق عليها وكان المتصدق مجهولا عنده
ولم يمتنع **الحالة الثانية** أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أورثت ريبة فلنذكر صورته ثم حكمه أما الصورة
فهو أن يدل على تحريم ما في يده دلالة إما من خلقته أو من زيه وثيابه أو من فعله وقوله أما الخلقة فأن يكون على خلقة الأتراك
والبوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشوارب وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على دأب أهل
الفساد وأما الثياب فالقباء والقلنسوة وزي أهل الفساد والظلم من الأجناد وغيرهم وأما الفعل والقول فهو أن يشاهد

منه الإقدام على ما لا يحل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضا في المال ويأخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فإذا أراد أن
يشتري شيئا من مثل هذا أو يأخذ منه هدية أو يجيبه في ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه
العلامات فيحتمل أن يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالإقدام جائز والترك من الورع ويحتمل
أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثلها هذه الدلالات فأورثت ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره
ونفتي به لقوله عليه السلام دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستحباب ولقوله عليه السلام
الإثم حزاز القلوب وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولأن النبي عليه السلام سأله أصدقة أم هدية وسأل أبو بكر
رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه وكل ذلك كان في موضع الريبة وحمله على الورع وإن كان ممكنا
ولكن الحمل عليه لا بقياس والقياس ليس بتحكم للتحليل هذا فإن دلالة اليد والإسلام عارضتها هذه الدلالات
فإذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له وإنما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا
الماء متغيرا واحتمل أن يكون بطول المكث فإن رأينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير به وبغيره تركنا الاستصحاب
وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشوارب والقباء وهيأة الأجناد تدل على الظلم بالمال
أما القول والفعل المخالف للشرع إن تعلق بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كما لو سمعه يأمر بالغصب والظلم أو يعقد
عقد الربوا فأما إذا رآه وقد شتم غيره في غضبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من إنسان يتحرج
في طلب المال ولا يأخذ إلا الحلال ومع ذلك لا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتفطن لهذا التفاوت ولا يمكن
أن يضبط هذا بحد فليستفت العبد في مثل هذا قلبه وأقول إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع
في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذ تعارضت الدلالتان بالإضافة إلى المال وتساقطتا وعاد إلى
كالمجهول إذ ليست إحدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج في المال لا يتحرج في غيره وكم من متحرج
يحسن الصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم في مثل هذه المواقع ما يميل إليه القلب فإن هذا أمر
بين العبد وبين الله فلا يبعد أن يناط بسبب خفي لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حزازة القلب ثم لينتبه
لدقيقة أخرى وهي أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون جنديا أو عاملا سلطان
أو نائحة أو مغنية فإن دل على أن في ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع **الحالة الثالثة**
أن يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال وتحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديانته
وعدالته في الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل أولى والإقدام ههنا
أبعد من الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراما فأما أكل طعام أهل الصلاح
فدأب الأنبياء والأولياء وقال عليه السلام لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي فأما إذا علم بالخبرة أنه جندي
أو مغني أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب فههنا السؤال واجب لا محالة كما
في موضع الريبة بل أولى **المثار الثاني** ما يستند الشك فيه إلى سبب في المال لا في حال المالك وذلك بأن يختلط
الحرام بالحلال كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة
وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فإن لم يكن هو الأكثر
فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم البلد والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن
الأغلب الحرام أن الصحابة لم يمتنعوا عن الشراء في الأسواق وفيها دراهم الربوا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا
لا يسألون في كل عقد وإنما السؤال ينقل عن آحادهم نادرا في بعض الأحوال في محال الريبة في ذلك الشخص المعين
وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في تلك
الغنائم شيء مما أخذوه من المسلمين وذلك لا يحل أخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي رحمه الله وصاحبه
أولى به بالثمن عند أبي حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا وكتب عمر رضي الله عنه إلى أذربيجان إنكم

الثلثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العلم عن العالم والعالم عن العلم فليجوز انفكاكه
عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاوصاف **الركن الثالث العلم بافعال الله تعالى** ومداره
على عشرة اصول **الاصل الاول** العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق سواه ولا محدث
الا اياه خلق الخلق وصنعتهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له
في قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وفي قوله تعالى واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز في اقوالهم وافعالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على
العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد والحركات
متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها وكيف يكون الحيوان
مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب
فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات
ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار السموات **الاصل الثاني** ان انفراد الله تعالى باختراع حركات العباد
لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار واما
القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة
بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فسميت باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون جبرا
محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما
بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة
بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه اخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة
بالمقدورات ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله في الازل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند
الاختراع متعلقة به نوعا اخر من التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها **الاصل الثالث**
ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر
ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله تعالى وقدره وارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرف
والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه
يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسال عما يفعل وهم يسالون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله
كان وما لم يشا لم يكن وقوله ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ويدل عليه من
جهة العقل ان المعاصي والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة ابليس لعنه الله
مع انه عدو الله فالجاري على وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته فليت شعري كيف يستجيز المسلم
ان يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم قرية لاستنكف منها اذ لو كان ما يستتب
لعدو الزعيم في القرية اكثر مما يستتب له لاستنكف من زعامته وتبرا عن ولايته والمعصية هي الغالبة على
الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين
علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى صح انها مرادة له فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد
قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد
اظهار حجته بان يامر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد
امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند السلطان متمهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو
محال **الاصل الرابع** ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف
واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والامر والناهي

وحركتهم وفي قوله تعالى

فكيف يتهدف لايجاب ويتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد الامرين اما الفعل الذي في تركه ضرر اما اجل
كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب حتى لا يموت واما ان يراد به
الذي عدمه يؤدي الى محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله تعالى بالمعنى الاول
فقد عرضه للضرر وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى
ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب
في حقه معنى ثم ان مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم
لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب **الاصل الخامس** انه يجوز على الله
تعالى ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سالوا ذلك فقالوا ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله اخبر نبيه بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره ان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة
اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده **الاصل السادس** ان لله تعالى
ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان
يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى
يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب من جهة
الادميين لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الالام ويجب ذلك على الله
تعالى فنقول من زعم انه يجب على الله تعالى احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على الامها فقد خرج عن الشرع
والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره
فقد سبق انه غير مفهوم اذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب **الاصل السابع** انه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب
عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من انه لا يجب عليه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون
وليت شعري بم يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه عن مسالة نعرضها عليه وهو ان نفرض مناظرة في الاخرة
بين صبي مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات
بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلة فلو قال الصبي لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعة فيقول
الصبي انت امتني في الصبا فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول
العمر دوني فلم فضلته فيقول الله لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبى
هذا عذر المعتزلي عن الله تعالى وعند ذلك ينادي الكفار من دركات لظى فيقولون اما علمت اننا اذا بلغنا اشركنا فهلا
امتنا في الصبى فانا رضينا بدون منزلة الصبي المسلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع بان الامور الالهية
تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال فان قيل مهما قدر على رعاية صلاح العباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب
كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا
وافق غرض احدهما دون الاخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبح ما لا يوافق غرض
الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبح كما لا يتصور منه الظلم اذ لا يتصور منه التصرف في ملك الغير وان اريد
بالقبح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشه يشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل
النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء القادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح
واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الاخرة ثوابا او يدفع عن نفسه به رحمة ورقة وكل ذلك
على الله تعالى محال **الاصل الثامن** ان معرفة الله تعالى وطاعته واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة
لان العقل وان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فائدة وغرض وذلك لا يعقل او ان يرجع الى المعبود وذلك محال
فانه يتقدس عن الاغراض والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان واما ان يرجع الى غرض العبد وهو

كما يقال وجود المعلوم
اذ عدمه يؤدي الى محال

في بلد يباع فيها الميتة فانظروا ذكيه من ميتة اذن في السوال وامرهم به ولم يامر بالسوال عن الدراهم التي هي اثمانها
لان الشبهة لم تكن في اثمان الجلود وان كانت هي ايضا تباع واكثر الجلود كان كذلك ولذلك قال ابن مسعود
رضي الله عنه انكم في بلاد الشرق قصابها المجوس فانظروا الذكي من الميتة فخص بالاكثر الامر بالسوال و[illegible]
مقصود هذا الباب لا يتبين الا بذكر صور وفرض مسايل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها مسألة شخص معين خالط
ماله الحرام مثل ان يباع على دكان يباع طعام مغصوب او مال منهوب ومثل ان يكون القاضي او الرييس او
العامل او الفقيه الذي له ادرار على سلطان ظالم وله ايضا مال موروث او دهقنة او تجارة او رجل تاجر يعامل
معاملات صحيحة ويربي ايضا فان كان الاكثر من ماله حراما لا يجوز الاكل من ضيافته ولا قبول هديته وصدقته
الا بعد التفتيش فان ظهر ان الماخوذ من وجه الحلال فذاك والا ترك وان كان الحرام اقل والماخوذ مشتبه فهذا
في محل النظر لانه على رتبة بين الرتبتين اذ قضينا بانه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب
الكل وهذا يشبهه من وجه حيث ان مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما اذا لم يكن كثير المال مثل السلطان
ويخالفه من وجه اذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقينا والحرام الذي خالط ماله يحتمل ان يكون قد خرج من يده
وليس موجودا في الحال فان كان المال قليلا او علم قطعا ان الحرام موجود في الحال فهو ومسألة اختلاط الميتة
واحد وان كثر المال واحتمل ان يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا اخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير
محصور كما في الاسواق والبلاد ولكنه اغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا شك ان الهجوم عليه بعيد من الورع
جدا ولكن النظر في كونه فسقا مناقضا للعدالة وهذا من حيث المعنى غامض لتجاذب الاشباه ومن حيث النقل غامض
لان ما ينقل فيه عن الصحابة من الانبساط في مثل هذا وكذا من السلف يمكن حمله على الورع والانصاف فيه نقل على التحريم
وما ينقل من الاقدام على الاكل كاكل ابي هريرة طعام معاوية مثلا ان قدر في جملة ما في يده حرام فذلك ايضا يحتمل ان يكون
اقدامه بعد التفتيش وانتشابه ان عين ما ياكله من وجه مباح فالافعال في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء
المتاخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو اعطاني السلطان شيا لاخذته وطرد الاباحة فيما اذا كان الاكثر ايضا حراما مهما لم
يعرف عين الماخوذ واحتمل ان يكون حلالا واستدل باخذ بعض السلف جوايز السلطان كما سياتي في باب بيان اموال
السلطان فاما اذا كان الحرام هو الاقل واحتمل ان لا يكون موجودا في الحال لم يكن الاكل حراما وان تحقق وجوده في الحال كما
في مسألة اشتباه الميتة بالمذكية فهذا مما لا ادري ما اقول فيه وهي من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها لانها مترددة
بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة اذا اشتبهت بقرية فيها عشرة نسوة وجب الاجتناب وان كان ببلدة فيها
عشرة الاف لم يجب وبينهما اعداد لو سيلت عنها لكنت لا ادري ما اقول فيها ولقد توقف العلماء في مسايل هي اوضح من
هذا اذ سيل احمد بن حنبل عن رجل رمى صيدا فوقع في ملك غيره ان الصيد للرامي او لمالك الارض فقال لا ادري فروجع فيه
مرات فقال لا ادري وكثير من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور
وقد سال ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يعاملون السلاطين فقال ان لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم
وان عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على المسامحة في الاقل ويحتمل المسامحة في الاكثر ايضا وبالجملة
فلم ينقل عن الصحابة انهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة قصاب وخباز وتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا او لمعاملته
السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والمسألة مشكلة في نفسها فان قيل فقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه
رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر من الحرام وسيل ابن مسعود
عن ذلك فقال السايل ان لي جارا لا اعلمه الا خبيثا يدعونا ونحتاج فنستسلفه فقال اذا دعاك فاجبه واذا احتجت فاستسلفه
فان لك المهنا وعليه الماثم وافتى سلمان بمثل ذلك وقد علل علي بالكثرة وعلل ابن مسعود بطريق الاشارة بان عليه الماثم لانه
يعرفه ولك المهنا اي لا تعرفه وروي انه قال رجل لابن مسعود ان لي جارا ياكل الربا فيدعونا الى طعامه افناتيه فقال نعم
وروي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة واخذ الشافعي ومالك جوايز الخلفاء والسلاطين مع العلم بانه قد خالط

مالهم الحرام قلنا اما ما روي عن علي رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه كان [illegible] الورع
حتى يبيع سيفه ولا يكون له الا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره ولست انكر ان رخصته صريحة في الجواز وفعله محتمل
ولكنه ان صح فلمال السلطان له حكم اخر فانه بحكم كثرته يكاد يلتحق بالغير المحصور وسياتي بيان ذلك وكذلك فعل السلف
وما يتعلق بمال السلطان وسياتي حكمه وانما كلامنا في احاد الخلق واموالهم قريبة من الحصر واما قول ابن مسعود
رضي الله عنه فقيل انما نقله جواب التيمي وهو ضعيف الحفظ والمشهور فيه ما يدل على توقي الشبهات اذ قال
لا يقولن احدكم اخاف وارجو فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال
اجتنبوا الحكاكات فانها الاثم فان قيل فلم قلتم اذا كان الاكثر حراما لم يجز الاخذ مع ان الماخوذ ليس فيه
علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى ان من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة
توجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور اذا
كان الاكثر هو الحرام فلا يجوز ان يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك لانه مخصوص
ببعض المواضع بالاتفاق وهو ان يريبه لعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فان ذلك يوجب
ريبة ومع ذلك قطعتم بانه لا تحريم فالجواب ان اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وانما يوثر اذا سلم عن معارض
قوي فاذا تحققنا الاختلاط وتحققنا ان الحرام المخالط موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا ان الاكثر
هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الاعراض عن مقتضى اليد وان لم يحمل عليه قوله
عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك لا يبقى له محمل اذ لا يمكن ان يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور اذ كان
ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى اي موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن
ظاهره بغير قياس فان تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحابات وللكثرة تاثير في تحصيل الظن
وكذا للحصر وقد اجتمعا هنا وقال ابو حنيفة رحمه الله لا اجتهد في الاواني الا اذا كان الطاهر هو الاكثر فاشترط
اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال بالاجتهاد في انية اذا ذهب الى الاجتهاد بناء على
مجرد الاستصحاب فيجوز التقرب ايضا فيلزمه العفو ههنا بمجرد علامة اليد والا جرى ذلك في بول اشتبه
بماء اذ لا استصحاب فيه والطهارة ايضا ميتة اشتبهت بذكية اذ لا استصحاب للميتة اذ اليد لا تدل على انه
غير ميتة وتدل في الطعام المباح على انه ملكه فههنا اذن متعلقات استصحاب وقلة في المخلوط او كثرة وانحصار
وانتشار في المخلوط وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع هذه الامور ربما يغلط فيشبه بعض
المسايل الاخرى فحصل مما ذكرناه ان المختلط في ملك شخص واحد اما ان يكون الحرام اكثره او اقله وكل واحد
اما ان يعلم بيقين او يظن عن علامة او توهم والصور الخمس في موضعين فهو ان يكون الحرام الاكثر يقينا او ظنا كما لو
راى تركيا مجهولا يحتمل ان يكون كل ماله من غنيمة وان كان الاول معلوما باليقين فهو محل التوقف ويكاد يشهد
ميل اكثر السلف وضرورة الاحوال الى الميل الى الرخصة واما الاقسام الثلاثة الباقية فالسوال فيها غير واجب
اصلا **مسألة** اذا حضر طعام انسان علم انه دخل في يده حرام من ادرار كان قد اخذه او وجه اخر ولا يدرك انه بقي الى الان
ام لا فله الاكل ولا يلزمه التفتيش وانما التفتيش فيه من الورع ولو علم انه قد بقي منه شيء ولكن لم يدر انه الاكثر
ام الاقل فله ان ياخذ بانه الاقل وقد سبق ان امر الاقل مشكل وهذا يقرب منه **مسألة** اذا كان في يد
المتولي للخيرات والاوقاف او الوصايا مالان يستحق هو احدهما ولا يستحق الثاني لانه غير موصوف بتلك الصفة
له
فهل له ان ياخذ ما يسلمه اليه صاحب الوقف نظر فان كان تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي وكان المتولي ظاهر العدالة
فله ان ياخذ بغير بحث لان الظن بالمتولي ان لا يصرف اليه الا من المال الذي يستحقه وان كانت الصفة خفية
او كان المتولي ممن عرف من حاله انه يخلط ولا يبالي كيف يفعل فعليه السوال اذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه وهذا
يقرب من سوال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهدية عند تردده فيهما لان اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة

محالا لانه لاغرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في المآل الا الثواب ومن اين يعلم ان الله تعالى
يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليهما اذ الطاعة والمعصية في حقه تتساويان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما
به اختصاص وانما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين
الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الاخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة
الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب علي شيئا والشرع لا يثبت
الا بالنظر ولست اقدم على النظر الا بعد معرفته وجوبه ادى الى افحام الرسول قلنا هذا يضاهي قول القايل للواقف في موضع
من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن هذا المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول
الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت ورائي ولا التفت ورائي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القايل
وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول وراءكم الموت ودونه السباع
الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز ونجا
ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما علي البلاغ المبين فالشرع يعرف
وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على
الحذر عن الضرر ومعنى كون الشيء واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع فان العقل
لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما في تقرير الواجب ولولا
خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الاخرة **الاصل التاسع**
انه ليس يستحيل بعثة الانبيا عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فايدة في بعثهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل
لا يهدي الى الافعال المنجية في الاخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبيا كحاجتهم الى الاطبا
ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة **الاصل العاشر** ان الله تعالى ارسل محمدا صلى
الله عليه وسلم خاتم النبيين وناسخا لما قبله من شرايع اليهود والنصارى والصابيين وايده بالمعجزات الظاهرة والايات
الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وانطاق العجما وما تفجر من بين اصابعه من الما ومن الايات الظاهرة التي
تحدى بها مع كافة العرب القران فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله ولم يقدروا على
معارضته بمثله اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القران ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا غير
ممارس للكتب والانبا عن الغيب في امور تحقق صدقه فيها في المستقبل كقوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض الايه
ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي
صلى الله عليه وسلم نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القايم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه
مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري
بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت **الركن الرابع السمعيات في تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه ومداره**
على عشرة اصول الاصل الاول الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل
ممكن ومعناه الاعادة بعد الافنا وذلك مقدور لله تعالى كابتدا الانشا قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم
قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاستدل بالابتدا على الاعادة وقال الله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
والاعادة ابتدا ثاني فهو ممكن كالابتدا الاول **الاصل الثاني** سوال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار
فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحيوة الى جز من الاجزا الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن
في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون اجزا الميت وعدم سماعنا للسوال فان النايم ساكن بظاهره ويدرك من
باطنه من الالام واللذات ما يحس باثره عند التنبه وقد كان صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا
يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا واذا لم يخلق لهم السمع والروية لم يدركوه **الاصل الثالث عذاب القبر**

وقد ورد الشرع به قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الايه واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
السلف الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزا الميت
في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لالم العذاب من الحيوان اجزا مخصوصة يقدر الله على اعادة الادراك
اليها **الاصل الرابع الميزان** قال الله تعالى ونضع الموازين القسط وقال الله تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله
تعالى يحدث في صحايف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله فيصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر
لهم العدل في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب **الاصل الخامس الصراط** وهو جسر ممدود على متن النار
ادق من الشعر واحد من السيف قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسولون وهذا ممكن فيجب
التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهوا قادر على ان يسير الانسان على الصراط **الاصل السادس**
ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
فهو دليل على انها مخلوقة فيجب اجراوه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فايدة في خلقهما قبل يوم الجزا لان الله لا يسال
عما يفعل وهم يسالون **الاصل السابع** ان الامام الحق بعد النبي عليه السلام ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم
ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه احاد الولاة والامرا على الجنود
في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا ولو ان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار
والبيعة واما تقدير النص على غيره فهو نسبة الصحابة كلهم الى مخالفة النبي عليه السلام وخرق الاجماع وذلك مما
لا يستجري على اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثنا عليهم كما اثنى الله تعالى
ورسوله عليهم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة
اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشايرهم واختلاطهم بالعسكر يودي الى اضطراب امر الامامة في بدايتها
فراى التاخير اصوب وظن معاوية ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغرا بالايمة ويعرض الدما للسفك
وقد قال افاضل العلما كل مجتهد مصيب وقال قايلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطية علي رضي الله عنه
ذو تحصيل اصلا **الاصل الثامن** ان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل
عند الله وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله وقد ورد في الثنا عليهم اخبار وانما يدرك دقايق الفضل والترتيب فيه
الشاهدون للوحي والتنزيل بقراين الاحوال المشيرة الى دقايق التفصيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك
اذ كانوا لا ياخذهم في الله لومة لايم ولا يصرفهم عن الحق صارف **الاصل التاسع** ان شرايط الامامة بعد
الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسب قريش لقوله عليه السلام الايمة من قريش واذا
اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ
يجب رده الى الانقياد للحق **الاصل العاشر** انه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن تصدى للامامة وكان
في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر
يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية المصلحة فلا نهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها
كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي
بنفوذ قضا اهل البغي في بلادهم لمسيس الحاجة فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الاركان
الاربعة الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقايد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا لرهط البدعة
والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وقد فرغ من تصنيفه في المسجد الاقصى مجيبا
لالتماس اهله وراجيا ان ينالني بركته وبركة دعا سكانه وان يختم الله تعالى امله ويختم بالسعادة اجله انه الكريم المنان
وسلم تسليما كثيرا **الفصل الرابع من قواعد العقايد** في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما
يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثنا السلف فيه وفيه ثلث مسايل مسلة اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان

[illegible] فلا يجب منه الا السؤال فان السؤال حيث استنطاه في المجهول استنطقناه بعلامة اليد والاسلام
بل لو لم يعلم انه مسلم واراد ان ياكل من بيته لحما من ذبيحته واحتمل ان يكون مجوسيا لم يجز له ما لم يعرف انه
مسلم اذ اليد لا تدل على الميتة ولا الصورة تدل على الاسلام الا اذا كان اكثر اهل البلدة مسلمين فيجوز ان يظن
بالذي ليس عليه علامة الكفر انه مسلم وان كان الخطا ممكنا فيه فلا ينبغي ان يلتبس المواضع التي تشهد فيها
اليد والحال بالتي لا تشهد **مسالة** له ان يشتري في البلد دارا وان علم انها تشتمل على دور مغصوبة لان ذلك اختلاط
بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وان كان في سكة عشر دور احدها مغصوبة او وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز
ويجب البحث عنه ومن دخل بلدة وفيها رباطات تختص بوقفها ارباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك
المذاهب فليس له ان يستحل ابهاما ويأكل من وقفها بغير سؤال لان ذلك من باب الاختلاط في المحصور فلا بد
من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الابهام لان الرباطات والمدارس في البلد لا بد وان تكون محصورة **مسالة** حيث جعلنا السؤال
من الورع فليس له ان يسال صاحب الطعام والمال اذا لم يكن يأمن غضبه ولا يأمن قط غضبه وانما اوجبنا السؤال اذا
تحقق ان اكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بغضب مثله اذ يجب ايذاء الظالم باكثر من ذلك والغالب ان مثل هذا لا يغضب
من السؤال نعم ان كان ياخذ من يد غلامه او وكيله او تلميذه او بعض اهله ممن هو تحت رعايته فله ان يسال مهما استراب لانهم
لا يغضبون من سؤاله ولان عليه ان يسالهم ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سال ابو بكر رضي الله عنه غلامه وسال عمر
رضي الله عنه من سقاه من ابل الصدقة وسال ابا هريرة رضي الله عنه لما ان قدم عليه بمال كثير فقال ويحك اكل هذا
طيب من حيث انه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته لا سيما وقد دق في صيغة السؤال ولذلك قال علي رضي الله عنه
ليس شيء احب الى الله من عدل امام ورفقه ولا شيء ابغض اليه من جوره وخرقه **مسالة** قال الحارث المحاسبي رضي
الله عنه لو كان لصديق او اخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغي ان يساله لاجل الورع لانه ربما يبدو له ما كان مستورا
عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدي الى البغضاء وما ذكره حسن لان السؤال اذا كان من الورع لا من الوجوب
فالورع في مثل هذه الامور احترازا عن هتك الستر واثارة البغضاء اهم وزاد على هذا فقال وان رابه منه شيء ايضا لم يساله
ويظن به انه يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث فان كان لا يطمئن قلبه اليه فليحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال
قال لاني لم ار احدا من العلماء فعله فهذا منه مع ما ينتهي به من الزهد يدل على مسامحة فيما اذا خالط المال الحرام القليل ولكن
ذلك عند التوهم لا عند التحقق لان لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا توجب اليقين فليراع هذه الدقائق في السؤال
مسالة ربما يقول القائل اية فايدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فان وثق بامانته
فليثق بديانته في الحلال فاقول مهما علمت مخالطة الحرام مال انسان وكان له غرض في حضورك ضيافة وقبولك هديته
فلا يحصل الثقة بقوله فلا فايدة للسؤال عنه فينبغي ان يسال من غيره وكذا ان كان بياعا وهو يرغب في البيع لطلب الربح
فلا يحصل الثقة بقوله انه حلال ولا فايدة في السؤال منه وانما يسال من صاحب اليد اذا لم يكن متهما كما يسال المتولي عن المال
الذي يسلمه انه من اي جهة وكما سال رسول الله عليه السلام عن الهدية والصدقة فان ذلك لا يؤذي ولا يتهم القايل فيه
وكذلك اذا اتهمه بانه ليس يدري طريق الكسب الحلال فلا يتهم في قوله اذا اخبر عن طريق صحيح وكذلك يسال العبد وخادمه
ليعرف طريق اكتسابه فهاهنا يفيد السؤال فاذا كان صاحب المال متهما فليسال من غيره فاذا اخبره عدل واحد قبله وان
اخبره فاسق يعلم من قرينة حاله انه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لان هذا امر بينه وبين الله والمطلوب ثقة النفس
وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الاحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة من
ظاهره يصدق وانما نيط الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل ابو حنيفة رحمه الله
شهادة الفاسق وكم من شخص تعرفه وتعرف انه قد يقتحم المعاصي ثم اذا اخبرك بشيء وثقت به وكذلك اذا اخبرك به صبي
مميز عرفته بالتثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد فاما اذا اخبر به مجهول لا يدري من حاله شيء فلا فهذا كما جوزنا
الاكل من يد من لا يدري حاله لان يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما تقول السلامة دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن اثر ما في النفس

من غيره وانما يسال

فلو اجتمع منهم جماعة يفيد ظنا قويا الا ان اثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر الى حد تاثيره في القلب فان المفتي هو القلب
في مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات الى قراين خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتامل فيه ويدل على وجوب الالتفات
اليه ما روي عن عقبة بن الحارث انه جاء الى رسول الله عليه السلام فقال اني تزوجت امراة فجاءتنا امة سوداء فزعمت
انها قد ارضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال انها سوداء يصغر من شانها فقال عليه السلام كيف وقد زعمت انها قد ارضعتكما
لا خير لك فيها دعها عنك وفي لفظ آخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم يظهر امارة غرض له كان له وقع في القلب لا محالة
ولذلك تاكد الامر بالاحتراز فان اطمان اليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا **مسالة** حيث يجب السؤال فلو تعارض قول
عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز ان يترجح احد الجانبين بالكثرة او الاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما
يتشعب تصويره **مسالة** لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعا في يد انسان واراد ان يشتريه واحتمل
ان لا يكون من المغصوب فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وان كان الرجل
مجهولا لا يعرف منه شيا فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشتري وان كان لا يوجد ذلك المتاع
في تلك البقعة الا نادرا وانما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع
ونوعه فالامتناع عن شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست اقدر على ان احكم
فيه بحكم الا ان ارده الى قلب المستفتي لينظر ما الاقوى في نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب لزمه تركه والا حل له شراؤه
واكثر هذه الوقايع يلتبس الامر فيها فهي من المتشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرا لعرضه ودينه
ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه **مسالة** لو قال قايل قد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم اليه
فذكر انه من شاة فسال عن الشاة من اين هي فذكر فسكت عن السؤال افيجب السؤال عن اصل المال ام لا وان وجب فعن اصل واحد
او اثنين او ثلاثة وما الضبط فيه فاقول لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال اما وجوبا او ورعا
والغاية للسؤال الى حيث ينقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الاحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري
صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشتريت انقطع بسؤال واحد وان قال من شاة فوقع الشك في الشاة فاذا
قال اشتريت انقطع وان كانت الريبة من الظلم وذلك مما يثير العرب وهو الذي في نعم المغصوب فلا ينقطع بقوله انه من شاة
ولا بقوله ان الشاة ولدتها شاتي وان اسندها الى الوراثة من ابيه وحال ابيه مجهولة انقطع السؤال وان كان يعلم ان جميع
مال ابيه حرام فقد ظهر التحريم وان كان يعلم ان اكثره حرام فبكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الارث اليه لا يغير حكمه
فلينظر الى هذه المعاني **مسالة** سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم الطعام اليهم
وقف على اهل التصوف ووقف اخر على جهة اخرى غير هؤلاء وهو يخلط وينفق الكل على هؤلاء فاكل طعامه حرام او حلال
او شبهة فقلت هذا يلتفت الى سبعة اصول **الاصل الاول** ان الطعام الذي يقدم اليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة
والذي اخترناه صحة المعاطاة لا سيما في الاطعمة والمستحقرات فليس هنا الا شبهة الخلاف **الاصل الثاني** ان ينظر
ان الخادم يشتريه بعين المال الحرام او في الذمة فان اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم يعرف فالغالب انه يشتري في الذمة
ويجوز الاخذ بالغالب فلا ينشا من هذا التحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين حرام **الاصل الثالث** انه ربما يشتريه
بالشراء ممن اكثر ماله حرام لم يخف وان كان اقل ماله ففيه نظر قد سبق فاذا لم يعرف جاز له الاخذ بانه يشتريه ممن
ماله حلال او ممن لا يدري المشتري حاله فيكون كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لان ذلك هو الغالب فلا ينشا من
هذا التحريم بل شبهة احتمال **الاصل الرابع** ان يشتريه لنفسه او للقوم فان المتولي والخادم كالنايب وله ان يشتري
لهم ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية او صريح اللفظ واذا كان يجري بالمعاطاة ولا يجري اللفظ فالغالب انه لا ينوي عند
المعاطاة والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا من الحاضرين فيقع عن جهته ويدخل في ملكه وهذا
الاصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن ثبت انهم يأكلون من ملك الخادم **الاصل الخامس** ان الخادم يقدم اليهم والامر
ان يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وانما يقدم اعتمادا على العوض من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس بيع

في [illegible] قول العدلين
الفاسقين [illegible]

ل بالمعاطاة

او غيره فان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد وقيل انهما شيئان لا يتواصلان
وقيل انهما شيئان ولكن يرتبط احدهما بالآخر وقد اورد ابو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم
على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث
عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة فالبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي
شرعي **البحث الاول في موجب اللغة** والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا
اي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل
خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب هو تسليم
وترك للاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان
اخص فكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فان كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا **البحث الثاني عن
اطلاق الشرع** والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على
سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق
الا بيت واحد وقال الله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وسئل
مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه
استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان ههنا تصديق القلب فقط وبالاسلام الاستسلام بالجوارح وفي حديث جبريل صلوات الله
عليه لما ساله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره
فقال فما الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي حديث سعد انه عليه السلام اعطى
رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون المراد به الاستسلام الظاهر ويحتمل انه ليس من خصوص
المؤمنين ولا افاضلهم وانما خفي مقامه عليك فلذلك لم تعطه بمعنى لمقامات وروي ايضا انه سئل وقيل له اي الاعمال افضل
فقال الاسلام فقيل واي الاسلام افضل فقال الايمان وهذا دليل على الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات في اللغة لان
الاسلام عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح فافضلها الذي بالقلب وهو التصديق
الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في
اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم
ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه
يسمى لامسا وان لم يستغرق اللمس جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان
وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الاعراب آمنا وقوله في حديث سعد او مسلم لانه فضل احدهما على الآخر ويريد بالاختلاف
تفاضل المسميين واما التداخل فموافق ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا
والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الايمان
وعموم الاسلام للكل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام وادخله فيه واما استعماله على سبيل الترادف بان يجعل
الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص
بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم
الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه
ولا ينقص وعليه خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين **البحث الثالث عن الحكم الشرعي** وللاسلام
والايمان حكمان اخروي ودنيوي الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا فمن قائل

وعلى هذا خرج قوله
في جواب قول السائل
اي الاسلام

يقول انه مجرد العقد ومن قائل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن
نكشف الغطاء ونقول من جمع بين هذه الثلث فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه درجة الدرجة الثانية ان يوجد
اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكبائر فالمعتزلة
خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا
باطل كما سنذكره الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في
حكمه فقال ابو طالب المكي العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض غرضه
كقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل
في حكم المعاد والعجب انه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم لا يكفر احد الا بجحوده لما
اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بعين مذهب المعتزلة اذ يقال
له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد وان يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان
دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات او زنا ثم مات فهل يخلد في النار
فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده
ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الاعمال الشرعية
فما ضبط تلك المدة وما عدد الطاعات التي بتركها يبطل الايمان وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الايمان
وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صاير اصلا **الدرجة الرابعة** ان يوجد التصديق بالقلب قبل
ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال ومات فهل نقول [illegible] بينه وبين الله وهذا مما اختلف فيه ومن شرط
القول لتمام الايمان يقول [illegible] قبل الايمان وهو فاسد اذ قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم يشترط في حديث جبريل صلوات الله عليه للايمان
الا التصديق بالله وملائكته واليوم الآخر كما سبق **الدرجة الخامسة** ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة
النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة
ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد وان يكون الايمان
موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان
ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ولا
ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون
القول ركن اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد وابتداء شهادة والتزام والاول اظهر
وقد غلت في هذا طائفة من المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المؤمن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل
ذلك عليهم **الدرجة السادسة** ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا
نشك في ان هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك في انه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالائمة
والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان نظن انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه في قلبه
وانما الشك في امر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله وذلك بان يموت له في هذه الحال قريب مسلم ثم
يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل
لي بيني وبين الله او نكح مسلمة ثم صدق هل يلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا
منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال يناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه
ظاهر له في نفسه بينه وبين الله والاظهر والعلم عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك
كان حذيفة لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة

بل بمقتضى المطالبة بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فأشبه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب
إذ لا عبرة للفظ فيها بل بمحض يقتضي قرينة حاله أنه يطمع في ثواب فذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طمع الخادم في أن
يأخذ ثوابا عما قدم إلا أجرتهم من الوقف ليقضي به دينه من القصاب والخباز والبقال فهذا ليس فيه شبهة إذ لا يشترط
لفظ الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب والإقالة تقول من لا يرضى هدية في انتظار ثواب **الأصل**
السادس أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف فقيل إنه أقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى لو أنه
لا يرضى بأضعاف القيمة والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضي بما يأخذ من فوائد السكان
على الوقف فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصا ورضي به الخادم صح أيضا وإن علم أن الخادم
لا يرضى لولا أن في يده الوقف الأمر الذي يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام
والحرام لم يدخل في يد السكان فهذا كالذي تطرق إلى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضي التحريم ومتى
يقتضي الشبهة وهذا لا يقتضي تحريما على ما فصلناه فلا تنقلب الهدية حراما بتوصل المهدي بسبب الهدية إلى حرام
الأصل السابع أنه يقضي دين القصاب والخباز والبقال من ارتفاع الوقفين فإن وفى ما أخذ من حقهم بقيمة ما
أطعمهم فقد صح الأمر وإن قصر عنه ورضي القصاب والخباز بأي ثمن كان حراما أو حلالا فهذا أخذ تطرق إلى ثمن
الطعام أيضا فيلتفت إلى ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من حرام هذا إذا علم أنه قضاه من حرام فإن احتمل
ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد فقد خرج من هذا أن أكل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع
لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته أقوى في النفس كما أن الخبر
إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى
وإنما أوردناه ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يعجز عنه أكثر
المفتين

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم أن من تاب وفي يده
مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما **النظر الأول**
في كيفية التمييز والإخراج اعلم أن كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو وديعة أو غيره
فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وإن كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود
والأدهان وإما أن يكون في أعيان متمايزة كالعبيد والثياب والدور فإن كان في المتماثلات أو كان شائعا في المال
كله كمن اكتسب بتجارة يعلم أنه كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها أو من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه أو فعل
ذلك في الحبوب أو الدراهم والدنانير فلا يخلو إما أن كان معلوم القدر أو مجهوله فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم
أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف فإن أشكل فله طريقان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ
بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين لأن الأصل
اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات علامة يوثق بها أما ههنا فلا يمكن
أن يقال الأصل أن ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد
الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستبقي إلا القدر الذي يتيقن أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلا
أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلا حرام ويبقى السدس يشك فيه فيحكم
فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو أن يقتطع القدر المستيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر
المتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جاز له الإمساك والورع إخراجه وهذا الورع أوكد لأنه صار
مشكوكا فيه وكان إمساكه اعتمادا على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد تيقن اختلاط الحرام به ويحتمل
أن يقال الأصل التحريم فلا يأخذ إلا ما يغلب على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتبين لي في كل الترجيح
وهو من المشكلات فإن قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري أنه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده

فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز أن يقال إذا اختلط ميتة بعشر مذكيات فهي العشر فله أن يطرح واحدة أي واحدة
كان ويأخذ الباقي ويستحله ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال أنه
الحرام فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البدل لتطرق المعاوضة إليه وأما الميتة فلا يتطرق
المعاوضة إليها فلنكشف الغطاء عن هذا الإشكال بالفرض في درهم معين اشتبه بدرهم آخر من له درهمان أحدهما
حرام وقد اشتبه عينه فقد سئل أحمد بن حنبل عن هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين
حمل المرتهن إليه آنيتين وقال لا أدري أيتهما آنيتك فترك كلتيهما فقال المرتهن هذا هو الذي لك وإنما كنت أجربك فمضى
ولم يأخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول إنه غير واجب فلنفرض في درهم له مالك معين حاضر فنقول إذا رد
أحد الدرهمين عليه ورضي به مع العلم بحقيقته أيحل حل له الدرهم الآخر لأنه لا يخلو إما أن يكون الموجود في علم الله هو
المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فالاحتياط أن يتبايعا باللفظ
فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وكان المغصوب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعجز عن الوصول
إلى عينه واستحق ضمانه فما أخذه وقع عن الضمان وهذا في جانبه واضح فإن المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من
غير لفظ والإشكال في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه فنقول لأنه أيضا إن كان قد سلم درهم نفسه فقد فات له درهم
في يد الآخر وليس يمكن الوصول إليه فهو كالغائب يقع هذا بدلا عنه في علم الله إن كان الأمر كذلك ويقع هذا التبادل
في علم الله تعالى كما يقع التقاص لو أتلف رجلان كل واحد درهما على صاحبه بل في عين مسألتنا لو ألقى كل واحد ما في يده
في البحر أو أحرقه كان قد أتلفه ولم يكن عليه عهدة الآخر بطريق التقاص فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من المصير
إلى من يأخذ درهما ولو وقع ذلك في ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي
إليه فانظر ما في هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يجعل بيعا فحيث يتعذر والله أعلم إهمال
إلى الفعل يضعف ذلك لأنه حيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعا والبيع غير ممكن لأن المبيع
غير مشار إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس
والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض فإن قيل فإن تم تسليم قد رخص في مثل هذه الصور وجعلتموه بيعا قلنا
لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله هذا إذا ساعد
صاحب المال فإن لم يساعد وأصر وقال لا آخذ درهما أصلا إلا عين ملكي فإن استبهم فأتركه ولا أهبه وأعطل
عليك مالك فأقول على القاضي أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعنت والتضييق
والشرع لا يرد به فإن عجز عن القاضي أو لم يجده فيحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويفرزه
على نية الصرف إليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات أظهر وألزم فإن قيل فينبغي أن
يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأي حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف في الباقي قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ
ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل فإن فعل لم يجز ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد
الإبدال وقال آخرون يجوز أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطي فإن أعطى عصى هو دون الآخذ ولست أجوز أخذ الكل وذلك
لأن المالك لو ظهر فله أن يطلب حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى الآخذ عين حقي فهذا المال يستحق بهذا
الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع العين
يقدم على ما لا يحتمل ولو جاز هذا لجاز أن يقول لصاحب الدرهم الآخر إن أتلف الدرهمين وتصرف فيهما ويقول
على قضاء حقك من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدنا بأن يتقدم فإنا أولى من الآخر إلا أن ينظر إلى
الأقل فيقدر أنه تابع وينظر إلى الذي خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا أوضح
في ذوات الأمثال فإنها تقع عوضا في الإتلافات من غير عقد أما إذا اشتبهت دار بدور أو عبد بعبيد فلا سبيل إلا المصالحة
والتراضي فإن أبى أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد أن يتوقف عليه جميع ملكه فإن كانت متماثلة القيم فالطريق

والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وان كانت من العبادات والتوقي عن الحرام ايضا في جملة ما يجب لله كالصلاة وليس هذا
مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو استسلام بل الاستسلام التام ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث
فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات والاقيسة فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلوب فيه
القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في
العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم فاقول شبهتهم عمومات القران اما المرجئة
فقالوا لا يدخل المؤمن في النار وان اتى بكل المعاصي لقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله
والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ولقوله كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الى قوله فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شيء ان انتم وقوله كلما القي فيها فوج عام فينبغي ان يكون كل من القي فيها مكذبا ولقوله لا يصلاها الا الاشقى
الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون والايمان
راس الحسنات ولقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا ولا حجة لهم فيه فانه حيث
ذكر الايمان في هذه الايات اريد به الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة
بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القران قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء والاستثناء بالمشية يدل على الانقسام وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وتخصيصه
بالكفر تحكم وقوله الا ان الظالمين في عذاب مقيم وقال ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات
في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتاويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة
يعذبون بل قوله وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه
وقوله لا يصلاها الا الاشقى اراد به من جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله كلما القي
فيها فوج سالهم خزنتها اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الاية وقع الاشعري وطائفة من
المتكلمين في انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان ترد قرينة تدل على معناها واما المعتزلة
فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وقوله وان منكم الا واردها الى قوله ثم ننجي الذين اتقوا وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار
جهنم وكل اية ذكر العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم فهذه العمومات
ايضا مخصوصة بدليل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي ان يبقى له مشية في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين
وكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد
على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان
عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الراس واليد من الانسان
ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات
من الصلاة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية
الطاعات كالاطراف وبعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني والزاني
وهو حين يزني مؤمن والصحابة ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن
حقا ايمانا تاما كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية
فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان
فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فاقول السلف هم الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه

وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزايد موجود والناقص موجود والشيء
لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد براسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود
بل تزيد بالاداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان فان قلت
فالاشكال قائم في ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب
من شغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلثة اوجه الاول انه يطلق للتصديق بالقلب
على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد
عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر باليهودي
في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعها منه بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصارى والمبتدعة
وفيهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه غير شاك في
عقده كالاول ولكنهما يتفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق ايضا والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم
وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الاشجار ولذلك قال الله تعالى فزادتهم ايمانا وقال فزادهم ايمانا وقال الله تعالى ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم وقد قال عليه السلام فيما روي في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه
الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادرك التفاوت
في السكون الى عقائد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم
معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك من باطنه تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك
معتقد التواضع اذا عمل بموجبه مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع
صفات القلب تصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسياتي هذا في ربع المنجيات
والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك
بالملكوت واعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت
والاعضاء واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد
احدهما بالاخر وظن اخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك الامرين وادرك
تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانه خمر ولا قدح وكانما قدح ولا
ولنرجع الى المقصود فان هذا اعتراض خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك
ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان تكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة
بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو لمظة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت
وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب
كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم الاية **الاطلاق الثاني** ان يراد به التصديق والعمل جميعا
كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني واذا ادخل العمل في مقتضى لفظ الايمان
لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه
يؤثر فيه **الاطلاق الثالث** ان يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة
وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمانينة النفس اليه فليس
طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من واحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد
منهما بل اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليه وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين
من كتاب العلم في باب علامات علماء الاخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة
الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع

الا ان يبيع القاضي جميع الدور ويوزع الثمن عليهم بقدر النسبة وان كانت متفاوتة اخذ من طالب البيع قيمة انفس الدور
وصرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الاقل وتوقف في قدر التفاوت الى التبيين او الاصطلاح لانه مشكل وان لم يرفعه
الى القاضي فالذي يريد الخلاص ويبيع الكل ان يتولى ذلك بنفسه هذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمالات
ضعيفة لا نختارها وفيما سبق تنبيه على العمل به وهذا في الخلط ظاهر وفي النقود دونه وفي العروض اغمض
اذ لا يتقى البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج الى البيع ولنرسم مسايل يتم بها بيان هذا الاصل **مسئلة** اذا ورث
مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد نصفا وهو قدر
حصة سائر الورثة فان النصف الذي اليه يشترك حتى يقال هو المردود والباقي هو المغصوب والتعيين مميزا بنية
السلطان وقصده حصر النصيب في نصيب الآخرين **مسئلة** اذا وقع في يده مال اخذ من سلطان ظالم ثم تاب والمال
عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي ان يحسب اجر مثله لطول مدة ملكه وكذلك كل مغصوب له منفعة او حصل
منه زيادة فلا يصح توبته ما لم يخرج اجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه وتقدير اجرة العبيد والثياب والاواني
وامثال ذلك مما لا يعتاد اجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك الا باجتهاد وتخمين وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد
وطريق الورع الاخذ بالاقصى وما ربحه على المال المغصوب في عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهو ملكه ولكن
فيه شبهة اذا كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وان كان باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسدة وقد قيل ينفذ
باجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه اولى به والقياس ان يفسخ تلك العقود ويسترد الثمن
وترد الاعواض وان عجز عنه لكثرته فهي اموال حرام قد حصلت في يده فللمغصوب منه قدر راس ماله والفضل
حرام يجب اخراجه ليتصدق به فلا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده **مسئلة** من
ورث مالا ولم يدر ان مورثه من اين اكتسبه امن حلال او حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه
حراما وشك في قدره اخرج مقدار الحرام بالتحري وان لم يعلم ذلك ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمالا للسلاطين واحتمل
انه لم يكن ياخذ في عمله شيئا او كان قد اخذ ولم يبق في يده منه لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع منها ولا
يجب وان علم ان بعض ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه بل الاثم على المورث
واستدل بما روي ان رجلا ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طاب ماله اي لوارثه وهذا ضعيف لانه لم
يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة وكيف
يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن اين يوخذ هذا نعم اذا لم يتيقن يجوز ان يقال هو غير ماخوذ بما لا يدريه فيطيب
لوارث لا يدري ان فيه حراما يقينا **الطرف الثاني** في المصرف فاذا اخرج الحرام فله ثلثة احوال اما ان يكون له مالك
معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان غائبا فينتظر حضوره او الايصال اليه وان كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده
الى وقت حضوره واما ان يكون لمالك غير معين وقع الياس عن الوقوف على عينه ولا يدري انه مات عن وارث ام لا فهذا لا
يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الامر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا
واحدا مثلا على الف والفين فهذا ينبغي ان يتصدق به واما ان يكون من مال الفيء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف
ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من
المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة فيه اما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولاه القاضي
فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن لو ابتدا به فيما لا يضمنه فكيف
يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد عالما متدينا فان التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن
ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود الصرف واما عين الصارف فانما نطلبه لمصارفات دقيقة في المصالح فلا يترك
اصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو اولى عند القدرة عليه فان قيل ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق
بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جائز لانه حرام وحكي عن الفضيل انه وقع في يده درهمان فلما علم انهما من غير وجههما

ومثلها

رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه لنفسي فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا
خلافه للخبر والاثر والقياس اما الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه
فكلمته بانها حرام اذ قال اطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون كذبه
المشركون وقالوا للصديق الا ترون ما يقول صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر رضي الله عنه باذن
رسول الله فلما حققه الله صدقه جاء ابو بكر بما قامرهم به فقال عليه السلام هذا سحت فتصدق به وفرح المومنون
بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في المخاطرة مع الكفار واما الاثر
فان ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن
وقال اللهم هذا عنه ان رضي والا فالاجر لي وسئل الحسن عن توبة الغال بعد تفرق الجيش فقال يتصدق به وروي
ان رجلا سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليرده فابى ان يقبضه وقال تفرق الناس فاتى معوية فابى
وتصدق بما بقي فلما بلغ معوية قوله تلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب احمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من
الورعين الى ذلك واما القياس فهو ان هذا المال متردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ قد وقع الياس عن
مالكه وبالضرورة نعلم ان صرفه الى خير اولى من القائه في البحر فانا ان رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى
المالك ولم يحصل منه فائدة واذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته
وحصول الاجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان للزارع والغارس اجرا في كل
ما يصيبه الناس والطيور من ثماره وزرعه وذلك بغير اختياره واما قول القائل لا نتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الآن
نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر وترددنا بين التضييع والتصدق وقول القائل لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لانفسنا
فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب
التحليل واذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول ان له ان يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله
فلا يخفى لان الفقر لا ينتفي عنهم بكونهم من عياله واهله بل هم اولى من يتصدق عليهم واما هو فله ان ياخذ منه قدر حاجته
لانه ايضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز فكذا اذا كان هو الفقير ولنرسم في بيان هذا الاصل ايضا مسايل **مسئلة**
اذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرده الى السلطان فهو اعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من ان يتصدق
به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يتصدق به ولعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز ان يسرق من السلطان ويتصدق
وقال قوم يتصدق اذا علم ان السلطان لا يرده الى المالك لان ذلك اعانة للظالم وتكثير لاسباب ظلمه فالرد اليه تضييع
لحق المالك والمختار انه اذا علم من عادة السلطان انه لا يرده الى مالكه فيتصدق به عن مالكه فهو خير للمالك ان كان
له مالك معين من ان يرد على السلطان لانه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرده على السلطان تضييع
تضييع منعه عن التملك واو رجع المنع من التصدق **مسئلة** الذي حصل في يده مال لا مالك له يجوز له ان ياخذ
قدر حاجته لفقره نعم قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب اسرار الزكوة فقد قال قوم ياخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وان
قدر على شراء ضيعة او تجارة يكتسب بها لعياله فعل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الاولى ان يتصدق بالكل ان وجد
في نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله في الحلال فان لم يقدر فله ان يشتري ضيعة او يتخذ راس مال يتعيش بالعرف
منه وكلما وجد فيه حلالا امسك ذلك اليوم عنه فاذا فتح عليه باب حلال تصدق بمثل ما انفق من قبل
ويكون ذلك قرضا عنده ثم ياكل الخبز ويترك اللحم ان قوي عليه والا اكل من اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره
لا مزيد عليه ولكن جعل ما انفقه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في ان الورع ان يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق بمثله
ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يتعين ان يجب عليه ايضا اذا اخذه لفقره لا سيما اذا وقع
في يده من ميراث ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه حتى تغلظ الامر عليه فيه **مسئلة** اذا كان في يده حلال وحرام او شبهة
وليس يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه اوكد في نفسه منه في عبده وعياله واولاده

لاده

في جهنم اكثر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديرها ان كان ما في القلب لا يتفاوت فان قلت فما وجه قول السلف انا
مومنون ان شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون
عنه قال سفيان الثوري من قال انا مومن عند الله فهو من الكذابين ومن قال انا مومن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو
يعلم انه مومن في نفسه ومن كان مومنا في نفسه كان مومنا عند الله كذلك وكذا من كان مسرورا او حزينا او سميعا
او بصيرا ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا
نقول قال قولوا امنا بالله وما انزل الينا واي فرق بين ان نقول امنا وبين ان نقول انا مومن وقيل للحسن امومن
انت فقال ان شاء الله فقيل له لم تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق
على الكلمة وكان يقول ما يومنني ان يكون الله سبحانه قد اطلع على في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا
فانا اعمل في غير معمل وقال ابرهيم اذا قيل لك امومن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان
وسوالك اياي بدعة وقيل لعلقمة امومن انت فقال ارجو ان شاء الله وقال الثوري نحن مومنون بالله
وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب ان هذا الاستثناء صحيح وله
اربعة اوجه وجهان يستندان الى شك لا في اصل الايمان ولكن في خاتمته او كماله ووجهان لا يستندان الى الشك
الوجه الاول الذي لا يستند الى الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا
انفسكم وقال الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح
فقال ثناء الانسان على نفسه والايمان من اعلى صفات الحمد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كانها نقل من
عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن
لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم
من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء الوجه الثاني التادب
بذكر الله في كل حال واحالة الامور كلها الى مشية الله فقد ادب الله سبحانه نبيه فقال ولا تقولن لشيء اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين
روسكم ومقصرين لا تخافون وكان الله عالما بانه يدخل لا محالة وانه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما دخل المقابر السلام عليكم
اهل دار قوم مومنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله
وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا
قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم عنه رغبتك لا تشككك واذا قيل فلان سيزول مرضه
ويصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن التشكك الى معنى الرغبة فكذلك العدول الى
معنى التادب بذكر الله كيف كان الامر الوجه الثالث ومستنده الشك ومعناه انا مومن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى
لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المومنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان
لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان
النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدري وجودها على
الكمال اما العمل فقال الله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر
فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال اولئك الذين صدقوا وقد قال يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات وقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح الاية وقال هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه
وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل

على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم اربع
من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مومن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن
خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المومن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه
كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه
حكم له بها وفي لفظ اخر غلبت عليه ذهبت به وقال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي
حديث ان الشرك اخفى في امتي من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى ان يموت واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض
العلماء اقرب الناس من النفاق من يرى انه بريء منه وقال حذيفة رضي الله عنه المنافقون اليوم اكثر منهم
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان
وكماله وهو خفي وابعد الناس منه من تخوفه واقربهم منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن رضي الله عنه يقولون
ان لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو وغيره لو نبتت للمنافقين اذناب ما قدرنا
ان نطا على الارض وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد
هذا نفاقا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين
في الاخرة وقال ايضا شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه وقيل للحسن رضي الله عنه ان قوما
يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بريء من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا وقال الحسن
رضي الله عنه ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة اني اخاف
ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق فان المنافق قد امن النفاق وقال ابن ابي مليكة رحمه الله
ادركت ثلثين ومائة وفي رواية خمسمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه
يقطر ماء من اثر الوضوء قد علق نعليه بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرجل
هو الذي وصفناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارى على وجهه سفعة من الشيطان والسفعة علامة من سواد والاسفع
الذي اصابته علامة من سواد فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت
نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم وقال النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني
استغفرك لما علمت ولما لم اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله فقال وما يومنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن
يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في
كفة السيئات وقال سري السقطي رحمه الله لو ان رجلا دخل بستانا فيه جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه
كل طير منها بلغته السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار والاثار تعرفك خطر
الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لا يومن منه حتى كان عمر رضي الله عنه يسال حذيفة رضي الله عنه
عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله سمعت من بعض الامراء شيا فاردت ان انكره
فخفت ان يامر بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق
وهذا النفاق يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين
ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي الى النار الى مدة او ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين
وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء واصل هذا النفاق تفاوت في السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وامور اخر لا يخلو
عنها الا الصديقون والله اعلم الوجه الرابع وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت

الصغار والكبار من اولاده يحترسهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم الى ما هو اشد منه فان افضى فيطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه يتناول مع العلم والعيال في نفسه ربما يعذر اذا لم يعلم اذ لم يتول الامر بنفسه فليبدأ في الحلال بنفسه ثم بمن يعول واذا تردد في حق نفسه بين ما يختص بقوته وكسوته وبين غيره من المؤن كاجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه هو اولى بان يكون طيبا واذا دار بين القوت واللباس فيحتمل ان يقال يخص القوت بالحلال لانه الممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام فالنار اولى به واما اللبس ففايدته ستر عورته ودفع الحر والبرد والمضار عن بشرته وهذا هو الاظهر عندي وقال الحارث المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روي انه لا يقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن امثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم ان ينبت من الحلال اولى ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى فان قيل فاذا كان الكل مصروفا الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وبين غيره ومن جهته ومن جهة ما يدرك هذا الفرق قلنا عرف ذلك بما روي ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فنهى فقيل ان له ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما ياكله هو ودابته واذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه **مسئلة** الحرام الذي في يده لو تصدق على الفقراء فله ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسيع والتضييق فيكون الامر على ثلث مراتب وان انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا يطعمه الا اذا كان في برية او قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذي حضر ضيفه تقيا لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع ولا ينبغي ان يكرم اخاه بما يكره ولا ينبغي ان يعول على انه لا يدري فلا يضره فان الحرام اذا حصل في المعدة اثر في قساوة القلب وان لم يعرفه صاحبه ولذلك تقيأ ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وان افتينا بانه حلال للفقير احللناه بحكم الحاجة فهو كالخنزير والخمر اذا احللناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات **مسئلة** اذا كان الحرام او الشبهة في يد ابويه فليمتنع عن مواكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله وان كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم يقدر فليوافق وليقلل الاكل بان يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك عدوان والاخ والاخت قريب من ذلك لان حقهما ايضا مؤكد وكذلك اذا البسته امه ثوبا من الشبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطر وعند تعارض اسباب الورع ينبغي ان يتفقد هذه الدقائق وقد حكي عن بشر انه سلمت اليه امه رطبة وقالت بحقي عليك ان تاكلها وكان يكرهها فاكل ثم صعد غرفة فصعدت امه وراءه فراته يتقيأ فانه اراد ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقد سئل احمد سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال احمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العباداني عنها فقال بر والديك فما تقول فقال احب ان تعفيني فقد سمعت ما قالا ثم قال ما احسن ان تداريهم **مسئلة** من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لانه مفلس ولا تجب الزكوة اذ معنى الزكوة ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما ردا على المالك ان عرفه او صرفا الى الفقراء ان لم يعرف المالك واما اذا كان مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث يغلب تحريمه فالزكوة اولى بالوجوب وان لزمته كفارة فليجمع

الصوم

والاعتاق ليتخلص بيقين وقد قال قوم عليه الجمع وقال قوم يلزمه الصوم دون الاطعام اذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الاطعام والذي نختاره ان كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها والزمناه اخراجها من يده لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصدقة والاطعام اما الصوم فلانه مفلس حكما واما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل ان يكون اللزوم له فيكون اللزوم من جهة الكفارة **مسئلة** من في يده مال حرام امسكه للحج فاراد ان يتطوع بالحج ان كان ماشيا فلا باس لانه ياكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى وان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج الى زيادة الركوب فلا يجوز اخذه بمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب في البلد وان كان يتوقع القدرة على حلال لو اقام بحيث يستغني به عن بقية الحرام فالاقامة في انتظار ذلك احب من الحج ماشيا من المال الحرام **مسئلة** من خرج للحج بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره فانا وان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وقرنا الجفاء بالطيبات فان لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر الله اليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهيته **مسئلة** سئل احمد فقال له قائل مات ابي وترك مالا وكان يعامل من يكره معاملته فقال تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضي وتقتضي فقال افترى ذلك فقال فتدعه محتبسا بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على انه راى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال تدع قدر الربح وانه راى ان عين مال ابيه مال له بدل عما يقابله في المعاوضات الفاسدة بطريق التقابض والتقابل فيما كثر التصرف وعم الاذى وعول في تقاضيه على انه يقترض فلا يترك بسبب الشبهة

الباب الخامس في ادرار السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلثة امور في مدخل المال الى يد السلطان من اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي ياخذ هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وشركائه في الاستحقاق

النظر الاول في جهات الدخل للسلطان وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان ماخوذ من الكفار وهو الغنيمة الماخوذة بالقهر والفي وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة وهي التي تؤخذ بالشرط والمعاقدة **والقسم الثاني** الماخوذ من المسلمين فلا يحل منه الا قسمان المواريث وسائر الاموال الضائعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات فليست تؤخذ في هذا الزمان وما بقي بعد ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه او غيره ادرارا او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما ان يكتب على الجزية او على المواريث او على الاوقاف او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار او على الخزانة فالاول هو الجزية واربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس الاربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط ان لا تكون الجزية مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار او على اربعة دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد ويشترط ان يكون الذمي الذي يؤخذ منه مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا صبيا ولا امراة اذ لا جزية عليهما فهذه امور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من يصرف اليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك **الثاني** المواريث والاموال الضائعة وهي للمصالح والنظر في ان الذي خلفه هل كان ماله كله حراما او اكثره او اقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما فيلتفت الى صفة من يصرف اليه بان يكون في الصرف اليه مصلحة ثم في المقدار المصروف **الثالث** الاوقاف وكذا يجري النظر فيه كما يجري في الميراث مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتى يكون الماخوذ موافقا له في

شرايط

ام لا فان ختم بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا
صايم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار وكما ان النهار ميقات تمام
الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الايمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها
كان اكثر بكاء الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا يطلع
عليه بشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم من
الله الحسنى وقيل في قوله وجاءت سكرة الموت بالحق اي بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال
خواتيمها وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله ويقول ما من احد يامن ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال من الذنوب
ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله منه وقيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين
لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة لاني لا ادري
ما يعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني
وبينه سارية ومات لم احكم انه مات على التوحيد وفي الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل
وقيل في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك
وقد قال الله تعالى ولله عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما
يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما
فكذلك الايمان بل لا يبعد ان يسال عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان
شاء الله اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه الا الله فمن هذا حسن الاستثناء في جميع اعمال البر
ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها الا رب
الارباب فيحسن الشك فيه فهذه وجوه تحسين الاستثناء في الجواب عن الايمان وهو آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد والله
اعلم بالصواب

كتاب اسرار الطهارة ومهماتها وهو الكتاب الثالث من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انواره والطافه
واعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلاة على محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم
واكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة اما بعد فقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال مفتاح الصلاة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان وقال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن
يريد ليطهركم فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد بقوله الطهور
نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقاؤه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات
هيهات والطهارة لها اربع مراتب **الاولى** تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات **الثانية** تطهير الجوارح
عن الجرائم والآثام **الثالثة** تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة **الرابعة** تطهير السر عما
سوى الله وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل
السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله ولذلك قال الله تعالى
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية
القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة
والرذائل المذمومة فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان
بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وهذه مقامات الايمان
ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات

المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ
عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت
عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات
لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن
فيه ويستقصي في مجاريه ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية
الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط وجهالة
بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان عمر رضي الله عنه مع علو
منصبه توضا من ماء في جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص
اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات
ومنهم من كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه وكان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في
الاستنجاء قال ابو هريرة وغيره من اهل الصفة كنا ناكل الشواء فتقام الصلاة فندخل اصابعنا في الحصباء ثم نفركها بالتراب
ونكبر وقال عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بطون
ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها ويقال اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة المناخل والموائد
والاشنان والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في النعلين افضل اذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما نزع نعله في صلاته باخبار جبريل عليه السلام ان عليه نجاسة وخلع الناس نعالهم قال عليه السلام لم خلعتم
نعالكم وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء اليها فاخذها منكرا لخلع النعال فهكذا كان تساهلهم
في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض وياكلون من
دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والفرس مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم
ينقل قط عن احد منهم سؤال في دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين فاكثر اوقاتهم في
تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق
ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض
او بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف القدم من ادم او توضا من آنية عجوز او رجل
غير متقشف قاموا عليه القيامة وشددوا النكير عليه ولقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مؤاكلته
ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف
منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه فان قلت افتقول ان هذه العادات التي احدثها
الصوفية في هيآتهم ونظافتهم من المحظورات والمنكرات فاقول حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني
اقول ان هذا التكلف والتنظف واعداد الاواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المقنع لدفع الغبار وغير
ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها
تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونه مباحا في نفسه فلا يخفى اذ صاحبه متصرف به في ماله وبدنه وثيابه
فليفعل به ما يريد اذا لم يكن اضاعة واسراف واما مصيره منكرا فبان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر قوله صلى الله عليه
وسلم بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين او ان يكون القصد به تزيين الظاهر
للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا
فبان يكون القصد منه الخير دون التزيين وان لا ينكر على من يترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن اوائل
الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه او عن تزكية علم او غيره فاذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح
يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات اليه لاشتغلوا بنوم

او جرت

الرابع ما احياه السلطان وهذا لا يعرف فيه شرط الاحيا ان يعطي من ملكه ما شا لمن شا اي قدر شا وانما النظر في ان الغالب
انه احياه باكراه الاجرا او باداء اجرتهم من حرام فان الاحيا يحصل بحفر القناة والانهار وبنا الجدران وتسوية
الارض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كان اكره عليه الفعلة لم يملكه السلطان فهو حرام وان كانوا استاجروا
ثم قضيت اجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة وقد نبهنا عليه في تعلق الكراهة بالاعواض الخامس ما اشتراه
السلطان في الذمة من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره فهو ملكه وله ان يتصرف فيه ولكنه سيقضي ثمنه
من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد سبق تفصيله السادس ان يكتب على عامل خراج
المسلمين او من يجمع اموال الفي والصدقات وهو الحرام المحض الذي لا شبهة فيه وهو اكثر الادرارات في
هذا الزمان الا على اراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين السابع ما يكتب على
بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فماله كمال خزانة السلطان وان كان يعامله في غير السلطان
اكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسياخذ بدله من الحرام فالخلاف يتطرق الى العوض وقد سبق حكم الثمن
الحرام الثامن ما يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فاذا لم يعرف للسلطان
دخل الا من الحرام فهو سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل ان
يكون ما يسلم اليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع في النفس واحتمل ان يكون من الحرام وهو الاغلب لان الاغلب
اموال السلاطين الحرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز وقد اختلف الناس في هذا فقال
قوم كل ما لا اتيقن انه حرام فلي ان آخذه وقال آخرون لا يحل ان يوخذ ما لم يتحقق انه حلال ولا يحل شبهة
اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم وان كان الاغلب
حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق ولقد احتج من جوز اخذ مال السلاطين اذا كان فيها
حرام وحلال مهما لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انهم ادركوا
ايام الايمة الظلمة واخذوا الاموال منهم ابو هريرة وابو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن
عبد الله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك واخذ
ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابرهيم والحسن وابن ابي ليلى واخذ
الشافعي من هرون الرشيد الف دينار في دفعة واخذ مالك من الخلفا اموالا جمة وقال علي رضي الله عنه
خذ ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك العطا منهم
تورعا مخافة على دينه ان يحمل على ما لا يحل الا ترى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطا ما كان نحلة فاذا كان
اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة
كان اذا اعطاه معاوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبي عن ابن مسروق لا يزال العطا باهل العطا
حتى يدخلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام لا انه في نفسه حرام وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان المختار
كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا ارد ما رزقني الله واهدى اليه ناقة فقبلها وكان يقال
لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روي ان ابن عمر لم يرد هدية احد الا هدية المختار والاشبه انه
لم يثبت وعن نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر بستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض من
بعض من اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي على معاوية رضي الله عنهما قال لاجيزنك بجائزة لم اجزها
احدا قبلك من العرب ولا اجيزها احدا بعدك من العرب قال فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن حبيب بن ابي ثابت
قال رايت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل ما هي قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي انه
قال قال سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر يقارف الربا فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك شيئا فاقبل فان
لك المهنا وعليه الوزر فان ثبت هذا في المربي فالظالم في معناه وعن جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين رضي الله عنهما

كانا يقبلان جوائز معاوية رضي الله عنه وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا على اسفل
الفرات فارسل الى العشارين ان اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل واكلنا معه وقال العلاء بن زهير
الازدي اتى ابرهيم ابي وهو عامل على حلوان فاجازه فقبل وقال ابرهيم لا باس بجائزة العمال ان للعمال
موونة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما اعطاك فهو من طيب ماله فقد اخذ هولا كلهم جوائز
السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من اطاعهم في معصية الله فزعم هذه الفرقة ان ما ينقل من امتناع جماعة من السلف
عن الاخذ لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفا الراشدين وابي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق
زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاوه الى محظور ورعا وتقوى فاقدام هولا يدل على الجواز وامتناع اولئك
لا يدل على التحريم وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلثون الفا وما
نقل عن الحسن من قوله لا اتوضا من ماء صير ولو ضاق وقت الصلوة لاني لا ادري اصل ماله كل ذلك ورع
لا ينكر واتباعهم عليه احسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع ايضا فهذه شبهة
من يجوز اخذ مال السلطان الظالم والجواب ان ما نقل من اخذ هولا محصور قليل بالاضافة الى ما نقل من ردهم
وانكارهم وان كان يتطرق الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من اخذ ثلثة احتمالات متفاوتة في
الدرجة بتفاوتهم في الورع فان للورع في حق السلاطين اربع درجات الدرجة الاولى ان لا ياخذ من مالهم
اصلا شيئا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفا الراشدون حتى ان ابا بكر رضي الله عنه حسب
جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت المال وحتى ان عمر رضي الله عنه كان يقسم
مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد
منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فاخرجه من فيها
وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكسح ابو موسى الاشعري
بيت المال فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه فراى عمر في يد الغلام فقال من اعطاك قال ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في
اهل المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لا يبقى من امة محمد صلى الله عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمة
ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا ولكن خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر وكان يستبري لدينه
ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله ومن تركها فقد استبرا لدينه
وعرضه ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الاموال السلطانية حتى قال عليه السلام
حين بعث عبادة بن الصامت الى الصدقة اتق الله يا ابا الوليد لا تجي يوم القيمة ببعير تحمله على رقبتك له
رغا او بقرة لها خوار او شاة لها ثواج قال يا رسول الله اهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده الا من رحمه الله
قال فوالذي بعثك بالحق لا اعمل على شي ابدا وقال صلى الله عليه وسلم اني لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدي انما اخاف
عليكم ان تنافسوا وانما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال اني لم اجد
نفسي منه الا كالولي بمال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وروي ان ابنا لطاوس
افتعل كتابا من لسانه الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فاعطاه ثلثمائة دينار فباع طاوس ضيعة له فبعث به الى عمر
هذا مع ان السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع الدرجة الثانية هو ان ياخذ مال
السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم ان ما ياخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى
هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار او اكثرها او ما اختص منها باكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر رضي
الله عنهما فانه كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من اشدهم انكارا عليهم
واشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه واشفق على نفسه من ولايته وكونه
ماخوذا عند الله به فقالوا له انا لنرجو لك خيرا حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت

فما لا يعني فيصرف شغلهم به اولى لان الشاغل بالطهارات يجدد ذكر الله وذكر العبادات فلا بأس به اذا لم يخرج
الى منكر واسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة والزيادة (انقش)
عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو اجوهر الجواهر واعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك
فان حسنات الابرار سيئات المقربين ولا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم
انه يتشبه بالصحابة اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ له الا عما هو اهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح
لحيتك قال اني اذا لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل ان يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من ان
يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيره في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في الفراء
المدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها (وما) (المدبوغة والمقصورة)
ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال
سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم
ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الفكر (غير)
لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمال النجاسات ولو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا
فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء
بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس ان لم تشغل بشيء شغلت صاحبها واذا قصد به
التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت العالم اشرف من ان يصرفه الى مثله فيبقى
محفوظا عليه واشرف وقت العامي ان يشتغل بمثله فيتوفر الخير من الجوانب وليستنطق بهذا المثال
نظائره من الاعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ
لحظات العمر ليصرفها الى الافضل اهم من التدقيق في اموال الدنيا بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة واستيقنت
ان الطهارة لها اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لانا في الشطر
الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة
عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره
القسم الاول طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة الطرف الاول في المزال
وهي النجاسة والاعيان ثلاثة جمادات وحيوانات واجزاء حيوانات اما الجمادات فطاهرة كلها
الا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير وما تولد منهما او من احدهما فاذا ماتت فكلها نجسة (نبيذ)
الا خمسة الادمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل من الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة
كالذباب والخنفساء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شيء فيه منها واما اجزاء الحيوانات فقسمان احدهما
ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات
الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر
وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات
ولا يعفى عن هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار
يعفى عنه ما لم يعد المخرج الثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة
بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او سقطة الثالث ما على اسفل الخف
من نجاسة لا تخلو الطرق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث ما قل منه او كثر
الا اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك او في ثوب غيرك فلبسته الخامس دم البثرات وما ينفصل
منها من قيح وصديد دلك ابن عمر رضي الله عنهما بثرة على وجهه وخرج منه الدم وصلى ولم يغسل وفي معناها

لطخات الدماميل التي تدوم غالبا وكذلك اثر الفصد الا ما يقع نادرا من جراح او غيره فيلحق بدم الاستحاضة
ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات
الخمس تعرفك ان امر الطهارات على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا اصل لها الطرف الثاني في المزال به
وهو اما جامد واما مائع اما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا
منشفا غير محترم واما المائعات فلا يزال النجاسة بشيء منها الا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره
بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بمخالطة ما يستغنى عنه وخروج الماء بملاقاة
النجاسة طعمه او لونه او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهي خمسمائة رطل برطل العراق
لم ينجس لقوله عليه السلام اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي رحمه الله
هذا في الراكد اما الماء الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء متفاصلة
وكذلك النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين
وان كان جري الماء اقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها نجس وان تباعد وكثر الا
اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي
رحمه الله وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب مالك رحمه الله في ان الماء وان قل فلا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة
ماسة اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من
يجربه ويتأمله ومما لا اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة
اذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر عصر
الصحابة لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت اواني مياههم يتعاطاها
الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وتوضأ عمر بماء في جرة نصرانية فهذا كالصريح في انه لم يعول الا
على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالبا يعلم بظن قريب فاذن عسر القيام بمذهب الشافعي وعدم وقوع
السؤال في تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاناء للهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل الفارة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها
وكانت لا تنزل في الابار والرابع ان الشافعي نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير ونجسة ان تغيرت
واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واي معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع
النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا ولا فرق بين
طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس او طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني
الخامس انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي انه اذا وقع بول في ماء جاري
ولم يتغير انه يجوز التوضي به وان كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير
اولى او على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة أتجري المياه الجارية في انابيب الحمامات ام لا فان لم تجر فما الفرق
وان جرى فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا جارية ثم البول اشد
اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذ يقضى بان ما يجري عليها وان لم يتغير نجس الى ان يجتمع في مستنقع
قلتان واي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط اشد من المجاورة السادس انه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا (او)
فكل كوز يغترف منه فهو طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعري تعليل طهارته بعدم التغير اولى او بقوة
كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوال الهيئة مع تحقق بقاء اجزاء النجاسة فيها السابع ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ فيها
المتقشفون ويغمسون الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة تتوارد عليها
فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء (طهورا)

فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب وزكت النفقة وستَرِد فترى وفي خبر اخر انه
قال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك قد وليت البصرة ولا احسبك الا قد اصبت منها شرا فقال له ابن عامر
الا تدعو لي فقال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة
من غلول وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه الى الخيرات وعن ابن عمر انه قال في ايام الحجاج ما شبعت
من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومي هذا وروي عن علي رضي الله عنه انه كان له سويق في اناء مختوم
يشرب منه فقيل اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما اني لا اختمه بخلا به ولكن اكره ان يجعل فيه
ما ليس منه واكره ان يدخل بطني غير طيب فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يعجبه شي الا خرج منه
فطلب منه نافع بثلثين الفا ابو سعيد الخدري ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا الا ابن عمر فبهذا يتضح انه
لا يظن به وبمن كان في منصبه انه اخذ ما لا يدري انه حلال **الدرجة الثالثة** ان ياخذ ليتصدق به على
الفقرا ويفرقه على المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان ان لم يوخذ منه
لم يفرقه واستعان به على الظلم فقد نقول اخذه منه وتفرقته اولى من تركه في يده وهذا قد راه بعض العلما وسياتي
وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه اكثرهم ولذلك قال ابن المبارك ان الذين ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر
وعايشة ما يقتدون بهم لان ابن عمر فرق ما اخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين الفا وعايشة فعلت مثل
ذلك وجابر بن زيد قيل فتصدق به وقال رايت ان اخذ منهم واتصدق احب الي من ان ادعها في ايديهم وهكذا
فعل الشافعي رضي الله عنه بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة **الدرجة الرابعة**
ان لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستبقي ولكن ياخذ من سلطان اكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفا في زمن الصحابة
والتابعين بعد الخلفا الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما ويدل عليه تعليل علي رضي الله عنه حيث قال فان ما يعطيه
من الحلال اكثر وهذا مما قد جوزه جماعة من العلما تعويلا على الاكثر ونحن توقفنا فيه في حق احاد الناس ومال السلطان
اشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد ان يؤدي اجتهاد مجتهد الى الجواز اخذا مما لم يعلم انه حرام اعتمادا على الاغلب وانما
منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات تحققت ان ادرارات الظلمة في زماننا لا تجري مجراها وانها تفارقها
من وجهين قاطعين احدهما ان اموال السلاطين في عصرنا حرام كلها او اكثرها وكيف لا والحلال الصدقات والفي والغنيمة
ولا وجود لها وليس يدخل منها شي في يد السلاطين ولم يبق الا الجزية وانما توخذ بانواع من الظلم لا يحل اخذها به فانهم يجاوزون
حدود الشرع في الماخوذ والماخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم اذا نسبت ذلك الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين
ومن المصادرات والرشى وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره **الوجه الثاني** ان الظلمة في العصر الاول لقرب
عهدهم بزمان الخلفا الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على
قبولهم عطاياهم وجوايزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير سوال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به وكانوا
ياخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاهم بل يدعون
عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم فما كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم
ولم يكن باخذهم باس فاما الان فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية الا لمن طمعوا في استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة
بهم على اغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعا والثنا والتزكية والاطرا في حضورهم ومغيبهم فلو
لم يذل الاخذ نفسه بالسوال اولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثنا والدعا ثالثا وبالمساعدة على اغراضه عند الاستعانة رابعا
وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وباظهار الحب والموالاة والمناصرة له على اعدايه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه
ومساوي اعماله سابعا لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي مثلا فاذن لا يجوز ان يوخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم
انه حلال لافضايه الى هذه المعاني فكيف ما يعلم انه حرام او يشك فيه فمن استجرا على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد
قاس الملايكة بالحدادين ففي اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثنا عليهم والتردد

الى ابوابهم وكل ذلك معصية على ما سنبين في الباب الذي يلي هذا فاذن قد تبين مما تقدم مداخل اموالهم وما يحل منها
وما لا يحل فلو تصور ان ياخذ الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق اليه لا يحتاج فيه الى تفقد
عامل وخدمته ولا الى الثنا عليهم وتزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها في
الباب الذي يلي هذا **الطرف الثاني** من هذا الباب في قدر الماخوذ وصفة الاخذ ولنفرض المال من اموال المصالح
كاربعة اخماس الفي والمواريث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او خمس في او خمس غنيمة وما
كان من ملك السلطان مما احياه او اشتراه فله ان يعطي ما شا من شا وانما النظر في الاموال الضايعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه
الا الى من فيه مصلحة عامة او هو محتاج اليه عاجز عن الكسب فاما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا
هو الصحيح وان كان العلما قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا في مال بيت المال لكونه
مسلما مكثرا جمع الاسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت
هذا فكل من يتولى امرا يقوم به يتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت
المال حق الكفاية ويدخل فيه العلما كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراة
حتى يدخل فيها المعلمون والموذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل
فيه العمال وهم الذين يرتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد المرتزقة الذين يحرسون الملك بالسيوف عن اهل
العداوة واهل البغي واعدا الاسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلا وكل من يحتاج اليه في ترتيب
ديوان الخراج اعني العمال على الاموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان تتعلق بالدين او بالدنيا
فبالعلما حراسة الدين وبالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك توامان فلا يستغني احدهما عن الاخر والطبيب وان كان
لا يرتبط بعلمه امر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج اليها
في مصلحة الابدان او مصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين اعني من يعالج منهم بغير
اجرة وليس يشترط فيهولا الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنى فان الخلفا الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم
يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع ويغني وله ان يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه
الحال وسعة المال فقد اخذ الحسن رضي الله عنه من معوية في دفعة اربعماية الف درهم وقد كان عمر رضي الله عنه يعطي
لجماعة اثني عشر الف درهم نقرة في السنة واثبت عايشة في هذه الجريدة ولجماعة عشرة الاف ولجماعة ستة الاف وهكذا فهذا
مال هولا فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شي فان خص كل واحد بالاكثر فلا باس وكذلك للسلطان ان يخص من هذا
المال ذوي الخصايص بالخلع والجوايز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت فيه الى المصلحة ومهما خص عالم
او شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات
وكل ذلك منوط باجتهاد السلاطين وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيين احدهما ان السلطان الظالم عليه ان يكف
عن ولايته وهو اما معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان ياخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه
ليس يعم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للاحاد ان ياخذوا ايجوز لهم الاخذ بقدر حصصهم ام يحرم اصلا ام يجوز كل ما اعطي اما الاول
فالذي نراه انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة
ثايرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب الطاعة للامرا وقد ورد في الامر بطاعة الامرا والمنع من سل اليد عن
مساعدتهم اوامر وزواجر فالذي نراه ان الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس رضي الله عنهم وان الولاية نافذة
للسلاطين في اقطار البلاد المتابعين للخليفة وقد ذكرنا في الكتاب المستظهري ما اشتغال وجه المصلحة فيه والقول الوجيز
انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الان لبطلت المصالح راسا
فكيف يفوت راس المال في طلب الربح بل الولاية الان لا تتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد
بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضا في اقطار الارض ولاية نافذة الاحكام

لا تخشه ... الا ما تغير طعمه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مايع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان
مغلوبا من جهته وكما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا فيحكم بطهارته لصيرورته ملحا وزوال الصفة الكلبية
عنه فكذلك الخل يقع في الماء واللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتصور بصورة الماء ويتطبع بطبعه الا اذا اشتد
وغلب ونعرف غلبته بغلبته طعمه او لونه او ريحه فهذا المعيار قد اشار الشرع اليه في الماء القوي على ازالة
النجاسة الذي هو جدير بان يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا اذ يغلب غيره فيطهره كما صار
كذلك فيما بعد القلتين وفي غسالة النجاسة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا تظنن ان ذلك عفو ولو كان كذلك
لكان كاثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي للنجس ولا نجس بالغسالة ولا بولوغ السنور الماء القليل
واما قوله لا يحمل خبثا في نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان تقال اراد به انه
في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التي
ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل اي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اي
ينقلب وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران ويغمسون الاواني النجسة فيها ثم يترددون في
انها تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا فتبين انه اذا كان قلتين لا تتغير بهذه النجاسات فان قلت فقد قال لا يحمل خبثا وهما
كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانها مع الشرب حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة
على المذهبين جميعا وعلى الجملة فميلي في امور النجاسات الى المساهلة فيما من سيرة الاولين وحسما لمادة الوسواس ولذلك
افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسائل

الطرف الثالث في كيفية الازالة والنجاسة ان كانت حكمية
وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم
يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص واما الرائحة فبقاؤها يدل
على بقاء العين ولا يعفى عنها الا اذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متوالية يقوم مقام
الحت والقرص في اللون والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما لم يشاهد عليها ولا يعلمها يقينا
تصلي معه ولا ينبغي ان يتوصل بالاستقصاء الى تقدير النجاسات

القسم الثاني طهارة الاحداث
ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فلنورد كيفيتها على الترتيب مع ادابها وسننها مبتدئين بسبب
الوضوء وهو قضاء الحاجة

كتاب قضاء الحاجة ينبغي ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحراء وان يستتر بشيء ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها الا اذا كان في بناء والعدول عنها في البناء ايضا وان يستتر في الصحراء براحلته جاز وكذا بذيله وان
يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفي الجحر وان يتقي الموضع الصلب
ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وان يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى وان كان في بنيان يقدم
الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قائما قالت عائشة رضي الله عنها من حدثكم ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال عمر رآني عليه السلام وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما وفيه رخصة
اذ روى حذيفة انه عليه السلام بال قائما فاتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال عليه السلام
عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا بأس ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله ورسوله ولا يدخل
بيت الماء حاسر الرأس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج
الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة
وان يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء
فيتوسوس ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى
يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان النبي عليه السلام فعله اعني رش الماء وقد كان اخفهم

استبراء افقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة امرنا ان لا نستنجي
بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغائط او بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه
لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك اني بها لحاذق ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر
الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة يكون بالبادية والاقعاء هاهنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة
ان يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين
للناس

كيفية الاستنجاء يستنجي لمقعدته بثلاثة احجار فان انقى كفى والا استعمل رابعة فان انقى
والا خامسة لان الايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة
قبل موضع النجاسة ويمره بالمسح والادارة الى المؤخرة ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة كذلك ويمرها الى
المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من المقدمة او المؤخرة
اجزأه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح بالثاني ثلاثة
مواضع او في ثلاثة احجار او في ثلاثة مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك
بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة
للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع اخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى
لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس
وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تبرز وكل ما هو ظاهر
وثبت له حكم النجاسة فحد طهوره ان يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء
اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت
والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا كنا نجمع بين الماء
والحجر

كيفية الوضوء اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط
خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال صلى الله عليه وسلم ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها
بالسواك فينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة القرآن وذكر الله في الصلاة وقال النبي صلى الله عليه
وسلم صلاة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق
على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان وكان
عليه السلام يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لم يزل يأمرنا بالسواك حتى ظننا
انه سينزل عليه فيه شيء وقال عليه السلام عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب وقال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته ان يستاك بالاراك او غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح
ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وان لم يصل
عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم او اكل ما يكره رائحته وعند الفراغ من السواك يجلس
للوضوء مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله اي لا وضوء كاملا
ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما
الاناء ويقول اللهم اني اسالك اليمن والبركة واعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة
الصلاة ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلاثا
ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صائما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك

ويغرغر

بتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلسنا نطول الآن به واما الاشكال الآخر وهو ان
السلطان اذا لم يعم بالعطا كل مستحق فهل يجوز للواحد ان ياخذ منه فهذا مما اختلف فيه العلما على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال
كل ما ياخذه فالمسلمون كلهم فيه شركا ولا يدري ان حصته منه دانق او حبة فليترك الكل وقال قوم له ان ياخذ قوت يومه
فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في
هذا المال فكيف يتركه وقال قوم انه ياخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين
كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلا لم يجب التوزيع
على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقرا حصتهم من
الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف ياخذه
من المال ما لو صرف اليه بطريق الايثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له ان ياخذه والتفضيل جائز في العطا فقد سوى ابو بكر
رضي الله عنه فراجعه عمر رضي الله عنه فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر في زمانه فاعطى عايشة اثني
عشر الفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية واقطع عمر لعلي خاصة رضي الله عنهما واقطع عثمان ايضا
من السواد خمس جنات وآثر عثمان عليا رضي الله عنهما فقبل منه ولم ينكر وكل ذلك جائز فانه في محل الاجتهاد وهو
من المجتهدات التي نقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لا نص فيها على عينها ولا على مسألة تقرب منها فيكون
معناها بقياس جلي كهذه المسألة ومسألة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وان كل واحد
من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة اذ المفضول ما رد في زمان عمر شيا الى الفاضل مما كان قد اخذه
في زمان ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا كل واحد من الرايين
حقا فليؤخذ هذا الجنس دستورا للاختلافات التي يصوب فيها كل مجتهد فاما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص
او قياس جلي لغفلة او سوء راي وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب
من اصاب النص او ما في معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة يتعلق بها
مصالح الدين او الدنيا واخذ من السلطان خلعة او ادرارا على التركات او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق
بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنايه واطرايه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا بها كما سنبينه

الباب السادس

فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول
عليهم والاكرام لهم اعلم ان لك مع الامرا والعمال الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية
وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهي الدخول عليهم
فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت به الاخبار والآثار فننقلها لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض
لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم اما الاخبار فلما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الامرا فمن نابذهم
الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع في دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزلهم سلم من اثمهم
ولكن لم يسلم من عذاب يعمه ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال عليه السلام سيكون بعدي امرا يكذبون ويظلمون
فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد علي الحوض وروى ابو هريرة رضي الله عنه
انه عليه السلام قال ابغض القرا الى الله عز وجل الذين يزورون الامرا وفي الخبر خير الامرا الذين ياتون العلما
وشر العلما الذين ياتون الامرا وفي الخبر العلما امنا الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك
فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضي الله عنه واما الآثار فقال حذيفة رضي الله عنه اياكم
ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامرا يدخل احدكم على الامير فيصدقه
بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيا الا اصابوا من دينك افضل منه
وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القرا الزوارون للملوك وقال الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله من عالم يزور
عاملا

وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير وكنت اسمع انه يقال
اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي
بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت
حب القاري الناسك للامرا نفاق وحبه للاغنيا ريا وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر
سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له ولم قال لانه
يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت
له على شي يسير فقال له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من
ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن
هؤلا السلاطين وقال وهيب هؤلا الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن
مسلمة الذباب على العذرة احسن من قاري على باب هؤلا ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين اليه
عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا
كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه عليه السلام وليس كذلك اخذ الله الميثاق
على العلما قال الله عز وجل لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست
وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك
رحا باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلما
ويقتادون بك قلوب الجهلا فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك
من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله عز وجل فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة الآية وانك تعامل
من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى
على الله من شي في الارض ولا في السما والسلام فهذه الاخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن
وانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل
على السلطان متعرض لان يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه
الامور اما الفعل فالدخول عليهم في غالب الاحوال يكون في دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن الملاك حرام
ولا يغرنك قول القائل ان ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة او فتات خبز فان ذلك صحيح في غير المغصوب اما المغصوب
فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز يجري هذا في كل واحد
مجرى الخبز والغصب انما تم بفعل الجميع وانما يتسامح به اذا انفرد اذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فاما اذا
كان ذلك طريقا الى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز ان يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا
على ان كل واحد انما يخطو خطوة لا ينقص الملك لان المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح ولكن بشرط
الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان كل واحد من الضربات لو انفرد
لكان لا يوجب قصاصا فان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله
فهو حرام والدخول اليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصي بالدخول
من حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد او ركع او مثل قايما في سلامه وخدمته كان مكرما للظالم
بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع لظالم معصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر
يقتضي التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة
فهو معصية الا عند خوف او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني وقبل ابو عبيدة بن الجراح
رضي الله عنه لما ان لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم والاعراض عنهم

بدنوك

في السلام

ثم يغرغر الا ان يكون صائما فيرفق ويستنشق ثلثا ويصعد الما بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول في الاستنشاق اللهم
اوجدني رايحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روايح النار ومن سو الدار لان
الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغترف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدا استطح الجبهة الى منتهى
ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في الوجه النزعتان على طرفي الجبين وهما من
الراس ويوصل الما الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النسا تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما
وضع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الما الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان
والشاربان والاهداب والعذاران لانها خفيفة في الغالب والعذاران هما ما يوازيان الاذنين من مبتدا اللحية ويجب
ايصال الما الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيف فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في
الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلثا ويفيض الما على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين
وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روي انه عليه السلام فعل ذلك ويامل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه
وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليايك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم
تسود وجوه اعدايك ويخلل اللحية عند غسل الوجه فهو مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلثا ويحرك الخاتم ويطيل
الغرة ويرفع الما الى اعالي العضد فانهم يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضو كذلك ورد الخبر قال عليه السلام
من استطاع ان يطيل غرته فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضو ويبدا باليمنى ويقول اللهم اعطني كتابي
بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري
ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الراس ويمدهما
الى القفا ثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلثا ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي
من بركاتك واظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بما جديد بان يدخل مسبحتيه
في صماخي اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلثا ويقول اللهم اجعلني
من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه السلام
مسح الرقبة امان من الغل فيقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلثا
ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدا بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول
اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل
اقدام المنافقين ويرفع الما الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه الى السما وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي
وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني
عبدا صبورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضو ختم على وضويه بخاتم ورفع ووضع تحت
العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة ويكره في الوضو امور ان يزيد على الثلث
وان يسرف في الما وان يتكلم في اثنا وضوئه وان يلطم وجهه بالما لطما وكره قوم النفض وقالوا الوضو يوزن قاله سعيد بن
المسيب والزهري ولكن روى معاذ انه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عايشة انه كان له منشفة ولكن
طعن في الرواية عن عايشة والا يزيد على الثلث لانه عليه السلام توضا ثلثا وقال من زاد فقد ظلم واسا وقال سيكون قوم من
هذه الامة يعتدون في الدعا والطهور ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالما في الطهور وقال ابرهيم بن ادهم اول ما يبتدوا
الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضو يقال له الولهان ويكره ان ينفض اليد
فيرش الما وان يتوضا من اناء صفر وان يتوضا بالمشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابي هريرة
رضي الله عنهم كراهة الاناء من الصفر وقال بعضهم اخرجت لشعبة ما في اناء صفر فابى ان يتوضا ونقل كراهية ذلك

51

من ابن عمر ومهما فرغ من وضويه واقبل على الصلوة ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي
ان يستحيي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو
عن الاخلاق المذمومة وان من اقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات
واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار فما اجدره بالتعرض للبوار فضيلة الوضو قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من توضا فاسبغ الوضو وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشي من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه وفي لفظ اخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال ايضا الا انبيكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات
اسباغ الوضو في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط وتوضا صلى الله عليه وسلم
مرة مرة فقال هذا وضو لا يقبل الله الصلوة الا به وتوضا مرتين مرتين وقال من توضا مرتين مرتين اتاه الله اجره مرتين
وتوضا ثلثا ثلثا فقال هذا وضوي ووضو الانبيا قبلي ووضو خليل الله ابرهيم وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند
وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصاب الما وقال من توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات
وقال الوضو على الوضو نور على نور وهذا حث على تجديد الوضو وقال اذا توضا العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا
من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار
عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه
حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلوته نافلة له ويروى ان الطاهر كالصايم وقال صلى الله عليه
وسلم من توضا فاحسن الوضو ثم رفع طرفه الى السما فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شا وقال عمر رضي الله عنه ان الوضو الصالح يطرد عنك الشيطان
وقال مجاهد من استطاع ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه
كيفية الغسل وهو ان يضع الانا عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلثا ثم يستنجي كما وصفنا ثم يزيل ما على بدنه
من نجاسة ان كانت ثم يتوضا وضوه للصلوة كما سبق الا غسل قدميه فانه يوخر غسلهما فان غسلهما ثم وضعهما
على الارض كان اضاعة للما ثم يصب الما على شقه الايمن ثلثا ثم على شقه الايسر ثلثا ثم على راسه ثلثا ثم يدلك ما اقبل
من بدنه وما ادبر ويخلل شعر الراس واللحية ويوصل الما الى منابت ما كثف منه او خف وليس على المراة نقض الضفاير الا
اذا علمت ان الما لا يصل الى خلال الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق ان يمس ذكره في اثنا ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضو
وان توضا قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنن الوضو والغسل ذكرنا منهما ما لا بد لسالك طريق الاخرة من علمه
وعمله وما عداه من المسايل يحتاج اليها في عوارض الاحوال فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه
في الغسل امران النية واستيعاب البدن بالغسل وفي الوضو النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح
ما ينطلق عليه الاسم من الراس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب اما الموالاة فليست واجبة والغسل الواجب باربعة
الغسل لخروج المني والتقا الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغسال سنة كالغسل للجمعة والعيدين
والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلثة اغسال لايام التشريق ولطواف الوداع على قول وللكافر اذا
اسلم غير جنب وللمجنون اذا افاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب **كيفية التيمم** من تعذر عليه استعمال الما
لفقده بعد الطلب او بمانع له عن الوصول اليه من سبع او حابس او كان الما الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش
رفيقه او كان ملكا لغيره ولم يبع منه الا باكثر من ثمن مثله او كان به جراحة او مرض وخاف من استعماله فساد العضو
او شدة الضنا فينبغي ان يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب خالص طاهر لين بحيث يثور
منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين اصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عنده استباحة الصلوة
ولا يكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خف او كثف ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة
الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية

ويعتقد انه من محاسن القربات فاما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل فاما السكوت فهو انه سيرى في مجالسهم من فرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من راى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين الثياب واكلين الطعام وجميع ما في ايديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا اقول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته واما القول فهو ان يدعو للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام اما دعاؤه فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته وما يجري هذا المجرى فاما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال عليه السلام من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعاء الى الثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما لظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال عليه السلام ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقول والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالاعانة فان التزكية والثناء اعانة على المعصية وتحريك الرغبة فيه كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان يثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقا ظالم وحقه ان يبغضه في الله ويمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص بمحبته وان احبه لسبب آخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه وان اجتمع في شخص خير وشر وجب ان يحبه لاجل ذلك الخير ويبغضه لاجل ذلك الشر وسياتي في كتاب الاخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب فان سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها مسخطة للرزق وهذا مع ما فيه من اقتدا غيره به في الدخول ومن تكثير سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات واما محظورات ودعي سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي عليه السلام نهى عن بيعتين فقيل ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح فلا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة لا طاعة لهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية والثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول **الحالة الثانية** ان يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه واما القيام والاكرام له فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق للاحماد كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالكلام ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان معه في خلوة ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين واعراضه

عمن اعرض الله تعالى عنه وان كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا باس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا في الرعية ولا يناله اذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصح فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرفه فليعرفه فذلك واجب واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طريق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل فيه غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذن يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه ثلاثة امور تلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير عذر وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرا فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضا منها فبينا انا عنده اذ دق داق الباب واذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رايتك امتلات منك رعبا قال حماد لانه عليه السلام قال ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وان اراد ان يكنز به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تاخذها وتستعين بها قال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها وتقسمها قال لعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فياثم فازوها عني **الحالة الثالثة** ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدردا اذ قال اهل الاموال ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منه برآء وكل من احاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه وهذا واجب عليه لان من صدر منه ما يكره نقص من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي ان تكره فانها اما ان تغفل عنها او يرضى بها او تكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل احد على حق الله كجنايته على حقك فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فانما لا يكره معصية الله من لا يحب الله وانما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة واذا احبه كره ما كرهه واحب ما احبه وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا فان قلت فلقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا قال من التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا وقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما ما خلعت نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يدي احد الا امراته من شهوة او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله سمى اولياءه وقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس

يقرع فيها بين اصابعه ثم يلصق ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز اطراف الانامل من احدى الجهتين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى الى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظاهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين اصابعه والغرض من هذا التكلف تحصيل الاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر ذلك عليه فلا باس بان يستوعب بضربتين وزيادة واذا صلى به الفرض فله ان يتنفل ما شاء وان جمع بين فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله اعلم

القسم الثالث من النظافة التنظف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان اوساخ واجزاء **النوع الاول** الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الاول ما يجتمع في شعر الراس من الدرن والقمل فالتنظف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين ازالة للشعث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويامر به ويقول ادهنوا غبا وقال من كانت له شعرة فليكرمها اي ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل ثائر الراس اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم كانه شيطان **الثاني** ما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن فالمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع **الثالث** ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق والاستنثار **الرابع** ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما **الخامس** ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الخبر انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب وفي خبر غريب انه كان يسرح لحيته في اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية وكذلك كان ابو بكر رضي الله عنه وكان عثمان رضي الله عنه طويل اللحية رقيقها وكان علي رضي الله عنه عريض اللحية قد ملات ما بين منكبيه وفي حديث اغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته يطلع في الحب يسوي من راسه ولحيته والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان صلى الله عليه وسلم مامورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم وتحسين صورته في اعينهم كيلا يستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على النية فانها اعمال في نفسها تكتسب الاوصاف من القصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه فكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله به وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر **السادس** وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم **السابع** تنظيف الرواجب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم به العرب وهي رؤوس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها المقراض في كل وقت فيجتمع فيها اوساخ فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطا الوحي فلما هبط عليه جبريل قال له كيف ننزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وتدخلون علي قلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف وسخ الظفر

والتف وسخ الاذن وقوله ولا تقل لهما اف اي لا تعبهما بما تحت الظفر **الثامن** الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمامات بالشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لافته وذاك لفائدته ولا باس بطلب فائدته عند الاحتراز عن افته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات فعليه واجبات عند دخول الحمام في عورته وسوان صونها عن نظر الغير وصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفي اباحة مس ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوأتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي ان يكون بقية العورة والواجبات في عورة الغير ان يغض بصر نفسه عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري مجراهما مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام اخر واما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التاثر بسماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام وقال بشر بن الحارث ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلي له الحمام وراي ابن عمر رضي الله عنه في الحمام ووجهه الى الجدار وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه

واما السنن فعشر الاولى النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب وتزينا للصلوة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره فتسليم الاجرة دفع للجهالة من احد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحتاطون للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للنظر في العورات ثم لا يخلو الناس من الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه الماذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لا سيما الماء الحار فان له مؤنة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه بجهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله منه بل العاقل لا يغفل عن ذكر الاخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة فاذا تفقدتهم رايت البزاز ينظر الى الفرش يتامل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتامل نسجها والنجار الى السقف يتامل كيفية تركيبها والبناء الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الاخرة لا يرى من الاشياء الا ما يكون له موعظة من الاخرة بل لا ينظر الى شيء الا ويفتح الله له طريق عبرة فان نظر الى سواد يذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية يذكر افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة يذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا يذكر نفخة الصور وان راى شيئا حسنا يذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول في سوق او دار يذكر ما ينكشف من اخر امره بعد الحساب من الرد او القبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسبت مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الاخرة استحقرها ان لم يكن ممن اغفل قلبه واعميت بصيرته ومن السنن ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجبه بلفظ السلام بل يسكت

فقال هشام عظني قال سمعت من امير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال
تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفين الثوري قال ادخلت على ابي جعفر بمنى فقال ارفع الينا حاجتك فقلت
له اتق الله فقد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطاطا راسه ثم رفع فقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة
بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطاطا راسه ثم رفع فقال
ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب فقال لخازنه كم انفقت قال بضعة عشر درهما وارى هاهنا امورا لا تطيقه الجمال
فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين اذا اكرهوا وكانوا يغررون بارواحهم في الانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن
ابي شميلة على عبد الملك وكان يوصف بحسن العقل والادب فقال له عظني فقال يا امير المؤمنين ان للناس في القيمة
جولة لا ينجو من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه قال فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم
لاجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت ابدا ولما استعمل عثمان بن عفان ابن عامر اتاه اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابطا عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرات في بعض الكتب
من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي السوء دفعت اليك غنما سمانا
صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة اتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك
قال لا قال قلة الطمع فيما لدينا وترك الامساك لما في ايدينا وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان
صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال له عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان
الى الناس فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا امير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكي ان سليمان
بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا
نكره الموت قال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال يا ابا حازم كيف القدوم
على الله قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغايب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى سليمان
وقال ليت شعري ما لي عند الله قال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال اهل المروة والتقى
قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرايض مع اجتناب المحارم قال فاي الدعاء اسمع قال دعاء المحسن اليه المحسن قال فاي
الصدقة افضل قال للسايل البايس وجهد المقل ليس فيها من ولا اذى قال فاي القول اعدل قال قول الحق عند من
تخافه وترجوه قال فاي المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاي المؤمنين اخسر قال
رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع اخرته بدنيا غيره قال سليمان وما تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن نصيحة
تلقيها الي قال يا امير المؤمنين ان اباك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا
رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال رجل من جلسايه بيس ما قلت قال ابو حازم
ان الله تبارك وتعالى قد اخذ الميثاق على العلما ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال وكيف لنا ان نصلح هذا الفساد
قال ان تاخذ من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر عليه قال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع
لي فقال ابو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال
سليمان اوصني قال اوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك وقال عمر بن عبد العزيز
لابي حازم عظني فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند راسك ثم انظر ما تحب ان يكون فيك تلك الساعة فخذ به الان وما تكره
ان يكون فيك تلك الساعة فدعه الان فلعل تلك الساعة قريبة ودخل اعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا اعرابي
فقال يا امير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلت قال يا اعرابي انا لنجود بسعة
الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نامن غشه قال الاعرابي يا امير المؤمنين انه قد تكنفك رجال اساؤوا الاختيار لانفسهم

وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله عز وجل ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للاخرة سلم للدنيا فلا تامنهم
على ما ائتمنك الله عز وجل عليه فانهم لم يالوا الامانة تضييعا وفي الامة خسفا وعسفا وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا
مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع اخرته بدنيا غيره فقال سليمان
اما انك يا اعرابي قد سللت لسانك وهو احد سيفيك فقال اجل يا امير المؤمنين ولكن لك لا عليك وحكي ان ابا بكرة
دخل على معوية فقال اتق الله يا معوية واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تاتي عليك لا تزداد من الدنيا
الا بعدا ومن الاخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق
بك وانا وما نحن فيه زايل والذي نحن صايرون اليه باق ان خيرا فخير وان شرا فشر فهكذا كان دخول اهل
العلم على السلاطين اعني علماء الاخرة فاما علماء الدنيا فيدخلوا ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون
بدقايق الحيل طرق السعة فيما يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الاصلاح
بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى احدهما ان يظهر ان قصدي في الدخول عليهم
اصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على انفسهم ذلك وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم
وعلامة الصدق في طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من اقرانه من العلما ووقع موقع القبول وظهر به
اثر الصلاح فينبغي ان يفرح به ويشكر الله على كفايته هذا المهم كمن وجب عليه ان يعالج مريضا ضايعا فقام بمعالجته
غيره فانه يعظم به فرحه وان كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره **فهو مغرور** والثاني ان يزعم
اني اقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره واذا ظهر طريق الدخول
عليهم فلنذكر صورا في الاموال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة اعمالهم **مسايل مسالة** اذا بعث اليك السلطان
مالا لتفرقه على الفقرا فان كان له مالك معين فلا يحل اخذه وان لم يكن بل كان حكمه انه يجب التصدق على المساكين
كما سبق فلك ان تاخذه وتتولى التفرقة ولا تعصي باخذه ولكن من العلما من امتنع عنه فعند هذا ننظر في الاولى فنقول
الاولى ان تاخذه ان امنت ثلث غوايل الغايلة الاولى ان يظن السلطان بسبب اخذك ان ماله طيب ولولاه لكنت لا تمد
يدك اليه ولا ادخلته في ضمانك فان كان كذلك فلا تاخذ فان ذلك محذور ولا يفي الخير بمباشرتك التفرقة بما يحصل له ن
من الجراة على كسب الحرام الغايلة الثانية ان ينظر اليك غيرك من العلما والجهال فيقتدون بك في الاخذ ويستدلون
به على جوازه ثم لا يفرقون فهذا اعظم من الاول فان جماعة يستدلون باخذ الشافعي على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته
واخذه على نية التفرقة فالمقتدي والمتشبه به ينبغي ان يحترز من هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سبب ضلال الخلق
وقد حكى وهب بن منبه ان رجلا اتي به الى الملك بمشهد من الناس واكره على اكل لحم الخنزير فلم ياكل فقدم اليه لحم غنم
واكره بالسيف فلم ياكل فقال ان الناس قد اعتقدوا اني طولبت بلحم الخنزير فاذا خرجت سالما وقد اكلت فلا يعلمون ماذا ن
اكلت ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف اخي الحجاج وكان عاملا وكان في غداة باردة فقال لغلامه هلم ذلك الطيلسان
والقه على ابي عبد الرحمن اي طاوس وكان قد قعد على الكرسي فالقي عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى القى الطيلسان
عنه وغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن ان تغضبه لو اخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم لولا ان يقول
من بعدي اخذه طاوس ولا يصنع به ما اصنع به اذن لفعلت الغايلة الثالثة ان يتحرك قلبك الى حبه لتخصيصه اياك
وايثاره لك بما انفذه اليك فان كان كذلك فلا تقبل فان ذلك هو السم القاتل والداء الدفين اعني ما يحبب الظلمة اليك
فان ما احببته لا بد وان تحرص عليه وتداهن فيه قالت عايشة رضي الله عنها جبلت القلوب على حب من احسن اليها
وقال عليه السلام اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي بين ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك وروي ان بعض الامرا
ارسل الى مالك بن دينار بعشرة الاف فاخرجها كلها فاتاه محمد بن واسع وقال ما صنعت بما اعطاك هذا المخلوق فقال سل اصحابي
فقالوا اخرجه كله قال انشدك الله اقلبك اشد حبا له الان ام قبل ان ارسل اليك فقال بل الان فقال انما كنت اخاف هذا
وقد صدق فانه اذا احبه احب بقاه وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لاسباب الظلم

وان اجاب قال عافاك الله ولا باس بان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتدا الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرا القران
الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشايين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت
انتشار الشياطين ولا باس بان يدلكه غيره فقد نقل عن يوسف بن اسباط انه اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه
دلكني في الحمام مرة فاردت ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة
تقحمت بي ومهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى على هذه النعمة فقد قيل الما الحار في الشتا من النعيم الذي يسال عنه وقال ابن عمر
رضي الله عنهما الحمام من النعيم الذي احدثوه هذا من جهة الشرع واما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة
امان من الجذام وقد قيل ان النورة في كل شهر مرة تطفي المرة وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام
قايما في الشتا انفع من شربة دوا وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دوا وغسل القدمين بما بارد
بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الما البارد على الراس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم
الرجال اما النسا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل ان يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم والمشهور حرام على
الرجال دخول الحمام الا بميزر وحرام على المراة دخول الحمام الا نفسا او مريضة ودخلت عايشة رضي الله عنها حماما
من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بميزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على
المكروه **النوع الثاني فيما يحدث من الاجزا وهي ثمانية الاول** شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد
التنظف ولا بتركه لمن يدهن ويرجل الا اذا تركه قزعا فهو داب اهل الشطارة او ارسل الذوابة على هيئة اهل الشرف
حيث صار ذلك شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا **الثاني** شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم
قصوا الشوارب وفي لفظ جزوا الشوارب وفي لفظ حفوا الشوارب واعفوا اللحى اي اجعلوها حفافا في الشفة اي حولها
وحفاف الشي حوله منه قوله تعالى وترى الملايكة حافين من حول العرش اي محيطين بجانبيه وفي لفظ اخر احفوا وهذا
يشعر بالاستيصال وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال الله تعالى ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم واما الحلق
فلم يرد والاحفا قريب من الحلق نقل عن الصحابة ونظر بعض التابعين الى رجل احفى شاربه فقال ذكرتني اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المغيرة بن شعبة نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال تعال
فقصه لي على سواك ولا باس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره لان ذلك
لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله اعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم
ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلما الحلق وراه بدعة **الثالث** شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين
يوما مرة وذلك سهل على من تعود بالابتدا نتفه فاما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب وايلام
والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق **الرابع** شعر العانة ويستحب حلقه اما بالحلق
او بالنورة ولا ينبغي ان يتاخر عن اربعين يوما **الخامس** الاظفار وقلمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع
فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت
الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء اما لانه لا يمنع وصول الما او لانه يتساهل فيه للحاجة لا سيما في اظفار الرجل
والاوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الارجل والايدي للعرب واهل السواد وكان صلى الله عليه وسلم يامرهم بالقلم
وينكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوات ولو امر به لكان فيه فايدة اخرى وهو التغليظ
والزجر عن ذلك ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روى انه صلى الله عليه وسلم بدا بمسبحة
اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدا باليسرى بالخنصر الى الابهام وختم بابهام اليمنى ولما تاملت هذا المعنى خطر لي
ما يدل على ان الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتدا الا بنور النبوة **واما العالم ذو البصيرة** فغايته
ان يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل اليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله انه لا بد من قلم اظفار الرجل واليد

واليد اشرف من الرجل فيبدا بها ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدا به على اليمنى خمس اصابع والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة
في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغي ان يبتدي بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على
اليمين وان وضعت ظهر اليد على الارض فالابهام على اليمين وان وضعت الكف فالوسطى هو اليمين واليد اذا
تركت بطبعها كان الكف مايلا الى جهة الارض اذ جهة حركة اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار
يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دايرة
فيقتضي ترتيب الدور الذهاب من يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فيقع البداية بخنصر اليسرى والختم
بابهامها ويبقى ابهام اليمنى وانما قدرت الكف موضوعا على الكف حتى يصير الاصابع كالاشخاص في حلقة ليظهر
ترتيبها وتقدير ذلك اولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف او وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا
يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى عندي اذا لم يثبت فيه نقل ان يبدا بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى
كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها لا تتجه هاهنا اذ لا مسبحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صف واحد
ثابت على الارض فيبدا من جانب اليمنى فان تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقايق
في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتدا ربما لم يخطر لنا واذا ذكر لنا فعله
صلى الله عليه وسلم يسهل علينا بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن ان افعاله صلى الله عليه وسلم
في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية التي يتردد الفاعل فيها
بين قسمين او اقسام كان لا يتقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضي الاقدام او التقدم فان الاسترسال
مهملا كما يتفق سجية البهايم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية اوليا الله وكلما كانت حركات الانسان وخطراته
انه الى الضبط اقرب وعن الاهمال وترخيصه ابعد كان رتبته الى رتبة الاوليا والانبيا اكثر وكان قربه
من الله اظهر اذ القريب من النبي وهو قريب من الله لا بد وان يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة
الى غيره فنعوذ بالله ان يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في ناصية الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط
الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين فبدايته باليمنى لشرفه
وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا على الزوج فان الله وتر يحب الوتر فلا ينبغي ان يخلو فعل
العبد عن مناسبة لوصف من اوصاف الرب ولذلك استحب الايتار في الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلث وهو
وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب ان الواحدة لا تستوعب اصول الاجفان بالكحل وانما خص اليمنى
لان التفضيل لا بد منه للايتار واليمنى افضل فهي بالزيادة احق وان قلت فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهو زوج فذلك
ضرورة اذ لو جعل لكل واحد وترا كان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار في مجموع الفعل وهو في حكم
الخصلة الواحدة احب من رعايته في الاحاد ولذلك ايضا وجه وهو ان يكتحل كل واحد ثلثا على قياس الوضو وقد
نقل ذلك في الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت استقصي دقايق ما راعاه صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الامر فقس على ما
سمعته ما لم تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبي صلى الله عليه وسلم الا اذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى
لا يكون بينه وبين النبي الا درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث
هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل
اليه وتلقاه منه بعد حصوله له فامثال هذه المعاني مع سهولة امرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار لا يستقل
بدركها ابتدا الا الانبيا ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبيا عليها الا العلما الذين هم ورثة الانبيا
السادسة والسابعة زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع في اول الولادة واما التطهير بالختان
فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتاخير الى ان يثغر الولد احب وابعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم
الختان سنة للرجال ومكرمة للنسا وينبغي ان لا يبالغ في خفض المراة قال صلى الله عليه وسلم لام عطية وكانت تخفض يا ام عطية

وهو يدوم وقال سلمان بن سعود من رضي بامر وان غاب عنه كان كمن شهده وقال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا
فيهم الرضوا باعمالهم فان كنت في القوم بحيث لا ترتاد بذلك فلا باس بالاخذ وقد حكي عن بعض عباد البصرة انه
كان ياخذ اموالا ويفرقها فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدي وادخلني الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبي لان
الذي سخره للاخذ بيدي هو الذي ابغضه لاجله شكرا له على تسخيره اياه وهمنا تبين ان اخذ المال الآن منهم وان كان
ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لانه لا ينفك عن هذه الغوايل مسألة ان قال قايل اذا جاز اخذ ماله
وتفرقته فهل يجوز ان يسرق ماله او تخفى وديعته وتنكر وتفرق على الناس فنقول ذلك غير جايز لانه ربما يكون له مالك
معين وهو على عزم ان يرده عليه وليس هذا كما يقع اليك فان العاقل لا يظن به ان يتصدق بما يعلم مالكه فيدل تسليمه
على انه لا يعرف مالكه فان كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز ان يقبل منه المال ما لم يعرف حاله ثم كيف يسرق ويحتمل ان
يكون ملكه قد حصل له بشرا في ذمته فان اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل اليه بل لو وجد لقطة فظهر ان صاحبها جندي
واحتمل ان يكون له بشرا في الذمة او غيره وجب الرد عليه فاذا لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن اودع عنده ولا يجوز
انكار ودايعهم ويجب الحد على سارق مالهم الا اذا ادعى السارق انه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط بالدعوى مسألة
المعاملة معهم حرام لان اكثر مالهم حرام فما يوخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما
سلم اليهم فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار وانما
الخلاف في الصحة وان امكن ذلك وامكن ان يلبسه نساءه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه من الاموال
وفي معناه بيع الفرس منهم لا سيما في وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او جباية اموالهم فان ذلك اعانة قربية ومن
محظورة فاما بيع الدراهم والدنانير معهم وما يجري مجراه مما لا يعصى في عينه بل يتوصل به فهو مكروه لما فيه من اعانتهم
على الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وساير الاسباب وهذه الكراهة جارية في الاهداء اليهم وفي
العمل لهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة والترسل والحساب واما تعليم القران فلا يكره الا من حيث
اخذ الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب وكيلا لهم يشتري لهم في السوق من غير جعل واجرة فهو مكروه
من حيث الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للبس والفرس للركوب الى الظلم
والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه حصلت
الكراهة مسألة الاسواق التي بنوها بالمال الحرام يحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها باجرة واكتسب
بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس ان يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا اخر فالاولى الشراء منه فان
ذلك اعانة لسكانهم وتكثير لكرا حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التي لا خراج لهم عليها احب من معاملة سوق
لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى لم يجوزوا معاملة الفلاحين واصحاب الاراضي التي عليها خراج لانهم ربما يصرفون ما ياخذ
الى الخراج فيحصل به الاعانة فهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين فان الخراج قد عم الاراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاع
الارض فلا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الارض حتى لا يطلب خراجه وذلك مما يطول ويتداعى الى حسم
باب المعايش مسألة معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل اشد اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم
الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم على زي العلماء ويختلطون وياخذون من اموالهم والطباع مجبولة
على التشبه والاقتداء بذوي الجاه والحشمة فهو سبب انقياد الخلق اليهم واما الخدم والحشم فاكثر اموالهم من الغصب
الصريح ولا يقع في ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بمالهم قال
طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم على من شهدت عليهم وبالجملة انما فسدت الرعية بفساد الملوك
وفسدت الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم ولذلك قال عليه السلام
لا تزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم يمالي قراوها امراها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم العلماء وانما كان علمهم بالقران
ومعانيه المفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم محدثة بعدهم وقد قال سفيان لا تخالط السلطان ولا من يخالطه وقال صاحب
القلم

وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليقة بعضهم مع بعض وقد صدق فان النبي صلى الله عليه وسلم
لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر وقال ابن مسعود آكل الربوا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعون على لسان محمد
صلى الله عليه وسلم وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله عليه السلام وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع
سفيان من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتب فيه فكل من حولهم من خدمهم ظلمة مثلهم
يجب بغضهم في الله جميعا وروي عن عثمان بن زايدة انه ساله واحد من الجنود وقال اين الطريق فسكت واظهر انه به صمم
وخاف ان يكون متوجها الى ظلم فيكون هو بارشاده الى الطريق معينا وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار
والحاكة والحجامين واهل الحمامات والصاغة والصباغين وارباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع
الكفار من اهل الذمة وانما هذا في الظلمة خاصة الآكلين لاموال اليتامى والمساكين المواظبين على ايذا المسلمين
الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعارها وهذا لان المعصية منقسمة الى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا
يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله وحسابه على الله واما معصية الولاة بالظلم فهي متعدية وانما يغلظ امرهم
لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون من الله مقتا فيجب ان يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا
قال عليه السلام يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار وقال عليه السلام من اشراط الساعة رجال معهم سياط كاذناب
البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القبا وطول الشوارب وساير الهيات المشهورة
فمن رؤي على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لانه الذي جنى على نفسه اذ تزيا بزيهم وتساوي
الزي يدل على تساوي القلب ولا يتجانن الا مجنون ولا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلتبس فيتشبه باهل
الصلاح فاما الصالح فليس له ان يتشبه باهل الفساد لان ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل قوله تعالى ان الذين
توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة وقد روي ان الله
اوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال ما بال الاخيار
قال انهم لا يغضبون لغضبي فكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا يتبين ان بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب
وروى ابن مسعود عن النبي عليه السلام ان الله لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معايشهم مسألة
المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط فيها وينظر اما القنطرة فيجوز
العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن فان وجد عنه معدلا تاكد الورع وانما جوزنا العبور وان وجد معدلا
لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالك كان حكمها ان ترصد للخيرات وهذا خير فاما اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقل
من دار معلومة او مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل العبور به اصلا الا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب
عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه واما المسجد فان بني في ارض مغصوبة او بخشب مغصوب من مسجد اخر
او ملك معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف خارج المسجد فان
الصلاة في الارض المغصوبة يسقط الفرض بها وتنعقد في حق الاقتداء وان عصى صاحبه بالوقوف في الغصب وان كان
من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد اخر ان وجد فان لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لانه يحتمل
ان يكون من الذي بناه ولو على بعد وان لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير
بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد اعني من الورع قيل لاحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج الى الصلاة
ونحن بالعسكر فقال حجتي ان الحسن وابراهيم التيمي خافوا ان يفتنهم الحجاج وانا اخاف ان افتتن ايضا فاما الخلوق والتجصيص
فلا يمنع من الدخول فانه غير منتفع به انما هو زينة والاولى ان لا ينظر اليه واما البواري التي فرشوها فان كان لها
مالك معين يحرم الجلوس عليها والا فبعد ان ارصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ولكن الورع العدول عنه فانه محل
للشبهة واما السقاية فحكمها ما ذكرناه فليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول فيها الا اذا كان يخشى فوات الصلاة
فيتوضا وكذا مصانع طريق مكة واما الرباطات والمدارس فان كانت الرقبة مغصوبة او الآجر منقولا من موضع معين فلا يرد

أنمى والتشهي فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج أي أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه في الكناية وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين **الثامنة** ما طال من اللحية وإنما أخرناها ليلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منه فقيل إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما تحت القبضة فلا بأس قد فعله ابن عمر رضي الله عنهما وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالا تركها عافية أحب لقوله عليه السلام أعفوا اللحى والأمر في هذا قريب إذا لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنسبة إليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فإن التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل

فصل

وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد من بعض وهو خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعاً لأجل الرياء وتركها شعثة إظهاراً للزهد والنظر إلى سوادها عجباً بالشباب وإلى بياضها تكبراً بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبهاً بالصالحين

أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة إلى عمر فرد نكاحه وأوجعه ضرباً وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة **الثاني** الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيساً للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لا بأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة **الثالث** تبييضها بالكبريت استعجالاً لإظهار علو السن توصلاً إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعاً على الشباب وإظهاراً لكثرة العلم ظناً بأن كثرة الأيام تعطيه فضلاً وهيهات فلا يزيد كبر السن الجاهل إلا جهلاً فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة لا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر رضي الله عنه يقدم ابن عباس رضي الله عنهما وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس ما آتى الله عبداً علماً إلا شاباً والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وقوله إنهم فتية آمنوا بربهم وقوله وآتيناه الحكم صبياً وكان أنس يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له فأبو بكر قال لم يشنه الله بالشيب فقيل أو شين هو قال كلكم يكرهه وقيل إن يحيى بن أكثم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخجله يصغر منه كم سن القاضي أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فأفحمه وروي عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فإن التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السختياني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من سبق إليه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر منك سناً وقيل لأبي عمرو بن العلاء أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال إن كان

الجهل

يعيب به فالتعلم يحسن منه وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي رحمة الله عليه يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال أحمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلو أدركته بنزول وإن فاتني عقل هذا الشاب لم أدركه لا بعلو ولا بنزول **الرابع** تبييضها استنكافاً من الشيب وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهة ما سبق والشيب نور الله والرغبة عنه رغبة عن النور **الخامس** نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وقد شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب وابن أبي ليلى قاضي المدينة رضي الله عنهما شهادة من كان ينتف لحيته وأما نتفها في أول النبات تشبهاً بالمرد فمن المنكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال فإن لله ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال أصحاب الأحنف وددنا أن نشتري للأحنف لحية بعشرين ألفاً وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية بعشرة آلاف وكيف يكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفعة في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فإن من يشتم يعرض باللحية إذا كان للمشتوم لحية وقيل إن أهل الجنة مرد إلا هارون أخا موسى صلى الله عليه وسلم وعلى أخيه فإن له لحية إلى سرته تخصيصاً له وتفضيلاً **السادس** تقصيصها كالتعبية طاقة طاقة للتزين للنساء والتصنع وقال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم **السابع** الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحي وينتهي إلى نصف الخد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح **الثامن** تسريحها لأجل الناس وتركها متفتلة لإظهار الزهد **التاسع والعاشر** النظر إلى سوادها أو بياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من جملة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها في الرأس فرق شعر الرأس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلاث في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم وتنظيف الرواجب وأربع في الجسد وهي نتف الإبط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء وقد وردت الأخبار بمجموع ذلك وإذا كان غرضنا في هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخها التي يجب التنظف منها أكثر من أن تحصى وسيأتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في إزالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله عز وجل

كتاب أسرار الصلاة ومهماتها وهو الرابع من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه النازل عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجة الرحمة إحدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب وتجويز العباد في المناجاة بالصلوات كيف ما تقلبت بهم الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب في الدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليماً كثيراً أما بعد فإن الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وسيدة القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعوله إليه يفزع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والإخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في فن الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب

الباب الأول في فضائل الصلوات

الى مستحقيه فلا رخصة في الدخول فيه وان التمس المالك نقدا رجعه لجهة من الخير فالورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله
ورهن الابنية ان صدرت من خدم السلاطين فالامر فيه اشد اذ ليس لهم اخذ المال والصرف في الاموال الضايعة الى المصالح
ولان الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر مسئلة الارض المغصوبة
اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى البتة وان لم يكن لها مالك معين جاز والورع العدول ان امكن فان كان الشارع مباحا
وفوقه ساباط جاز العبور ويجوز الجلوس تحته لما باطل على وجه الاجتياز فيه الى السقف كما يقصد في الشارع لشغل فان استتر
بالسقف في دفع حر الشمس او المطر او غيره فهو حرام لان السقف لا يراد الا لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجدا او دارا
مباحة مسقفة وخوطت بغصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف الا اذا كان له فايدة في الحيطان
والسقف بحرا وبردا ويستتر عن بصر او غيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من
المماسة بل الانتفاع والارض يراد للاستقرار والسقف للاستظلال فلا فرق بينهما والله اعلم

الباب السابع

في مسايل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سيل عنها في الفتاوى مسئلة سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق
ويجمع طعاما او نقدا ويشتري به طعاما فمن الذي يحل له ان ياكل منه وهل يختص بصوفية ام لا فقلت اما الصوفية فلا شبهة
في حقهم اذا اكلوها واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة اما الحل فلان ما يعطى خادم الصوفية
انما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى لا الصوفية فهو كرجل له عيال يعطى بسبب عياله لانه متكفل بهم وما ياخذه
يقع ملكا له لا للعيال وله ان يطعم غير العيال اذ يبعد ان يقال لم يخرج عن ملك المعطي ولا يتسلط الخادم على الشراء به
والتصرف فيه لان ذلك مصير الى ان المعاطاة لا يكفي وهو ضعيف ثم لصار اليه في الصدقات والهدايا ويبعد ان يقال
زال الملك الى الصوفية الحاضرين الذين هم في وقت سؤاله في الخانقاه اذ لا خلاف ان له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو
ماتوا كلهم او واحد منهم لم يجب صرف نصيبه الى ورثته ولا يمتنع ان يقال انه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لان
ازالة الملك الى الجهة لا توجب تسليط الاحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد الى يوم
القيمة وانما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز ان ينتصب نايبا عن الجهة فلا وجه الا ان يقال هو ملكه وانما يطعم الصوفية
وفاء بشرط التصوف والمروة فان منعهم عنه ممنوع عن ان يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع رفقه كما
ينقطع عمن ترك عياله مسئلة سئل عن مال اوصى به للصوفية فمن الذي يجوز ان يصرف اليه فقلت التصوف امر باطن
لا يطلع عليه ولا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي
ان كل من هو بصفة اذا نزل في خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيه واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم
والتفصيل ان يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية وان لا يكون مشتغلا بحرفة وان يكون مخالطا لهم بطريق
المساكنة في الخانقاهات ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا
الاستحقاق لان الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من اهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم
لا يستحق ما اوصى للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغاير واما الحرفة والاشتغال بالكسب فيمنع هذا الاستحقاق
فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته او داره والاجير الذي يخدم باجرة كل هولاء لا يستحقون ولا
ينجبر هذا بالزي والمخالطة فاما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها
لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك لا ينجبر بمساكنته اياهم مع بقية
الصفات واما القدرة على الحرفة من غير مباشرة فلا يمنع واما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف
اذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر اذ لا يتناقض ان يقال صوفي واعظ او صوفي عالم
ويتناقض ان يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل واما الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب الرجل
به الى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه اخذ وصية الصوفية وان كان له مال ولا يفي دخله بخرجه لم يبطل حقه
وكذا اذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكوة وان لم يكن له خرج وهذه امور لا دليل لها الا العادات واما المخالطة
معهم

ومساكنتهم فله اثر ولكن من لا يخالطهم وهو في داره او في مسجد على زيهم ومتخلق باخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك المخالطة
يجبرها ملازمة زيهم فان لم يكن على زيهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق الا اذا كان مساكنا لهم في الرباط فيجري
عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة والزي ينوب كل واحد منهما عن الاخر والفقيه الذي ليس على زيهم هو على هذا الحكم فان كان
خارجا لم يعد صوفيا واما لبس المرقعة من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يضر مع وجود
الشرايط المذكورة واما المتاهل المتردد بين الرباط والمسكن فلا يخرج عن جملتهم مسئلة ما وقف على رباط الصوفية
وسكانها فالامر فيه اوسع مما اوصى به للصوفية لان معنى الوقف الصرف الى مصالحهم فلغير الصوفي ان
ياكل معهم برضاهم على مايدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد به في الغنايم المشتركة
وللقوال ان ياكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معاشهم وما اوصى به للصوفية لا يجوز ان
يصرف الى القوال الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من يحضرونه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض
في استمالة قلوبهم يحل له الاكل برضاهم فان الواقف لا يقف الا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية فينزل على
العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا ان يسكن معهم على الدوام وان ياكل وان رضوا به اذ
ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم واما الفقيه اذا كان على زيهم واخلاقهم فله النزول عليهم
وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت الى خرافات
بعض الحمقى بان العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا تاويل هذه الكلمة في كتاب العلم وان الحجاب هو العلم
المذموم دون المحمود وذكرنا المذموم والمحمود وشرحهما واما الفقيه اذا لم يكن على زيهم واخلاقهم فلهم منعه من النزول
عليهم وان رضوا بنزوله يحل له الاكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزي يجبره المساكنة ولكن برضا
اهل الزي وهذه امور يشهد لها العادات وفيها امور متقابلة لا يخفى اطرافها في النفي والاثبات ومتشابهة اوساطها
فمن احترز في موضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه في باب الشبهات مسئلة سئل عن الفرق بين الرشوة
والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرم احدهما دون الاخرى فقلت باذل المال
لا يبذله قط الا لغرض ولكن الغرض اما اجل كالثواب واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين
واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما للتوصل بالمحبة الى غرض وراها فالاقسام
الحاصلة من هذا اربعة الاول ما غرضه الثواب في الاخرة وذلك اما ان يكون لكون المصروف اليه محتاجا او
عالما او نسيبا بنسب ديني او صالحا في نفسه متدينا فما علم الاخذ انه يعطاه لحاجته لا يحل له اخذه ان لم يكن محتاجا
وما علم انه يعطى لشرف نسبه لا يحل له ان علم انه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل ان ياخذه الا ان يكون
في العلم كما يعتقده المعطي فان كان خيل اليه كمالا في العلم حتى بعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى
لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياخذه ان كان فاسقا في الباطن فسقا لو علمه المعطي لما اعطاه وقلما يكون الصالح
بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مايلة اليه وانما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق الى الخلق والمتورعون
وكلوا في الشراء من لا يعرف انه وكيلهم حتى لا يسامحوا في البيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين فان ذلك مخطر والتقي
خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي ان يجتنب الاخذ بالدين ما امكن القسم الثاني ما يقصد به في العاجل غرض معين
كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه هبة بشرط ثواب لا يخفى حكمها وانما تحل عند الوفا بالثواب المطموع فيه وعند
وجود شروط العقود الثالث ان يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان وخاصته
ومن له مكانة عنده فهذه هبة بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فان كان حراما كالسعي
في تنجيز ادرار حرام او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه او شهادة متعينة
فيحرم ما ياخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف لجاز الاستيجار
عليه فما ياخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى السلطان ولك دينار

الباب الثاني في فضل الاعمال الظاهرة من الصلوات **الباب الثالث** في فضل الاعمال الباطنة منها **الباب الرابع**
في الامامة والقدوة **الباب الخامس** في صلوة الجمعة وادابها **الباب السادس** في مسايل متفرقة تعم بها
البلوى **الباب السابع** في التطوعات وما يجري مجراها **الباب الاول** في فضايل الصلوات والسجود
والجماعة والاذان وغيرها منها **فضيلة الاذان** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا
يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القران ابتغا لوجه الله تعالى وام بهم وهم راضون ورجل اذن
في مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغا وجه الله ورجل ابتلى بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الاخرة وقال صلى الله عليه
وسلم لا يسمع صوت الموذن جن ولا انس ولا شي الا شهد له يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم يد الرحمن على راس الموذن حتى
يفرغ من اذانه وقيل قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله نزلت في الموذنين وقال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم النداء فقولوا
مثل ما يقول الموذن وذلك محبوب الا في الحيعلتين فانه يقول في الاول لا حول ولا قوة الا بالله وفي الثانية كذلك وفي قوله
قد قامت الصلوة اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب يقول صدقت وبررت وعند فراغ الموذن
يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة والرفعة والمقام المحمود الذي وعدته
وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان اذن واقام صلى وراه امثال الجبال
من الملايكة **فضيلة المكتوبة** قال الله تعالى ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات
كتبهن الله تعالى على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهدا ان شا عذبه وان شا ادخله
الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات
فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شي قال صلى الله عليه وسلم ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنب الكباير
وقال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب
كما يذهب الما الدرن وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله وهو مضيع للصلوة لم يعبا الله تعالى بشي من حسناته وقال صلى الله
عليه وسلم الصلوة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسيل اي الاعمال افضل فقال الصلوة لمواقيتها وقال عليه السلام
من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان
وقال عليه السلام مفتاح الجنة الصلوة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلوة ولو كان شي احب
اليه منه تعبد به ملايكته فمنهم راكع وساجد وقايم وقاعد وقال من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع
عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلد قد بلغها ودخلها وقال عليه السلام من ترك الصلوة
متعمدا فقد بري من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة من توضا فاحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلوة
فانه في صلوة ما كان يعمد الى الصلوة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سية فاذا سمع احدكم
الاقامة فلا يسع فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطى وروي ان اول ما ينظر فيه يوم
القيمة من عمل العبد الصلوة فان وجدت تامة قبلت منه وساير عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وساير عمله
وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة مر اهلك بالصلوة فان الله عز وجل ياتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلما
مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له راس المال فكذلك المصلي لا يقبل له نافلة حتى يودي الفريضة
وكان ابو بكر رضي الله عنه يقول اذا حضرت الصلوة قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفئوها **فضيلة اتمام
الاركان** قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها موزونة وقال عليه السلام ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلوة وركوعهما
وسجودهما واحد وان ما بين صلوتيهما كما بين السما والارض واشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل
يوم القيمة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال عليه السلام اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله
وجهه وجه حمار وقال ايضا من صلى الصلوة لوقتها واسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضا مشرقة

قال عليه السلام الموذنون اطول الناس اعناقا يوم القيمة قال عليه السلام الموذن يغفر له مد صوته ويشهد له كل رطب ويابس وشاهد الصلوة يكتب له خمس وعشرون صلوة ويكفر عنه ما بينهما ح

وقال صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلوة فلا تاتوها تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا

تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي
سودا مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شا الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال
عليه السلام اسوا الناس سرقة الذي يسرق من صلوته وقال ابن مسعود وسلمان الصلوة مكيال فمن اوفى وفي له ومن
طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى في ويل للمطففين **فضيلة الجماعة** قال صلى الله عليه وسلم صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ
بسبع وعشرين درجة وقد روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال لقد هممت ان امر رجلا يصلي
بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فامر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا
لشهدها يعني صلوة العشا وقال عثمن مرفوعا من شهد العشا فكانما قام نصف الليل ومن شهد الصبح فكانما قام الليلة
وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة في جماعة فقد ملا نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن موذن منذ عشرين سنة الا
وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلثة اخا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير
تبعة وصلوة في الجماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروي ان ابا عبيدة الجراح ام قوما مرة فلما انصرف
قال ما زال الشيطان بي انفا حتى رايت ان لي فضلا على غيري لا اوم ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلما
وقال النخعي مثل الذي يوم الناس بغير علم كمثل الذي يكيل الما في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم
فاتتني جماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشرة الاف لان مصيبة الدين اهون عند
الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان تملا اذن ابن
ادم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع الندا ثم لم يجبه وروي ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا
فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلوة احب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى اربعين يوما
الصلوات في جماعة لا يفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له براتان براة من النفاق وبراة من النار وقال انه اذا كان
يوم القيمة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملايكة ما اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا
الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طايفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السوال كنا نتوضا قبل الوقت ثم تحشر
طايفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد وروي ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلثة ايام
اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة **فضيلة السجود** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب
العبد الى الله عز وجل بشي افضل من سجود خفي وقال عليه السلام ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة
وحط عنه بها خطيئة وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مرافقتك في الجنة وان يجعلني
من اهل شفاعتك قال اعني بكثرة السجود وقيل ان اقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل ان يكون ساجدا وهو معنى قوله
سبحانه وتعالى واسجد واقترب قال عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض
عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هو الغرر التي تكون في وجوههم
يوم القيمة من اثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر
هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وروي عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد
في كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد وروي ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن
اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا الى الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد
حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما اسى على شي من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد
احب الى الله عز وجل من رجل يحب لقا الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله تعالى منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة
رضي الله عنه اقرب ما يكون العبد الى الله تعالى اذا سجد فاكثروا الدعا عند ذلك **فضيلة الخشوع** قال الله عز وجل واقم
الصلوة لذكري وقال الله تعالى ولا تكن من الغافلين وقال الله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى
من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وذهب ان المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا

وكان بحيث يحتاج فيه الى تعب وعمل متقوم او قال تبرع على فلان ان يعينني في غرض كذا او ينعم على بكذا وافتقر في تنجيز
غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام اذا كان لا يسعى في حرام
وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه او تلك الفعلة من ذي الجاه تفيد كقوله للبواب
لا تغلق دونه باب السلطان او كوضعه قصته بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت في الشرع
جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سياتي في هدايا الملوك واذا كان لا يجوز العوض عن اسقاط الشفعة والرد بالعيب
ودخول الاغصان في هواء الملك وجملة من الاغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب
العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير وغيره فلا يذكره الا
بعوض فان كان عمله في التلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ العوض عليه ولا على علمه اذ ليس
ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل مثلا
الذي يزيل اعوجاج السيف والمراة بدقة واحدة لحسن معرفته بموقع الخلل ولحذقه باصابته فقد يزيد بدقة واحدة
مالا كثيرا في قيمة السيف والمراة فهذا لا ارى باسا باخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها
ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل الثالث ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين
ولكن طلب الاستيناس وتاكيد الصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود العقلاء ومندوب اليه في الشرع قال عليه
السلام تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا
لم يتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال او المال سمي ذلك هدية وحل اخذها الرابع
ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته ولا للانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض له
ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها ولولا جاهه وحشمته لكان لا يهدي اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه
اخف واخذه مكروه فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او
ولاية صدقة او جباية مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى اليه
فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لامر ينحصر في جنسه
اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى وآية انه لا يبغي المحبة انه لو ولي في الحال غيره لسلم المال الى غيره فهذا
مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والمعنى فيه متعارض فانه دائر بين الهدية المحضة
وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين واذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الاخبار والاثار
احدهما تعين الميل اليه وقد دلت الاخبار على تشديد الامر فيها قال عليه السلام ياتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية
والقتل بالموعظة يقتل البرئ ليتعظ به العامة وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن السحت فقال يقضي الرجل
الحاجة فيهدى له الهدية ولعله اراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها او تبرع بها لا على قصد اجرة فلا يجوز ان ياخذ بعد ذلك شيئا
في معرض العوض وشفع مسروق بشفاعة فاهدى له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا
اتكلم فيما بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت واخذ عمر رضي الله عنه من ربح مال القراض الذي اخذه ولداه
من بيت المال وقال اعطيتما لمكانكما مني وعلم انه اعطي لاجل الجاه والولاية واهدت امراة ابي عبيدة بن الجراح الى خاتون ملكة
الروم خلوقا فكافاتها بجوهر فاخذه عمر فباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه في بيت مال المسلمين وقال جابر وابو هريرة
هدايا الملوك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان له هدية ولنا رشوة اي كان
يتقرب اليه لنبوته لا لولايته ونحن انما نعطى للولاية واعظم من ذلك كله ما روى ابو حميد الساعدي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الازد فلما جاء الى النبي عليه السلام امسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لي هدية
فقال عليه السلام الا جلست في بيت ابيك وبيت امك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال ما لي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم
وهذا هدية الا جلس في بيت امه ليهدى له والذي نفسي بيده لا ياخذ منكم احد شيئا بغير حقه الا اتى الله بحمله فلا ياتين احدكم
يوم القيمة

بعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت واذ ثبتت هذه
التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي ان يقدر نفسه في بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت امه يجوز له ان ياخذه
في ولايته وما يعلم انه يعطى لولايته فحرام اخذه وما اشكل عليه في اصدقائه انهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه

كتاب آداب الصحبة والاخوة والمعاشرة مع اصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص
طولا وامتنانا والف بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا اصدقاء واخدانا
وفي الاخرة رفقاء وخلانا والصلوة على محمد المصطفى وعلى آله واصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا واحسانا
اما بعد فان التحابب في الله تعالى والتواخي والاخوة في دينه من افضل القربات والطف ما يستفاد من الطاعات
في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الاخوة
عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات
العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة ابواب ان شاء الله وحده

الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة في الله وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها

الباب الثاني في حقوق الصحبة وآدابها ولوازمها

الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الاسباب

الباب الاول في فضيلة الاخوة والالفة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الالفة والاخوة
اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق
يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته
وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام اذ قال وانك لعلى خلق عظيم وقال النبي عليه السلام اكثر ما يدخل الجنة
تقوى الله وحسن الخلق وقال اسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان فقال خلق حسن وقال عليه السلام
بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقال عليه السلام اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وقال عليه السلام ما حسن الله خلق امرئ وخلقه
فتطعمه النار وقال عليه السلام يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال ابو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك
وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى ان ثمرة الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب
المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثناء على نفس الالفة لا سيما اذا كانت الرابطة هي الدين والتقوى وحب
الله من الآيات والاخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع قال الله سبحانه وتعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة
الالفة لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال فاصبحتم بنعمته اخوانا اي بالالفة
ثم ذم التفرقة وزجر عنه فقال عز من قائل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون
وقال عليه السلام ان اقربكم مني مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقال عليه السلام
المؤمن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف وقال عليه السلام في الثناء على الاخوة في الدين من اراد الله به خيرا
رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال عليه السلام مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما
الاخرى وما التقى مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا وقال عليه السلام في الترغيب في الاخوة في الله من
آخى اخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم
ابشر فاني سمعت النبي عليه السلام يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر
ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله ورواه ابو هريرة وقال فيه ان حول العرش منابر من نور عليها قوم
لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال المتحابون
في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وقال عليه السلام ما تحاب اثنان في الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه

ماتقولون وكم من مصلٍّ لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلوته وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه
بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتباؤس
وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروي عن رب العزة سبحانه وتعالى في الكتب السالفة ليس كل
مصل أتقبل صلوته انما اتقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي واطعم الفقير الجائع لوجهي وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن
في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى ولا عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم اذا صليت
صلوة فصل صلوة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال الله تعالى يا ايها الانسان انك
كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال الله عز وجل واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته
عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا انما الصلوة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة قال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا
شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك
بغير اذن وكلمته بغير ترجمان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا
حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى صلوة لا يحضر
الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة سمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد
التنوخي اذا صلى لم ينقطع الدموع من خديه على لحيته وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلوة
فقال عليه السلام لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وروي ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجني
من الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل لخلف بن ايوب الا يؤذيك الذباب في الصلوة
فتطردها قال لا اعود نفسي شيئا يفسد علي صلاتي قيل له كيف تصبر على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلطان
ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا قائم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة وروي عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد
الصلوة قال لاهله تحدثوا انتم فاني لست اسمعكم وروي عنه انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد
فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل
ويتلون فقيل له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وروي عن علي بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون
بين يدي من اريد ان اقوم وروي عن ابن عباس انه قال قال داود عليه السلام الهي من يسكن بيتك وممن تقبل الصلوة فاوحى الله
عز وجل اليه يا داود انما يسكن بيتي واقبل الصلوة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات
من اجلي يطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السماء كالشمس ان دعاني لبيته وان سألني
اعطيته اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان لا تيبس انهارها ولا
تتغير ثمارها وروي عن حاتم الاصم انه سئل عن صلوته فقال اذا حانت الصلوة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلوة
فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلاتي واجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار
عن يساري وملك الموت ورائي واظنها آخر صلاتي ثم اقوم بين الخوف والرجاء واكبر تكبيرا بتحقيق واقرأ قراءة بترتيل واركع
ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك اليسرى وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها الاخلاص
ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضيلة المسجد وموضع الصلوة

قال الله عز وجل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وقال النبي عليه السلام من بنى مسجدا لله ولو مثل
مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال من الف المسجد الفه الله عز وجل وقال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان
يجلس وقال لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد وقال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه
ما لم يحدث او يخرج من المسجد وقال يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا

لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال قال الله عز وجل ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في
بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان
وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما حقه ان يقول الا خيرا وروي في الآثار وفي الخبر الحديث في المسجد
يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة موجب للجنة وقال انس بن مالك
من اسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون الله له ما دام في المسجد ضوءه وقال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه اذا مات العبد بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين
وقال ابن عباس يبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض
الا شهدت له بها يوم القيمة وبكت عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر الله عز وجل عليها بصلوة او ذكر
الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت
له الارض ويقال ما من منزل ينزله قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم

الباب الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلوة والبداية بالتكبير وما قبله

ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء والطهارة الخبث من
البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويراوح
بين قدميه ولا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى عليه السلام عن الصفن والصفد في الصلوة
والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه
قوله تعالى الصافنات الجياد هذا ما يراعي في رجليه عند القيام ويراعي في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب واما
رأسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره
محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلى فليقرب من جدار او ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة
البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم على هذا القيام كذلك
الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام واذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرأ قل اعوذ برب
الناس تحصنا به من الشيطان الرجيم ثم ليأت بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي فليؤذن اولا
ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا ويقول بقلبه ادي فريضة الظهر لله تعالى ليميزه بقوله ادي
عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانه
النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا يعزب فاذا حضر
في قلبه ذلك فليرفع يديه الى حذو منكبيه وابهاميه محاذية اذنيه ورؤوس اصابعه رؤوس اذنيه ليكون جامعا
بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما
بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدأ
التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما
لليمنى بان تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالخنصر والبنصر على كوع اليسرى
وقد روي ان التكبير مع رفع اليدين ومع استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق فانه كلمة
العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبدأه الارسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الالف وآخره
الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد واما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يرفع يديه الى قدام
رفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا
خفيفا رفيقا ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفي بعض الروايات انه عليه السلام كان اذا كبر ارسل
اليه يديه فاذا اراد ان يقرأ وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه واما التكبير فينبغي ان يضم الهاء
من الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء واللام شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء اكبر

ويقال ان الاخوين في الله اذا كان احدهما اعلى مقاما من الآخر رفع الآخر الى مقامه وانه يلحق به كما تلحق الذرية
بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا اكتسبت لله لم تكن دون اخوة الولادة وقد قال الله تعالى الحقنا بهم
ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء وقال عليه السلام ان الله عز وجل يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت
محبتي للذين يتحابون من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي وقال عليه السلام
ان الله عز وجل يقول يوم القيامة اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال عليه السلام سبعة يظلهم
الله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان
تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال
اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا يعلم شماله ما تنفق يمينه وقال عليه السلام ما زار رجل رجلا في الله شوقا
اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عليه السلام ان رجلا زار اخا له في الله فارصد الله
له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا فقال الحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبنعمة
له عندك قال لا قال فبم قال احبه في الله قال فان الله تعالى ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة وقال عليه السلام
اياه واوجب
اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله فبهذا يجب ان يكون للرجل اعداء يبغضهم في الله كما يكون له اصدقاء
واخوان يحبهم في الله ويروى ان الله عز وجل اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك
الي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت فيّ عدوا وهل واليت فيّ وليا وقال عليه السلام اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فترزقه
منه تنزله مني محبة ويروى ان الله عز وجل اوحى الى عيسى عليه السلام لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض
وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئا وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي
وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم الله
رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وروي في الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام
يا ابن عمران كن يقظان وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو واوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام فقال يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانا قال الهي قليت الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظان وارتد لنفسك
اخوانا وكل خدن لا يوازرك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي اخبار داود عليه السلام
انه قال يا رب كيف لي ان يحبني الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك وفي
بعضها خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا واهل الآخرة باخلاق الآخرة وقال النبي عليه السلام ان احبكم الى الله الذين يألفون
ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان وقال عليه السلام ان لله ملكا نصفه من النار
ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج والنار كذلك الف بين قلوب عبادك الصالحين وقال ايضا ما احدث
عبد اخا في الله الا احدث الله له درجة في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في راس العمود
سبعون الف غرفة يشرفون على اهل الجنة يضيء حسنهم لاهل الجنة كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا
بنا ننظر الى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لاهل الجنة كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم
المتحابون في الله **الآثار** قال علي رضي الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة الا تسمع الى قول اهل النار
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله لو صمت النهار لا افطره وقمت الليل لا انامه
وانفقت مالي علقا علقا في سبيل الله اموت يوم اموت وليس في قلبي حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصيته ما نفعني ذلك
شيئا وقال ابن السماك عند موته اللهم انك تعلم اني كنت اذا عصيتك احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي اليك وقال الحسن
رضي الله عنه على الضد يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود
والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الاعمال او كلها لا ينفع
وقال الفضيل في بعض كلامه ها تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين بأي عمل عملته بأي شهوة تركتها بأي غيظ كظمته بأي رحم قاطع وصلتها بأي زلة لاخيك غفرتها
بأي قريب باعدته في الله بأي بعيد قاربته في الله ويروى ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت
لي عملا قط فقال الهي صليت لك وصمت وتصدقت فقال ان الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة
نور فاي عمل عملت لي فقال موسى الهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عاديت لي عدوا قط
فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله وقال ابن مسعود لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد
الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب وقال الحسن مصارمة الفاسق قربان الى الله وقال رجل
لمحمد بن واسع اني لاحبك في الله فقال احبك الذي احببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك
وانت لي مبغض ودخل رجل على داود الطائي فقال له ما حاجتك فقال زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين
زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي اذا قيل لي من انت فتزار امن الزهاد انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت
في الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله المرائي شر من الفاسق وقال عمر رضي الله عنه اذا اصاب احدكم ودا
من اخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقال مجاهد المتحابون في الله اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تحاتت
عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر في الشتاء اذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه اخيه على المودة
والرحمة عبادة **بيان معنى الاخوة في الله وتمييزها عن الاخوة في الدنيا** اعلم ان الحب في الله والبغض في الله
غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار وبسبب
الاجتماع في المكتب وفي المدرسة او في السوق او على باب السلطان او في الاسفار والى ما ينشأ اختيارا ويقصد
وهو الذي نريد بيانه اذ الاخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب
الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره الا اذا احبه
فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب
ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان
يكون متعلقا بالآخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام **اما القسم الاول** وهو حبك الانسان
لذاته فذلك ممكن وهو ان يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك
له فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة
والملاءمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هو الصورة الظاهرة اعني حسن الخلقة واما ان يكون
الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الاخلاق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم
وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب امر اغمض
من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة صورة وحسن خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة
توجب الالفة والموافقة فان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة
البشر الاطلاع عليها وعنه عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما
تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الالفاظ
تلتقي فتتشام في الهواء وقد كنى بعض العلماء عن هذا بان قال ان الله تعالى خلق الارواح ففلق بعضها فلقا واطافها حول العرش
فاي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان ارواح المؤمنين ليلتقيان
على مسيرة يوم وما رأى احدهما صاحبه قط وروي ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية
على المدنية فدخلت على عائشة فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث والحق في هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب
والتناسب في الطباع والاخلاق باطنا وظاهرا امر مفهوم واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع
عليها

ورائه الفا كانه يقول اكبار وليجزم راء التكبير ولا يضمه فهذه هيئات التكبير وما معه القراءة ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح
ويحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر الله اكبر كبيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهي الى قوله وانا من المسلمين حمد لله كثيرا
ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان
خلف الامام اقتصر ان لم يكن للامام سكتة يقرأ فيها فاتحة الكتاب ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة
بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين بقوله
ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون ماموما ويجهر بالتامين ثم يقرأ السورة او قدر
ثلث آيات من القرآن فما فوقه ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح
من السور الطوال من المفصل وفي المغرب قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح
في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك يستديم
القيام ووضع اليدين كما وصفنا في اول الصلاة **الركوع** ولواحقه ثم يركع ويراعي فيه امورا ان يكبر للركوع
وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع
واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا وان
يكون عنقه وراسه مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه
وتضم المراة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلثا والزيادة الى سبعة والى عشرة حسن ان لم
يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك
الحمد ملء السموات والارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلاة التسبيح ويقنت في الصبح
في الركعة الثانية بالكلمات الماثورة **السجود** ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته
وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه مع غير الركوع وينبغي ان يكون اول ما يقع منه على الارض ركبتاه
وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل ذلك المراة
وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المراة ذلك وان يكون مخويا ولا تكون المراة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين
والتفريج بين الفخذين وان يضع يديه على الارض حذو منكبيه وان لا يفرج اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام
اليها وان لم يضم الابهام فلا باس ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول
سبحان ربي الاعلى ثلثا وان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرتفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا ويرفع راسه مكبرا
ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها
ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود
التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوي فيه جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا يتشهد عقيبها
ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط
ارتفاعه الى القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث تكون الهاء عند استوائه جالسا وكاف اكبر عند اعتماده
على اليد للقيام وراء اكبر في وسط ارتفاعه الى القيام حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا
طرفاه فهو اقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ في الابتداء **التشهد** ثم يتشهد
في الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى
ويقبض اصابع اليمنى الا المسبحة ولا باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله الا الله
لا عند قوله لا اله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء
الماثور بعد الصلوة على النبي وسننه كسنن التشهد الاول لكن يجلس في الاخير على وركه الايسر لانه ليس مستوفزا
للقيام بل مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الى جهة القبلة

ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من وراءه من الجانب
الايمن ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية الخروج بالسلام عن الصلوة وينوي السلام على من على يمينه
من الملائكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانية ويحذف السلام ولا يمده مدا فهو السنة
فهذه هيأة صلوة المنفرد **المنهيات** نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلوة عن الصفن والصفد
وقد ذكرناهما وعن الاقعاء وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلوة
الحاقن والحاقب والحازق وعن صلوة الجائع والمتقطب والغضبان والملثم وهو ستر الوجه **اما الاقعاء**
فهو عند اهل اللغة ان يجلس على وركيه وينصب ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس
على الارض الا رؤس الاصابع من الرجلين واليدين **واما السدل** فمذهب اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل
يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلوتهم فنهوا عن التشبه والقميص في معناه فلا ينبغي ان
يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقيل معناه ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من
غير ان يجعلهما على كتفيه والاول اقرب واما الكف فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود
وقد يكون الكف في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث امرت ان اسجد على
سبعة اعضاء ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل ان يأتزر فوق القميص في الصلوة وراه من الكف **واما
الاختصار** فان يضع يديه على خاصرتيه **واما الصلب** فان يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في
القيام **واما المواصلة** فهي خمسة اثنان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان
على الماموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما ان لا يصل التسليمة الفرض
بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما واما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فان
كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهي الجائع لقوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء واقيمت الصلوة
فابدؤا بالعشاء الا ان يضيق الوقت او يكون ساكن القلب وفي الحديث لا يدخلن احدكم في الصلوة وهو مقطب ولا يصلين
احدكم وهو غضبان وقال الحسن كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وفي الخبر سبعة اشياء في الصلوة
من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وزاد بعضهم السهو
والشك وقال بعض السلف اربعة في الصلوة من الجفا الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان تصلي بطريق من يمر
بين يديك ونهي ايضا ان يشبك بين اصابعه او يفرقع اصابعه او يستر وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما
بين فخذيه في الركوع وقال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره ايضا ان ينفخ في الارض عند السجود للتنظيف
وان يسوي الحصى بيده فانها يستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعه على فخذه ولا يستند في قيامه الى حائط فان
استند بحيث لو سقط سقط فالاظهر بطلان صلاته **تمييز الفرائض والسنن** جملة ما ذكرناه اشتمل على السنن والهيئات
والاداب التي ينبغي لمريد طريق الآخرة جميعا والفرض من جملتها اثنا عشر النية وقول الله اكبر والقيام
والفاتحة والانحناء في الركوع الى ان تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة
ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلوة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم والسلام الاول فاما نية الخروج فلا يجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي الفرائض
اما السنن فمن الافعال اربع رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد
الاول واما ما ذكرناه من كيفيته نشر الاصابع وحد رفعهما فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش
هيئات تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئات القيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من
اصول السنن في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة في نفسها
ولذلك لم يفرد بذكر ذلك **واما السنن من الاذكار** فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة

رغائبه وهو بيان المنجمين بقولهم اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره او تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فيقتضي التناسب والتوادد واذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله تعالى في خلق السموات والارض لكان الاشكال فيه اكثر من الاشكال في اصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة فقد ورد الخبر به قال عليه السلام لو ان مومنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومومن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مومن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه وهذا يدل على ان شبه الشي منجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي احدهما وصف من الاخر وان اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران الا وبينهما مناسبة قال فراى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من ها هنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكما كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يفترقا وهذا معنى خفي تفطن له الشعرا حتى قال قائلهم

وقايل كيف تفارقتما ... فقلت قولا فيه انصاف

لم يك من شكلي ففارقته ... والناس اشكال والاف

فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفايدة تنال منه في حال او مال بل بمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والاخلاق الخفية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضا الشهوة فان الصور الجميلة مستلذة في عينها وان قدر فقد اصل الشهوة فان الصورة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب بالحمرة والى الما والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله تعالى بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يومن بالله الا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصور الجميلة لقضا الشهوة حيث لا يحل قضاوها وان لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم

القسم الثاني ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا يطعم ولا يلبس ولكنهما وسيلة الى المحبوبات ومن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود اذ يتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله او جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصور الفايدة على الدنيا لم يكن من جملة الحب لله وان لم يكن مقصور الفايدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به الا الدنيا كحب التلميذ لاستاذه فهو ايضا خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب الى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس في شي من ذلك حب لله اذ يتصور كل ذلك ممن لا يومن بالله تعالى اصلا ثم ينقسم هذا ايضا الى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران وحيازة اموال اليتامى وظلم الرعية بولاية القضا وغيره كان الحب مذموما وان كان يقصد به التوصل الى مباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل اليه فانها تابعة له غير قايمة بنفسها

القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الاخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الاخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السما اذ قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السما ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذن آلة في تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه الى رتبة التعظيم في ملكوت السما فهو محب في الله بل الذي يتصدق باموال الله ويجمع الضيفان ويهيي لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فاحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذلك

احب

من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه للعلم او العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله بل نزيد عليه ونقول اذا احب من ينفق عليه ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع اغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب الى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من اولي الثروة وكان المواسي والمواسى جميعا من المتحابين في الله بل نزيد عليه ونقول من نكح امراة صالحة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه او ليولد له ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانها آلة الى هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت الاخبار بوفور الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امراته بل نقول كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقايه في الدار الاخرة فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان يحب شيا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله بل ازيد على هذا واقول اذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان يتوسل به الى الله والى الدنيا فاذا احبه لصلاحه للامرين فهو من المحبين في الله كمن احب استاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فاحبه من حيث ان في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الاخرة وهو وسيلة اليهما فهو محب في الله وليس من شرط حب الله ان لا يحب في العاجل حظا البتة اذ الدعا الذي امر به الانبيا فيه جمع بين الدنيا والاخرة فمن ذلك قولهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقال عيسى في دعايه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسو بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي فدفع شماتة الاعدا من حظوظ الدنيا ولم يقل لا تجعل الدنيا اصلا من همي بل قال لا تجعلها اكبر همي وقال نبينا عليه السلام في دعايه اللهم اني اسالك رحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة وقال اللهم عافني من بلا الدنيا وعذاب الاخرة وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة في الاخرة مناقضا للحب لله فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله والدنيا والاخرة عبارة عن حالتين احداهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالة راهنة فالحالة الراهنة لا بد وان تكون مطلوبة ايضا الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الاخرة ويمنع منها وهو الذي احترز عنها الانبيا والاوليا وامروا بالاحتراز عنها والى ما لا يضاد وهو الذي لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغير ذلك فما يضاد حظوظ الاخرة فحق العاقل ان يكرهه ولا يحبه اعني ان يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم انه لو اقدم عليه لقطعت يده او حزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجره عقله من الاقدام عليه وتحصل فيه كراهية للضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه ويعلمه او تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه واحدهما حظ عاجل والاخر آجل فيكون في زمرة المتحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو ان يكون بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستنكر ان يشتد حبك لانسان لجملة اغراض ترتبط لك به فان امتنع بعضها نقص حبك وان زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض هي اكثر مما يوصل اليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله وحده هو ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو حب لله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الايمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله وذلك وان دق فهو عزيز قال الجريري تعامل الناس في القرن الاول بالدين حتى رق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفا حتى ذهب الوفا وفي الثالث بالمروة حتى ذهبت المروة ولم يبق الا الرغبة والرهبة

القسم الرابع ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر ورا ذاته وهذا اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من آثار

حتى قال قايلهم

عب

علية وجية

ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول والصلاة فيه ثم الدعا في اخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ تجبر اربع منها بسجود السهو اربعة اما في الافعال فواحد وهي الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في اعين الناظرين حتى يعرف بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود واما الاذكار فكلها لا تقتضي سجدة السهو الا ثلثة القنوت والتشهد الاول والصلاة على رسول الله فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا يغير صورة العبادة واما الجلسة للتشهد الاول ففعل معتاد وما زيدت الا للتشهد فتركه ظاهر التأثير واما دعا الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع ان القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة وكذلك الدعا في التشهد الاخير والقنوت ابعد من ان يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صارت بالتشهد جلسة للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا تاما معتادا ليس فيه ذكر واجب احترازا عن اصل القيام في الصلاة فان قلت تمييز السنن عن الفرايض معقول اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مامور على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب مرجو على الكل فما معناه فاعلم ان اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتها وينكشف لك ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن واعضا ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحيوة والروح والظاهر اجسام اعضايه ثم بعض تلك الاعضا ينعدم الانسان بعدمه كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو يفوت الحيوة بفواته وبعضها لا يفوت بها الحيوة ولكن يفوت بها مقاصد الحيوة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحيوة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضا وامتزاج الحمرة الى البياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحيوتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سياتي ونحن الان في اجزايها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وساير الاركان تجري منها مجرى القلب والراس والكبد اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعا الاستفتاح والتشهد الاول تجري منها مجرى العينين واليدين والرجلين لا يفوت الصحة بفواتها كما لا يفوت الحيوة بفوات هذه الاعضا ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه وكذلك من اقتصر على اقل ما يجزي من الصلاة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف واما الهيات وهي ما وراء السنن فيجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون واما وظايف الاذكار في تلك السنن فهي مكملات الحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها والصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك في يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في تحسين صورتها او تقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسأت فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان يتميز لك السنة عن الفرض ولا يعلق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقء العينين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن ان يصدق رجا المتقرب في قبول السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي ان تفهم مراتب السنن والهيات والاداب وان كل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي اوردناها في اكمال اركان الصلاة ليظهر لك وقعها

الباب الثالث في الشروط الباطنة من اعمال القلب

ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من اركان الصلاة ليكون صالحا لزاد الاخرة

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى اقم الصلوة لذكري وظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلوته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره وقوله عز وجل ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوساوس وافكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته عن الفحشا والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع عن الفحشا وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من الصلوة التعب والنصب وما اراد به الا الغافل وقال ايضا ليس للعبد من صلوته الا ما عقل والتحقيق فيه ان المصلي يناجي ربه كما ورد الخبر به والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الزكوة ان غفل الانسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس كذلك الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى التي هي آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج افعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الايلام كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اما الصلوة فليس فيها الا ذكر الله وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله تعالى فاما ان يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة او المقصود الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما يمتحن المعدة والفرج بالامساك في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكوة واقتطاع المال المعشوق ولا شك في ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاي سوال في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعا فاي مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثنين عليه واسأله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه فلو كان تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر في بياض النهار الا انه غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثنا والتضرع والدعا والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى انكارها في النطق وتمييزه عن الفعل واما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز ان يكون معظما لله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه او يكون معظما للحائط الذي بين يديه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وساير العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما ارى ان هذه العظمة كلها للصلوة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكوة والحج وغيرها بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة النفس بتنقيص المال قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الاوامر والنواهي هي المطلوبة فكيف الامر في الصلوة ولا اثر في افعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قلت ان حكمت ببطلان الصلوة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت به اجماع الفقها فانهم لم يشترطوا حضور القلب الا عند التكبير فاعلم انه قد تقدم في كتاب العلم ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الاخرة بل يبنون ظاهر احكام الدين على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل او تعزير السلطان فاما ما ينفع في الاخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان تدعى الاجماع فقد نقل عن

أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن أحب إنسانا أحب من يحبه ذلك الإنسان
وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يثني عليه وأحب من يثني على محبوبه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه حتى قال
بقية بن الوليد إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في أحوال العشاق ويدل عليه أشعار
الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون
قال
أمر على جدار ديار ليلى   أقبل ذا الجدار وذا الجدارا   وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا   فإذن المشاهدة
والتجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك
من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب إلى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق
بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى
إلى حد الاستهتار فيتعدى إلى كل موجود سواه فإن كل موجود سواه أثر من آثار قدرته ومن أحب إنسانا أحب خطه
وصنعته وجميع أفعاله ولذلك كان عليه السلام إذا حمل إليه باكورة من الفاكهة مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنه قريب العهد بربنا
وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من أياديه وصنوف
نعمه وتارة لذاته لا لأمر آخر وهو أدق ضروب المحبة وأعلاها وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربع المنجيات وكيف
ما تعلقت محبة الله فإذا قوي تعدى إلى كل متعلق به ضربا من التعلق حتى يتعدى إلى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط
الحب يضعف الإحساس بالألم والفرح بفعل المحبوب وقصده إياه بالإيلام يغمر إدراك الألم وذلك كالفرح بضربة من
المحبوب أو قرصة فيها نوع معاتبة فإن قوة المحبة تثير فرحا يغمر الألم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا لا نفرق
بين البلاء والنعمة فإن الكل من الله ولا نفرح إلا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصيته وقال
سمنون   وليس لي في سواك حظ   فكيفما شئت فاختبرني   وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والمقصود أن حب الله
إذا قوي أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن
أو تأدب بآداب الشرع وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل
فاسق إلا وجد في نفسه ميلا إلى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب ضعف حبه
لله وقوته وهذا الميل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة
فذلك الميل هو حب في الله ولله من غير حظ فإنه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضي عند الله تعالى ولأنه يحب الله
تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب وأجر وإذا قوي حمل على الموالاة والنصرة
والذب بالنفس والمال واللسان ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال
من المحبوب في الحال والمآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الأنبياء المتقدمين
صلوات الله عليهم وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم في واحد منهم
وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله ومن أحب ملكا أو شخصا جميلا أحب
خواصه وخدمه وأحب مراقبته إلا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيما هو حظ
المحبوب وعنه عبر قول من قال   شعر   أريد وصاله ويريد هجري   فأترك ما أريد لما يريد   إن كان سركم ما قال حاسدنا
فما لجرح إذا أرضاكم ألم   وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله
أو في ثلثه أو في عشره فمقادير الأموال موازين المحبة إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق
الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل أبي بكر الصديق فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فسلم
ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله وقال ابن عمر بينما النبي عليه السلام جالس وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد
خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل فأقرأه من الله السلام وقال له يا رسول الله ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها
على صدره بخلال فقال أنفق ماله علي قبل الفتح قال فأقرئه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في فقرك

هذا أم ساخط قال فالتفت النبي عليه السلام إلى أبي بكر فقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول لك أراض
أنت عني في فقرك هذا أم ساخط قال فبكى أبو بكر وقال أعلى ربي أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض فحصل
من هذا أن كل من أحب عالما أو عابدا أو أحب شخصا راغبا في علم أو في عبادة أو في خير فإنما أحبه في الله ولله وله
من الأجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله أيضا ولكن نزيده
بيانا

بيان البغض في الله

اعلم أن من يحب في الله لا بد وأن يبغض في الله فإنك إن أحببت إنسانا لأنه
مطيع لله ومحبوب عند الله فإن عصاه فلا بد وأن تبغضه لأنه عاص لله وممقوت عند الله ومن أحب بسبب
فبالضرورة يبغض بضده وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العادات
ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين
والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالفة والموافقة فإذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة ولذلك قال الله
تعالى هل واليت في وليا وهل عاديت في عدوا كما نقلناه وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا طاعاته إذ تقدر
على أن تحبه أو لم يظهر إلا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه وإنما المشكل إذا اختلطت
الطاعات بالمعاصي فإنك تقول كيف أجمع بين المحبة والبغض وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما من
الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فأقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية
فإنه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فإنك تحبه من وجه وتبغضه من وجه فمن له
زوجة حسناء فاجرة أو ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فإنه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على
حالة بين حالتين إذ لو فرض أن له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار أو ذكي عاق فإنه
يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي أن يكون حالك بالإضافة
إلى من غلب عليه الفجور ومن غلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تعطي كل
صفة حظها من البغض والحب والإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه فإن
قلت كل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الإسلام فأقول تحبه لإسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على
حالة لو قستها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب الإسلام وقضاء حقه وقدر الجناية على حق الله
والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة
بين الانقباض والاسترسال وبين الإقبال والإعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ولا تبالغ في إكرامه مبالغتك
في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ولا تبالغ في إهانته مبالغتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط
تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجناية وتارة إلى طرف المجاملة والإكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي
أن تكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى فإن قلت فبماذا يمكن إظهار البغض فأقول
أما في القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول أخرى وأما في الفعل فبقطع
السعي في إعانته مرة وبالسعي في إساءته وإفساد مآربه أخرى وبعض هذا أشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية
الصادرة منه أما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم أنه متندم عليها ولا يصر عليها فالأولى فيه الإغماض والستر أما ما
يصر عليه من صغيرة أو كبيرة فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة فله حكم آخر وسيأتي وفيه خلاف بين العلماء
وأما إذا لم يتأكد أخوة وصحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إما في الإعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما
في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا أشد من الإعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها وكذلك في الفعل
أيضا رتبتان إحداهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه
كفعل الأعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية أما ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله
بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا فيها بالمال والجمال إلا أن ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في

بعثه

مما رواه عنه أبو طالب المكي عن سفيان الثوري أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروي عن الحسن أنه قال كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلوة فلا صلوة له وروي أيضا مسندا وقال النبي عليه السلام إن العبد ليصلي الصلوة ولا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلوته إلا ما عقل منها فجعله إجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلوة فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطرا في نفسه فإليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلوة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلوة وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلوة الغافل في جميعها إلا عند التكبير حي لا حراك به

بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلوة اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها أما التفاصيل فالأول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء صلوته ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فإنها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة **وأما التعظيم** فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما **وأما الهيبة** فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الإجلال **وأما الرجاء** فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه ويخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلوته ثواب الله تعالى كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله **وأما الحياء** فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب **وأما أسباب هذه المعاني الستة** فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فإن قلبك تابع لهمك فلا يحضر إلا فيما يهمك ومهما أهمك

أمر حضر القلب شاء أم أبى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلوة والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلوة وسيلة إليها فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلوة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان وطريقه مستقصى في غير هذا الموضع **وأما التفهم** فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج في إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعني النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلوة عن الخواطر **وأما التعظيم** فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله تعالى وعظمته وهو من أصول الإيمان فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه **الثانية** معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله تعالى فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فإن المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه **وأما الهيبة والخوف** فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله تعالى وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما نشاهد من ملوك الأرض وبالجملة كلما زاد العلم بالله تعالى زادت الخشية والهيبة وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات **وأما الرجاء** فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة وأما الحياء فباستشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بتعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله تعالى والعلم بأنه مطلع على السر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين أعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلوة فكأنه لم يعرفنا ولا نعرفه وقد روي أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي أنه أوحى الله تعالى إليه قل لعصاة أمتك لا يذكروني فإني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة وإلى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم به بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط أسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط

والتحريش عليه فاذا قدرت على اعانته ليتم له مقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي
في تشويشه اما الاعانة فلو تركتها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا باس وليس يجب تركها اذ ربما يكون لك
نية في ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن وان لم يظهر
لك ذلك ولكن رايت ان تعينه على غرضه قضا لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت معصيته
بالجناية على حقك وحق من يتعلق بك وفيه نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون
ان يغفر الله لكم اذ تكلم مسطح بن اثاثة في واقعة الافك فحلف ابو بكر رضي الله عنه ان يقطع رفقه عنه
وقد كان يواسيه بالمال فنزلت الاية واية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واطالة اللسان في مثل عايشة رضي الله عنها الا ان الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه
بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اسا من اخلاق الصديقين فانما يحسن الاحسان الى من
ظلمك فاما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان فيه لان في الاحسان الى الظالم اساة الى المظلوم
وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم احب الى الله من تقوية قلب الظالم فاما
اذا كنت انت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح وطرق السلف قد اختلفت في اظهار البغض مع اهل
المعاصي وكلهم اتفقوا على اظهار البغض على الظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه الى
غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار
المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسال احدا شيا ولو حمل
الشيطان الي شيا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال انك تورد اولا شبهتهم
وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تاويله قوله عليه السلام ان الله خلق ادم على صورته
وهذا امر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الغالب على القلب النظر الى
اضطرار الخلق وعجزهم وانهم مسخرون لما قدروا له اورث هذا تساهلا في المعاداة والبغض وله وجه ولكن
يلتبس به المداهنة فاكثر البواعث على الاغضاء عن المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها
ونفارها وقد يلتبس الشيطان ذلك على الغبي الاحمق بانه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين
الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول انه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب
عليه فمثل هذا قد يصح له نية في الاغماض عن الجناية على حق الله وان كان يتغاظ عند الجناية على حقه ويترحم
عند الجناية على حق الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه به فان قلت فاقل الدرجات
في اظهار البغض الهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه فاقول
لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانا نعلم ان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيه الى من يغلظ
القول ويظهر البغض والى من يعرض عنه ولا يتعرض به والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يوثر المقاطعة
والتباعد فهذه دقايق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الاخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه
حاله ووقته ومقتضى الاحوال في هذه الامور اما مكروهة او مندوبة فتكون في رتبة الفضايل ولا تنتهي
الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة لله تعالى واصل الحب وذلك قد لا يتعدى
من المحبوب الى غيره وانما المتعدي افراط الحب واستيلاوه وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف
في حق عوام الخلق اصلا

بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم فان قلت اظهار البغض
والعداوة بالفعل ان لم يكن واجبا فلا يشك انه مندوب اليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف
ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا ام لا فاعلم ان المخالف لامر الله سبحانه لا يخلو اما

ان يكون مخالفا في عقده او في عمله والمخالف في العقد اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع الى بدعته او ساكت
اما بعجزه او باختياره فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلثة الاول الكفر والكافر ان كان محاربا فهو يستحق القتل
او الارقاق فليس بعد هذين الامرين اهانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاوه الا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار
الى اضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والاولى الكف عن مخالطته ومعاملته
ومواكلته فاما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقا فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي
ما يقوى منه الى حد التحريم قال الله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا
اباهم او ابناهم الاية وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا وقال عليه السلام المومن
والمشرك لا تتراءى ناراهما **الثاني** المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد
من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وان كان ممن لا يكفر به فامره بينه وبين الله اخف من امر الكافر
لا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعدي فان المسلمين اعتقدوا كفره
فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي يدعو الى البدعة ويزعم ان ما يدعو
اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعدي فالاستحباب في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع
عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد وان سلم في خلوة فلا باس برد جوابه وان علم ان الاعراض عنه والسكوت عن
جوابه يقبح في نفسه بدعته ويوثر في زجره فترك الجواب اولى لان جواب السلام وان كان واجبا فيسقط بادنى
غرض حتى يسقط بكون الانسان في الحمام او في قضا حاجته وغرض الزجر اهم من هذه الاغراض وان كان في ملا فترك
الجواب اولى تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته في اعينهم فكذلك الاولى كف الاحسان والاعانة عنه لا سيما فيما
يظهر للخلق قال عليه السلام من انتهر صاحب بدعة ملا الله قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة امنه الله
يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه او لقيه ببشر فقد استخف بما انزل الله على محمد عليه السلام **الثالث** المبتدع
العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتدا به فامره اهون فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به
في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تاكد
الاستحباب في الاعراض وان علم ان ذلك لا يوثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة
اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها واما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو اما ان كان
بحيث يتاذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها
او كان مما لا يقتصر عليه ويوذي غيره وذلك ينقسم الى ما يدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال
والنسا ويهيي اسباب الشرب والفساد لاهل الفساد او لا يدعو الى غيره كالذي يشرب او يزني وهذا الذي لا يدعو الى غيره
اما ان يكون عصيانه بكبيرة او بصغيرة وكل واحد فاما ان يكون مصرا عليه او غير مصر فيتحصل من هذه التقسيمات
ثلثة اقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها اشد من بعض فلا يسلك بالكل مسلكا واحدا **القسم الاول** وهو
اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب والنميمة فهولا الاولى الاعراض عنهم
وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذا الخلق ثم هولا ينقسمون الى من يظلم في الدما
والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في الاعراض وبعضها اشد من بعض والاستحباب في اهانتهم والاعراض عنهم موكد
جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم او لغيرهم كان الامر فيه اكد واشد **الثاني** صاحب الماخور الذي يهيي اسبابا
في الفساد ويسهل طرقها على الخلق فهذا لا يوذي الخلق في دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم وان كان على وفق رضاهم فهو قريب
من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد وبين الله الى العفو اقرب ولكنه من حيث انه متعدي على الجملة الى غيره فهو
شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن ان فيه نوعا من الزجر له او لغيره **الثالث**
الذي يفسق في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف

من على ميل [illegible] ووجيب قلب ابرهيم صلوات الله عليه كان يسمع على ميل وجماعة كان تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم
وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه تشاهد في هموم الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة
منهم حتى يدخل الواحد على ملك او وزير ويحدثه بمهمته ويخرج ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على
الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه والحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلوته بقدر خوفه
وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة
على مثال هيئتهم في الصلوة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة وقد صدق فانه يحشر كل على ما مات
عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار
الاخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم **بيان الدواء النافع في حضور القلب** اعلم ان المومن لا بد وان يكون
معظما لله تعالى وخائفا له وراجيا ومستحييا من تقصيره ولا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر
قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة
عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدوا في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشي الا
بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا **اما الخارج**
فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة الى غيره ويتسلسل
ويكون الابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم
يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره
او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلوته حتى لا يتسع مسافة بصره
ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان
المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون
المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون موضع السجود ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم
وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه **اما الاسباب الباطنة** فهي
اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب
وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقراه
في الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف
المناجاة وخطر المقام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك
لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمن بن شيبة اني نسيت ان اقول لك تخمر القدر
الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شي يشغل الناس عن صلواتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان
لا يسكن هائج افكاره بهذا الدوا المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الدا من اعماق العروق وهو
ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها انما صارت
مهمة بشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته
فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روي انه صلى الله
عليه وسلم لما لبس الخميصة التي اتى بها ابو جهم وعليها علم وصلى فيها نزع بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم
فانها الهتني انفا عن صلوتي وايتوني بانبجانية ابي جهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر
اليه في الصلوة اذ كان جديدا فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان عليه السلام قد احتذى نعلا فاعجبه
حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا ان يشتري
له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال نظرة اليه

ونظرة اليكم وروي ان ابا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره
ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة
فضعه حيث شئت وعن رجل اخر انه صلى في حائط والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم صلى
فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمن بخمسين الفا وكانوا يفعلون
ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة وهذا هو الدوا القاطع لمادة العلة ولا يغني غيره
فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي
القلب **فاما الشهوة القوية المرهقة** فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع
صلواتك في شغل المجاذبة **ومثاله** رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش
عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود الى فكره فيعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان
هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات اذا تشعبت وتفرقت اغصانها
انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب
كلما ذب اب ولاجله سمي ذبابا فكذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا
وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شي منها لا ليتزود
منها او يستعين بها على الاخرة فلا يطمعن في ان يصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله
عز وجل ومناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليه همته ولكن مع هذا
فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدوا ولمرارته استبشعته الطباع
وبقيت العلة مزمنة وصار الدا عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون انفسهم فيهما بامور
الدنيا فعجزوا وذلك لا مطمع فيها لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او ثلثها عن الوسواس فنكون ممن خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الاخرة وهمة الدنيا في القلب مثل الما الصافي الذي يصب في قدح مملو بخل فبقدر
ما يدخل فيه من الما يخرج من الخل لا محالة ولا يجتمعان **بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط**
واعمال الصلوة فنقول حقك ان كنت من المريدين للاخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط الصلوة واركانها
اما الشروط والسوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا
سمعت ندا المؤذن فاحضر في قلبك هول الندا يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين
الى هذا الندا هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا الندا فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار
مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك الندا بالبشرى والفوز يوم القضا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا
بلال اي ارحنا بها وبالندا اليها اذ كان قرة عينه فيها **واما الطهارة** فاذا اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد
ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا
بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك **واما**
ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما بالك في عورات
باطنك وفضائح سرك التي لا يطلع عليها الا ربك فاحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن
عين الله ساتر وانما يكفرها الندم والحيا والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحيا من مكامنها
فتذل به نفسك وتستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله قيام العبد المجرم المسي الابق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا
راسه من الحيا والخوف **واما الاستقبال** فهو صرف لظاهر وجهك عن ساير الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب
من ساير الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح
وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت

[illegible] منه مما يتقى منه ولو بالضرب والاستخفاف فان النهي عن المنكر واجب واذا منع منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر
عليه فان عجز عن ان تنفعه نصيحته من العود وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجوه فالافضل النصح والزجر بالتلطف
او بالتغليظ ان كان هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم انه يصر وان النصح ليس ينفعه
فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح ان ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الاعمال بالنيات اذ
في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والاعراض نوع من الزجر والمستفتي فيه القلب
فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى ضده اذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار
العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض او لخوف من تاثير وحشة
وتفرقه في جاه او في مال بظن قريب او بعيد وكل ذلك تردد الى اشارات الشيطان وبعيد عن اعمال اهل الآخرة وكل راغب
في اعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الاحوال والعلم هو المفتي فيه وقد يصيب الحق
في اجتهاده وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يتقدم وهو يحكم للغرور ظان انه عامل لله وسالك طريق الآخرة
وسياتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات ويدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد
وبين الله ما روي ان شارب خمر ضرب مرات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود فقال واحد من الصحابة
لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان على اخيك او لفظ هذا معناه وكأن هذا اشارة الى ان
الرفق اولى من العنف والتغليظ

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم على من يخالل ولا بد ان يتميز بخصال يرغب بسببها
في صحبته وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود
فبالاضافة الى المقصود يظهر الشروط ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية اما الدنيوية فكالانتفاع بالمال
والجاه او مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا واما الدينية فيجتمع فيها ايضا اغراض مختلفة اذ
منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه وتحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة
ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب
وقوة في الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان
فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وروي في غريب التفسير في قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم وقيل اذا غفر للعبد شفع في اخوانه
ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة
شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى تفصيلها اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا
حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو رأس المال وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق فالى
القطيعة والوحشة ترجع عاقبتها وان طالت قال علي كرم الله وجهه فلا تصحب اخا الجهل واياك واياه
فكم من جاهل اردى حليما حين آخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه وللشيء على الشيء مقاييس واشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه
كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر اني لآمن من عدو عاقل
واخاف خلا يعتريه جنون فالعقل فن واحد وطريقه ادرى فارصد والجنون فنون ولذلك قيل مقاطعة الاحمق
قربان الى الله وقال الثوري النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور على ما هي عليها اما
بنفسه واما اذا فهم وعلم واما حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء على ما هي عليها ولكن اذا غلبه غضب
او شهوة او بخل او جبن اطاع هواه وخالف ما هو عليه المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته
واما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا
يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى فلا يصدنك عنها

المخالة والخلال بالكسر دوستی کردن

181

من لا يؤمن بها وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال عز وجل واتبع سبيل
من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها اليه
فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق
فيما رواه سعيد بن المسيب قال عليك باخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء
وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا امين الا من خشي
الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى واما حسن الخلق
فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب
من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك
حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة
واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولتما امرا امرك وان تنازعتما آثرك فكأنه جمع بهذا جميع حقوق
الصحبة وشرط ان يكون قائما بجميعها قال ابن اكثم قال المأمون فاين هذا فقيل له اتدري لم اوصاه بذلك قال لانه
اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب
ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال علي رضي الله عنه رجزا
ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك ومن اذا ريب زمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك وقال
بعضهم الناس اربعة فواحد حلو كله فلا تشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل
ان يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه
على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه على شيء يريد ان ينفعك فيضرك
والبخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل
منها فقيل وما اقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان يصحبني
قارئ سيئ الخلق وقال بعض العلماء لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك فينفعك او رجل تعلمه
شيئا من امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال ابن ابي الحواري قال لي استاذي ابو سليمان يا احمد لا تصحب
الا احد رجلين رجل ترتفق به في دنياك او رجل تزيد معه وتنتفع به في آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال سهل بن
عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة من اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم
ان هذه الكلمات اكثرها غير محيطة بجميع اغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط
بالاضافة اليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطا في الصحبة للآخرة والاخوة كما قال بعضهم الاخوان ثلاثة
اخ لآخرتك واخ لدنياك واخ لتأنس به وقلما تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة
وقد قال المأمون الاخوان ثلاثة احدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون
وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة
الناس مثل الشجر والنبات منها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا كالظل
السريع الزوال ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ما له ثمر وظل جميعا
وهو مثل الذي يصلح للآخرة والدنيا جميعا ومنها ما ليس له ظل ولا ثمر وهو مثل الذي ليس له واحد منهما كأم غيلان
تمزق الثياب لا طعم فيها ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفأرة والعقرب كما قال الله تعالى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه
لبئس المولى ولبئس العشير وقال الشاعر الناس شتى اذا ما انت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له ظل ولا ثمر فاذن من لم يجد رفيقا يفيده ويستفيد به احد هذه المقاصد فالوحدة اولى
به قال ابو ذر الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة واما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى

والتقرب الى وجه الله تعالى فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البدن الا بالصرف عن
غيرها فلا ينصرف القلب الى الله عز وجل الا بالتفرغ عما سوى الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى صلوته
وكان هواه ووجهه وقلبه الى الله تعالى انصرف كيوم ولدته امه **فاما الاعتدال** فانما هو مثول بالشخص
والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا متطاطيا مستكينا وليكن وضع الراس
على ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر وليكن على ذكرك هاهنا خطر
القيام بين يدي الله تعالى في هول المطلع عند التعرض للسوال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله عز وجل وهو
مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في
دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك وممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح
فانه تهدأ عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك ويسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة
الخشوع واذا احسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل انك تدعين معرفة الله
عز وجل وحبه افلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق
ان يخشى ولذلك لما قال ابو هريرة رضي الله عنه كيف الحيا من الله عز وجل فقال تستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح
من اهلك **واما النية** فاعزم على اجابة الله عز وجل في امتثال امره بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسدها
واخلاص جميع ذلك لوجه الله عز وجل رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك
في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي
وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف **واما التكبير**
فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك شي هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب
وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك اغلب عليك
من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد
وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله عز وجل
وعفوه **واما دعاء الاستفتاح** فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وليس المراد
بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل
بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات فانظر اليه امتوجه الى امانيه وهممه
البيت والسوق ومتبع الشهوات او مقبل على فاطر السموات واياك وان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب
والاختلاف ولن تنصرف الوجه الى الله عز وجل الا بالانصراف عما سواه فاجتهد في الحال ان تصرفه اليه وان عجزت
عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون
من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال
واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن متنبها من هذا الشرك واستشعر
الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل
والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن
رضاه وغضبه وقيامه وقعوده لامور الدنيا ورغبته في الحيوة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملايما للحال
واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك
مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبدله
بما يحبه الله المجرد قولك فان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه

ان ذلك لا ينفعه بل لا يغنيه الا التبدل للمكان وكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن
فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ
قال لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان
لا في حصن الله تعالى واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلوة بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما
تقرأ فاعلم ان كل ما يشغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها
واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان
فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه ويترجمه
ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب وبين ان يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب
وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله تعالى
وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم هاهنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله
ومعناه ان الشكر لله اذ النعمة من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر
من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه
لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه
لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز
والاحتياج والتبري عن الحول والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان
له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين
مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله ومن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة
مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي
بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهد بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين
والصديقين والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين
ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون من الذين قال الله تعالى فيهم قسمت
الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول
الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى اخره فان لم يكن لك من صلوتك
حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي
ان تفهم ما تقرأه من السورة كما سيأتي في كتاب تلاوة القران فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده
ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد
والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبيا وروي
ان زرارة بن ابي اوفى لما انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر في الناقور خر ميتا وكان ابرهيم اذا سمع قوله اذا السما
انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلي مغلوبا وحق له ان يحترق
قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم
ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها ينكشف
اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي الهيبة في القراءة فيرتل
ولا يسرد فان ذلك ايسر للتامل ويفرق بين نغماته في اية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد
والتعظيم كان النخعي اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحيي عن ان
يذكره بكل شيء وقيل لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا واما دوام القيام فهو تنبيه على اقا

والطبع ينقل من الباب الى الباب والان مشاهدة الفسق والفساق تهون امر المعصية على القلب ويبطل نفرة القلب عنه قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة بل هولاء لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع عنهم وقال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اى سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا فهذا ما اردنا ان نذكره من معاني الاخوة وشروطها وفوايدها فلنشرع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتدا بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى فمجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الاخرة قال علي رضي الله عنه احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه وقال احمد بن حنبل ما اوقعني في بلية الا صحبة من لا احتشمه وقال لقمن يا بني جالس العلما وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيا بالحكمة كما تحيا الارض الميتة بوابل القطر والله تعالى اعلم بالصواب

الباب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة

اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفا بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب اداب النكاح فكذا عقد الاخوة فلاخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو وبالدعا وبالاخلاص والوفا وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعها ثمانية جمل **الحق الاول** في المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين يغسل احدهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم اخوتهما اذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السرا والضرا والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستيثار والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلث مراتب ادناها ان تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة على حاجتك اعطيته ابتدا ولم تحوجه الى السوال فان احوجته الى السوال فهو غاية التقصير في حق الاخوة **والثانية** ان تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته اياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته على المال قال الحسن كان احدهم يشق ازاره لاخيه باثنين **والثالثة** وهي العليا ان توثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الايثار بالنفس ايضا كما روي انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفا فامر بضرب اعناقهم وفيهم ابو الحسين النوري فبادر الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية يطول ذكرها فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع اخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الاخوان بترك الافضال فليواخ اهل القبور واما الرتبة الدنيا فليست ايضا مرضية عند ذوي الدين روي ان عتبة الغلام جا الى منزل رجل كان قد اخاه فقال احتاج من مالك الى اربعة الاف فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال اثرت الدنيا على الله اما استحييت ان تدعي الاخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الرتبة الدنيا من الاخوة ينبغي ان لا تعامله في الدنيا قال ابو حازم اذا كان لك اخ في الله فلا تعامله في امور دنياك وانما اراد به من هو في هذه الرتبة واما الرتبة العليا فهي التي وصف الله المومنين بها في قوله وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا خلطا في الاموال لا يميز بعضهم رحله من بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعلي لانه اضافه الى نفسه وجا فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غايبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه واخرج حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله سرورا بما فعل وجا رجل الى ابي هريرة وقال اني اريد ان اواخيك في الله فقال اتدري ما حق الاخا قال عرفني قال ان لا تكون احق بدينارك ودرهمك مني قال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد من غير اذنه قال لا قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا ابا سعيد اصليت قال نعم قالوا فان اهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن

بلغ

ياخذ دينه من اهل السوق بلغني ان احدهم يمنع اخاه الدرهم قاله كالمتعجب منه وجا رجل الى ابرهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال له اريد ان اوافقك فقال له ابرهيم على ان اكون املك لشيك منك قال لا قال اعجبني صدقك وكان ابرهيم بن ادهم اذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل شراك فاهدى رجل الى ابرهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من شرك فجعله في القصعة وردها الى صاحب الهدية فلما جا رفيقه قال اين الشرك قال ذلك الثريد الذي اكلته اي شي كان قال كنت تعطيه شراكين او ثلثة فقال اسمح يسمح لك واعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا راه راجلا فلما جا رفيقه سكت ولم يكره ذلك وقال ابن عمر اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال اخي فلان احوج مني اليه فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى اخر فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة وروي ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع اثره بالمال والنفس فقال سعد بارك الله لك فيهما فاثره بما اثره به وكانه قبله ثم اثره به وذلك مساواة والبداية ايثار والايثار افضل من المساواة وقال ابو سليمان الداراني لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها له وقال ايضا اني لالقم اللقمة اخا من اخواني فاجد طعمها في حلقي ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقرا قال علي رضي الله عنه لعشرون درهما اعطيها اخي في الله احب الي من ان اتصدق بماية درهم على المساكين وقال ايضا لان اصنع صاعا من طعام واجمع عليه اخواني في الله احب الي من ان اعتق رقبة واقتدا الكل في الايثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والاخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سيل عن صحبته هل اقام فيها حق الله او اضاعه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بير يغتسل عندها فامسك حذيفة بن اليمان الثوب على رسول الله وستره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فابى حذيفة وقال بابي انت وامي يا رسول الله لا تفعل فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يستره بالثوب حتى اغتسل فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله في الصحبة وقال صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا وكان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وروي ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غايبا فاخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل ياكل فقال له مالك كف يدك حتى يجي صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل وكان مالك ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط في بيوت الاخوان من الصفا في الاخوة كيف وقد قال الله تعالى او صديقكم وقال او ما ملكتم مفاتحه اذ كان الاخ يدفع مفتاح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد وكان اخوه يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله هذه الاية واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والصديق **الحق الثاني** في الاعانة بالنفس في قضا الحاجات والقيام بها قبل السوال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه ايضا لها درجات كما للمواساة بالمال فادناها القيام بالحاجات عند السوال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرا عليه هذه الاية والموتى يبعثهم الله وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض اخوانه كبيرة فجا بهدية فقال ما هذا قال لما اسديته الي فقال خذ مالك عافاك الله اذا سالت اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضايها فتوضا للصلاة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده في الموتى قال جعفر بن محمد اني لاتسارع الى قضا حوايج اعدايي مخافة ان اردهم فيستغنوا عني هذا في الاعدا فكيف في الاصدقا وكان في السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجاتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله فكانوا لا يفقدون الا عينه بل كانوا يرون منه ما لم

بيته

مع الله عاقبة واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما يجب حراسة
العين والراس عن الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت
الى غيره فذكره باطلاع الله عليك وبقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع للقلب فان
الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد راى
مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعا اللهم اصلح
الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق في صلوته كانه وتد وابن الزبير كانه عود وبعضهم كان
يسكن في ركوعه بحيث يقع العصفور عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابنا الدنيا
فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا ويضطرب
اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة
في قوله تبارك وتعالى الذي يريك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه **واما الركوع
والسجود** فينبغي ان تجدد ذكر كبريا الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله عز وجل من عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف
له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو
ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك
على قلبك لتوكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك ومؤكدا للرجا في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده
اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات
والارض ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشيا وهو التراب
وان امكنك ان لا تجعل بينهما حاجزا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخضوع وادل على الذل واذا وضعت
نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند
ذلك جدد على قلبك عظمة الله تعالى وقل سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثار فاذا
رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاوك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر
فارفع راسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت الاعز الاكرم وما اردت من الدعا
ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك **واما التشهد** فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح
بان جميع ما تتقرب به من الصلوات والطيبات اي الاخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات واحضر
في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبي وليصدق املك في انه يبلغه
ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وامل ان يرد الله عليك سلاما وافيا
بعدد عباده الصالحين ثم اشهد له بالوحدانية ولمحمد عليه السلام بالرسالة مجددا عهد الله تعالى باعادة كلمتي الشهادة
ومستانفا للتحصن بهما ثم ادع في اخر صلاتك بالدعا الماثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجا
بالاجابة واشرك في دعائك ابويك وساير المومنين واقصد عند التسليم السلام على الملايكة والحاضرين وانو ختم
الصلوة واستشعر شكر الله تعالى على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلوتك هذه وانك ربما لا تعيش
الى مثلها قال صلى الله عليه وسلم صل صلوة مودع ثم اشعر قلبك الحيا والوجل من التقصير في الصلوة وخف ان لا تقبل صلوتك
وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلوتك في وجهك وترجو مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه كان يحيى بن
وثاب اذا صلى مكث ما شا الله يعرف عليه كابة الصلوة ساعة كانه مريض وكان ابرهيم يمكث بعد الصلوة ساعة
كانه مريض فهذا تفصيل صلوة الخاشعين الذين هم على صلوتهم يحافظون والذين هم على صلوتهم دايمون والذين
هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصفة فبقدر الذي تيسر
له منه ينبغي ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي ان يجتهد **واما الصلوة الغافلين**

فانها مخطرة الا ان يتغمدنا الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فايض فنسال الله تعالى ان يتغمدنا بمغفرته اذ
لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان تخليص الصلوة عن الافات واخلاصها لوجه
الله تعالى واداها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحيا سبب لحصول انوار في القلب
تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاوليا الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية
انما يكاشفون في الصلوة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد بالسجود ولذلك قال الله تعالى واسجد واقترب ويكون مكا
كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلا والخفا حتى
ينكشف لبعضهم الشي بعينه وينكشف لبعضهم الشي بمثاله كما كشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها
ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله ولبعضهم من افعاله ولبعضهم
من دقايق علوم المعاملة ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة الهمة
فانها اذا كانت مصروفة الى شي معين كان ذلك اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تترايا الا في المرايا
الصقيلة وكانت المرايا كلها صدية فاحتجب عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم على مصب
الهداية تسارعت الالسن الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر امكان
وجود انسان في متسع الهوا ولو كان للطفل تمييز فلربما انكر ما يزعم العقلا ادراكه من ملكوت السموات والارض
وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق اطوارا
فلا ينبغي ان ينكر كل واحد ما ورا درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثات المشوشة ولم يطلبوه من تصفية القلب
عما سوى الله عز وجل فقدوه فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يومن بالغيب ويصدق به
الى ان يشاهد بالتجربة ففي الخبر ان العبد اذا قام في الصلوة رفع الله تعالى الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت
الملايكة من لدن منكبيه الى الهوا يصلون بصلاته ويومنون على دعايه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السما
الى مفرق راسه وينادي مناد لو علم المصلي من يناجي ما التفت وان ابواب السما تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملايكته
بصدق المصلي ففتح ابواب السما ومواجهة الله تعالى اياه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التورية
مكتوب يا ابن ادم لا تعجز عن ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رايت
نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكا والخشوع الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب تعالى من القلب واذا
لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين
عجب منه عشرة صفوف من الملايكة كل صف منهم عشرة الاف وباهى الله تعالى به مائة الف ملك وذلك ان العبد قد
جمع فيها بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك فالقايمون لا يركعون الى
يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الى القيمة وهكذا الراكعون والقاعدون فان ما رزق الملايكة من القرب والرتبة
لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ولذلك قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملايكة
في الترقي من درجة الى درجات فانه لا يزال يتقرب الى الله عز وجل فيستفيد مزيدا وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل
واحد الا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها لا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوة قال الله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون
فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة ايضا فقال في اخرها
والذين هم على صلوتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس اخرا وما عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي درجته الى هذا
الحد ولذلك قال في اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون
نور الله والمتمتعون بقربه ودنوه من قلبهم نسال الله تعالى ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت

شفعة
صح
بعينه ويكشف لبعضهم

من ابيهم في حوايجه وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه ويسال ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان
يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وبهذا يظهر الشفقة والاخوة اذا لم يثمر الشفقة حتى يشفق على اخيه كما يشفق على نفسه
فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم الا وان لله اواني في
ارضه وهي القلوب فاحب الاواني الى الله اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب واصلبها في الدين
وارقها على الاخوان وبالجملة فينبغي ان تكون حاجة اخيك او اهم من حاجتك وان تكون متفقدا لاوقات الحاجة غير
غافل عن احواله كما لا تغفل عن احوال نفسك وتغنيه عن السوال واظهار الحاجة الى الاستعانة بل تقوم بحاجته
كانك لا تدري انك قمت به ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بامره ولا ينبغي
ان تقتصر على قضا الحاجة بل تجتهد في البداية بالاكرام في الزيادة والايثار والتقديم على الاقارب والولد كان الحسن يقول
اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالاخرة وقال الحسن من
شيع اخاه في الله بعث الله ملايكة من تحت عرشه يوم القيمة يشيعونه الى الجنة وفي الاثر ما زار رجل اخا في الله شوقا
الى لقايه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عطا تفقدوا اخوانكم بعد ثلث فان كانوا مرضى فعودوهم
او مشاغيل فاعينوهم او كانوا نسوا فذكروهم وروي ان ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساله فقال احببت رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال عليه السلام اذا احببت احدكم فسله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله فان
كان مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول
اعرف وجهه ولا اعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس من احب الناس اليك قال جليسي وقال ما اختلف رجل الى مجلسي
ثلثا من غير حاجة له الي فعلمت ما مكافاته من الدنيا وقال سعيد بن العاص لجليسي علي ثلث اذا دنا رحبت به واذا حدث
اقبلت عليه واذا جلس اوسعت له وقد قال الله تعالى رحما بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد
بطعام لذيذ او بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن اخيه **الحق الثالث** على اللسان بالسكوت
مرة وبالنطق اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه مع حضرته وغيبته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم
به فلا يماريه ولا يناقشه وان يسكت عن التجسس والسوال عن احواله واذا راه في طريق او حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره
ومورده فلا يساله عنه فربما يثقل عليه او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي بثها اليه فلا يبثها الى غيره البتة
ولا الى اخص اصدقايه ولا يكشف شيا منه ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لوم الطبع وخبث الباطن وان يسكت عن
القدح في احبابه واهله وولده وان يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فان الذي سبك من بلغك وقال انس كان عليه السلام لا يواجه احدا
بشي يكرهه والتاذي اولا يحصل من المبلغ ثم من القايل نعم لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من الثنا عليه فان السرور به اولا من المبلغ للمدح
ثم من القايل واخفا ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق في امر
بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذا ذاك لا يبالي بكراهته فان ذلك احسان اليه في التحقيق وان كان يظن
انها اساة في الظاهر اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه امران
احدهما ان تطالع احوال نفسك فان وجدت فيها شيا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من اخيك وقدر انه عاجز عن قهر نفسه
في تلك الخصلة الواحدة كما انك عاجز فيما انت مبتلى به فلا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب وكل ما لا تصا
من نفسك في حق الله فلا تنتظره من اخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر من حق الله عليك والامر الثاني ان تعلم انك لو
طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه اصلا فما من الناس احد الا وله محاسن ومساوي فاذا غلبت
المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى فالمومن الكريم ابدا يحضر في نفسه محاسن اخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام
واما المنافق اللييم فانه ابدا يلاحظ المساوي والعيوب قال ابن المبارك المومن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات
وقال الفضيل الفتوة الصفح عن زلات الاخوان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان راى خيرا
ستره وان راى شرا اظهره وما من شخص الا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه ايضا روي ان رجلا اثنى على رجل

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من غد ذمه فقال عليه السلام انت بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد
صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم فقلت اقبح ما علمت
فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر اخر البذا والبيان شعبتان
من النفاق وفي الحديث الاخر ان الله يكره لكم البيان كل البيان ولذلك قال الشافعي ما احد من المسلمين يطيع الله
فلا يعصيه ولا احد يعصي الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته اغلب من معاصيه فهو عدل واذا جعل مثل هذا عدلا
في حق الله فبان تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك
السكوت بقلبك وذلك بترك اساة الظن فسو الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه ايضا وحده ان لا تحمل فعله على وجه
فاسد ما امكن ان تحمل على وجه حسن فاما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك ان لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشا
على سهو ونسيان ما امكن وهذا الظن ينقسم الى ما يسمى تفرسا وهو الذي استند الى علامة فان ذلك يحرك الظن
تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما منشاه سو اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سو
على ان تنزله على الوجه الاردا من غير علامة تخصصه به فذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مومن
اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم على المومن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السو وقال اياكم والظن
فان الظن اكذب الحديث وسو الظن يدعو الى التجسس والتحسس وقال صلى الله عليه وسلم لا تجسسوا ولا تحسسوا
ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب
والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل الدين ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة في ستر القبيح واظهار الجميل ان الله
تعالى وصف به في الدعا فقيل يا من اظهر الجميل وستر على القبيح وستر القبيح واظهار الجميل هو المرضي عند الله
ممن تخلق باخلاقه فانه ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز انت عمن هو مثلك
او فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك وقد قال عيسى صلوات الله عليه كيف تصنعون اذا رايتم اخاكم نايما وقد كشف
الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع
في اخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها باعظم منها واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقل
درجات الاخوة ان يعامل اخاه بما يحب ان يعامله به ولا شك في انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي
والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما ابعده اذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا
يعزم عليه لاجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا
كالوهم او وزنوهم يخسرون فكل من يلتمس من الانصاف اكثر مما يسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الاية ومنشا
التقصير في ستر العورة او السعي في كشفها الدا الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فان الحسود الحقود يمتلي باطنه بالخبث
ولكنه يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا واذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحيا وترشح
الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع اولى قال بعض الحكما ظاهر العتاب خير من
مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فايمانه ضعيف وامره مخطر وقلبه خبيث
لا يصلح للقا الله وقد روى عبد الرحمن بن جبير عن ابيه انه قال كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التورية فقدم علي
اليهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا فدعانا الى الاسلام فاسلمنا وقد نزل علينا كتابا مصدقا للتورية فقال اليهودي
صدقت ولكنكم لا تستطيعون ان تقوموا بما جاءكم به انا نجد نعته ونعت امته انه لا يحل لامري ان يخرج من عتبة بابه وفي قلبه
سخيمة على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشا سره الذي استودعه وله ان ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق
واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق
اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان الا بالبدن هذه حقيقة الاخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مراييا
وخارجا من اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفة اخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال صلى الله عليه وسلم من ستر

انه الله انه الكريم المنان القديم الاحسان **حكايات واخبار في صلاة الخاشعين** اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين
الحاصل بجلال الله سبحانه ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلوة وفي غير الصلوة بل في خلوته وفي بيت الماء عند
قضا الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف
يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلوة فلذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السما اربعين سنة حيا من الله
وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه البصر واطراقه يظن بعض الناس انه اعمى وكان يختلف الى منزل
ابن مسعود رضي الله عنه عشرين سنة فاذا راته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الاعمى قد جا فكان يضحك ابن مسعود
من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر
المخبتين اما والله لو راك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ اخر لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في سوق الحدادين فلما نظر الى
الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلوة فلم يفق فحمله
على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه
يقول هذا والله وكان الربيع رحمه الله يقول ما دخلت في صلوة قط فاهمني فيها الا ما اقول وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله
رحمه الله من خاشعي المصلين كان اذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدث النسا بما يريدون في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا
يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلوة بشي قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى
الدارين وقيل وهل تجد شيئا مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في احب الي من ان اجد في الصلوة
ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطا ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد نقلنا انه لم يشعر بسقوط اسطوانة
المسجد وتاكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلوة لا يحس بما يجري عليه
فقطعت وهو في الصلوة وقال بعضهم الصلوة من الاخرة فاذا دخلت في الصلوة خرجت من الدنيا وقيل لاخر هل تحدث
نفسك في الصلوة بشي من الدنيا فقال لا في الصلوة ولا في غيرها وسيل بعضهم هل تذكر في الصلوة شيئا فقال وهل شي احب
الي من الصلوة فاذكره فيها وكان ابو الدردا يقول من فقه الرجل ان يبدا بحاجته قبل دخوله في الصلوة ليدخل في الصلوة وقلبه
فارغ وكان بعضهم يخفف الصلوة خيفة الوسواس فروي ان عمار بن ياسر صلى صلوة فاخفها فقيل له خففت يا ابا
اليقظان فقال هل رايتموني نقصت من حدودها شيئا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد
من صلاته ما يعقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطايفة من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا اخف الناس صلوة وقالوا
نبادر بها وسوسة الشيطان وروي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما اكمل
لله تعالى صلوة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها وسيل ابو العالية عن قوله تعالى الذين
هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف اعلى شفع ام على وتر وقال الحسن رحمه الله هو الذي
يسهو عن وقت الصلوة حتى تخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلاها في اول الوقت لم يفرح وان اخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى
تعجيلها برا ولا تاخيرها اثما واعلم ان الصلوة قد يحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول
ان الصلوة في الصحة لا تتجزى ولكن ذلك له معنى اخر ذكرناه فهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد جبر نقصان الفرايض
بالنوافل وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرايض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضت عليه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلوة فترك من قراءته اية فلما
انفتل قال ماذا قرات فسكت القوم فسال ابي بن كعب فقال قرات سورة كذا وتركت اية كذا فما ندري انسخت ام رفعت فقال
انت لها يا ابي ثم اقبل على الاخرين فقال ما بال اقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون
ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل فعلوا كذا فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل لقومك تحضروني ابدانكم وتعطوني
السنتكم وتغيبون عني باطلها ما تذهبون وهذا يدل على ان استماع ما يقرا الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم

المعروف

ان العبد يسجد السجدة عنده انه تقرب بها الى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته هلكوا قيل وكيف ذلك قال
يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات
والاخبار مع ما سبق على ان الاصل في الصلوة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله
بالصواب **الباب الرابع في الامامة والقدوة** وعلى الامام وظايف قبل الصلوة وفي القراءة وفي اركان الصلوة
وبعد السلام اما الوظايف قبل الصلوة **فست** اولها ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر
الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الحديث ثلثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم العبد
الابق والمراة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهيتهم فينهى عنه
ان كان وراءه من هو افقه واقرا منه الا اذا امتنع من هو اولى به فله التقدم فان لم يكن شي من ذلك فليتقدم
مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد
اقامة الصلوة فخسف بهم وما روي من مدافعة الصحابة فسببه ايثارهم من راوه اولى بها او خوفهم على انفسهم
السهو وخطر ضمان صلاتهم فان الائمة ضمنا وكان من لم يتعود ذلك ربما اشتغل قلبه ويتشوش عليه
الاخلاص في الصلوة حيا من المقتدين لا سيما في جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز اسباب من هذا الجنس **الثانية**
اذا خير المرء بين الاذان والامامة فينبغي ان يختار الامامة فان لكل واحد فضلا ولكن الجمع مكروه فينبغي ان يكون
الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال قائلون الاذان اولى لما نقلناه في فضيلة الاذان ولقوله
صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فيه خطر الضمان وقال ايضا الامام امين فاذا ركع
فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه ولا عليهم ولانه عليه السلام قال اللهم
ارشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر من اذن في مسجد سبع
سنين وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب فلذلك نقل عن الصحابة رضي الله عنهم
انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمر والائمة رضوان الله عليهم نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما ان رتبة الامارة والخلافة افضل
لقوله صلى الله عليه وسلم ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم
الافضل والافقه قال صلى الله عليه وسلم ائمتكم شفعاؤكم او قال وفدكم الى الله تعالى فاذا اردتم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وقال
بعض السلف ليس بعد الانبيا افضل من العلما ولا بعد العلما افضل من الائمة المصلين لان هؤلا قاموا بين يدي
الله وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلوة وبهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم
ابي بكر للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلوة عماد الدين فاخترنا للدنيا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روي انه قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة
فقال كن مؤذنا قال لا استطيع قال كن اماما قال لا استطيع فقال صل بازا الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة
وتقديمهم اياه ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليه **الثالثة** ان يراعي الامام اوقات الصلوة فيصلي اوايلها
ليدرك رضوان الله ففضل اول الوقت على اخره كفضل الاخرة على الدنيا هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلوة في اخر وقتها ولم تفته ولما فاته من اول وقتها خير له من الدنيا وما فيها
ولا ينبغي ان يؤخر الصلوة لانتظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل من كثرة
الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا حضر اربعة
في الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوة الفجر وكانوا في سفر وانما تاخر
للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا
من ذلك فقال قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر في صلوة الظهر فقدموا ابا بكر حتى جا وهم في الصلوة فقام الى جانبه

مقوت لله تعالى في الدنيا والاخرة وفي خبر آخر كانما احيى موؤودة وقد قال ايضا صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل بحديث
ثم التفت فهو امانة وقال المجالس بالامانة الا ثلث مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام
ومجلس يستحل فيه مال حرام من غير حله وقال عليه السلام انما يتجالس المتجالسان بالامانة لا يحل لاحدهما ان يفشي
على صاحبه ما يكره قيل لبعض الادبا كيف حفظك للسر قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب
الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفا ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب
مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر فقال اجحد المخبر واحلف
للمستخبر وقال آخر استره واستر اني استره وعبر عنه ابن المعتز وقال هذا البيت ومستودعي سرا تبوات كتمه
فاودعته صدري فصار له قبرا وقال آخر واراد الزيادة عليه وما السر في صدري كثاو بقبره لاني ارى المقبور ينتظر النشرا
ولكنني انساه حتى كانني بما كان منه لم احط ساعة خبرا ولو جاز كتم السر بيني وبينه عن السر والاحشا لم يعلم السرا
وافشى بعضهم سرا له الى اخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تواخي
رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يساله عنك وعن اسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقيل لابي يزيد
من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا
يحب ان يراك الا معصوما ومن افشى السر عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة
كلها وقال بعض الحكما لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان
يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال ولذلك قيل شعر وترى الكريم اذا تصرم وصله
يخفي القبيح ويظهر الاحسانا وترى اللئيم اذا تقضى وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا وقال العباس لابنه عبد الله
اني ارى هذا الرجل يعني عمر يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تجرين
عليه كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من الف ومن ذلك ع
السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيوذيك ولا حليما فيقليك
وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك المرا وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك وهو محق بني له بيت في اعلى
الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل اعظم لان السكوت عن الحق اشد على النفس من السكوت
على الباطل وانما الاجر على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمناقشة فانها
عين التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع اولا بالآرا ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تدابروا
ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المر
من الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق
او الى الغفلة والسهو عن فهم الشي على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش وفي حديث ابي
امامة الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المرا لقلة خيره
ذروا المرا فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقال بعض السلف من لاحى الاخوان وماراهم قلت
مروته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم او مفاجاة
لئيم وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة
توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة الف رجل وعلى الجملة فلا
باعث على المماراة الا اظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل
على التكبر والاحتقار والايذا والشتم بالحمق والجهل ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف تضامنه الاخوة ما تضامنه تجتمع معه
والمصافاة وقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده
موعدا فتخلفه وقد قال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق

والمماراة تضاد حسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة الى تحديد لم يروا السؤال ايضا وقالوا اذا
قلت لاخيك قم فقال الى اين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي ان يقوم ولا يسال قال ابو سليمان الداراني كان لي اخ
بالعراق فكنت اجيئه في النوايب فاقول اعطني من مالك شيا فكان يلقي الي كيسه فآخذ منه ما اريد فجئته ذات
يوم فقلت احتاج الى شي فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخايه من قلبي وقال آخر اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع
فقد ترك حق الاخا واعلم ان قوام الاخوة بالموافقة في الكلام والفعل وبالشفقة قال ابو عثمان الحيري موافقة
الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال الحق الرابع على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره
تقتضي ايضا النطق بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور وانما تراد الاخوان ليستفاد
منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه كف الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب
ان يتفقد فيها كالسوال عن عارض ان عرض واظهار شغل القلب بسببه واستبطا العافية عنه وكذا جملة احواله
التي يكرهها ينبغي ان يظهر بلسانه وافعاله كراهتها وجملة احواله التي يسر بها ينبغي ان يظهر بلسانه مشاركته
له في السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة في السرا والضرا وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما
امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف انك تحبه احبك بالطبع لا محالة واذا عرفت انه ايضا يحبك زاد
حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المومنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين
ولذلك علم فيه الطريق فقال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا ومن ذلك ان تدعوه باحب اسمايه اليه في غيبته وحضوره
قال عمر رضي الله عنه ثلث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمايه ل محاسن
اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يوثر هو الثنا عنده فان ذلك من اعظم الاسباب في جلب
المحبة وكذلك الثنا على اولاده واهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع
ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه وآكد من ذلك ان تبلغه ثنا من اثنى عليه مع
اظهار الفرح به فان اخفا ذلك محض الحسد ومن ذلك ان تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتم قال علي رضي
الله عنه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة واعظم من ذلك تاثيرا في جلب المحبة الذب عنه في
غيبته مهما قصد بسو او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمر في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت
وتغليظ القول عليه فالسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله الاخوين
باليدين يغسل احدهما الاخرى لينصر احدهما الآخر وينوب عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا ث
يخذله ولا يسلمه وهذا من الاسلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه فاخسس باخ يراك والكلاب
تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكن لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الاعراض اشد على النفوس من تمزيق اللحوم
ولذلك شبهه الله تعالى باكل لحوم الميتة فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا والملك الذي يمثل في المنام ما تطالعه
الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة باكل لحم الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميتة فانه يغتاب
الناس لان ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشي ومثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح
لا في ظاهر الصورة فاذن حماية الاخوة بدفع ذم الاعدا وتعنت المتعنتين واجب في عقد الاخوة وقد قال مجاهد لا تذكر
اخاك في غيبته الا كما تحب ان يذكرك في غيبتك فاذن لك فيه معياران احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك
حاضرا ما الذي كنت تحب ان يقوله اخوك فيك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني ان تقدر انه حاضر من ورا جدار
يسمع قولك ويظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومراى ينبغي ان يكون في مغيبه
كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر اخ لي بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان يسمع لو حضر وقال آخر ما ذكر لي اخ لي الا تصورته
في صورتي فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه الا ما يراه لنفسه نظر ابو الدردا الى
ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الآخر

وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره **الرابعة** ان يؤم
مخلصا لوجه الله تعالى ومؤديا امانة الله في طهارته وجميع صلاته **اما الاخلاص** فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن ابي العاص الثقفي فقال اتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا فالاذان طريق الى الصلاة فهي
اولى بان لا ياخذ عليه اجرا فان اخذ رزقا من المسجد وقد وقف على من يقوم بامامته او من السلطان او من احاد الناس فلا
يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهة في الفرايض اشد منها في التراويح ويكون اجرة له على مداومته على حضور
المواضع ومراقبة مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة **واما الامانة** فهي الطهارة باطنا عن الفسوق والكباير
والاصرار على الصغاير فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك جهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان يكون
خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في اثناء صلاته حدثا او خرج منه
ريح فلا ينبغي ان يستحيي بل ياخذ بيد من يقرب منه وليستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في اثناء الصلاة
فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة وقال سفيان صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر او معلنا بالفسق او عاقا لوالديه
او صاحب بدعة او عبدا ابقا **الخامسة** ان لا يكبر حتى يستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا امر بالتسوية
قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة
عن الاذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه
والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهى عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب **السادسة**
ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وساير التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا قدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل
فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة
الامام هنيهة من بعد فراغه **وظائف القراءة ثلاث اولها** ان يسر دعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة
والسورة في جميع الصبح واوليي العشاء والمغرب وكذا المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم
تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة واختيار الشافعي الجهر **الثانية**
ان يكون للامام في القيام ثلاث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوليهن اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته دعاء الاستفتاح فانه ان لم
يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقرؤوا الفاتحة في سكتته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه
والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرأ الفاتحة في السكتة الاولى فاتحته وهي نصف السكتة الاولى والسكتة
الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرأ
المأموم وراء الامام الا الفاتحة فان لم يكن يسكت الامام قرأ الفاتحة معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع المأموم في الجهرية
لبعده او كان في السرية فلا باس بقراءة السورة **الثالثة** ان يقرأ في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة
في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا باس ان يقرأ في الثانية باواخر السور نحو الثلاثين او العشرين
الى ان يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ في الوعظ وادعى الى التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض اول
السورة وقطعها وقد روي انه عليه السلام قرأ قصة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وقد روي انه قرأ
في الفجر آية من البقرة وهي قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وفي الثانية ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول وسمع بلالا يقرأ
من ها هنا وها هنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال احسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل الى ثلاثين آية
وفي العصر نصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها بسورة
المرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف اولى لا سيما اذا كثر الجمع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة اذا
صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء الله وقد كان معاذ بن جبل
يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

96

فزجره رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وقال أفتان انت يا معاذ اقرأ بسورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها
وظائف الاركان ثلاث اولها ان يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلث فقد روي عن انس رضي
الله عنه انه قال ما رايت اخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام نعم روي ايضا ان انس بن مالك رضي الله
عنه لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان اميرا بالمدينة قال ما صليت وراء احد اشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا
الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود
عشرا فذلك حسن ولكن الثلاث اذا كثر الجمع احسن فاما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا باس بالعشر فهذا وجه الجمع بين
الروايات وينبغي ان يقول الامام عند رفع راسه من الركوع سمع الله لمن حمده **الثانية المأموم** ينبغي ان لا يساوي الامام
في الركوع والسجود بل يتاخر فلا يهوي للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام الى الارض هكذا كان اقتداء الصحابة برسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي للركوع حتى يستوي الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة اقسام
طايفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الامام وطايفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه
وطايفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الامام وقد اختلف في ان الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال به فضل الجماعة
وادراكهم تلك الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا باس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك
التطويل عليهم **الثالثة** لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه بالدعاء بل يأتي بصيغة
الجمع ويقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اللهم اغفر لي فقد كره للامام ان يخص نفسه ولا باس ان يستعيذ في تشهده بالكلمات
الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات
ومن فتنة المسيح الدجال واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لانه يمسح الارض
بطولها وقيل لانه ممسوح العين اي مطموسها **وظائف التحليل ثلاث اولها** ان ينوي بالتسليمتين السلام على القوم
والملائكة **الثانية** ان يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضوان الله عليهما
فيصلي النافلة في موضع اخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور انه عليه السلام لم يكن يقعد الا
قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام **الثالثة** اذا وثب فينبغي ان يقبل على الناس
بوجهه ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الامام وروي عن طلحة والزبير رضي الله عنهما انهما صليا خلف امام
فلما سلما قالا للامام ما احسن صلاتك واتمها الا شيئا واحدا انك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما احسن
ما صليتم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب هذه
وظيفة الصلاة **اما الصبح فيزيد فيها القنوت** فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن
المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه او يقول بلى وانا على
ذلكم من الشاهدين او قال صدقت وبررت وما يشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فاذا صح الحديث
استحب ذلك وان كان على خلاف ذلك في آخر التشهد اذ لا يرفع بسببه اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما ايضا
فرق وهو ان لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما هاهنا فلا يبعد
ان يكون رفع اليد هو الوظيفة في القنوت فانه لائق بالدعاء فهذه جمل آداب القدوة والامامة **الباب الخامس**
في آداب الجمعة وفضلها وسننها وشروطها فضيلة الجمعة اعلم ان هذا يوم عظم الله به الاسلام وخص
به المسلمين قال الله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله فحرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل
صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى
الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف
رجل الى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن رجل مات ولم يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار وفي الخبر ان اهل الكتابين
اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له واخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم وهم اول الناس

وبالموافقة يتم الإخلاص ومن لم يكن مخلصا في إخائه فهو منافق والإخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب
والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ووليجة في
طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من المواخاة والمصاحبة فإن حق الصحبة ثقيل
لا يطيقه إلا محقق ولا جرم لا يجز بل لا يناله إلا الموفق ولذلك قال عليه السلام أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما
وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة والإسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الإيمان
وفضل الإسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فإن الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة
في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي إلا حقوقا قريبة في أوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم
والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده
إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فإن علمته وأرشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل
وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن
ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة
إذ قال عليه السلام المؤمن مرآة المؤمن أي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد
لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقيل لمسعر أتحب من يخبرك بعيوبك فقال إن نصحني
فيما بيني وبينه فنعم وإن قرعني في الملأ فلا وقد صدق فإن النصح على الملأ افتضاح والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة
تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله مختوما إلى الملائكة الذين يحفون به إلى الجنة فإذا
قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختوما ليقرأه وأما أهل المقت فينادون على رؤوس الأشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم
فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالإسرار
والإعلان كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء فإذا أغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من إصلاح
أخيك بالإغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن وقال ذو النون
لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة فإن قلت إذا
كان في النصح ذكر العيوب وفيه إيحاش للقلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة فاعلم أن الإيحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه
أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب أعني قلوب العقلاء وأما الحمقى فلا يلتفت
إليهم فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية أو
عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي
في الآخرة مهلكات فإنها تلدغ القلوب والأرواح وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة
التي تطلع على الأفئدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه
عيوبه ولذلك قال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فألح عليه فقال بلغني أن لك حلتين تلبس
إحداهما بالنهار والأخرى بالليل وبلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة واحدة فقال رضي الله عنه أما هذان فقد كفيتهما
فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن أسباط بلغني أنك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب
لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت له لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة
الموتى فاعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين
ببغضهم للناصحين إذ قال ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه وإنما هو مقهور عليه
من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه وإن كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح
أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإيحاش فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالسكوت عنه أولى
وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه

والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السر خير
من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك
من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه قال أبو بكر الكتاني
صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له يوما شيئا على أن يزول ما في قلبي فلم يزل فأخذت بيده يوما إلى البيت وقلت له
ضع رجلك على خدي فأبى فقلت لا بد ففعل فزال ذلك عن قلبي وقال أبو علي الرباطي صحبت عبد الله المروزي وكان يدخل
البادية فقال على أن تكون أنت الأمير فقلت بل أنت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحمل على
ظهره فإذا قلت له أعطني قال ألست أنا الأمير فعليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي إلى الصباح وعليه كساء وأنا
جالس يمنع عني المطر فكنت أقول مع نفسي ليتني مت ولم أقل أنت الأمير الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات
وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب المعصية أو في حقك بتقصيره في الأخوة أما ما يكون في الدين من ارتكاب
معصية والإصرار عليه فعليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله فإن لم تقدر وبقي
مصرا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعته فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الانقطاع
وقال إذا انقلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث أحببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله وأما
أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء وجماعة من الصحابة إذا تغير أخوك وحال عما كان
فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى وقال إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه
فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا وقال أيضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا
زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من
قدم عليه وقال ما فعل أخي فقال ذلك أخو الشيطان قال مه قال إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال إذا أردت الخروج فآذني
فكتب عند خروجه إليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية ثم عاتبه
تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع وحكي أن أخوين ابتلي أحدهما بهوى
فأظهر عليه أخاه وقال إني قد اعتللت فإن شئت أن لا تعقد على صحبتي لله فافعل فقال ما كنت لأحل عقد أخوتك
لأجل خطيئتك أبدا ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله أخاه من هواه فطوى أربعين يوما
في كلها يسأله عن هواه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه
بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزلا وضرا وكذلك حكي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما
عن الاستقامة فقيل لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان إلي في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن آخذ بيده وأتلطف
له في المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه وروي في الإسرائيليات أن أخوين عابدين في جبل نزل أحدهما ليشتري
من المصر لحما بدرهم فرأى بغية عند اللحام فرمقها وعشقها فواقعها ثم أقام عندها ثلاثا واستحيى أن يرجع إلى أخيه
من جنايته قال فافتقده أخوه واهتم بشأنه فنزل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه فدخل إليه وهو جالس
معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر معرفته لفرط استحيائه منه فقال قم يا أخي فقد علمت شأنك وقصتك
وما كنت قط أحب إلي ولا أعز من ساعتك هذه فلما رأى أن ذلك لم يسقطه عن عينه قام فانصرف معه فهذه
طريقة قوم وهي ألطف وأفقه من طريقة أبي ذر رضي الله عنه وطريقته أحسن وأسلم فإن قلت هذا ألطف وأفقه
ولم قلت
ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بعلة فالقياس أن يزول بزوالها
وعلة عقد الأخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية فأقول أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق
والاستمالة والتعطف المفضي إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة
أصر واستمر وأما كونه أفقه فمن حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء
بموجب العقد ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وفقره وفقر الدين أشد من فقر المال وقد أصابته جائحة وألمت به آفة

به ضيعها أهل الكتابين لهم تبع وفي حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل صلوات الله عليه في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم أعطاه الله إياه أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه إلا أعاذه الله تعالى من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله تعالى يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة وفي الخبر إن لله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفي حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام وقال صلى الله عليه وسلم إن الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسعر فيه وقال كعب إن الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ويقال إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر

بيان شروط الجمعة اعلم أنها تشارك سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط **الأول الوقت** فلو وقعت تسليمة الإمام في وقت العصر فاتت الجمعة فعليه أن يتمها ظهرا والمسبوق إذا وقعت ركعته الأخيرة خارجة من الوقت ففيه خلاف **الثاني المكان** فلا تصح في الصحاري والبراري وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل يجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه **الثالث العدد** فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فإن انفضوا حتى نقص العدد إما في الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر **الرابع الجماعة** فلو صلى أربعون في قرية أو بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الباقية وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر وإذا سلم الإمام تممه ظهرا **الخامس** أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى في تلك البلدة فإن تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة بقدر الحاجة فإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع بها التحريم أولا وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الإمامين فإن تساويا فالمسجد الأقدم فإن تساويا ففي الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى **السادس الخطبتان** فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض التحميد وأقله الحمد لله **والثانية** الصلاة على رسول الله **والثالثة** الوصية بتقوى الله **والرابعة** قراءة آية من القرآن وكذا فرائض الثانية أربع إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبة واجب على الأربعين **وأما السنن** فإذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه ولا يلتفت ويشغل يديه بقائمة السيف والعنزة كيلا يعبث بهما أو يضع إحداهما على الأخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة جامعة قصيرة بليغة ويستحب أن يقرأ آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جوابا والإشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطس أيضا هذه شروط الصحة **فأما شروط الوجوب** فلا تجب الجمعة إلا على ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات وفي قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة بعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة وإن حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة

وهي عشر جمل الأول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف إن لله فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الأشغال التي تمنعه من البكور إلى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموما إلى يوم الخميس أو يوم السبت لا مفردا فإنه مكروه ويشتغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع أهله في هذه الليلة أو في يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم وحملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الأهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا يتم آداب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف أوفر الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس وأخسهم نصيبا من إذا أصبح يقول إيش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لأجلها **الثاني** إذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر وإن كان لا يبكر فأقربه إلى الرواح أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء إلى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم من أتى الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا وكان أهل المدينة يتسابون فيقولون لأنت أشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وبما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل يوم الجمعة فإن اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال للجمعة فقال بل من جنابة فقال أعد غسلا ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه وكان لا يبعد أن يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء وإلا فقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله والأحب أن يحترز عن ذلك **الثالث الزينة** وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلاثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة **أما النظافة** فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود رضي الله عنه من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه شفاء فإن كان قد دخل الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود وليتطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والراحة إلى مشام الحاضرين في جواره وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه روي ذلك في الأثر وقال الشافعي رحمه الله من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله **وأما الكسوة** فأحبها البيض من الثياب إذ أحب الثياب إلى الله البيض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة فإن أكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ولا في وقت الصلاة وعند صعود الإمام المنبر وفي الخطبة **الرابع** البكور إلى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاثة وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد إلى الصلاة قاصدا للمبادرة إلى جواب نداء الله إياه إلى الجمعة والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف

ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة

افتقر بسببها في دينه فينبغي أن يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من الواقعة التي ألمت به والأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من أشد النوائب والفاجر إذا صحب تقيا وهو ينظر إلى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحيي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحريص على العمل فيحرص حياء منه قال جعفر بن سليمان مهما فترت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع نشاطي إلى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه أسبوعا وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز أن يهجر بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه في عشيرته فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ولم يقل إني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا فقال إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم أيما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخي إذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من أخ لم تلده أمك ولذلك قيل القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى القرابة وقال جعفر الصادق مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فإذن الوفاء بعقد الأخوة إذا سبق انعقادها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي أن تقاطع بل تجامل والدليل عليه أن ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس بمذموم ولا مكروه بل قال قائلون الانفراد أولى فأما قطع الأخوة عن دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله من ترك النكاح قال عليه السلام شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة وقال بعض السلف في زلات الإخوان ود الشيطان أن يلقي على أخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا اتقيتم من محبة عدوكم وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة العصيان من محابه فإن حصل للشيطان أحد غرضيه فلا ينبغي أن يضاف إليه الثاني وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة إذ قال مه وزبره وقال لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم فبهذا كله تتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الإخوان والأحباب أيضا محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الأخوة أولى هذا كله في زلته في دينه أما زلته في حقه بما يوجب إيحاشه فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة فقد قيل ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرا فإن لم يقبله قلبك فقل لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله فأنت المعيب لا أخوك فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل قال الأحنف حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وقال آخر ما شتمت أحدا قط لأن الذي يشتمني إن كان كريما فأنا أحق من غفرها أو لئيما فلا أجعل عرضي له غرضا ثم تمثل **وقال الشاعر**

وأغفر عوراء الكريم ادخاره … وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقد قيل خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر فالعمر أقصر من معاتبة الخليل على الغير ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره قال عليه السلام من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس وقد قال عليه السلام المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فلم يصفه بأنه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يجرح الإنسان فلا يتألم بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع للقلب لا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فإنه يقتضي التشفي والانتقام والمكافأة وترك العمل بمقتضاه ممكن **وقد قال الشاعر**

ولست بمستبق أخا لا تلمه … على شعث أي الرجال المهذب

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري

إذا وافيت أخا في الزمان فلا تعاتبه على ما يكرهه فإنك لا تأمن أن ترى في بدله ما هو شر من الأول قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي أن لا تبالغ في البغضة عند الوقيعة قال الله تعالى عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وقال عليه السلام أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما وقال عمر لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك

الحق السادس الدعاء للأخ في حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفي لفظ آخر يقول الله تعالى بك أبدأ عبدي وفي الحديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه وفي الحديث دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد وكان أبو الدرداء يقول إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت وما صرت إليه يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى وكان الأخ الصالح يقتدي بالملائكة إذ جاء في الخبر إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب كأنه شهد جنازته وصلى عليه وروي عن النبي عليه السلام مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية

الحق السابع الوفاء والإخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فإن الحب إنما يراد للآخرة فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روي أنه عليه السلام أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الإيمان فمن الوفاء مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ نفسه فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فإنه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله أو متحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم وقال مخبرا عن يوسف من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله فيفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما وكان بشر يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه وذلك لأن مجالسة الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك ألذ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال الغرض ومن ثمرات المودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم قال الشاعر

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا … من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استغنيت لم يطمع فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك وقال بعض الحكماء إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع أن الشافعي آخى رجلا ببغداد ثم إن أخاه ولي السيبين فتغير له عما كان فكتب إليه الشافعي رضي الله عنه هذه الأبيات

اذهب فودك من فؤادي طالق … أبدا وليس طلاق ذات البين

فإن ارعويت فإنها تطليقة … ويدوم ودك لي على ثنتين

وإن امتنعت شفعتها بمثالها … فيكون تطليقين في حيضين

فإذا الثلاث أتتك مني بتة … لم يغن عنك ولاية السيبين

ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جا بعد ذلك فانما جا لحق الصلوة ليس له من الفضل شي
والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حين ترمض الاقدام
والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى وقت الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلوة لا فضل فيه قال صلى
الله عليه وسلم ثلث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال احمد بن حنبل
افضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة
واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجا في الاثر ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تاخر عن وقته يوم
الجمعة فيسال بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه
وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك
وكان يرى في القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون بها الى الجامع
كايام العيد حتى اندرس ذلك فقيل اول بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لا يستحيي المومنون من اليهود
والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنايس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الجامع للبيع
والربح فلم لا يسابقهم طالب الاخرة ويقال الناس يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل
ابن مسعود رضي الله عنه بكرة فراى ثلثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول لنفسه معاتبا اياها رابع
اربعة وما رابع اربعة ببعيد الخامس في هيئة الدخول فينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم والبكور
يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في تخطي رقاب الناس وهو انه يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس
وروى ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم
فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلوته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال
يا نبي الله قد جمعت معكم فقال اولم اراك تتخطى رقاب الناس اشار به الى انه احبط عمله وفي حديث مسند انه قال ما
منعك ان تصلي معنا فقال اولم ترني فقال رايتك انيت واذيت اي تاخرت عن البكور واذيت الحضور ومهما كان الصف
الاول متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن رحمه الله تخطوا
رقاب الناس الذين يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي ان
لا يسلم فانه تكليف جواب في غير محله السادس ان لا يمر بين يدي الناس ويجلس هو الى قرب من اسطوانة او
حائط حتى لا يمروا بين يديه اعني بين يدي المصلي فان ذلك لا يقطع الصلوة ولكنه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم
لان يقف اربعين سنة خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقال لان يكون الرجل رمادا رمددا تذروه الرياح خير له
من ان يمر بين يدي المصلي وقد روي في حديث اخر في المار والمصلي حيث صلى على الطريق او قصر في الدفع فقال
لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين خيرا له من ان يمر بين يديه والاسطوانة
والحائط والمصلى المفروش حد المصلي فمن اجتازه فينبغي ان يدفعه قال صلى الله عليه وسلم ليدفعه فان ابى فليدفعه
فان ابى فليقاتله فانه شيطان وكان ابو سعيد الخدري رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق
به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه
شيا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده السابع ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه وفي الخبر
من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلثة ايام
وفي لفظ غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف الاول عن
ثلثة امور اولها انه لو كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او صلوة
في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح مذهب او غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتاخر له اسلم واجمع للهم فعل ذلك جماعة من
العلما طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصلي في اخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار

الى ان ذلك اسلم لقلبه ونظر سفيان الثوري رحمه الله الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من ابي جعفر فلما فرغ
من الصلوة قال شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من
لبس السواد فقال يا ابا عبد الله اليس في الخبر ادن واستمع فقال ويحك ذاك للخلفا الراشدين المهديين فاما هولا فكلما بعدت
عنهم ولم تنظر اليهم كنت اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب ابي الدردا رضي الله عنه فجعل
يتاخر في الصفوف حتى كنا في اخر صف فلما صلينا قلت له اليس يقال خير الصفوف اولها قال نعم الا ان هذه امة مرحومة
منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في الصلوة غفر له ولمن ورآه من الناس فانما تاخرت رجاء ان يغفر لي
بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تاخر على هذه النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا باس وعند هذا يقال الاعمال
بالنيات ثانيها انه ان لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد
كره بعض العلما دخول المقصورة وكان الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة وراوا انها قصرت على السلطان
وهي بدعة احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه
وصلى انس بن مالك وعمران بن حصين رضي الله عنهم في المقصورة ولم يكرهوا ذلك لطلب القرب ولعل الكراهة تختص
بحالة التخصيص والمنع واما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة ثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما
الصف الاول الواحد المتصل الذي في فنا المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين
يدي المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ولا يبعد ان يقال الاقرب الى القبلة هو الصف
الاول ولا يراعى هذا المعنى ويكره الصلوة في الاسواق والرقاق والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة
رضوان الله عليهم يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب الثامن ان يقطع الصلوة عند خروج الامام ويقطع الكلام
ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت
له اصل في اثر ولا خبر ولكنه ان وافق سجود تلاوة فلا باس ان يسجد للدعا لانه وقت فاضل فلا يحكم بتحريم هذا السجود
فانه لا سبب لتحريمه وقد روي عن علي وعثمان رضي الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت فله
اجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه والامام يخطب
انصت او صه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي ان يكون باشارة
او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه لما سال ابيا رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم
يخطب فقال متى انزلت هذه السورة فاومى اليه ان اسكت فلما نزل صلى الله عليه وسلم قال له ابي اذهب فلا جمعة
لك فشكاه ابو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق ابي وان كان بعيدا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره
بل يسكت لان ذلك يتسلسل ويفضي الى هيمنة تنتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد
فلينصت وهو المستحب واذا كان تكره الصلوة في وقت خطبة الامام فالكلام اولى قال علي رضي الله عنه تكره
الصلوة في اربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلوة والامام يخطب التاسع ان يراعي في قدوة الجمعة
ما ذكرناه في غيرها واذا سمع قراءة الامام لم يقرا سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرا الحمد سبع مرات قبل ان يتكلم
وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا فروي عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان
حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك
عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك فيقال من داوم على هذا الدعا اغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من
حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر انه عليه السلام كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى
ابو هريرة اربعا وروى علي وعبد الله ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكمل افضل العاشر ان يلازم المسجد
حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو الافضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب
عمرة فان لم يامن التصنع ودخول الافة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته

فاعلم انه ليس من الوفا موافقة الاخ فيما يخالف الحق في امر يتعلق بالدين بل من الوفا له المخالفة فقد كان الشافعي اخى محمد بن
عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي رضي الله عنه فقال
مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه واتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري اليه وظن الناس لصدق مودتهما
انه يفوض امر حلقته بعد وفاته اليه فقيل للشافعي رضي الله عنه في علته التي مات فيها الى من نجلس بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف
له محمد بن عبد الحكم وهو عند راسه ليومي اليه فقال الشافعي سبحان الله ايشك في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال اصحابه
الى البويطي مع ان محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي افضل واقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعي لله
وللمسلمين وترك المداهنة ولم يوثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب
ابيه ودرس كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك رضي الله عنه واثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في
الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب الان الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما صنفه البويطي ولكن
لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره والمقصود ان الوفا بالمحبة من تمامها قال الاحنف
الاخا جوهرة رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للافات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر
من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ومن اثار الصدق والاخلاص وتمام الوفا ان تكون شديد الجزع من المفارقة نفور
الطبع عن اسبابها كما قيل وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الاخوان هينة الخطب وانشد ابن عيينة هذا
البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلثين سنة ما يخيل الي ان حسرتهم ذهبت عن قلبي ومن الوفا ان لا يسمع من
بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق
ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لا يحترز منه لم يدم مودته اصلا قال واحد لحكيم قد جئتك خاطبا
لمودتك قال ان جعلت مهرها ثلثا فعلت قال وما هي قال لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في امري ولا توطيني عشوة ومن الوفا ان لا يصادق
عدو صديقه قال الشافعي اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف
وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيا من اعبائه ولا يستمد منه
من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه
واستعانة على دينه وتقربا الى الله بالقيام بحقوقه وتحمل مونته قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه فقد ظلمهم
ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال بعض الحكما من جعل نفسه عند الاخوان
فوق قدره اثم واثموا ومن جعل نفسه في قدره تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكليف
حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه قال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش احدهما من صاحبه او احتشم الا
لعلة في احدهما وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقا من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة والجاك الى اعتذار وقال الفضيل
انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهما اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المومن اخو المومن
لا ينتهبه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلثون رجلا حارث المحاسبي وطبقته حسن المسوحي وطبقته
وسري السقطي وطبقته وابن الكريني وطبقته فما تواخى اثنان في الله واحتشم احدهما من صاحبه او استوحش الا لعلة
في احدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف ويسقط بينك وبينه مونة التحفظ وكان جعفر بن محمد
يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي وقال بعض الصوفية
لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سوا وانما قال هذا
لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم
كن مع ابنا الدنيا بالادب ومع ابنا الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شيت وقال اخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت
ويعتذر اليك اذا اسات ويحمل عنك مونة نفسك ويكفيك مونة نفسه وقايل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس
الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشروط ولا يكلفه هذه الشروط حتى تكثر اخوانه

اذ يكون به مواخيا في الله والا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا
الزمان اين اخ في الله فاعرض الجنيد حتى اعاده ثلثا فلما اكثر قال له ان اردت اخا يكفيك مونتك ويتحمل اذاك
فهذا لعمري قليل وان اردت اخا تحمل انت مونته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك فسكت الرجل واعلم
ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا
على ان تنفعه وتتضرر به وهو الاحمق او السيء الخلق فهذا الثالث ينبغي ان تجتنبه فاما الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع في الاخرة
بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به وقد اوحى الله الى موسى ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي ان واسيتهم واحتملت
منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن
كانت هذه شيمته كثر اخوانه ومن التخفيف وترك التكلف ان لا يعترض في نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية
يصطحبون على شرط المساواة بين اربع معان ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر
كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم ويستوي حالاته عنده بلا مزيد
ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الريا والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته
ومن خفت مونته دامت مودته وقال بعض الصحابة ان الله تعالى لعن المتكلفين وقال عليه السلام انا والا
تقيا من امتي برآء من التكلف وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده
ودخل الخلاء ونام وصلى فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهو ان يحضر مع الاهل في بيت اخيه ويجامعها
لان البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الامور الخمس والا فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد
تم الاتحاد وارتفعت الحشمة وتاكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير الى ذلك اذ تقول مرحبا واهلا وسهلا
اي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا اهل تانس بهم بلا وحشة منا ولك عندنا سهولة
في ذلك كله اي لا يشتد علينا شي مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكليف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن بهم
ويسي بنفسه فاذا راهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم قال ابو معوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف
قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني وقد قال عليه السلام المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من
لا يرى لك مثل ما ترى له فهذه اقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في روية الفضل للاخ ولذلك قال
سفين اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر الناس اي ينبغي ان تكون معتقدا ذلك في نفسك ابدا وسياتي
وجه ذلك في كتاب العجب والكبر وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان نظما في هذا المعنى تذلل لمن ان تذللت له
يرى ذاك للفضل لا للبله وجانب صداقة من لا يزال على الاصدقا يرى الفضل له وقال اخر كم صديق عرفته بصديق
صار احظى من الصديق العتيق ورفيق رايته في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي ومهما راى الفضل لنفسه فقد
احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال عليه السلام بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط
وترك التكلف ان يشاور اخوانه في كل ما يقصده ويقبل اشاراتهم فقد قال الله تعالى وشاورهم في الامر وان لا يخفي عنهم شيا
من اسراره كما روي عن يعقوب بن اخي معروف قال جا اسود بن سالم الى عمي معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر بن
الحرث يحب مواخاتك وهو يستحي ان يشافهك بذلك وقد ارسلني اليك يسالك ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة
يحتسبها ويعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره
كثرة الالتقا فقال معروف اما انا لو اخيت احدا لم احب مفارقته ليلا ولا نهارا ولزرته في كل وقت ولاثرته على نفسي في
كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب في الله احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله
عنه فشاركه في العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل بناته واحبهن اليه وخصه بذلك لمواخاته واني اشهدك اني قد
عقدت له اخوة بيني وبينه وعقدت اخاه في الله لرسالتك ولمسالته على ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني ازوره
متى احببت وامره ان يلقاني في مواضع نلتقي فيها وامره ان لا يخفي علي شيا من شانه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر ابن سالم

ذاكرا لله تعالى متفكرا في آلائه شاكرا على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته
الساعة الشريفة ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس
زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم **بيان الآداب والسنن الخارجة
عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة الأول** أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد الصلاة
أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي أن يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات
والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي أن يحضر الحلق قبل الصلاة روى عن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا أن يكون عالما بالله يذكر
بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه ليكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع
العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى أبو ذر رضي الله عنه أن حضور مجلس علم أفضل من صلاة
ألف ركعة وقال أنس بن مالك في قوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله أما انه ليس
بطلب الدنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله وقد سمى الله العلم فضلا في مواضع قال
الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم
فتعليم العلم في هذا اليوم وتعلمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة
ويخرجون القصاص من المسجد وحضر ابن عمر رضي الله عنه الى مجلسه في الجامع فاذا قاص يقص في موضعه فقال
له قم عن مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك اليه فأرسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فأقامه ولو كان ذلك من
السنة لما حل اقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا
وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروي أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله
عنها فأرسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده
الثاني أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور أن في الجمعة ساعة شريفة لا يوافقها عبد مسلم
يسأل الله تعالى فيها شيئا الا أعطاه اياه وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس
وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر وأخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل
آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتأمر
جاريتها أن تنظر الى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار الى أن تغرب وتخبر بأن تلك الساعة
هي المنتظرة وتأثره عن أبيها صلوات الله عليه وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر
الدواعي على مراقبتها وقيل انها تتنقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق
بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها
ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضا له باحضار القلب وملازمة الذكر
والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الأحبار انها في آخر ساعة من يوم الجمعة
وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي
ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو في الصلاة قال بلى قال
فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا الى أن هذه رحمة من الله للقائمين بحق اليوم وأوان ارسالها عند
الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعاء فيهما **الثالث**
يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين
سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وتعقد
واحدة وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه أداء وأعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي

وعدته

واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جزيت نبيا عن أمته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين
تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم
وان أراد أن يزيد أتى بالصلوات المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك
ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين
قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه
به الأولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة
المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلج
حجته وارفع في أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا على سنته وتوفنا على ملته
وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين رب العالمين
وعلى الجملة كل ما أتى به من ألفاظ الصلاة ولو المشهورة في التشهد كان مصليا وينبغي أن يضيف اليه الاستغفار
فان ذلك أيضا مستحب في هذا اليوم **الرابع** قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى ابن
عباس وأبو هريرة رضي الله عنهما من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطي نورا من حيث يقرؤها الى
مكة وغفر له الى الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء
والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب أن يختم القرآن في يوم الجمعة وليلته ان قدر
وليكن ختمه القرآن في ركعتي الفجر ان قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب وبين الأذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم
وكان العابدون يستحبون أن يقرؤوا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة ويقال ان من قرأها في عشر ركعات أو عشرين
فهو أفضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
أكبر ألف مرة وان قرأ المسبعات الست في يوم الجمعة وليلتها فحسن وليس يروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورا بأعيانها
الا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة
العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وروي أنه كان يقرؤهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح
يوم الجمعة بسورة الم السجدة وسورة هل أتى على الانسان **الخامس الصلوات** فيستحب اذا دخل الجامع أن لا يجلس
حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن
يخفف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى فرغ فقال
الكوفيون ان سكت له الامام صلاها ويستحب في هذا اليوم أن يصلي يوم الجمعة أربع ركعات بأربع سور الأنعام والكهف
وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس والم السجدة وحم الدخان وتبارك الملك ولا يدع قراءة هذه السور الأربع في ليالي الجمعة
ففيه فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمه ويكثر من سورة الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح
كما سيأتي في باب التطوعات روي أنه صلى الله عليه وسلم قال صلها في كل جمعة وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يدع
هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يجعل وقته الى الزوال للصلاة وبعد الجمعة الى العصر
لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار **السادس** الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف
الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه وقال صالح بن أحمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب
وكان الى جنب أبي فأعطى رجل أبي قطعة ولم يعرفه ليناوله اياها فلم يأخذها منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا سأل
الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون
رقاب الناس الا أن يسأل قائما أو قاعدا في مكان من غير تخط وقال كعب الأحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين
مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما ثم يقول اللهم اني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك

بشرا إذا لقيتهم وتصدقه فهذه جوامع حقوق الصحبة وقد أجملناها مرة وفصلناها مرة ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك
للإخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك أما البصر فبأن
تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر إلى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقباله
عليك وكلامهم معك روي أنه عليه السلام كان يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه وما استصغاه أحد إلا ظن
أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسائله وتوجهه للجالس إليه وكان مجلسه مجلس
حياء وتواضع وأمانة وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وكان ضحك أصحابه
عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام وأما السمع فإنه تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا
للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمراء ومنازعة ومداخلة واعتراض فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتحرس
سمعك عن سماع ما يكرهون وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فإن القول فيه يطول ومن ذلك أن لا ترفع صوتك عليهم ولا
تخاطبهم إلا بما يفهمون وأما اليدان فأن لا تقبضهما عن معونتهم في كل ما يتعاطى باليد وأما الرجلان فأن تمشي وراءهم
مشي الأتباع لا مشي المتبوعين ولا تتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونك ولا تقرب منهم إلا بقدر ما يقربونك وتقوم لهم إذا أقبلوا ولا
تقعد إلا بقعودهم وتقعد حيث تقعد ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فإنها من
حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف فإذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به إلا
مسلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار
ما فيها ومن كان نظره إلى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا
وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فإنها أعلى أنواع الخدمة إذ لا وصول إليها إلا بحسن
الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة خاتمة لهذا الباب نذكر جملة من آداب المعيشة والمجالسة
ع مع أصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء إن أردت حسن المعيشة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا
هيبة منهم وتوقير في غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها فكلا طرفي قصد الأمور ذميم والنظر في عطفيك
ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات وإن جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل
أسنانك وإدخال إصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه
الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من
غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك
ولا شعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل
والإسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك
فإنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم وأخفهم في غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا
تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر
الإشارة بيدك ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك ولا تجث على ركبتيك وإذا هدأ غضبك فتكلم وإن قربك سلطان فكن منه
على حد السنان وإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك
لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقا عنده فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله
سقطة لا تنعش وزلة لا تقال وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك وإذا دخلت
مجلسا فالأدب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع وأن تحيي
بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فإن جلست فأدبه غض البصر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف
وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لموضع
البصاق ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك أو تحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فإن فعلت

هادئا [illegible] ساكنا

فأدبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الألفاظ والإعراب في الخطاب والمذاكرة
بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وإن ظهر لك المودة وأن لا تتجشأ بحضرته ولا تتخلل بعد الأكل عنده
وعلى الملك أن يحتمل كل شيء إلا إفشاء السر والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدبه ترك
الخوض في حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم وإياك أن
تمازح لبيبا أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لأن المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب
الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون وهو يميت
القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين
الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه قال عليه السلام
من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك
وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك

الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك

وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تعذر عيش الإنسان
إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته أدب والأدب على قدر حقه وحقه على
قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الإسلام وهي أعمها وإما الجوار وإما صحبة
السفر أو المكتب أو الدرس وإما الصداقة والأخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم
المحرم آكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند
النسبة حتى أن البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم
يتأكد بتأكد المعرفة وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل آكد منه والمعرفة
بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر
وكذلك الصداقة تتفاوت فإنها إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت محبة فإن ازدادت صارت خلة والخليل أقرب
من الحبيب والمحبة ما تتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب وكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا
وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فأما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن
حالة هي أتم من الأخوة وتعرفه من قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله إذ الخليل
هو الذي يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه صلى الله عليه وسلم سوى حب الله وقد
منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ عليا رضي الله عنه أخا فقال علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة
فعدل بعلي رضي الله عنه عن النبوة كما عدل بأبي بكر عن الخلة فشارك أبو بكر عليا في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة
وأهليته لو كان للشركة في الخلة مجال فإنه نبه على ذلك بقوله لاتخذت أبا بكر خليلا وكان عليه السلام حبيب الله وخليله وقد
روي أنه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال إن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى فإذن
ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة ويدخل فيهما ما وراءهما
من المحبة والخلة وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت رتب المحبة والأخوة حتى ينتهي أقصاها إلى
أن توجب الإيثار بالنفس والمال كما آثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما آثره طلحة ببدنه إذ جعل نفسه
وقاية لشخصه العزيز صلوات الله عليه ونحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الإسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار
وحق الملك أعني ملك اليمين فإن ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح حقوق المسلم هي أن تسلم عليه إذا
لقيته وتجيبه إذا دعاك وتشمته إذا عطس وتعوده إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات وتبر قسمه إذا أقسم عليه وتنصح له
إذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسه ورد جميع ذلك في أخبار وآثار
وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من حق المسلم عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو

الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لا يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه وقال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسألك ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له السابع ان يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه نفسه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روي ان من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شري الماء في المسجد من السقاء ليشربه او ليسبله حتى لا يكون مبايعا في المسجد فان البيع والشرى في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب وسبل في المسجد وبالجملة ينبغي ان يزيد في الجمعة في اوراده وانواع خيراته فان الله تعالى اذا احب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمات الوقت ويستحب في الجمعة دعوات سيأتي في كتاب الدعوات ان شاء الله تعالى

(في الحاشية: واذا مقته استعمله بسيء الاعمال في الاوقات الفاضلة)

الباب السادس في مسائل متفرقة تعم البلوى بها ويحتاج المريد الى معرفتها

فاما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه مسألة العمل القليل وان كان لا يبطل الصلوة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار وقتل العقرب الذي يخاف ويمكن قتله بضربة او ضربتين فاذا صار ثلثا فقد كثر وبطلت الصلوة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع وكان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلوة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلوة حتى يظهر الدم على يديه وقال النخعي يأخذها ويوهمها ولا شيء عليه ان قتلها وكان ابن المسيب يأخذها ويخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الاحب الي ان يدعها الا ان تؤذيه فتشغله عن صلوته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي الصلوة وقد سمعت ان الفساق يصبرون بين يدي الملوك على اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس ان يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله في نفسه ولم يحرك لسانه وان تجشأ فينبغي ان لا يرفع رأسه الى السماء وان سقط رداؤه فلا ينبغي ان يسويه وكذا طرف عمامته وكل ذلك مكروه الا لضرورة مسألة الصلوة في النعلين جائزة وان كان نزع النعلين سهلا فليست الرخصة في الخف بعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال ان جبريل عليه السلام اتاني فاخبرني ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه بالارض وليصل فيهما وقال بعضهم الصلوة في النعلين افضل لانه عليه السلام قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه سألهم ليتبين لهم سبب خلعها اذ علم انهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فاذا قد فعل كليهما فمن خلع فينبغي ان لا يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع وينقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليهما ولعل من رأى الصلوة فيهما افضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان اماما فللامام ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلاه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة مسألة اذا بزق في صلوته لم تبطل صلوته لانه فعل قليل وما يحصل به من صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اذ روى بعض الصحابة رضوان الله عليهم انه رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت الينا فقال ايكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا احد قال فان احدكم اذا دخل في صلوته فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه

ولا عن يمينه وليبزق عن شماله او تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا ودلك بعضه ببعض مسألة لوقوف المقتدي سنة وفرض اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ولكن خالفت السنة فان كان معهما رجل وقف الرجل على اليمين وهي خلف الرجل ولا يقف احد خلف الصف منفردا اما ان يدخل في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلوته مع الكراهة اما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين المقتدي والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بني له فلا يحتاج الى اتصال صف بل الى ان يعرف افعال الامام صلى ابو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد بصلوة الامام واذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق او صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وهي رابطة او يصل فعل احدهما الى الآخر وانما تشترط اذا وقف في صحن دار على يمين المسجد او يساره وبابها لاصق بالمسجد فالشرط ان يمتد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم يصح صلوة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء مسألة المسبوق اذا ادرك آخر صلوة الامام فهو اول صلوته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت في الصبح في آخر صلوة نفسه وان قنت مع الامام وان ادرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبتدئ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله عن الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها وان ادرك الامام في السجود او التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما اذا ادركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوي لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الاصلية في الصلوة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة ما لم يطمئن في الركوع والامام بعد في حد الراكعين فان لم يتم طمأنينته الا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك الركعة مسألة من فاتته الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر اولا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر اجزأه ولكن ترك الاولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء اولى وان صلى منفردا في اول الوقت ثم ادرك جماعة صلى بالجماعة ونوى صلوة الوقت والله يحتسب ايهما شاء فان نوى فائتة او تطوعا جاز وان كان قد صلى بالجماعة فادرك جماعة اخرى فلينو الفائتة او النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة مرة اخرى لا وجه له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة مسألة من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلوة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة في اثناء الصلوة رمى الثوب واتم والاحب الاستئناف واصل هذا قصة خلع النعلين حين اخبر جبريل عليه السلام بان عليه نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلوة مسألة من ترك التشهد الاول او القنوت او ترك الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الاول او فعل فعلا سهوا وكان يبطل الصلوة عمده او شك فلم يدر اصلى ثلثا او اربعا اخذ باليقين وسجد سجدتي السهو قبل السلام فان نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام وكان قد احدث بعد السلام بطلت صلوته فانه لما رغب في السجود كانه جعل سلامه نسيانا في غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلوة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود وان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد او بعد طول الفصل فقد فات مسألة الوسوسة في نية الصلوة سببها خبل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت ان انتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي كان سفيها بل كما يراه ويعلم فضله ينبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما الا اذا قام لشغل آخر او في غفلة واشتراط كون الصلوة ظهرا اداء فرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه او صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لا بد وان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلوة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه الا انك دعيت الى ان تصلي في وقت فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة

وان تحبب اليهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من امة
محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده
وتب عليه واغفر له ومنها ان يحب للكافة ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمن بن بشير سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول مثل المومنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سايره بالحمى والسهر وروى ابو موسى عنه عليه
السلام انه قال المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها ان لا يوذي احدا من المسلمين بفعل ولا قول قال عليه السلام
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال عليه السلام في حديث طويل يامر فيه بالفضايل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها
صدقة تصدق بها على نفسك وقال ايضا افضل المسلمين من سلم المسلمون من يده ولسانه وقال عليه السلام اتدرون من المسلم فقالوا
الله ورسوله اعلم فقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المومن قال من امنه المومنون على انفسهم واموالهم
قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك
ويدك وقال مجاهد يسلط على اهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم احدهم من جلده فينادى يا فلان هل يوذيك هذا فيقول نعم
فيقول هذا بما كنت توذي المومنين وقال عليه السلام لقد رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت توذي
الناس وقال ابو برزة يا رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني شيا انتفع به فقال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه
وسلم من زحزح عن طريق المسلمين شيا يوذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له حسنة اوجب له بها الجنة وقال عليه السلام
لا يحل لمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة توذيه وقال عليه السلام لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال عليه السلام ان الله يكره اذى المومن
وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مومن فلا توذه وجاهل فلا تجاهله ومنها ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان
الله لا يحب كل مختال فخور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد
ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن ابن ابي اوفى قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يانف ولا يستكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها ان لا يسمع بلاغات
الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن احمد
من نم اليك نم عليك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلثة ايام مهما غضب
عليه قال ابو ايوب الانصاري قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا
وخيرهما الذي يبدا بالسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيمة قال عكرمة قال الله تعالى
ليوسف بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين قالت عايشة ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا ان تنتهك
حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة
وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من احد تواضع لله الا رفعه الله ومنها ان يحسن الى كل من يقدر عليه منهم ما استطاع
لا يميز بين الاهل وغير الاهل روى علي بن الحسين عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف
الى اهله والى غير اهله فان لم تصب اهله فانت من اهله وباسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس العقل
بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر وقال ابو هريرة كان رسول الله لا ياخذ احد بيده فينزع
يده حتى يكون الرجل هو يرسله ولم يكن يرى ركبته خارجا عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم
لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ومنها ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه بل يستاذن ثلثا فان لم يوذن انصرف
قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستيذان ثلثة فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة
ياذنون او يردون ومنها ان يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فانه ان اراد لقا الجاهل بالعلم
والامي بالفقه والعيي بالبيان اذى وتاذى ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عليه السلام من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن قال جابر قدم
وفد جهينة

على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فاين الكبر وفي الخبر ما وقر شاب شيخا الا
قيض الله له في سنه من يوقره وهذه بشارة بدوام الحيوة فليتنبه له فلا يوفق لتوقير الشيوخ الا من قضى له بطول
العمر وقال عليه السلام لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا
ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم وكان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم
ثم يامر بهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول
بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك وراءه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك
وراءهم وكان يوتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة والتسمية فياخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح
بعض من يراه فيقول صلى الله عليه وسلم لا تزرموا الصبي فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعايه له وتسميته ويبلغ سرور
اهله فيه ولا يروا انه تاذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعد ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه
رفيقا قال صلى الله عليه وسلم اتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على اللين الهين السهل القريب وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق وقال بعضهم يا رسول الله دلني على عمل يدخلني
الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر البر شي هين وجه طليق وكلام
لين وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم ان
في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله قال لمن اطاب الكلام
واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق
الحديث ووفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح وقال انس
تعرضت للنبي صلى الله عليه وسلم امراة وقالت لي معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسي في اي نواحي السكك
شيت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضت حاجتها وقال وهب بن منبه ان رجلا من بني اسراييل صام سبعين سنة
يفطر في كل سبعة ايام فسال الله تعالى ان يريه كيف يغوي الشياطين الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال
لو اطلعت على خطيتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال
له ان الله تعالى ارسلني اليك وهو تعالى يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به اعجب الي مما مضى من عبادتك
وقد فتح الله بصرك فانظر فنظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس الا والشياطين حوله
كالذياب فقال اي رب من ينجو من هذا قال الوادع اللين ومنها ان لا يعد مسلما بوعد الا ويفي به قال صلى الله عليه
وسلم العدة عطية وقال العدة دين وقال ثلث في المنافق اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان وقال
عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وذكر ذلك ومنها ان ينصف الناس من نفسه ولا ياتي
اليهم الا بما يحب ان يوتى اليه وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلث خصال الانفاق من الاقتار
والانصاف من نفسه وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته
وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليات الى الناس ما يحب ان يوتى اليه وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا الدرداء
احسن مجاورة من جاورك تكن مومنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما قال الحسن اوحى الله الى ادم صلوات
الله عليه باربع وقال فيهن جماع الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين
الخلق فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيا واما التي لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون اليه واما التي بينك وبين الناس
تصحبهم بالذي تحب ان يصحبوك به وسال موسى صلوات الله عليه ربه تعالى فقال اي رب اي عبادك اعدل قال من
انصف من نفسه ومنها ان يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم وروي
ان عايشة كانت في سفر فنزلت منزلا فوضعت طعامها فجا سايل فقالت عايشة ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل
على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين هذا الغني فقالت رضي الله عنها ان الله انزل الناس منازل
لا بد لنا

والعلوم مفصلة بالاجمال في الذهن بحيث يطالعها النفس ويتاملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلم بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتاخر والزمان وان التقدم للعدم وان التاخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل ان العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط او التاخر او العدم او تقدم العدم او تاخر الوجود او الزمان المنقسم الى المتقدم والمتاخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله اني اعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه بالقيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة ينقطع الوسواس وهو ان يعلم ان امتثال امر الله تعالى في النية كامتثال امر غيره ثم ازيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة واقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم تتمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك في اثناء التكبير من اوله الى اخره بحيث لم يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه ان يقرن الجميع باول التكبير او اخره فان ذلك تكليف شطط اذ لو كان مامورا به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغي ان يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد فيه وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء الى معرفتها فاما العامي فربما يضره سماعه ويهيج عليه الوسواس فلذلك تركناه. مسئلة لا ينبغي ان يتقدم الماموم على الامام في الركوع والسجود والرفع منهما وفي سائر الاعمال فلا ينبغي ان يساويه بل يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان ساواه عمدا لم تبطل صلوته كما لو وقف بجنبه غير متاخر عنه وان تقدم عليه ففي بطلان صلوته خلاف ولا يبعد ان يقضى عليه بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل اهم وانما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلا للمتابعة في الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ اللائق بالمقتدى به ان يتقدم والتقدم عليه في الفعل لا وجه له الا ان يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير وقال اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار واما التاخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلوة وذلك بان يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التاخر الى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلوته وكذا ان وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الاول. مسئلة حق على من حضر الصلوة اذا راى من غيره اساءة في صلوته ان يغيره وينكر عليه وان صدر عن جهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع راسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود رضي الله عنه من راى من يسيء صلوته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد رحمه الله انه قال الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها واذا اظهرت فلم تغير اضرت بالعامة وجاء في الحديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر رضي الله عنه قال تفقدوا اخوانكم في الصلوة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا اصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على ترك الجماعة ولا ينبغي ان يتساهل فيه وقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب من تخلف عن الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذي يتخلف عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي ان يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال عليه السلام من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله ان يخرجه الى خلف ويدخل فيه اعني اذا لم يكن بالغا فهذا ما اردنا

ما قلت

الباب السابع

ان نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى وسياتي احكام الصلوة المتفرقة في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى.

الباب السابع في النوافل من الصلوات

اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم الى ثلثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلوة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوة الايام والليالي في الاسبوع وكالصلوة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وامثاله ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله بالصلوة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكانه متبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلوة بعينها وان ندب الى الصلوة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وسميت الاقسام الثلثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع اردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الاخبار والاثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الاخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة صلوة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتهما واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالخسوف والاستسقاء والى ما يتعلق باوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام.

8

يتكرر

القسم الاول ما يتكرر بتكرر الايام والليالي وهي ثمان خمس هي رواتب الصلوات الخمس وثلث وراءها وهي صلوة الضحى واحياء ما بين العشاءين والتهجد.

الاولى راتبة الصبح وهي ركعتان قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير في اوله الا ان يتعلم منازل القمر او يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنتي عشرة من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وفي الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلوة فليشتغل بالمكتوبة فانه صلى الله عليه وسلم قال اذا اقيمت الصلوة فلا صلوة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انه اداء ما وقع قبل طلوع الشمس لانه تابع للفرض في وقته وانما الترتيب بينهما سنة في التقدم والتاخر اذا لم يصادف جماعة فان صادف انقلب الترتيب وبقي اداء والمستحب ان يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة وما بين الصبح الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة.

الثانية راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي سنة موكدة واربع قبلها وهي ايضا سنة وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد الزوال يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء تفتح في هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه وتفرد به ودل عليه ايضا ما روت ام حبيبة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر رضي الله عنهما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني اختي حفصة انه كان يصلي ركعتين في بيته ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها

العشا

ان تسلم تلك البلاد فهذا المسكين يرضى بقرضي وقبضه منا ان نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرضا وروى
انه عليه السلام دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى غص وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد
على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فالقاه اليه فقال له اجلس على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه
وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به الى النبي عليه السلام وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر
النبي يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه وروي ان ظئر
رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بامي ثم اجلسها على الرداء
ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية
وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد واخدمها ووهب لها سهمانه بحنين فبيع من عثمان بن عفان رضي الله
عنه بمائة الف درهم ولربما اتيه من ياتيه وهو على وسادة جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها
تحت الذي يجلس اليه فان ابى عزم عليه حتى يفعل ومنها ان يصلح ذات البين من المسلمين مهما وجد اليه سبيلا
قال عليه السلام الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين
هي الحالقة وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين وعن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بابي انت وامي ما الذي اضحكك قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة
فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله عز وجل رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله
تعالى للطالب كيف تصنع باخيك لم يبق من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت عينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبكاء وقال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فيقول الله عز وجل
اي للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يا رب ارى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي
نبي هذا او لاي صديق او لاي شهيد هذا قال الله عز وجل لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك قال انت تملكه
قال بماذا يا رب قال بعفوك عن اخيك قال يا رب قد عفوت عنه قال الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله
الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تبارك وتعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيمة
وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وهذا يدل على وجوب الاصلاح لان ترك الكذب
واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب اكد منه وقال عليه السلام كل الكذب مكتوب الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب
خدعة او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب لامراته ليرضيها ومنها ان يستر عورات المسلمين كلهم قال عليه السلام
من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة وقال عليه السلام لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيمة وقال ابو سعيد
الخدري قال عليه السلام لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال لماعز لما اخبره لو سترته بثوبك
كان خيرا لك فاذن على المسلم ان يستر عورة نفسه فحق اسلامه واجب عليه كحق اسلام غيره قال ابو بكر رضي الله عنه
لو اخذت شاربا لاحببت ان يستره الله ولو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس
بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما اصبح قال للناس ارأيتم لو ان اماما رأى رجلا وامرأة على
فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك اذن يقام عليك
الحد ان الله لم يأمن على هذا الامر اقل من اربعة شهداء ثم تركهم ما شاء الله ان يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل
مقالتهم الاولى فقال علي مثل مقالته وهذا يشير الى ان عمر رضي الله عنه كان مترددا في ان الوالي هل له ان يقضي بعلمه
في حدود الله فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الاخبار خيفة من ان لا يكون له ذلك فيكون قاذفا باخباره
ومال رأي علي رضي الله عنه الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع لستر الفواحش فان افحشها
الزنا وقد نيط باربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه
القاضي تحقيقا لم يكن له ان يكشف فانظر الى الحكمة في حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو اعظم العقوبات ثم انظر الى

كثيف ستر الله كيف اسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فنرجو ان لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث
ان الله اذا ستر على عبد عورة في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها في الآخرة وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها اخرى
وعن عبد الرحمن بن عوف قال خرجت مع عمر ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا اذا
باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي وقال أتدري بيت من هذا قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن امية
بن خلف وهم الآن شرب فما ترى قلت ارى انا قد اتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم وهذا
يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعوية انك ان تتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت
تفسدهم وقد قال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا الناس ولا تتبعوا عوراتهم
فانه من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته وقال ابو بكر
رضي الله عنه لو رأيت احدا على حد من حدود الله عز وجل ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم
كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود اذ جاءه رجل بآخر فقال هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه فوجدوه نشوان
فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال اجلد وارفع يدك واعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء او مرط
فلما فرغ قال للذي جاء به ما انت منه قال عمه قال عبد الله ما ادبت فاحسنت الادب ولا سترت الحرمة انه ينبغي
للامام اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا ثم قال اني لاذكر اول رجل قطعه
النبي صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فقطعه فكانما اسف وجهه فقالوا يا رسول الله كانك كرهت قطعه قال عليه السلام
وما يمنعني لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم انه ينبغي للسلطان اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب
العفو وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفي رواية فكانما سفي في وجه رسول الله رماد
لشدة تغيره وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد
عنده امراة وعنده خمر فقال يا عدو الله اظننت ان الله يسترك وانت على معصية فقال وانت يا امير المؤمنين فلا تعجل
ان اكن عصيت الله تعالى واحدة فقد عصيت الله في ثلاث قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال الله عز وجل وليس البر
بان تأتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت علي وقد قال الله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية وقد دخلت
بيتي بغير اذن ولا سلام فقال عمر هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله يا امير المؤمنين لئن عفوت عني لا اعود
لمثلها ابدا فعفا عنه وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعته يقول ان الله ليدني منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول
اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب حتى اذا قرره بذنوبه وراى في نفسه انه قد هلك قال له يا عبدي
اني لم استرها عليك في الدنيا الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون
فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين وقال صلى الله عليه وسلم كل امتي معافى الا المجاهرين
وان من المجاهرة ان يعمل الرجل سوءا ثم يخبر به وقال عليه السلام من استمع خبر قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الآنك يوم القيمة
ومنها ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوبهم عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله
بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم
وقال عليه السلام كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه قال نعم يسب ابوي غيره فيسبون ابويه
وقد روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله فقال يا فلان هذه زوجتي
صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني لم اكن اظن بك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وزاد في
رواية اني خشيت ان يقذف في قلبكما شيئا وكانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته في العشر
الاواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم
امراة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين انها امراتي قال فهلا حيث لا يراك الناس ومنها ان يشفع

فصارت الركعتان قبل الظهر اكد من الاربع ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مايلا الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في علم الله وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه ياخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط مايلا الى احد الضلعين ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع ظله في اول النهار مايلا الى جهة المغرب في صوب خط ه ا ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ه ب بحيث لو مد راسه على الاستقامة الى مسقط الحجر لكان موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مايل الى احدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح الى الجانب الشرقي فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من اول الزوال في علم الله ثم يعلم على راس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا باس بمعرفته في علم الزوال

الثالثة راتبة العصر وهي اربع ركعات قبل العصر روى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر فيفعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستحب استحبابا موكدا فان دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر

الرابعة راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم رضي الله عنهم قال عبادة او غيره كان المؤذن اذا اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين وقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا فيسال اصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله بين كل اذانين صلاة لمن شا وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم والاحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان اخرت واديت قبل غيبوبة الشفق وقع اداء ولكنه مكروه واخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة واخرها ابن عمر رضي الله عنهما حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين

الخامسة راتبة العشا الاخرة وهي اربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشا الاخرة اربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلما من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب سبعة عشر كعدد المكتوبات ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتان بعده واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلث بعد العشا وهو الوتر ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فيه فقد قال صلى الله عليه وسلم الصلوة خير موضوع فمن شا اكثر ومن شا اقل فاذن اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها اكد من بعض وترك الاكد ابعد لا سيما والفرايض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها

يوشك ان لا يسلم له فريضة من غير جابر **السادسة الوتر** قال انس بن مالك رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشا بثلث ركعات يقرا في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد وجا في خبر انه كان صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار انه اذا اراد ان يدخل فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرا فيهما اذا زلزلت وسورة الهاكم التكاثر وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بركعة وثلث وخمس وهكذا بالاوتار الى احدى عشرة ركعة والرواية مترددة في ثلث عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة وكانت هذه الركعات اعني ما سميناه جملته وترا صلوته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة موكدة وسياتي فضلها في كتاب الاوراد وفي الافضل خلاف فقيل ان الايتار بركعة فردة افضل اذ صح انه عليه السلام كان يواظب على الايتار بركعة واحدة وقيل الموصولة افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما للامام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشا او بعد فرض العشا نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشا لم يصح اي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في اي وقت كان وانما لم يصح لانه خرق اجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصير به وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه ان نوى به التهجد او سنة العشا لم يكن هو من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وانما الوتر ما بعده ولكن الاظهر انه ينوي الوتر كما ينوي في الثلث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في نفسه وترا والاخر ان ينشا ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلثة وترا والركعتان من جملة الثلث الا ان وترها موقوفة على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوترها بثالثة كان له ان ينوي بها الوتر فالركعة الثالثة وتر في نفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موتران بغيرهما والوتر ينبغي ان يكون اخر صلوة الليل فيقع بعد التهجد وسياتي فضايل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد

السابعة صلوة الضحى فالمواظبة عليها من عزايم الافعال وفواضلها اما عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيها ثماني ركعات روت ام هاني اخت علي رضي الله عنهما انه صلى الضحى ثماني ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد غيرها فاما عايشة رضي الله عنها فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شا الله فلم تحد الزيادة اي انه كان يواظب على الاربع فلا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروي في حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات واما وقتها فقد روى علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ستا في وقتين اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار كما سياتي واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى اربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا مضى من النهار ربعه بازاء صلوة العصر فان وقته ان يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين الزوال الى الغروب هو افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة

النهار ويكون الضحى

الثامنة احيا ما بين العشاين وهي سنة موكدة ومما نقل عدده من فعله صلى الله عليه وسلم بين العشاين ست ركعات ولهذه الصلوة فضل عظيم وقيل انها المرادة بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقد روي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى بين المغرب والعشا فانها من صلوة الاوابين وقال صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشا في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او بقران كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وسياتي بقية فضايلها في كتاب الاوراد ان شا الله تعالى

القسم الثاني ما يتكرر بتكرر الاسابيع وهو صلوات ايام الاسبوع ولياليها لكل يوم ولكل ليلة اما الايام فنبدا فيها بيوم الاحد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

وسلم

لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى في قضا حاجته مما يقدر قال النبي عليه السلام اني اوتى فاسال
وتطلب الي الحاجة وانتم عندي فاشفعوا الي لتوجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما احب وقال معوية قال عليه السلام اشفعوا
الي لتوجروا اني اريد الامر فاوخره كي تشفعوا الي فتوجروا وقال عليه السلام ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف
ذلك قال الشفاعة تحقن بها الدما وتجر بها المنفعة الى آخر وتدفع بها المكروه عن آخر وروي عن عكرمة عن ابن عباس
ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كاني انظر اليه خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال عليه السلام للعباس الا تعجب
من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثا فقال النبي عليه السلام لو راجعتيه فانه ابو ولدك قالت يا رسول الله
اتامرني فافعل قال لا انما انا شافع ومنها ان يبدا كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه
وسلم من بدا بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدا بالسلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم
استاذن فقال النبي عليه السلام ارجع فقل السلام عليكم وادخل وروي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل في بيته وقال انس خدمت النبي ثماني حجج فقال
يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من امتي يكثر حسناتك واذا دخلت منزلك فسلم على اهل بيتك
يكثر خير بيتك وقال الله عز وجل واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال عليه السلام والذي نفسي بيده
لا تدخلون الجنة حتى تومنوا ولا تومنون حتى تحابوا الا ادلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال
افشوا السلام بينكم وقال ايضا اذا سلم المسلم على المسلم فلم يسلم عليه لعنته الملائكة واذا سلم فرد عليه صلت
عليه الملائكة سبعين مرة وقال عليه السلام الملائكة تتعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم وقال عليه السلام يسلم
الراكب على الماشي واذا سلم من القوم واحد اجزا عنهم وقال قتادة كانت تحية من كان قبلكم السجود فاعطى الله عز
وجل هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم ولا يسلم ويقول لا يمنعني الا اني
اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملائكة والمصافحة ايضا سنة مع المسلم وجا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال سلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات فجاء اخر وقال سلام عليكم ورحمة الله فقال عليه السلام عشرون فجاء اخر
فقال سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلثون وكان انس يمر على الصبيان ويسلم ويروي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه فعل ذلك وروى عبد الحميد بن بهرام انه عليه السلام مر في المسجد يوما وعصبة من النسا قعود
فاوما بيده بالتسليم واشار عبد الحميد بيده الى الحكاية قال عليه السلام ولا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام واذا
لقيتم احدهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصافحوا
اهل الذمة ولا تبدوهم بالسلام واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وقالت عايشة ان رهطا من اليهود دخلوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي عليه السلام عليكم قالت عايشة بل عليكم السام واللعنة
فقال عليه السلام يا عايشة ان الله يحب الرفق في كل شي قالت عايشة الم تسمع ما قالوا قال قد قلت عليكم وقال عليه
السلام يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال عليه السلام لا تشبهوا
باليهود والنصارى الاشارة بالاكف قال ابو عيسى اسناده ضعيف وقال عليه السلام اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم
فان بدا له فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرة وقال انس قال صلى الله عليه وسلم اذا التقى
المومنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لاحسنهما بشرا وقال عمر رضي الله عنه سمعت
النبي عليه السلام يقول اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون
وللمصافح عشرة وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال ابو هريرة قال النبي عليه السلام تمام تحياتكم بينكم المصافحة
وقال عليه السلام قبلة المسلم اخاه المصافحة ولا باس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا وروي عن عمر رضي الله
عنه قال قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم وقال كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت
يده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله ايذن لي اقبل راسك ويدك قال فاذن له ففعل وقبل ابو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله
عنهما

ان يجلس

فصافحه وقبل يده ... عن ... انه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضا فلم يرد
عليه حتى فرغ من وضوئه ورد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق
الاعاجم فقال رسول الله ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه
ملا خير منهم واطيب او قال وافضل والانحنا عند السلام منهي عنه قال انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال
لا قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح قال نعم والالتزام والتقبيل قد ورد عند القدوم من السفر وقال ابو ذر
ما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني
فكان اجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العلما ورد به الاثر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ بغرز
زيد فالقيام مكروه حتى رفعه وقال هكذا افعلوا بزيد واصحاب زيد والقيام مكروه قال انس ما كان شخص احب الينا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك وروي انه عليه السلام قال
اذا رايتموني فلا تقوموا كما يصنع الاعاجم وقال عليه السلام من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوا مقعده من النار وقال
عليه السلام لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي
وقال صلى الله عليه وسلم اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هي كرامة اكرمه بها اخاه
فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فيجلس فيه وروي انه سلم رجل على رسول الله وهو يبول فلم يجب فيكره
السلام على من يقضي حاجته ويكره ان يقول ابتدا عليك السلام قاله رجل لرسول الله فقال عليه السلام ان عليك
السلام تحية الميت قاله ثلثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ويستحب للداخل اذا
سلم ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف بل يقعد ورا الصف كان صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد اذ اقبل ثلثة نفر
فاقبل اثنان الى رسول الله واما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس خلفهم واما الاخر فادبر ذاهبا فلما فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلثة اما احدهم فاوى الى الله فاواه الله واما الثاني فاستحيى
فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان
الا غفر لهما قبل ان يفترقا وسلمت ام هاني على النبي عليه السلام فقال من هذه فقيل له ام هاني فقال عليه السلام مرحبا بام هاني
ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره روي
ابو الدردا ان رجلا نال من رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عنه رجل فقال النبي عليه السلام من رد عن عرض اخيه
كان له حجابا من النار وقال صلى الله عليه وسلم ما من امري مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه
نار جهنم يوم القيمة وعن انس عن النبي عليه السلام قال من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ادركه الله
عز وجل بها في الدنيا والاخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تبارك وتعالى بها في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه
وسلم من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيمة من النار وقال جابر وابو طلحة سمعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امري ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موضع يحب
فيه نصرته وما من امري خذل مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته ومنها تشميت
العاطس قال صلى الله عليه وسلم في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس
ويقول يهديكم الله ويصلح بالكم عن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا ويقول اذا عطس احدكم فليقل
الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت رسول الله
عاطسا ولم يشمت آخر فساله فقال انه حمد الله وانت سكت وقال عليه السلام تشميت المسلم اذا عطس ثلثا فان زاد فهو زكام
وروي انه شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر
بثوبه او بيده وروي خمر وجهه وقال ابو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله رجا ان يقول يرحمكم الله فكان يقول

يهديكم الله

انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات
واعطاه الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر
وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وحّدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى
يوم الاحد بعد صلاة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة وقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة
الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين قرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله حاجته كان حقا على
الله ان يقضي حاجته **يوم الاثنين** روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار
ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر
مرات وصلى على النبي عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين
اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله احد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي
عشرة مرة ينادى به يوم القيامة اين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل
الجنة فيستقبله مائة الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلألأ **الثلثا** عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلثا عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي حديث اخر عند ارتفاع النهار
يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما
فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة **الاربعا** ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعا اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية
الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات والمعوذتين ثلث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل
فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنه شدائد القيامة ورفع له من يومه
عمل نبي **الخميس** عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس
بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل هو
الله احد مائة مرة ويصلي علي مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان وشهر رمضان وكان له من الثواب
مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه حسنة **الجمعة** روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الجمعة صلاة ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح او
اكثر من ذلك فتوضأ ثم اسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحا
عنه مائتي سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثماني ركعات رفع الله له
في الجنان ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له الفا ومائتي حسنة ومحا عنه الفا
ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلاة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد
خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له **السبت** روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلث مرات فاذا فرغ
قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه
الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء **اما الليالي** ففي ليلة الاحد فقد
روى انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله احد
خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم صلى على النبي مائة مرة واستغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة
مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان آدم صفوة الله وفطرته
وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع

لله ولدا وبعثه الله يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين **ليلة الاثنين**
روى الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات قرأ في الركعة الاولى
الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله
وقل هو الله احد ثلثين مرة وفي الرابعة اربعين مرة ثم سلم وقرأ قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة وصلى على النبي
عليه السلام كذلك ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله ان يعطيه ما سأل وهي تسمى صلاة الحاجة **ليلة الثلثاء**
يصلي ركعتين في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم
خمس عشرة مرة آية الكرسي ويستغفر الله خمس عشرة مرة **ليلة الاربعا** قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاربعا
ركعتين يقرأ في اول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب
مرة وقل اعوذ برب الناس عشر مرات نزل من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة **ليلة الخميس**
قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشا ركعتين يقرأ في
كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ
من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا بهما
واعطاه الله ما يعطي الصديقين والشهداء **ليلة الجمعة** قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
ليلة الجمعة بين المغرب والعشا اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد احدى عشرة مرة
وكانما عبد الله اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
ليلة الجمعة صلاة العشا الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو
الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيا ليلة
القدر وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة **ليلة السبت**
قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشا اثنتي عشرة ركعة بني له قصر في الجنة
وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود والنصارى وكان حقا على الله ان يغفر له **القسم الثالث**
ما يتكرر بتكرر السنين وهي اربع صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وصلاة شعبان **الاول صلاة العيدين**
وهي سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغي ان يراعى فيها سبعة امور **الاول** التكبير ثلثا فيقول الله
اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له
الدين ولو كره الكافرون ويفتتح ليلة الفطر الى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب
الصبح يوم عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر هذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل
وهو عقيب الفرائض آكد **الثاني** اذا اصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والردا والعمامة
هو الافضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج **الثالث** ان يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر
هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور **الرابع** المستحب الخروج الى الصحرا
الا بمكة وبيت المقدس وان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز يوم الصحو ان يأمر الامام رجلا
يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالاقوياء مكبرين **الخامس** يراعي الوقت فوقت العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال
ووقت ذبح الضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى
لاجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس**
في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل والناس يتنفلون
ثم ينادي مناد الصلاة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات
يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح

مرة
واستغفر لنفسه ولوالديه
خمسا وسبعين مرة

وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن رجلا عطس خلف النبي عليه السلام في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا
فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي قال من صاحب الكلمات فقال أنا يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما أردت بهن إلا الخير فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها وقال عليه السلام من عطس
عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته وقال عليه السلام العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليضع
يده على فيه وإذا قال آه آه فإن الشيطان يضحك في جوفه وقال إبراهيم النخعي إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس بأن يذكر
الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال كعب قال موسى أقريب فأناجيك أم بعيد فأناديك فقال أنا جليس من ذكرني
فقال فإنا نكون على حال نجلك أن نذكرك عليها قال كالجنابة والغائط فقال اذكروني على كل حال ومنها أنه إذا بلي
بذي شر فينبغي أن يجامله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فإن الفاجر يرضى بالخلق
الحسن في الظاهر وقال أبو الدرداء إنا لنبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف
شره قال الله تعالى ادفع بالتي هي أحسن قال ابن عباس في معنى قوله سبحانه وتعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة أي الفحش والأذى
بالسلام والمداراة وقال في قوله تبارك وتعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة
وفي الأثر خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب وقال محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من
لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا ومنها أن يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن إلى
الأيتام وكان النبي عليه السلام يقول اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكان سليمن عليه
السلام في ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس إليه وقال مسكين جالس مسكينا وقيل ما كان من كلمة يقال لعيسى عليه
السلام أحب من أن يقال له يا مسكين وقال كعب الأحبار ما في القرآن من يا أيها الذين آمنوا فهو في التورية يا أيها المساكين
وقال عبادة بن الصامت إن للنار سبعة أبواب ثلثة للأغنياء وثلثة للنساء وواحدة للفقراء والمساكين وقال الفضيل
بلغني أن نبيا من الأنبياء قال كيف لي أن أعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضى المساكين عنك وقال عليه السلام إياكم ومجالسة
الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الأغنياء وقال موسى إلهي أين أبغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وقال صلى الله عليه
وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فإنك لا تدري إلى ما يصير بعد الموت فإن من ورائه طالبا حثيثا فأما اليتيم فقد قال
عليه السلام من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة وقال عليه السلام أنا وكافل اليتيم
كهاتين في الجنة وهو يشير بأصبعيه وقال صلى الله عليه وسلم من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر
عليها يده حسنة وقال صلى الله عليه وسلم خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت
فيه يتيم يساء إليه ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه قال عليه السلام المؤمن يحب للمؤمن
ما يحب لنفسه وقال عليه السلام لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم إن أحدكم مرآة أخيه
فإذا رأى شيئا فليمطه عنه وقال صلى الله عليه وسلم من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره وقال صلى الله عليه وسلم
من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال عليه السلام من فرج
عن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلثا وسبعين مغفرة وقال صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل كيف
ينصره ظالما قال تمنعه من الظلم وقال صلى الله عليه وسلم إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن وأن يفرج
عنه غما أو يقضي عنه دينا أو يطعمه من جوع وقال صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق يعنيه بعث الله تعالى
إليه ملكا يحمي له يوم القيمة من نار جهنم وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله
والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله وقال صلى الله عليه وسلم من لم
يهتم للمسلمين فليس منهم وقال معروف الكرخي من قال اللهم أصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن
أمة محمد كل يوم ثلث مرات كتبه الله من الأبدال وبكى علي بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكي على من ظلمني إذا
وقف غدا بين يدي الله عز وجل وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة ومنها أن يعود مرضاهم والمعرفة والإسلام كافيان في إثبات

هذا الحق ونيل فضله وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات
الموضع وعند الاستئذان أن لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول أنا إذا قيل من ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح
وقال عليه السلام تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة
وقال عليه السلام من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال
صلى الله عليه وسلم إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قعد عنده قرت فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عاد
المسلم أخاه أو زاره قال الله عز وجل طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا في الجنة وقال عليه السلام إذا مرض العبد بعث الله
تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فإن كان هو إذا جاؤه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله
وهو أعلم فيقول لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من
دمه وأن أكفر عنه سيئاته وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عثمان رضي الله عنه مرضت
فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا أحد من شر ما تجد قالها مرارا ودخل صلى الله عليه وسلم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال
له قل اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك وخروجا من الدنيا إلى رحمتك فإنك ستعطى إحديهن ويستحب
للعليل أيضا أن يقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا اشتكى أحدكم بطنه
فليسأل امرأته شيئا من صداقها فليشتري به عسلا فيشربه بماء السماء فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والمبارك وقال
عليه السلام يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا
رسول الله قال يقول لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحن الله رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا
طيبا على كل حال الله أكبر كبيرا إن ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن كنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي
هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت أولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى
وروي أنه عليه السلام قال عيادة المريض فواق ناقة وقال طاوس أفضل العيادة أخفها وقال ابن عباس عيادة المريض
مرة سنة فما ازدادت فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلث وقال عليه السلام أغبوا في العيادة وأربعوا وجملة
أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع إلى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء ومنها
أن يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فإن وقف حتى تدفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط
مثل أحد ولما روى أبو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا إلى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشييع
قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة
يذهب الأول والآخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى أعلم
إلى ما صرت ولا والله لا أعلمه ما دمت حيا وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم ونظر
إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولى إنه نجا من أهوال ثلثة وجه ملك
الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلثة فيرجع اثنان
ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله ومنها أن يزور قبورهم والمقصود الدعاء
والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه وقال عمر رضي الله عنه خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت فقال ما يبكيكم فقلنا
بكينا لبكائك قال هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته في أن أستغفر لها فأبى علي
فأدركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ويقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه
فما بعده أشد وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فيقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما

[الصفحة اليمنى]

ويجهر بالاستعاذة … والثامنة ويقرا سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزائدة في
الثانية خمس سوى تكبيرات القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلوة
العيد قضاها **السابع** ان يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر هذا
عني وعمن لم يضح من امتي وقال من راى هلال ذي الحجة واراد ان يضحي فلا ياخذن من شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب
الانصاري رضي الله عنه كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن اهل بيته فياكلون ويطعمون
وله ان ياكل من الضحية بعد ثلثة ايام فما فوق ذلك وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري
يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة **التراويح**
وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا في ان الجماعة فيها
افضل ام الانفراد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين او ثلثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب
عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل ان الجماعة
افضل لفعل عمر ولان للاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند
مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلوة الضحى وتحية المسجد
اولى ولم يشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى
الله عليه وسلم فضل صلوة التطوع في بيته على صلوته في المسجد كفضل صلوة المكتوبة في المسجد على صلوته في البيت
وروي انه قال عليه السلام صلوة في مسجدي هذا افضل من مائة صلوة في غيره من المساجد وصلوة في المسجد الحرام
افضل من الف صلوة في مسجدي وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما الا الله وهذا لان الرياء
والتصنع ربما يتطرق الى الجمع ويامن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما راه
عمر رضي الله عنه فان بعض النوافل قد شرع فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعائر التي تظهر واما
الالتفات الى الرياء في الجماعة والكسل في الانفراد فعدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة
وكان قائله يقول الصلوة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسألة فيمن يثق بنفسه انه
لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما افضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور
القلب في الوحدة فيجوز ان يكون في تفضيل احدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من رمضان
اما صلوة رجب فقد روي باسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب
ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة
وانا انزلناه في ليلة القدر ثلث مرات وقل هو الله احد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلوته صلى علي سبعين مرة يقول
اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه
ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل
ما قال في السجدة الاولى ثم يسأل حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي احد هذه الصلوة
الا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمال ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيمة
في سبعمائة من اهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلوة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر
السنين وان كان لا تبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلوة العيد لان هذه الصلوة نقلها الآحاد ولكني رأيت اهل
القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها **واما صلوة شعبان** فليلة الخامس عشر
منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد احدى عشرة مرات وهذا ايضا مروي
في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلوة ويسمونها صلوة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روي عن
الحسن رحمة الله عليه انه قال حدثني ثلثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلوة في هذه الليلة

[الصفحة اليسرى]

نظر الله تعالى اليه سبعين نظرة قضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة **القسم الرابع** من النوافل
ما يتعلق بالاسباب العارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسع صلوة الكسوف والخسوف والاستسقاء وتحية المسجد
وركعتي الوضوء وركعتين بين الاذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه وصلوة الحاجة
وصلوة الاستخارة ونظائر ذلك فنذكر الآن ما يحضرنا منها **الاول صلوة الخسوف** قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله
والى الصلوة قال ذلك لما مات ولده ابراهيم وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها
اما الكيفية فاذا انكسفت الشمس في وقت مكروه او غير مكروه نودي الصلوة جامعة وصلى الامام بالناس
في المسجد ركعتين ويركع في كل ركعة ركوعين اوائلهما اطول من اواخرهما ولا يجهر ويقرأ في اول قيام الركعة
الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثاني الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة والمائدة
او مقدار ذلك من القرآن من حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا باس
ومقصود التطويل دوام الصلوة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث
قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلوة بينهما
جلسة ويامر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا انه يجهر فيها لانها ليلية اما
وقتها فعند ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء ويخرج وقتها الى ان تغرب الشمس كاسفة ويفوت خسوف القمر
بان تطلع قرصة الشمس اذ يبطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر
وان انجلى في اثناء الصلوة اتمها مخففة ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع
الاول **الثانية صلوة الاستسقاء** فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار وانهارت قناة فيستحب للامام
ان يامر الناس اولا بصيام ثلثة ايام وما اطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم
اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد
وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتهم في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ ركع
وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج اهل الذمة متميزين ايضا لم يمنعوا فاذا اجتمعوا في المصلى الواسع
من الصحراء نودي الصلوة جامعة وصلى بهم الامام ركعتين مثل صلوة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين بينهما
جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل
القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل اعلاه اسفله
وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم
فيختم الخطبة ويدعون ارديتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء اللهم انك امرتنا بدعائك
ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا
وسعة رزقنا ولا باس بالدعاء ادبار الصلوات في الايام الثلثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة
من التوبة ورد المظالم وغيرها وسياتي ذلك في كتاب الدعوات **الثالثة صلوة الجنازة** وكيفيتها مشهورة
واجمع دعاء ماثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه
وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه
من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه
وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف تمنيت ان اكون ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة
الثانية فينبغي ان يراعي ترتيب صلوة نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيرة التي فاتت كفعل المسبوق
فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلوة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات

فماذا اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك
فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر ولم يتفكر لنفسه ولم يدع
لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال عليه السلام ما من ليلة الا ينادي مناد يا اهل القبور من تغبطون قالوا نغبط
اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره وقال سفيان من اكثر ذكر القبر
وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره
قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
ثم يقول يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما
نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى
قد حلت بهم المثلات واصاب الهوام من ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن
عذاب الله وادب المعزي خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم وادب تشييع الجنازة لزوم الخشوع
وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي امام الجنازة بقربها والاسراع بالجنازة
فهذه جمل تنبيه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة الجامعة فيه ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا
فتهلك لانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح ولا تنظر اليهم بعين
التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا
فتسقط من عين الله عز وجل ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت
قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك
ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رايت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة
لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك
وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد الا في المائة واحدا وربما لا تجد ولا تشك اليهم
احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب واني تظفر به ولا تطمع فيما
في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر
باظهار الاستغناء واذا سالت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا تطول
عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك ولتكن وعظك عرضا وارسالا
من غير تنصيص على الشخص ومهما رايت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك
اليهم واذا بلغك منهم غيبة او رايت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم
ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحققت
ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم
نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة
ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطا والنسيان
ولا يعفون يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا
فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب
يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم
ليجابهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة بان تصحبه مدة في دار او موضع واحد فتجربه
في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال
فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلك فهذه جملة آداب المعيشة مع اصناف الخلق حقوق الجوار

اعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبي عليه السلام
الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله
حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم الذي له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد
فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال النبي عليه السلام احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما
وقال عليه السلام ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم جاره وقال عليه السلام لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم اذا انت رميت كلب جارك فقد
آذيته ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب فان هو
عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال عليه السلام
هي في النار وجاء رجل اليه عليه السلام يشكو جاره فقال له اصبر فعاد فشكى فقال اصبر ثم قال له في الثالثة او الرابعة
اطرح متاعك في الطريق ففعل فجعل الناس يمرون به ويقولون ما لك فيقول آذاه جاره فجعلوا يقولون لعنه الله
فجاءه جاره فقال رد متاعك فوالله لا اعود وروى الزهري ان رجلا اتى النبي عليه السلام يشكو جاره فامر النبي ان ينادي
على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا
واومى الى اربع جهات وقال عليه السلام اليمن والشوم في المراة والمسكن والفرس فيمن المراة خفة مهرها ويسر نكاحها
وحسن خلقها وشومها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه
وسوء جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشومه صعوبته وسوء خلقه واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال
الاذى فان الجار ايضا قد كف اذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف
اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن
المقفع ان جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه
ثمن الدار وقال لا تبعها وشكى بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب
الى دور الجيران فاكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسي وجملة حق الجار ان يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله
السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح
عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح
التراب في فنائه ولا يضيق طرقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه
من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمه
ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف لولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التي
ذكرناها لعامة المسلمين وقد قال عليه السلام اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر
عدت [illegible] عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته
مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه فان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها
سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي
نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه عليه السلام قال مجاهد
كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودي حتى قال ذلك
مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله عليه السلام لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه وقال هشام
كان الحسن لا يرى باسا ان تطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيتك وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم
وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها وقالت عائشة قلت يا رسول
الله ان لي جارين احدهما مقبل علي ببابه والآخر ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا فقال المقبل عليك

في سائر الصلوات هذا هو الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلوة الجنازة وتشييعها مشهورة
فلا نطول بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فروض الكفايات وانما يصير نفلا في حق من لم يتعين عليه بحضور
غيره ثم ينال به فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض فاسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون
ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتمالهم على ذي دعوة
مستجابة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه مات ابن له فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت
فاذا ناس قد اجتمعوا فاخبرته به فقال تقول هم اربعون قال قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه
واذا شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتداء قال السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم
الله المستقدمين منا والمستاخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى تدفن الميت فاذا سوي
على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب السماء
لروحه وتقبله بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه **الرابعة تحية المسجد**
ركعتين فصاعدا سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط وان كان الخطيب يخطب يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغاء الى الخطيب
ولو اشتغل بفرض او قضاء تادى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد
فان دخل على غير وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين
في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله انه لا يكره التحية في اوقات الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال ووقت
الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت
اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فافاد هذا الحديث فائدتين احداهما ان الكراهية مقصورة على صلوة لا سبب لها
ومن اضعف الاسباب قضاء النوافل اذ اختلف العلماء في النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت
الكراهية باضعف الاسباب فبالحري ان تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا يكره صلوة الجنازة اذا حضرت
وصلوة الكسوف والاستسقاء في هذه الاوقات لان لها اسبابا الفائدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك ولنا فيه اسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم او مرض
فلم يقم تلك الليلة صلى من اول النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلماء من كان في الصلوة فاتته جواب المؤذن فاذا سلم قضى واجاب
وان كان المؤذن قد سكت ولا معنى الآن لقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى
الله عليه وسلم في وقت الكراهة نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فلا ينبغي ان يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في
وقت اخر كي لا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه عليه السلام قال احب الاعمال
الى الله ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر في دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من عبد الله تعالى بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله فليحذر ان يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله
فتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه **الخامسة ركعتان بعد الوضوء** مستحبتان لان الوضوء
قربة ومقصودها الصلوة والاحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلوة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة
الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال رضي الله عنه اذ قال صلى الله عليه وسلم
دخلت الجنة فرايت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة قال بلال لا اعرف شيئا الا اني لا احدث وضوءا الا
اصلي عقيبه ركعتين او كما قال **السادسة ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه** روى ابو سلمة عن
ابي هريرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين تمنعانك مخرج السوء واذا
دخلت منزلك فصل ركعتين تمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل امر يبتدا به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان
عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت وكل ذلك ماثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا اله الا الله

وكان بعض الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبداية الامور ينبغي ان
يتبرك فيها بذكر الله وهي على ثلث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدا فيها باسم الله قال عليه السلام
كل امر ذي بال لم يبدا فيه بسم الله فهو ابتر **الثانية** ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة
والمشورة فالمستحب فيها ان يصدر بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسوله زوجتك ابنتي
ويقول القابل الحمد لله والصلوة على رسوله قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة في ابتداء اداء الرسالة والنصيحة
والمشورة تقديم التحميد **الثالثة** ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة
والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول فانه نوع سفر
قريب **السابعة صلوة الاستخارة** فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخير في تركه
او في الاقدام عليه فقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يصلي ركعتين يقرا في الاولى فاتحة الكتاب
وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك
واستقدرك بقدرتك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر
خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاقدره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر
شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاصرفني عنه واصرفه عني وقدر لي الخير اينما كان
انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها
كما يعلمنا السورة من القران وقال اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرناه وقال
بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن
اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب **الثامنة صلوة الحاجة** فمن ضاق عليه
الامر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال
من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة بام القران واية الكرسي وقل هو الله احد
فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي
احصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم
سبحان ذي الطول اسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى
وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد ثم يسال حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان
شاء الله تعالى قال وهيب وبلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون على معصية الله تعالى
التاسعة صلوة التسبيح وهذه الصلوة ماثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب ان لا يخلو
الاسبوع عنها مرة واحدة او الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم انه قال قال صلى الله عليه
وسلم للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشيء اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله واخره
قديمه وحديثه خطاه وعمده سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا
فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع
فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها
عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان
تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه يقول في
اول الصلوة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة
وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجود الاخير قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك
رحمه الله والمجموع في الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن

فاذا اعددت لي ذلك قال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك
فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر ولم يتفكر لنفسه ولم يدع
لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال عليه السلام ما من ليلة الا ينادي مناد يا اهل القبور من تغبطون قالوا نغبط
اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره وقال سفين من اكثر ذكر القبر
وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره
قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
ثم يقول يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع قال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما
نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى
قد حلت بهم المثلات واصاب الهوام من ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن
عذاب الله واداب المعزي خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم واداب تشييع الجنازة لزوم الخشوع
وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي امام الجنازة بقربها والاسراع بالجنازة
سنة فهذه جمل تنبيه على اداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة الجامعة فيه ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا
فتهلك لانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح ولا تنظر اليهم بعين
التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا
فتسقط من عين الله عز وجل ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت
قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك
ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رايت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة
لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك
وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد الا في المائة واحدا وربما لا تجده ولا تشك اليهم
احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب وانى تظفر به ولا تطمع فيما
في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر
باظهار الاستغناء واذا سالت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا يطول
عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك ولكن وعظك عرضا واسترسالا
من غير تنصيص على الشخص ومهما رايت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك
اليهم واذا بلغك منهم غيبة او رايت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم
ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحققت
ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم
نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة
ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطا والنسيان
ولا يعفون يغرون الاخوان بالاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا
فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب
يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم
ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة بان تصحبه مدة في دار او موضع واحد فتجربه
في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال
فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا وابنا ان كان صغيرا واخا ان كان مثلك فهذه جملة اداب المعيشة مع اصناف الخلق

حقوق الجوار

اعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبي عليه السلام
الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله
حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم الذي له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد
فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال النبي عليه السلام احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما
وقال عليه السلام ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فليكرم جاره وقال عليه السلام لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم اذا انت رميت كلب جارك فقد
اذيته ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب فان هو
عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل لرسول الله ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال عليه السلام
هي في النار وجاء رجل اليه عليه السلام يشكو جاره فقال له اصبر ثم عاد اليه فشكى فقال له اصبر ثم قال له في الثالثة او الرابعة
اطرح متاعك في الطريق ففعل فجعل الناس يمرون به ويقولون ما لك فيقول اذاه جاره فجعلوا يقولون لعنه الله
فجاءه جاره فقال رد متاعك فوالله لا اعود وروى الزهري ان رجلا اتى النبي عليه السلام يشكو جاره فامر النبي ان ينادي
على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا
واومى الى اربع جهات وقال عليه السلام اليمن والشوم في المراة والمسكن والفرس فيمن المراة خفة مهرها ويسر نكاحها
وحسن خلقها وشومها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه
وسوء جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشومه صعوبته وسوء خلقه واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال
الاذى فان الجار ايضا قد كف اذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف
اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيمة فيقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن
المقفع ان جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه
ثمن الدار وقال لا تبعها وشكى بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب
الى دور الجيران فاكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسي وجملة حق الجار ان يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله
السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنيه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح
عن زلاته ولا يطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح
التراب في فنائه ولا يضيق طرقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه
من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته
ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف بولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التي
ذكرناها لعامة المسلمين وقد قال عليه السلام اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر
عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته
مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه فان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها
سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي
نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه عليه السلام قال مجاهد
كنت عند عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودي حتى قال ذلك
مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله عليه السلام لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه وقال هشام
كان الحسن لا يرى باسا ان تطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيتك وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم
وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها وقالت عائشة قلت يا رسول الله
ان لي جارين احدهما مقبل علي ببابه والاخر ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا فقال المقبل عليك

ببابه

ورأى الصديق ولده عبد الرحمن وهو يماظ جارا له فقال لا تماظ جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون وقال الحسن بن عيسى النيسابوري سألت عبد الله بن المبارك قلت الرجل المجاور يأتيني يشكو غلامي انه اتى اليه امرا والغلام ينكر فاكره ان اضربه ولعله برى واكره ان ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع فقال ان غلامك لعله ان يحدث حدثا يستوجب فيه الادب فاحفظه عليه فاذا شكاه جارك فادبه على ذلك الحدث وهذا تلطف في الجمع بين الحقين وقالت عائشة خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تبارك وتعالى لمن احب صدق الحديث وصدق الناس واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة وقال صلى الله عليه وسلم ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسأت فقد اسأت وقال جابر قال النبي عليه السلام من كان له جار في حائط او شريك فلا يبيعه حتى يعرضه عليه وقال ابو هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجار يضع جذوعه في حائط جاره شاء ام ابى وقال ابن عباس قال عليه السلام لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبة في حائطه وكان ابو هريرة يقول ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمينها بين اكتافكم وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب ذلك وقال عليه السلام من اراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه

حقوق الاقارب والرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال عليه السلام من سره ان ينسأ له في اثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه وفي رواية من سره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وان ادبرت وامرني ان اقول الحق وان كان مرا وقال عليه السلام ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافئ ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وقال عليه السلام ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم ان اهل البيت ليكونون فجرة فتنمى اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عرض له رجل فقال له ان كنت تريد النساء البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال عليه السلام ان الله منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم وقالت اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال نعم وفي رواية افاعطيها قال نعم صليها وقال عليه السلام الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحائط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هو في سبيل الله والفقراء والمساكين فقال عليه السلام وجب اجرك فاقسمه في اقاربك وقال عليه السلام افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو في معنى قوله افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يورث التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم

حقوق الوالدين والولد

لا يخفى انه اذا تأكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال عليه السلام لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحدا ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال عليه السلام الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال عليه السلام بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك ويروى ان الله عز وجل قال لموسى يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فاوحى الله اليه اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال عليه السلام ما على احد

اذا اراد

ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شيء وقال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال عليه السلام ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال عليه السلام بر الوالدة على الوالد ضعفان وقال عليه السلام دعوة الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من ابر فقال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال عليه السلام رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقد قيل ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او شريكك وقال انس رضي الله عنه قال النبي عليه السلام الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة زوجه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال عليه السلام من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين او رهينة بعقيقته يذبح يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبل بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد رأى الاقرع بن حابس النبي عليه السلام وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال ان من لا يرحم لا يرحم وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفة فضرب يدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية وتعثر الحسن وهو على منبر فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله يصلي بالناس اذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث امر فلما قضى صلاته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته وقال عليه السلام ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معاوية ارسل ابي الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له يا ابا بحر ما تقول في الولد فقال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي واني لمملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب قاسمه اياها على الشطر فهذه هي الاخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرفه مما ذكرناه في حق الاخوة فان هذه الرابطة آكد من الاخوة بل يزيد ههنا امران احدهما ان اكثر العلماء على ان طاعة الابوين واجبة في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذي هو فرض الاسلام نفل لانه على التأخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدري هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال عليه السلام هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك قال لا فقال عليه السلام فارجع الى ابويك فاستأذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد وجاء آخر اليه عليه السلام يستشيره في الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة عند رجليها وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى ابكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما وقال عليه السلام حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال عليه السلام اذا استصعبت على احدكم دابته او ساء خلق زوجته او احد من اهل بيته

ثمان مائة من فلا شي فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر ان
يكون ثمان مائة من تمرا او زبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج بعد التجفيف ويكمل مال احد الخليطين بمال الاخر في خلطة الشيوع
كالبستان المشترك بين ورثة فيه فيجب على جميعهم ثمان مائة من زبيب يجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر
خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدره واما الواجب فان كان
يسقى بسيح او قناة وان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر واما الصفة فالتمر والزبيب اليابس
والحب اليابس بعد التنقية ولا يوخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار افة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك
فيوخذ الرطب ويكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل يرخص في مثل هذه الحاجة
ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف **النوع الثالث** زكاة النقدين
فاذا تم الحول على مايتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهم ونصاب
الذهب عشرون دينارا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكاة
وتجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحلي المحظور
كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي الا بعد حلول الاجل **النوع**
الرابع زكاة التجارة وهي كزكاة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقدين الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد
نصابا وان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشرى وتودى الزكاة من نقد البلد
وبه يقوم وان كان ما به الشرى نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة من مال
قنية لا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والاولى
ان يودي زكاة تلك السنة وما كان من زيادة في السلعة في اخر الحول وجبت الزكوة فيها بحول راس المال لم يستانف له حول
كما في النتاج واموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكوة ربح مال القراض على العامل
وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس **النوع الخامس** الركاز والمعدن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر
عليها في الاسلام ملك مسلم فعلى واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب ايضا لان
ايجاب الخمس يوكد شبهه بالغنيمة واعتباره ايضا ليس بعيد لان مصرفه مصرف الزكوة ولذلك يخصص على الصحيح
بالنقدين **واما المعادن** فلا زكوة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتحصيل ربع العشر
على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب
قولان والاشبه والعلم عند الله ان يلحق في قدر الواجب بزكوة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر
لانه عين الرزق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط ان يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين النقدين ايضا
خروجا عن شبهة هذه الخلافات فانها ظنون قريبة من التعارض ويجزم المفتي فيها بمجرد الظن لتعارض الاشباه
النوع السادس صدقة الفطر وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت
من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته
او افضل منه فان اقتات الحنطة لم يجز الشعير فان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها
كقسمة زكوة الاموال فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة
زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو في نفقته اعني من تجب عليه نفقته من الاباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه
وسلم ادوا صدقة الفطر عمن تمونون ويجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا يجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت
الزوجة بالاخراج عن نفسها اجزاتها وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يودي عن بعضهم ادى عن بعضهم
فالاولى التقديم من كان نفقته اكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة
الخادم فهذه احكام فقهية لا بد للغني من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله ان يتكل فيها على الاستفتا

صفة الواجب

ووقت

بل على ملي ولكن يجب عند الاستيفا وان كان مؤجلا فلا يجب

عند نزول الواقعة بعد حاجته **الفصل الثاني في الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة** بيان شروطه
الظاهرة اعلم انه يجب على مودي الزكوة مراعاة خمسة امور الاول النية وهو ان ينوي بقلبه زكوة الفرض وليس عليه تعيين
الاموال فان كان له مال غايب فقال هذا عن مالي الغايب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه ان لم يصرح به
فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية الصبي والمجنون ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع
عن الزكوة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة عنه اما في الاخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستانف
الزكوة واذا وكل باداء الزكوة ونوى عند التوكيل او وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية **الثاني**
البدار عقيب الحول وفي زكوة الفطر لا يوخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس اخر يوم من رمضان
ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن اخر زكوة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق
فان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكوة عنه وتعجيل الزكوة جايز بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد
الحول ويجوز تعجيل زكوة حولين فمهما عجل فمات المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك
او مات فالمدفوع ليس بزكوة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا اخر
الامر وسلامة العاقبة **الثالث** ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزي ورق عن
ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رحمه الله يتساهل في ذلك
ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات
الشرع ثلثة اقسام **قسم** هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمار مثلا اذ لا حظ للجمرة
في وصول الحصا اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان
ما يعقل معناه فقد يساعد الطبع عليه ويدعو اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر
بان تكون الحركة لحق امر المعبود فقط لا لمعنى اخر واكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في احرامه
لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك اظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استيناس
العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه **والقسم الثاني** من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد
منه التعبد كقضاء دين الادميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ
المستحق او ببدل عنه عند رضاه تادى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما
جميع الناس **والقسم الثالث** هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد
فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي
ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكوة من هذا القبيل ولم ينتبه
له غير الشافعي رحمه الله فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل
مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكوة قرينة الصلوة والحج في كونها من مباني الاسلام فلا شك ان على المكلف
تعبا في تمييز اجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سياتي والتساهل
فيه غير قادح في حظ الفقير ولكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها
في كتب الخلافيات من الفقهيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل عن الابل ولم يعدل الى
النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين
فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين واذا كانت الثياب والامتعة كلها في معناها
فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكوة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان
الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شان الغلط فيه **الرابع** ان لا ينقل الصدقة الى بلد اخر فان اعين المساكين
في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب الظنون فان فعل ذلك اجزاه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج

فلم تزن في اذنه. **حقوق المملوك** اعلم ان ملك النكاح قد سبق حقوقه في آداب النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال عليه السلام للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال عليه السلام لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيئ الملكة وقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى رسول الله فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي كل يوم سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه وروي عن ابي هريرة انه راى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيا فقال لم فعلت ذلك قالت اردت الراحة منك قال اذهبي فانت حرة لوجه الله وقال الزهري متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لا باس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك يعصي مولاه وانت تعصي مولاك واغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت واراقتها على راس سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله عز وجل قال وما قال الله قالت قال والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله يقول والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسالك بالله اسالك بوجه الله فسمع رسول الله عليه السلام صياح العبد فانطلق اليه فلما راى رسول الله امسك يده فقال رسول الله سالك بوجه الله فلم تعفه فلما رايتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار وقال عليه السلام العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فذهب احدهما وقال عليه السلام عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون النار فاما اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال واول ثلاثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور وعن ابي مسعود الانصاري قال بينا انا اضرب غلاما لي سمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله فالقيت السوط فقال والله لله اقدر عليك منك على هذا وقال عليه السلام اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شي يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه وان لم يفعل فليناوله وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه او ليأخذ اكلة فليروغها فاشار بيده فليضعها في يده وليقل كل هذه ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا قال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا ان نجمع عليه عملين وقال صلى الله عليه وسلم من كانت عنده جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فذلك له اجران وقد قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فجملة حق المملوك ان يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته او بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره في طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد ان النبي عليه السلام قال ثلاثة لا يسال عنهم رجل فارق الجماعة وعصى امامه فمات عاصيا فلا يسال عنه وامراة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت بعده فلا يسال عنها وثلاثة لا يسال عنهم رجل ينازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وازاره العز ورجل في شك من الله والقنوط من رحمة الله.

كتاب العزلة وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بان صرف هممهم الى مؤانسته واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقر في قلوبهم الالتفات الى زينة الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكره فاستانس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الانس بالانس وان كان من اخص خاصته والصلاة على محمد سيد انبياء الله وخيرته وعلى آله واصحابه سادة الحق وائمته. اما بعد فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احداهما على الاخرى مع ان كل واحد منهما لا ينفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمواخاة والمؤالفة يكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء عن الحق فيه مهم ويحصل ذلك برسم بابين **الباب الاول** في نقل المذاهب والحجج فيه **الباب الثاني** في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل.

الباب الاول في نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين فيه

اما المذاهب فقد اختلف الناس فيه وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وابراهيم بن ادهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتالف والتحبب الى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة والماثور عن العلماء من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى احد الرايين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلننقل الان مطلقات تلك الكلمات لتتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد فنقول روي عن عمر رضي الله عنه انه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الاخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رحمه الله كلمات احفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وانا شاب اصبر على اشد من هذا كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشا يقول هذين البيتين

قليل الهم لا ولد يموت ولا امر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وافاد علما فغايته التفرد والسكوت

وقال ابراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم فترك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيأ للمرء ان يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله عز وجل وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني ان لا يسلم علي واذا مرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت جنازته وكان سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا ياتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن اسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله اقل

زكوة كل مال في تلك البلدة ثم الباقي ان يصرف الى الغرباء في تلك البلدة **الخامس** ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فانه شبيه بقول المريض انما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي ان يتوقى عن الهجوم فيها على تغيير الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في اكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد اربعة اصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون اعني ابناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة اصناف مثلا قسم زكوة ماله خمسة اقسام متساوية او متقاربة وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم بثلثة اسهم فما فوقه اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي ان ينقص كل صنف من ثلثة ان وجد ولو لم يجب الا صاع الفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منه واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة عليهم الزكوة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهمون فيه فان ذلك لا بد منه

بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكوة اعلم ان على مريد طريق الآخرة بزكوته وظائف **الاولى** فهم وجوب الزكوة ومعناه ووجه الامتحان فيه وانه لم جعل من مباني الاسلام مع انه تصرف مالي وليس من عبادات الابدان وفيه ثلثة معاني **الاول** ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله تعالى والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس ثلثة اقسام فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما وابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكوة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق ابو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك فقال مثله وقال لابي بكر ما ابقيت لاهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله **القسم الثاني** درجتهم دون هذا وهم الممسكون اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكوة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في الاموال حقوقا سوى الزكوة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد رضي الله عنهم اجمعين قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قول الله تعالى وآتى المال على حبه الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة والذي يصح في الفقه من هذا انه مهما ارهقته حاجة كانت ازالتها فرض الكفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد ان اسقط الزكوة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهي درجة **القسم الثالث** الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا يحفكم اي يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا احد معاني امر الله سبحانه عباده ببذل الاموال **المعنى الثاني** التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسيأتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية

التفصي منه وانما تزول صفة البخل بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكوة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى **المعنى الثالث** شكر النعمة فان لله تعالى على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله **الوظيفة الثانية** في وقت الاداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكوته ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكوته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيها شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه انزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول **الوظيفة الثالثة الاسرار** فان ذلك ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روي ايضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الخبر المشهور سبعة يظلهم الله تعالى يوم لا ظل الا ظله واحدهم رجل تصدق بصدقة فاخفاها فلم تعلم شماله ما اعطته يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفي غضب الرب تعالى وقال الله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الاخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملا من الناس يبغي الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ في فضل الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد اعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه بان لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن الا بان يعرفه شخص واحد فتسليمه الى وكيل ليسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط الا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكوة ازالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب افعى من الافاعي وهو مامور بتضعيفهما او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاي فائدة في ان يخالف داعي البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف الادنى ويقوى الاقوى وسيأتي اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات **الوظيفة الرابعة** ان يظهر حيث يعلم ان في الاظهار ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره عن داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال الله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الابداء اما للاقتداء واما لان السائل انما سال على ملا من الناس فلا ينبغي ان يترك التصدق خيفة من الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لان في الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو

من معرفة الناس فانك لا تدرى ما يكون يوم القيمة فان تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل حاتم الاصم
على بعض الامراء فقال الك حاجة فقال نعم قال ما هو قال ان لا اراك ولا تراني وقال رجل لسهل اريد ان اصحبك فقال اذا مات
احدنا فمن نصحبه فليصحبه الآن وقيل للفضيل ان عليا ابنك يقول لوددت انى فى مكان ارى الناس ولا يرونى
فبكى الفضيل وقال يا ويح على افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يرونى وقال الفضيل ايضا من سخافة عقل الرجل كثرة
معارفه وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه اقاويل المايلين الى العزلة
حجج المايلين الى المخالطة ووجه ضعفها احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا وبقوله تعالى والف بين
... امتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب فى معانى كتاب الله
وأصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوايل من الصدور وهى الاسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات
والعزلة لا تنافى ذلك واحتجوا بقوله عليه السلام المؤمن آلف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وهذا ايضا
ضعيف فانه اشارة الى مذمة سوء الخلق الذى يمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذى ان خالط
الف والف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله عليه السلام من فارق
الجماعة فمات ميتته جاهلية وبقوله عليه السلام من شق عصا المسلمين والمسلمون فى اسلام دامج فقد خلع ربقة
الاسلام وهذا ضعيف لان المراد به الجماعة التى اتفقت آراؤهم على امام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغى وذلك مخالطة
بالراى وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع رايهم ولا يكون ذلك الا بالبيعة من الاكثر
فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس فى هذا تعرض للعزلة واحتجوا بنهيه عليه السلام عن الهجرة فوق ثلث
اذ قال من هجر اخاه فوق ثلث فمات دخل النار وقال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث والسابق بالسلام يدخل الجنة
وقال من هجر اخاه ستة ايام فهو كسافك دمه وقالوا العزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب على الناس
واللجاج فيه وقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة اصلا من غير غضب مع ان الهجرة فوق
ثلث جايز فى موضعين احدهما ان يرى فيه استصلاحا للمهجور فى الزيادة والثانى ان يرى لنفسه سلامة فيه
والنهى وان كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روى عن عايشة ان النبى عليه السلام
هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر وروى عن عمر انه عليه السلام اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد الى غرفة له وهى خزانته
فلبث تسعة وعشرين فلما نزل قيل له انك كنت فيها تسعة وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعة وعشرين وروت عايشة
ان النبى عليه السلام قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلثة ايام الا ان يكون ممن لا يؤمن بوايقه فهذا صريح فى التخصيص
وعلى هذا ينزل قول الحسن رضى الله عنه حيث قال هجران الاحمق قربة الى الله تعالى فان ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة
لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدى رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شى قد تقدم فيه قوم سعد بن ابى وقاص
كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى ماتا وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعايشة وكانت مهاجرة لحفصة
وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم فى المهاجرة واحتجوا بما روى ان رجلا
اتى الجبل ليتعبد فجى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل انت ولا احد منكم لصبر احدكم فى بعض مواطن الاسلام
خير من عبادة احدكم اربعين عاما والظاهر ان هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه فى ابتداء الاسلام
بدليل ما روى عن ابى هريرة انه قال غزونا على عهد رسول الله فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الما فقال واحد لو اعتزلت
الناس فى هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله عليه السلام فقال عليه السلام لا تفعل فان مقام احدكم فى سبيل
الله خير من صلوته فى اهله ستين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا فى سبيل الله فانه من قاتل
فى سبيل الله فواق ناقة ادخله الله الجنة واحتجوا بما روى معاذ بن جبل انه عليه السلام قال ان الشيطان ذيب الانسان
كذيب الغنم ياخذ القاصية والناحية والشاردة اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل
قبل تمام العلم وسياتى ان ذلك منهى عنه الا لضرورة **ذكر حجج المايلين الى تفضيل العزلة** احتجوا بقوله تعالى حكاية

عن ابراهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربى الآية ثم قال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا اشارة الى ان ذلك ببركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فائدة فيها
الا دعوتهم الى الدين وعند الياس عن اجابتهم فلا وجه الا هجرهم وانما الكلام فى مخالطة المسلمين وما فيها من البركة
لما روى انه قيل لرسول الله الوضوء من جر مخمر احب اليك ام من هذه المطاهر التى يتطهر منها الناس فقال بل من هذه
المطاهر التماسا لبركة ايدى المسلمين وروى انه لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع فى حياض
الادم قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه فقال اسقونى فقال العباس ان هذا النبيذ
شراب قد مغث وخيض بالايدى افلا آتيك بشراب انظف من هذا من جر مخمر فى البيت فقال اسقونى من هذا الذى يشرب
منه الناس ألتمس بركة ايدى المسلمين فشرب فاذن كيف يستدل باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين
مع كثرة البركة فيهم واحتجوا ايضا بقول موسى عليه السلام وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون وانه فزع الى العزلة عند الياس منهم
وقال فى اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد
اعتزل نبينا عليه السلام قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا
به الى المدينة بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار بعد الياس منهم فانه عليه السلام لم يعتزل المسلمين
ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف ما اعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وانما اعتزلوا الكفار وانما النظر
فى العزلة من المؤمنين واحتجوا بقوله عليه السلام لعبد الله بن عامر الجهنى حيث قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك
بيتك وامسك عليك دينك وابك على خطيئتك وروى انه قيل له عليه السلام اى الناس افضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه
وماله فى سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال عليه السلام
ان الله يحب العبد التقى النقى الخفى وفى الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله الا
على ما عرفه عليه السلام بنور النبوة من حاله وان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يامر جميع الصحابة
بذلك ورب شخص تكون سلامته فى العزلة لا فى المخالطة كما قد تكون سلامته فى القعود فى البيت ان لا يخرج الى الجهاد وذلك
لا يدل على ان ترك الجهاد افضل وفى مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال عليه السلام الذى يخالط الناس ويصبر
على اذاهم خير من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل قوله رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس
من شره فهذا اشارة الى شرير بطبعه يتاذى الناس بمخالطته وقوله ان الله يحب العبد النقى الخفى اشارة الى ايثار
الخمول وتوقى الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له
ولا شهرة فهذا تعرض لامر لا يتعلق بالعزلة واحتجوا بما روى انه عليه السلام قال لاصحابه الا انبيكم بخير الناس قالوا بلى
فاشار بيده نحو المغرب فقال رجل آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبيكم بخير الناس بعده
واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل فى غنمه يقيم الصلوة ويؤتى الزكوة ويعلم حق الله فى ماله اعتزل شرور الناس فاذا
ظهر ان هذه الادلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوايد العزلة وغوايلها ومقايسة بعضها
بالبعض ليتبين الحق

الباب الثانى فى فوايد العزلة وغوايلها وكشف الحق فى فضلها

اعلم ان اختلاف الناس فى هذا يضاهى اختلافهم فى فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف
بالاحوال والاشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوايده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوايد
العزلة وهى تنقسم الى فوايد دينية ودنيوية والدينية تنقسم الى تمكن من تحصيل الطاعات فى الخلوة بالمواظبة
على العبادة والفكر وتربية العلم والى تخلص من ارتكاب المناهى التى يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء
والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة من جلساء السوء
واما الدنيوية فتنقسم الى تمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف فى خلوته والى تخلص من محذورات يتعرض لها
بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه فى الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته بالمخالطة

ستر الفقير فانه ربما يتأذى بان يرى في صورة محتاج فمن اظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا في
في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من يتستر به فانه محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه فاما من
اظهر عليه فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم من القى جلباب
الحيا فلا غيبة له وقد قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ندب الى العلانية ايضا لما فيها من فائدة الترغيب
فليكن العبد دقيق التامل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد
يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر اليها بعين الشهوة
اتضح الاولى والاليق بكل حال **الوظيفة الخامسة** ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن والاذى فقال قوم المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال سفين
من من فسدت صدقته فقيل كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث به وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء والاذى ان يعيره
بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره او يوبخه بالمسألة وقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله صدقة منان وعندي ان المن له اصل ومغرس هو من احوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه احوال ظاهرة
على اللسان والجوارح واصله ان يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا الى نفسه بقبول حق
الله منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير
اذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض حق الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع في
يد السائل فليتحقق انه مسلم الى الله حقه والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين
لانسان فاحال به عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منته
سفها وجهلا فان المحسن اليه هو المتكفل برزقه اما هو فانما يقضي الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع في حق نفسه
فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكوة او احدها لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه
اما ببذل ماله اظهارا لحب الله تعالى او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيفما كان
فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما حصل هذا الجهل بان يرى نفسه محسنا اليه تفرع منه على
ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافاة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم
والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه واما الاذى
فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو
منبعه امران احدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة **والثاني**
رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس منه وكلاهما منشأه الجهل **اما الكراهة لتسليم المال** فهو حمق
لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي الفا فهو شديد الحماقة ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا الله والثواب في دار
الاخرة وذلك اشرف مما بذله او يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل وشكرا لطلب المزيد وكيف ما فرض فالكراهة لا وجه
لها **واما الثاني** فهو ايضا جهل لانه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به
وتمنى درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون ورب
الكعبة فقال ابو ذر من هم قال هم الاكثرون اموالا الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله متجرة له اذ يكتسب المال
بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بقدر الحاجة وقد الزم ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل
الذي يضره لو سلم اليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات
الى ان يموت فياكله اعداؤه فاذن مهما انتفت الكراهة وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله له لاداء الواجب وتقييضه
للفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة
فهذا منشأ المن والاذى فان قلت فرؤيته نفسه في درجة المحسن امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه لم ير نفسه محسنا

فاعلم ان له علامة دقيقة واضحة وهو ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية او مالأ عدوا له عليه مثلا هل كان يزداد استنكاره
قبل التصدق فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لانه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك فان قلت
فهذا امر غامض ولا ينفك قلب احد عنه فما دواؤه فاعلم ان له دواء باطنا ودواء ظاهرا اما الباطن فالمعرفة بالحقائق
التي ذكرناها في فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها
متقلد المنة فان الافعال التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سيأتي اسراره في الشطر الاخير من الكتاب
ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائل
وهو يستشعر مع ذلك كراهيته لو رده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة
وام سلمة رضوان الله عليهما اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل
قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا وكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعاء
بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من
حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها
هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات
تجري مجرى الخشوع من الصلوة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ليس للمرء من صلوته الا ما عقل وهذا كقوله
صلوات الله عليه لا يقبل صدقة منان وبقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى **واما فتوى الفقيه**
بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنه دون هذه الشرايط فحديث آخر وقد اشرنا الى معناه في كتاب الصلوة
الوظيفة السادسة ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للا
عمال قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله والمعصية
كلما استعظمت صغرت عند الله وقيل لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى
فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن والاذى بل العجب والاستعظام
يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل **اما العلم** فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع
لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى
الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتأمل من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة عليه
اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله وان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الاخرة
وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه **واما العمل** فهو ان يعطيه عطاء الخجل من بخله
بامساك بقية ماله عن الله تعالى فيكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها
ويرد البعض لان المال كله لله وبذل جميعه هو الاحب عند الله وانما لم يأمر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال
فيحفكم تبخلوا **الوظيفة السابعة** ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واجله واطيبه فان الله طيب لا يقبل
الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي حديث ابان عن انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب
اذ قد يمسك الجيد لنفسه او لعبده او لاهله فيكون قد آثر على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه ارذل طعام في بيته
لاوغر به صدره هذا ان كان نظره الى الله وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس
له من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى والذي ياكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار
وقال الله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا
ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة الف
درهم وذلك بان يخرجه الانسان من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره

والناس قد يتحرزون من خلق الجليس في رأيه او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التأذي بثقله وتبرم خلقه والى هذا يرجع
خير فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد **الفائدة الاولى** الفراغ للعبادة والفكر والاستيناس بمناجاة الله
سبحانه عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله تعالى في امر الدنيا والاخرة وملكوت السموات والارض
فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن احد من الخلوة
الا بالتمسك بكتاب الله عز وجل والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله
بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك ان هؤلاء يمنعهم المخالطة عن الفكر
والذكر فالعزلة اولى بهم ولذلك كان عليه السلام في ابتداء امره يتبتل في جبل حراء ويعتزل اليه حتى قوي فيه نور
النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله عز وجل حتى كان الناس
يظنون ان ابا بكر رضي الله عنه خليله فاخبر صلى الله عليه وسلم عن استغراق همته بالله فقال لو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا لكن صاحبكم خليل الله ولن يتسع الجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة
فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد ان ينتهي درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل عن الجنيد
انه قال انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا
لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ومن المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما
يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه ملمة تشوش عليه امرا من امور دنياه قد يستغرقه الهم بحيث يخالط
الناس ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه وامر الاخرة اعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن
الاولى بالاكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي ارادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال يلتمسون
بذلك دوام الفكرة وتثبيت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما اصبرك
على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله عز وجل اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل
لبعض الحكماء الى اي شيء افضى بهم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله وقال سفين بن عيينة لقيت ابراهيم بن ادهم
في بلاد الشام فقلت يا ابراهيم تركت خراسان فقال ما تهنات بالعيش الا ها هنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن راني
يقول موسوس او ملاح او جمال وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك قال اني اصيب راحة
قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا ابا سعيد ها هنا رجل لم نره قط جالسا الا وحده خلف سارية فقال الحسن
اذا رايتموه فاخبروني به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا اليه فمضى اليه الحسن
وقال له يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عن الناس قال فما يمنعك ان تاتي
هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذاك الشغل
يرحمك الله فقال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرايت ان اشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب
فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه عندي من الحسن فالزم ما انت عليه وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه
هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك قال جئت لانس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال
الفضيل اذا رايت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني استرجعت كراهية لقاء الناس
وان يجيء من يشغلني عن ربي وقال عبد الواحد بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الاخرة قيل له وكيف ذاك
قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الاخرة وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك
بن دينار من لم يانس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك
ما احسن حال من انقطع الى الله عز وجل ويروى عن بعض الصالحين انه قال بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد
خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني
اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسالت الله عز وجل ان لا يجعل

حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب والفه الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول
فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني
ونفض يديه وقال اليك عني يا دنيا لغيري تزيني واهلك فغري ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة
وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فاذن في الخلوة انس بذكر الله واستكثار من معرفة
الله وفيه قيل وانى لاستغشي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا واخرج من بين الجلوس لعلني احدث عنك النفس بالسر خاليا
ولذلك قال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان في نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر حينئذ بملاقاة الناس ويطرد
الوحشة عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقيل
الاستيناس بالناس من علامة الافلاس فاذن هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر
الانس بالله او بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات
وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل به بدوام الذكر ولا معرفة الا
بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة **الفائدة الثانية** التخلص بالعزلة
عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي اربع الغيبة والرياء والسكوت
عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة التي يوجبها
الحرص على الدنيا اما الغيبة فاذا عرفت في كتاب افات اللسان من المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز
عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه
بها والتنقل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم واليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت
لسخط الله وان سكت كنت شريكا والمستمع شريك القايل وهو احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا ذلك المغتاب
واغتابوك فازدادوا غيبة الى الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم واما الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر فهو من اصول الدين وهو واجب كما سياتي بيانه في اخر هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات
فان سكت عصى الله به وان انكر تعرض لانواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منه الى معاص هي اكبر مما نهى عنه
ابتداء وفي العزلة خلاص منه فان الامر في اهماله شديد والقيام به شاق فقد قام ابو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال
ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم تضعونها
في غير مواضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راوا الناس المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله
بعقاب وقد قال عليه السلام ان الله يسال العبد حتى يقول ما منعك اذا رايت المنكر في الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله
عبدا حجته فيقول يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب او امر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل
وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف اثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل وكم سقت في اثارهم من نصيحة
وقد يستفيد البغضة المتنصح ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه غالبا فانه كجدار مائل يريد الانسان ان يقيمه
فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط عليه فيقول ليتني تركته مائلا نعم لو وجد اعوانا امسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة
استقام وانت اليوم لا تجد الاعوان فدعهم وانج براسك واما الرياء فهو الداء العضال الذي يعسر على الابدال والاوتاد
الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا واقل
ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما جميعا
وان جاملتهما كنت من شرار الناس قال عليه السلام ان من شرار الناس ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء
بوجه واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة
واظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال بقولك كيف انت وكيف اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من همومه فهذا نفاق محض
قال سري لو دخل علي اخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله خشيت ان اكتب في جريدة المنافقين وكان الفضيل جالسا

فيحل على انه ليس ... الله ... ولا يكرم ... قال الله تعالى قوم جعلوا لله ما يكرهون فقال ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى اي وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدا وقال جرم ان لهم النار اي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار

الوظيفة الثامنة ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهي ست **الصفة الاولى** ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي وهذا لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه وقال صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المومنين وفي لفظ آخر اضف بطعامك من تحبه في الله وكان بعض العلماء يوثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان افضل فقال لا هولاء قوم همهم لله سبحانه واذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم ولان ارد همة واحد الى الله احب الي من ان اعطي الفا ممن همته الدنيا فذكر هذا للجنيد فاستحسنه فقال هذا ولي من اولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه **الصفة الثانية** ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك رحمه الله يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم والتعلم فتفريغهم للعلم افضل **الصفة الثالثة** ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطاء حمد الله وشكره وراى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو اشكر العباد لله وهو ان يرى النعم كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيرك عليك مغرما ومن شكر غيره فكانه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله تعالى في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله تعالى خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الاكثر جدواه واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع فاما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الايذاء واحواله متقاربة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر بذلك فقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الافك قال ابو بكر قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر وفي لفظ آخر انها قالت لابي بكر رضي الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان الوحي وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الاشياء من غير الله وصف الكافرين قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكانه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية سره وتوحيده عن كدورات الشرك وشوائبه **الصفة الرابعة** ان يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا اي لا يلحون في السوال لانهم اغنياء بيقينهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسوال **الصفة الخامسة** ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من الاسباب

فيوجد فيه معنى قوله للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الاخرة بعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف بهذه الاسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه السلام يعطي العطاء على قدر العيلة وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال **الصفة السادسة** ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فيكون صدقة وصلة وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الي من ان اعتق رقبة والاصدقاء واخوان الخير ايضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك واصاب فله اجران وان اخطا فله اجر واحد فان احد اجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتاكيد حب الله في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه الى لقاء الله والاجر الثاني ما يعود اليه من فائدة دعوة الاخذ وهمته فان قلوب الابرار لها آثار في الحال والمال فان اصاب حصل الاجران وان اخطا حصل الاول دون الثاني فبهذا يتضاعف اجر المصيب في الاجتهاد هاهنا وفي سائر المواضع والله اعلم بالصواب

الفصل الثالث في القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه بيان اسباب الاستحقاق

اعلم انه لا يستحق الزكاة الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله فلا تصرف زكاة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي او مطلبي اما الصبي والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية **الصنف الاول** الفقراء والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لانه في الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسوال فلا يجعل السوال كسبا بخلاف ما لو قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز ان يشترى له الآلة وان كان قدر على كسب لا يليق بمروته وبحال مثله فهو فقير وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات واوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب اولى منه قال صلى الله عليه وسلم الكسب فريضة بعد الفريضة وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسالة وان كان مكتفيا بنفقة ابيه او من تجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب فليس بفقير **الصنف الثاني المساكين** والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فاسا وحبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط في فهم الحاجة الى الكتاب فالكتاب يحتاج اليه لثلاثة اغراض للتعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة **اما حاجة التفرج** فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الاخرة ولا يجري في الدنيا الا مجرى التفرج والاستيناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة **واما حاجة التعليم** ان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس باجرة فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كادوات الخياط وسائر المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة **واما حاجة الاستفادة** والتعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه او كتاب وعظ ليطالع ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى

اتصدق بمائة درهم ولان [اصله] بمائة درهم احب الي من ان اعتق

كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على

في المسجد الحرام فجاء اليه اخ له فقال له ما جاء بك قال المؤانسة يا ابا علي فقال هي والله بالمواحشة اشبه هل تريد
الا ان تتزين لي واتزين لك فتكذب لي واكذب لك اما ان تقوم عني واما ان اقوم عنك وقال بعض العلما ما احب الله
عبدا الا احب ان لا يشعر به ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني
بامرة المؤمنين قال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يحترز هذا الاحتراز
فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف اصبحت
وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين لا عن احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك
قال سالما معافا فكره حاتم جوابه فقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان اذا قيل لعيسى صلوات الله
عليه كيف اصبحت قال اصبحت لا املك تقديم ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا بعملي والخير كله في يد غيري فلا
فقير افقر مني وكان الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفا مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر آجالنا وكان
ابو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار وكان سفين الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت
اشكو ذا الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا وقيل لاويس القرني كيف اصبحت قال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح
واذا اصبح لا يدري انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لبعض الحكما كيف اصبحت
قال اصبحت لا ارضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي وقيل لحكيم كيف اصبحت قال اصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن
واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة الى الآخرة وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهي عافية
كل يوم الى الليل فقيل له الست في عافية في كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك
فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عادل بلا حجة وقيل لحسان بن سنان
ما حالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا
وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة فاقض بها دينك وخمسمائة عد بها على
عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا اسال احدا عن حاله ابدا وانما فعل ذلك لانه خشي ان يكون سؤاله من غير اهتمام
بامره فيكون به مرائيا منافقا فقد كان سؤالهم عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله وان سالوا عن امور الدنيا فعن
اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم احدهم على صاحبه
بجميع ما يملكه لم يمنعه واري الآن اقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم لحبة من ماله
لمنعه فهل هذا الا مجرد الريا والنفاق وآية ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت ويقول الآخر كيف انت فالسائل لا ينتظر الجواب
والمسؤول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك عن ريا وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن واحقاد والالسن
منطلقة بالسؤال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليكم اي سلمت والله قلوبكم فاما الآن فكيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فان
اخذنا بقولهم كانت بدعة لا وكرامة فان شاؤا غضبوا علينا وانما قال ذلك لان البداية بقولك كيف اصبحت بدعة وقال رجل لابي بكر
بن عياش كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقالوا انما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون
عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقى اخاه غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف
امسيت والمقصود ان الالتقاء غالب للعادات ليس يخلو عن انواع من التصنع والريا والنفاق وكل ذلك مذموم بعضها محظور وبعضها
مكروهة وفي العزلة الخلاص منها فان من لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لايذائه
فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم واما مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم فهو
داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس
نفسه الى ما قبل مجالسته ادرك فيها تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع
ويسقط وقعه واستعظامه منه وانما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل
القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل اليه او لما دونه ومهما طالت مشاهدته الكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك يزدري

الناظر

الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما اتيح له من النعم
وكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في العبادة
والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه
مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر الى احوال اهل الزمان واعراضهم
عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو
الهلاك ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله عليه
وسلم عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليست تنزل عند الذكر عينه ولكن سببه وهو انبعاث
الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف مما هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدا
الرحمة فعل الخير ومبدا فعل الخير الرغبة ومبدا الرغبة ذكر احوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى
هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من نصه وهو انه عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم يهون على الطبع
امر المعاصي واللعنة هو البعد ومبدا البعد عن الله هو المعاصي والاعراض عن الله بالاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات
الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدا المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ومبدا سقوط الثقل وقوع الانس بها
بكثرة السماع واذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
قال مثل الجليس السوء مثل القين ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه فكما ان الريح يعلق بالثوب ولا يشعر به وقال مثل الجليس
الصالح مثل صاحب المسك ان لم يهب لك منه تجد ريحه ولهذا اقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احديهما
انه غيبة والثانية وهي اعظمهما ان حكايتها تهون على المستمعين امر تلك الزلة وتسقط من قلوبهم استعظامها الاقدام
عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فانه مهما وقع فيه فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد
هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلما والعباد ولو اعتقد ان مثله لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر
لشق عليه الاقدام فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه
قبحها بان الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا انفسهم عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال علي ومعوية رضي الله عنهما ويخمن
في نفسه ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد الخطا يهون عليه امر الرياسة ولوازمها من المعاصي
والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى
الشهوة ليتعلل به وهي من دقائق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله المراغمين للشيطان فيه بقوله الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه وضرب عليه السلام لذلك مثلا وقال مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل الا بشر ما يسمع كمثل رجل
اتى راعيا فقال له يا راعي اجزرني شاة من غنمك قال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وكل من يتعلل
بهفوات الائمة فهذا مثاله ايضا ومما يدل على سقوط وقع الشي عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس
اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقاد كفره وقد يشاهدون من يؤخر
صلوات عن اوقاتها فلا تنفر عنها طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلاة واحدة تقتضي تركها التكفير
عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلاة تتكرر والتساهل فيها
مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما من ذهب او شرب من اناء
فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد عنه
والغيبة اشد من الزنا فكيف لا يكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة مشاهدة الغيبة والمغتابين اسقط عن القلوب
وقعها وهون على النفوس امرها فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد
في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك بالله
صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق ان الجليس الصالح خير من

الوحدة

عنه وان لم تطل فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعته الا نادرا فلا ينبغي ان يضبط فيه
الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شي لزمه الفطرة
فاذا قدرنا حاجة القوت باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن ينبغي ان يقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في
الشتاء والكتب بالثياب والاثاث اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة الا الى احدهما فان قال
احدهما اصح والاخر احسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن او صحح الاحسن وبع الاصح ودع التفرج
والترفه وان كانت نسختان من علم واحد احدهما بسيط والاخر وجيز فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف
بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحد فائدة ليست في الاخر وامثال هذه الصور لا
تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وانما اوردناه لعموم البلوى والتنبيه بجنس هذا النظر على غيره فان
استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها
وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة لكن الفقيه يجتهد فيه
رايه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع ياخذ بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه
والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط **الصنف الثالث**
العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكوة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي
والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجر المثل فان فضل شي من الثمن عن اجر مثلهم رد على بقية الاصناف
وان نقص كمل من مال المصالح **الصنف الرابع المولفة قلوبهم** وهو الشريف الذي اسلم وهو مطاع في قومه
وفي اعطايه تقريره على الاسلام وترغيب نظرايه واتباعه **الصنف الخامس المكاتبون** فيدفع الى السيد سهم
المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكوته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبده **الصنف السادس**
الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان
كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة او اطفاء فتنة **الصنف السابع الغزاة** الذين ليس لهم مرسوم
في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنيا اعانة لهم على الغزو والجهاد **الصنف الثامن ابن السبيل**
وهو الذي شخص من بلد ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد اخر اعطي قدر بلغته
فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة فبقول الاخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد
قوله اذا لم يعلم كذبه واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله اني غازي فان لم يف به استرد واما بقية الاوصاف
فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق فاما مقدار ما يصرف الى كل احد فسياتي ذكره ان شا الله تعالى **بيان وظايف**
القابض وهي خمس **الاولى** ان يفهم ان الله تعالى اوجب صرفه اليه ليكفي همه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله الخلق
بان يكون همهم واحدا وهو الله واليوم الاخر وهو المعنى بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة
ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة يكفي الحاجات فاكثر الاموال
وصبها في ايدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعته فمنهم من اكثر ماله فتنة وبلية فاقحمه
في الخطر ومنهم من احبه فحماه عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنيا
ليكون سعي الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفايدته تنصب الى الفقرا فيتجردون لعبادة الله والاستعداد
لما بعد الموت فلا يصرفهم عنها فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التاهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير ان يعرف قدر
نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه كما سياتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه
فلياخذ ما ياخذه من الله رزقا له وعونا على الطاعة وليكن نيته فيه ان يتقوى به على طاعته فان لم يقدر عليه فليصرفه
الى ما اباحه الله تعالى فان استعان به على معصية الله كان كافرا لانعم الله مستحقا للبعد والمقت من الله **الثانية** ان يشكر
المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله اليه والطريق

حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي روية النعمة من الله فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس
لم يشكر الله وقد اثنى الله تعالى على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها وخالق القدرة عليها نحو قوله نعم العبد
انه اواب الى غير ذلك وليقل القابض في دعايه طهر الله قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في
ارواح الشهدا وقد قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافيوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم
قد كافيتموه ومن تمام الشكر ان يستر عيوب العطا ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع
ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى
كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة اسباب
التصغير ويضره خلافه والاخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض روية النعمة من الله فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد
جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا **الثالثة** ان ينظر فيما ياخذه فان لم يكن من حله تورع عنه فمن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا ياخذن من اموال الاتراك والجنود وعمال
السلاطين ومن اكثر كسبه عن الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان ياخذ بقدر
الحاجة فان فتوى الشرع في مثل هذا ان يتصدق به على ما سياتي في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا
اخذ لم يكن اخذه اخذ زكوة اذ لا يقع زكوة عن موديها وهو حرام **الرابعة** ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في
مقدار ما ياخذه فلا ياخذ الا القدر المباح ولا ياخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان ياخذ بالكتابة
او الغرامة فلا يزيد على قدر الدين وان كان ياخذ بالعمالة فلا يزيد على اجرة المثل وان اعطي زيادة ابى وامتنع
اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكرا الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم ياخذ
الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك
ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه
او يستغني عن نفاسته فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق
معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الاخذ ظاهرا
وللمحتاج في تقدير الحاجة مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل
الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا ياخذن مالا كثيرا
بل ما يتمم كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت
اسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة فهذا اقرب ما يحد به حد الفقير
والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره او حاجة يومه فهو اقرب للتقوى ومذاهب العلما في قدر الماخوذ بحكم الزكوات
والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن
الحنظلية انه عليه السلام نهى عن السوال مع الغنى فسيل عن غناه فقال غداؤه وعشاؤه وقال آخرون ياخذ الى حد
الغنى وحد الغنى نصاب الزكوة اذ لم يوجب الله تعالى الزكوة الا على الاغنيا فقالوا له ان ياخذ لنفسه ولكل واحد
من عياله نصاب الزكوة وقال آخرون حد الغنى خمسون درهما لما روى ابن مسعود رضي الله عنه انه قال من سال وله
ما يغنيه جا يوم القيمة وفي وجهه خموش قيل وما غناه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال
قوم اربعون لما رواه عطا بن يسار رضي الله عنه منقطعا انه عليه السلام قال من سال وله اوقية فقد الحف في السوال
وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له ان ياخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به طول عمره او يهيي بضاعة ليتجر
فيه ويستغني لان هذا هو الغنى وقد قال عمر رضي الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله
ان ياخذ بقدر ما يعود الى مثل حاله ولو عشرة الاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل طلحة رضوان الله
عليه بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال عليه السلام اجعله في قرابتك فهو خير لك فاعطاه حسان وابا قتا

مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه انه صح

دة

وان الوحدة خير من جليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى حال من اردت مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليه بالمخالطة واياك ان تحكم مطلقا على العزلة او المخالطة بان احديهما اولى من الاخرى اذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا ونعم خلف محض ولا حق في المفصل الا التفصيل

الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيه والتعرض لاخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه قلت فما تامرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وروى ابو سعيد الخدري انه عليه السلام قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال او مواقع القطر يفر بدينه من الفتن وروى عبد الله بن مسعود انه عليه السلام قال سياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بمعاصي الله ولست اقول هذا اوان ذلك الزمان فلقد كان هذا باعصار قبل هذا العصر ولاجله قال سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة وقال ابن مسعود ذكر النبي عليه السلام الفتنة وايام الهرج قيل وما الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه قلت فبم تامرني ان ادركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يا رسول الله ارايت ان دخل علي داري قال فادخل بيتك قلت فان دخل علي بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله حتى تموت وقال سعد لما دعي الى الخروج ايام معوية قال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمؤمن فاكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضا فبينما هم كذلك يسيرون اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فاخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال بعضهم الشمال فاخذوا فيها فتاهوا واناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبين الطريق فسعد وجماعة فارقوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوال الفتن وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما بلغه ان الحسين رضي الله عنه توجه الى العراق فلحقه على مسيرة ثلثة ايام فقال له اين تريد فقال العراق واذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تاتهم فابى فقال اني محدثك حديثا ان جبريل اتى النبي عليه السلام فخيره بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا للذي هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل وكان في الصحابة عشرة الاف فما خف ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الايمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله فقال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هناك عما انتم فيه عافية فاذن الحذر من الخصومات ومثارات الفتن احدى فوايد العزلة

الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة او الكذب فربما يرون منك من الاعمال والاقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت يظهر فيه فرصة للشر فاذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكماء لغيره اعلمك بيتين خيرا من عشرة الاف درهم فقال ما هو فقال

اخفض الصوت ان نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال
ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون او بجمال

ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم في اعمالهم لم ينفك من حاسد وعدو يسي الظن به ويتوهم انه يستعد لمعاداته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غايلة وراه فالناس مهما اشتد حرصهم على امر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ومهما اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيره الا الحرص قال المتنبي رحمه الله تعالى

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته واصبح في ليل من الشك مظلم

وقيل معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالابرار وانواع الشر الذي يلقاه الانسان من معارفه ومن يختلط به كثيرة لسنا نطول بتفصيلها وفيما ذكرناه اشارة الى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها والى هذا اشار الاكثر من اختار العزلة فقال ابو الدرداء اخبر تقله وقال الشاعر

من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحدة مستانسا يوحشه الاقرب والابعد

وقال عمر في العزلة راحة من الخلط السوء وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتي المدينة قال ما بقي فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقال ابن السماك كتب صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض الاعراب يلازم شجرا ويقول هو نديم فيه ثلث خصال ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتمل وان عربدت معه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندما وكان بعضهم لزم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من وحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليسا امتع من دفتر وقال الحسن اريد الحج فسمع ثابت البناني وهو ايضا من اولياء الله فقال بلغني انك تريد الحج فاحببت ان نصطحب فقال له الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر الله عز وجل اني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه وهذه اشارة الى فائدة اخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروة والاخلاق والفقر وسائر العورات وقد مدح الله تعالى المتسترين فقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال الشاعر

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة ولكن عارا ان يزول التجمل

اي التصبر ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات الاولى في الدين والدنيا سترها ولا يبقى السلامة مع انكشافها وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه واذا كان هذا حكم زمانه وهو في اخر القرن الاول فلا ينبغي ان يشك في ان الاخير شر وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا احسب اني ارى ما اكره الا ممن عرفت وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد وحده واذا كلب قد وضع حنكه على ركبتيه فذهبت اطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر وهذه اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق القرين السوء وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف

الفائدة الخامسة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فاما انقطاع طمع الناس ففيه كل الجدوى فان رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه اولى ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولايم والاملاكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للافات ثم قد يعوق عن بعضها العوايق ويستقبل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون قمت بحق فلان وقصرت في حقنا ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين او دنيا قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب

وقال الشافعي اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا فائدة جزيلة فان من نظر الى زينة الدنيا وزهرتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتاذى به ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال عليه السلام انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنيا فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست الفقرا فاسترحت وحكي ان المزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما راى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر

خاطر من نخل او حلبتين لبنا فهي وأعطى عمر رضي الله عنه اعرابيا ناقة معها ظئرها فهذا ما يحتج فيه اما التقليل الى حد
اليوم او الاوقية فقد ورد في كراهية السؤال والتشديد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم آخر من التجويز الى ان يشتري
ضيعة فيستغني بها اقرب الى الاحتمال وهو ايضا مايل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر
وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع استفت
قلبك وان افتوك وافتوك كما قال صلى الله عليه وسلم ان الاثم حواز القلوب فاذا وجد القابض في نفسه شيئا مما ياخذ
فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها
تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة الخامسة
ان يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا ياخذ منه لانه لا يستحق مع شريكه الا
الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب عن اكثر الخلق فانهم لا يراعون
هذه القسمة اما جهلا واما تساهلا وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم
وسيأتي مظان السؤال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام ان شاء الله تعالى

الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها واعطائها

فضيلة الصدقة من الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم تصدقوا
ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع وتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا
بكلمة طيبة وقال ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله عز وجل
ياخذها بيمينه فيربيها له كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال لابي الدرداء رضي الله عنه اذا طبخت
مرقة فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف وقال ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة
على تركته وقال كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال عليه السلام الصدقة تسد سبعين بابا
من الشر وقال عليه السلام صدقة السر تطفي غضب الرب وقال عليه السلام ما المعطي من سعة بافضل اجرا من الذي
يقبل من حاجة ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه
عمارة دينه وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تأمل
البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه
تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا فقال انفقه على نفسك قال ان عندي آخر قال انفقه على زوجتك
قال ان عندي آخر قال انفقه على ولدك قال ان عندي آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال انت ابصر به
وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لآل محمد انما هي اوساخ الناس وقال ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس
الطائر من الطعام وقال لو صدق السائل ما افلح من رده وقال عيسى صلوات الله عليه من رد سائلا خائبا لم تغش
الملائكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره
وكان يناول المسكين بيده وقال ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف
اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وقال عليه السلام ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله عز وجل ما دامت عليه
منه رقعة الآثار قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما لقد تصدقت عايشة رضي الله عنها بخمسين الفا وان درعها
لمرقع وقال مجاهد في قول الله تعالى ويطعمون الطعام على حبه قال وهم يشتهونه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على اهل الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلوة تبلغك نصف
الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن ابي الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا
من السوء وفضل سرها على علانيتها سبعين ضعفا وانها لتفك لحيي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود رضي الله
عنه ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله
له ذنبه ورد عليه عمله السبعين سنة وقال لقمان لابنه اذا اخطات خطيئة فاعط صدقة وقال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة

تزين بحلال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن ابي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان
الصدقة وكتمان المصيبة وقال عمر رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن وكان
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون والله يعلم اني احب السكر وقال النخعي اذا كان الشيء لله لا يسرني ان يكون فيه عيب وقال
عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط فمن اطعم لله اشبعه الله ومن
سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الحسن رحمه الله لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم
ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته
فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك رحمه الله لا نرى بشرب الموسر من الماء الذي يتصدق به
ويسقى في المسجد باسا لانه انما جعل للعطشان كائنا من كان ولم يرد به اهل الحاجة والمسكنة على
الخصوص ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى في ثمنها الدرهم والدرهمين
قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضي في الحور العين بالفلس واللقمة بيان اخفاء اخذ الصدقة واظهارها
قد اختلف طرق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء افضل ومال قوم الى الاظهار ونحن نشير
الى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه خمسة معان الاول
انه ابقى للستر على الآخذ فان اخذه ظاهرا هتك لستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف
والتصون المحبوب الذي يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف الثاني انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم
فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغناء او ينسبونه الى اخذ زيادة
والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم اولى وقال ايوب السختياني
اني لاترك لبس ثوب جديد خشية ان يحدث في جيراني حسد وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء
لاجل اخواني يقولون من اين له هذا وعن ابراهيم التيمي انه رأى عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه
من اين لك هذا فقال كسانيه اخي خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به ما قبلته الثالث اعانة المعطي
على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء اكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان
لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا انكشف امر المعطي دفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه شيئا
في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في اخفاء معروفه فقبلته وذلك اساء ادبه في عمله
فرددت عليه واعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملا فرده فقال لم ترد على الله ما اعطاك فقال انك
اشركت غير الله فيما كان لله ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده
في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم اكن عونا لك على المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك على برك
وقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته الرابع ان في اظهار الاخذ ذلا
وامتهانا وليس للمؤمن ان يذل نفسه كان بعض العلماء ياخذ في السر ولا ياخذ في العلانية ويقول ان في اظهارها
اذلالا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت بالذي ارفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله الخامس الاحتراز
عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم من اهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وبان يكون ورقا
او ذهبا لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم افضل ما اهدى الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه
خبزا فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى في الملا مكروه الا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم
عن هذه الشبهة واما الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة الاول الاخلاص والصدق والسلامة
عن تلبيس الحال والمراءاة والثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبرياء
ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من اعين الخلق وقال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت

وكان يقول تعالى فالذي هو في سنة لا يتسلى بمثل هذه النفس فان من شاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر
فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا
فبالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له واما في الآخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى
والتقرب الى الله ولذلك قال ابن الاعرابي اذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت الى العليا من جانب الفقر
اشار الى ان الطمع يوجب في الحال ذلا **الفائدة السادسة** الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة خلقهم
واخلاقهم فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت عينك قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه
رجل فقال له في الخبر ان من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك قال في معرض المطايبة عوضني
عنهما انه كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل مرة فغشي علي وقال جالينوس
لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وقال الشافعي ما جالست ثقيلا قط الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كانه اثقل
علي من الجانب الآخر وهذه الفوائد ما سوى الاوليين متعلقة بالمقاصد الدنياوية الحاضرة ولكنها ايضا تتعلق بالدين
فان الانسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يأمن ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله واذا تأذى من غيره بغيبة او سوء ظن او
محاسدة او نميمة او غيرها لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فلنفهم آفات العزلة
اعلم ان من المقاصد الدينية والدنياوية ما يستفاد من المخالطة ويفوت بالعزلة وفواتها من آفات العزلة فانظر الى فوائد
المخالطة والدواعي اليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس والايناس
ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل
ذلك فانها من فوائد المخالطة وهي سبعة **الفائدة الاولى** التعليم والتعلم قد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما اعظم
العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج
الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل
وان كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم
اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكر في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد
يستوعبها ولا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده
في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو
يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف
يعالجها فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا تليق العزلة الا بالعالم
واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المتعلم والمعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع
فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا
يطلب فائدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ او جدال معقد يتوصل به الى افحام الاقران
ويتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة واقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوسل
الى التقدم على الامثال وتولي الولايات واجتلاب الاموال وهؤلاء كلهم تقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف
طالب لله ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلد كبير اكثر من واحد
او اثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله فان الفقهاء
يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى اواخر اعمار الاكثرين منهم واعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا كالبين
عليها او راغبين فيها او زاهدين عنها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفيان هو علم الحديث وتفسير
القرآن ومعرفة سير الانبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهي سبب لاثارة الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال اثر
في المآل واما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب للدنيا

الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر عمره ولعل ما اودعناه هذه الكتب ان تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص
فيه اذ يرجى ان ينزجر به في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله وبالترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف
في الاحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه فان المقتصر على العلم
ينقضي بعصيه الا من الجاهل المغرور او من المجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه
القبول والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء كما قال عليه السلام
ولذلك حكي ان بشرا دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الاحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول اني اشتهي ان احدث
فلذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا قال الرجل حدثنا فانما يقول
اوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري نعم الرجل انت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا رغبت قالت في الحديث
ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر فقد ركن الى الدنيا وهذه آفات قد نبهنا عليها
في كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار بالاصحاب ما امكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب
له ان كان عاقلا في هذا الزمان ان يتركه فلقد صدق ابو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك
فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك
رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة واخوان بهت وعضيهة ولا تغتر باجتماعهم عليك
لديك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم
كانوا اشد اعدائك عليك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك
وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا
خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وان خالف بعض الفاظه وهو
حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليه فكانه يهدي تحفة اليه
ويرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم ان المدرس المسكين قد يعجز عن القيام
بذلك من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه
السحت بمال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم الله اليه ما يقدره نفقة مستمرة
من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المميزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز
عن درك مصارفات الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثاروا
عليه ثوران الاساود والاسد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما ياخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء
كله يمني نفسه بالاباطيل ويدليه بحبل الغرور ويقول لها لا تفتري عن صنيعك فانما انت بما تفعله مريد وجه الله ومذيع
شرع رسول الله وناشر علم دين الله وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة
للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى
تأمل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام
فتلحظهم اعين الجهال ويستجرئون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية الا
بفساد الملوك وما فسد الملوك الا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء
الفائدة الثانية النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى الا بالمخالطة والمحتاج
اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب وان كان
معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة افضل له اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون غرضه
الكسب للصدقة فاذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال
بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد به لذكر الله اعني من حصل له انس بمناجاة

[illegible]
او رجل يزداد في قلبه باظهار الصدق فذلك هو الذي يريد اخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه كلما تعطيه اياك
متوجرات اذ كلته له بسبب مزيد ثوابه **الثالث** هو ان العارف لا نظر له الا الى الله والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف
الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبا بدعا من ياخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات الى الخلق حضروا ام غابوا
نقصان في الحال بل ينبغي ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد وحكي ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة
المريدين فشق على الاخرين فاراد ان يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة فقال لينفرد كل واحد
منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد وذبح الا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسالهم فقالوا فعلنا ما امرنا
الشيخ وقال ذلك المريد لم اقدر عليه فان الله كان يراني في كل موضع فقال الشيخ بهذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله
الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله
تعالى من كتم ما آتاه الله تعالى وقرنه بالبخل فقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
وقال صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله عز وجل على عبد نعمة احب ان ترى عليه واعطي رجل بعض العارفين شيئا في السر
فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في امور الآخرة افضل ولذلك قال بعضهم اذا اعطيت
في الملا فخذ ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله والشكر
تام مقام المكافاة حتى قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا به خيرا وادعوا
حتى تعلموا انكم قد كافاتموه ولما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الاموال
حتى خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم فهو مكافاة فالان اذا عرفت هذه المعاني
فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسالة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا انا لا نحكم
حكما بتا بان الاخفاء افضل في كل حال او الاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف
الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان
والمكر والخداع اغلب في معاني الاخفاء منه في الاظهار مع ان له مدخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الخداع في الاسرار
فمن ميل الطبع اليه لما فيه من خفض الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى
المعطي بعين المحسن المنعم اليه وهذا هو الداء الدفين يستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني
الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد وهو ان يكون تالمه بانكشاف اخذه للصدقة كتالمه بانكشاف
صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن او يتقي انتهاك
الستر او اعانة المعطي على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة اخيه فان كان
انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني غاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان
اذلال العلم محذور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون على
الخصوص ومن احسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب الاظهار
فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطي واستحثاث له على مثله واظهار لغيره انه من المبالغين في الشكر
حتى يرغبوا في اكرامه وتفقده وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج هذا الخبث في معرض
السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء تحرز من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار
وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى
من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفي ولا
يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم
اذا علم ان باعثه السنة فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان

قضاء حقه ان لا ينصر على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر
صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما افلح مع انه عليه السلام كان
يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد رغبتهم في الخير فقال لواحد انه سيد
اهل الوبر وقال اخر اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا وقال اذا علم
احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه
لم يضره مدح الناس وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا كنت انا اسر به منك فرايت ذلك نعمة من الله
علي فاشكر والا فلا تشكر فدقائق هذه المعاني ينبغي ان يلحظ من يراعي قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق
ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسالة واحدة منه
افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ في الملا
والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي السر
والعلانية وذلك الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى **بيان الافضل من اخذ الصدقة او الزكوة** كان ابراهيم الخواص
والجنيد وجماعة رحمهم الله يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان في اخذ الزكوة مزاحمة على المساكين وتضييقا
عليهم ولانه ربما لا يكمل في اخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب واما الصدقة فالامر فيها اوسع وقال قائلون ياخذ الزكوة
دون الصدقة لانه اعانة على واجب ولو ترك المساكين كلهم اخذ الزكوة لاثموا بتركه ولانه لا منة فيه وانما هو حق
واجب لله رزقا لعباده المحتاجين ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين
فان الغالب ان المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان مرافقة المساكين ادخل في الذل والمسكنة وابعد عن
التكبر اذ قد ياخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا يتميز عنه وهذا تنصيص على ذل الاخذ وحاجته والقول
الحق في هذا ان هذا يختلف باختلاف احوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية فان كان في شبهة من اتصافه
بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان ياخذ الزكوة فاذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى الخير وليس له
وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير بين هذا وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال
لو لم ياخذ هو فلياخذ الصدقة فان الواجب يصرفه صاحبه الى مستحقه ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع للمساكين وان كان
المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متقارب واخذ الزكوة اشد
في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال **فهرست كتاب الخمس من احياء علوم الدين كتاب اسرار الصيام**

الى

وكان يقول تعالى فالذي هو في مثله لا ينبغي تحمل هذه النفس فان من شاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر
فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا
فبالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات فليس كل من يطلب الدنيا يتيسر له واما في الاخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى
والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابي اذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت الى العلياء من جانب الفقر
اشار الى ان الطمع يوجب في الحال ذلا **الفائدة السادسة** الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة حمقهم
واخلاقهم فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش لم عمشت عينك قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه
رجل فقال له في الخبر ان من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك قال في معرض المطايبة عوضني
عنهما انه كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل مرة فغشي علي وقال جالينوس
لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وقال الشافعي ما جالست ثقيلا قط الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كانه اثقل
علي من الجانب الاخر وهذه الفوائد ما سوى الاوليين متعلقة بالمقاصد الدنياوية الحاضرة ولكنها ايضا تتعلق بالدين
فان الانسان مهما تاذى برؤية ثقيل لم يامن ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله واذا تاذى من غيره بغيبة او سوء ظن او
محاسدة او نميمة او غيره لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فلنكشف الغطاء
الان من المقاصد الدينية والدنياوية ما يستفاد من المخالطة ويفوت بالعزلة وفواتها من آفات العزلة فانظر الى فوائد
المخالطة والدواعي اليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتادب والتاديب والاستيناس والايناس
ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل
ذلك فانها من فوائد المخالطة وهي سبعة **الفائدة الاولى** التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما اعظم
العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج
الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتاتى منه الخوض في العلوم وراى الاشتغال بالعبادة فليعتزل
وان كان يقدر على التبريز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم
اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكر في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد
يستوعبها ولا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك عن اعتقاد
في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو
يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال قال النخعي مثال مريض يفتقر الى طبيب لطيف
يعالجها فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا تليق العزلة الا بالعالم
واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المتعلم والمعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع
فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا
يطلب فائدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف يستمال به العوام في معرض الوعظ او لجدال معقد يتوصل به الى افحام الاقران
ويتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة واقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوسل
الى التقدم على الامثال وتولي الولايات واجتلاب الاموال وهؤلاء كلهم تقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف
طالب لله ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلد كبير اكثر من واحد
او اثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر الانسان بقول سفين تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وان الفقهاء
يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى اواخر اعمار الاكثرين منهم واعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا وكانوا
عليها وراغبين فيها وزاهدين عنها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفين هو علم الحديث وتفسير
القران ومعرفة سير الانبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهي سبب لاثارة الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال اثر
في المال واما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب للدنيا

الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر عمره ولعل ما اودعناه هذا الكتاب ان تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص
فيه اذ يرجى ان ينزجر به في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله وبالترغيب في الاخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف
في الاحاديث وتفسير القران ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه فان المقتصر على العلم
ينقسمون لعظيم الآفات الى الجاهل المغرور ومن المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه
القبول والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء كما قال عليه السلام
ولذلك حكي عن بشر انه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الاحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول انني اشتهي ان احدث
فلذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا قال الرجل حدثنا فانما يقول
اوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفين الثوري نعم الرجل انت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيم ذا قالت في الحديث
ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر فقد ركن الى الدنيا وهذه آفات قد نبهنا عليها
في كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار بالاصحاب ما امكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب
له ان كان عاقلا في هذا الزمان ان يتركه فلقد صدق ابو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك
فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك
رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة واخوان بهت وعضيهة ولا تغتر باجتماعهم عليك
لذلك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم
كانوا اشد اعدائك عليك ثم يعتدون ترددهم اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك
وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا
خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وان خالف بعض الفاظه وهو
حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليه فكانه يهدي تحفة اليه
ويرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزق له على الاتصال ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام
بذلك من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه
السحت بمال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم اليه ما يقدره نقدا او قسطا نقدا
ثم يبقى المسكين في مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المميزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور
عن درك مصارفات الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقته السفهاء بالسنة حداد وثاروا
عليه ثوران الاساود والاسد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما ياخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء
كله يمني نفسه بالاباطيل ويدليه بحبل الغرور ويقول لها لا تفتري عن صنيعك فانما انت بما تفعله مريد وجه الله ومشيع
شرع رسول الله وناشر علم دين الله وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة
للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى
تامل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام
فتلحظهم اعين الجهال ويستجرئون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية الا
بفساد الملوك وما فسد الملوك الا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء
الفائدة الثانية النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمحتاج
اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب وان كان
معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة افضل له اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون غرضه
الكسب للصدقة فاذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال
بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الاقبال بالكلية على الله والتجرد بالذكر لله اعني من حصل له انس بمناجاة

كتاب اسرار الصيام ومهماته وهو الكتاب السادس من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد امله
وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنة وفتح لهم به ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان الى قلوبهم
الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة والصلوة على محمد
قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله واصحابه ذوي الابصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان الصوم
ربع الايمان بمقتضى قول النبي صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله عليه السلام الصبر نصف الايمان ثم هو
متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم كل حسنة
بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وقال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي
فالصيام لي وانا اجزي به وقال النبي صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون وهو موعود
بلقاء الله في جزاء صومه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وقال صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان
فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه وقال النبي صلى الله عليه وسلم نوم الصائم عبادة وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد
يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصيام
اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم
فقال ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي انت
عندي كبعض ملائكتي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الصائم يقول الله تعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته
ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل
كان عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم
وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف
البيت بالنسبة الى الله تعالى والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل
يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله تعالى فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني
انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال لعائشة داومي قرع
باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع وسيأتي فضائل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه في ربع المهلكات فلما
كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله تعالى
ففي قمع عدو الله نصرة لله ونصرة الله موقوفة على النصرة له قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم
فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله تعالى ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال
الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير تكثير للشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت
مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب
العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه
وسننه وشروطه الباطنة والظاهرة **الفصل الاول في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده اما**
الواجبات الظاهرة فستة الاول مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فباستكمال ثلاثين من شعبان ونعني

بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق
بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا رأى
الهلال ببلدة ولم ير باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة
حكمها ولا يتعدى الوجوب **الثاني** النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم
شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا لكل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان
ولا صوم الفرض مطلقا الا التطوع وهو الذي عنيناه بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض مطلقا
لم يجز حتى ينوي فريضة الله صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجز
فانها ليست بجازمة الا ان تستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل او كذبه لا يبطل الجزم او يستند
الى استصحاب حال كالشك في الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او يستند الى اجتهاد كالمحبوس
في المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من جزم النية ومهما كان شاكا ليلة
الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في
وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظه ومحل النية لا يتصور
فيه تردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم اكل لم تفسد نيته ولو نوت في الحيض ثم
طهرت قبل الفجر صح صومها **الثالث** الامساك عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد
صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الاذن
والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق او ذبابة تسبق الى جوفه
او ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي اردنا بقولنا
عمدا فاما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر فاما من اكل عامدا في طرف النهار ثم ظهر
له انه اكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي ان ياكل
في طرفي النهار الا بنظر واجتهاد **الرابع** الامساك عن الجماع وحده تغييب الحشفة وان جامع ناسيا لم يفطر
وان جامع ليلا او احتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط اهله فنزع في الحال صح صومه فان صبر
فسد ولزمه الكفارة **الخامس** الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك مفطر
ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او مالكا لاربه فلا باس
بالتقبيل وتركه اولى واذا كان يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المني افطر لتقصيره **السادس**
الامساك عن اخراج القيء فالاستقاءة تفسد الصوم فان ذرعه القيء لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه
او صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به الا ان يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك واما اللوازم
للافطار فاربعة القضاء والكفارة والفدية والامساك بقية النهار تشبها بالصائمين اما القضاء فوجوبه عام على
كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد اما الكافر والصبي والمجنون
فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضي كيف شاء متفرقا او مجموعا واما الكفارة فلا تجب الا
بالجماع اما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع فلا تجب به كفارة والكفارة عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين
وان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا واما الامساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب
على الحائض اذا طهرت بقية نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر طويل مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد
بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر افضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله
ولا يوم يقدم اذا قدم صائما واما الفدية فتجب على الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على ولدهما لكل يوم مد حنطة لمسكين
واحد مع القضاء والشيخ الهم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا **واما السنن فست** تاخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر

عن كشف وبصيرة لا عن اوهام وخيالات فاسدة واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل
الحسبة ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع
فهي افضل له من العزلة ان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له
طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة الفائدة الثالثة التأديب والتأدب
ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من الفوائد
التي تستفاد بالمخالطة وهو افضل من العزلة في حق من لم تتهذب بعد اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته
ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة
النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهمتهم الى الله كان هذا هو المبدأ في الاعصار الخالية
والآن قد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مال سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع
بالخدمة التكثر بالاستتباع والتوسع في جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية هذه فالعزلة خير منه
ولو الى القبر وان كانت النية رياضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج
اليه في بداية الارادة فبعد حصول الارتياض ينبغي ان يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل
المراد منها ان يتخذ مركبا يقطع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية القلب يركبها ليسلك بها
طريق الآخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل
طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها الا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها وهي لعمري
فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة وانما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص عن الم
الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي ان يقنع بها كالراهب الذي قيل له يا راهب فقال ما انا براهب انما
انا كلب حبست نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان يقتصر عليه فان من
قتل نفسه ايضا لم يعقر الناس بل ينبغي ان يتشوق الى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق
وقدر على السلوك استبان ان العزلة اعون عليه من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة
آخرا واما التأديب فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا
بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه حكمه ويتطرق اليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق الى نشر العلم الا ان مخايل
طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض ابعد منها من طلبة العلم ولذلك ترى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي
ان يقيس ما يتيسر له من الخلوة بما يتيسر له من المخالطة وتهذيب القوم فليقابل احدهما بالآخر وليؤثر الافضل وذلك يدرك
بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا اثبات الفائدة الرابعة الاستئناس
والايناس وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الى حظ النفس في الحال وقد
يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا يجوز مؤانسته او على وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن تستأنس
بمشاهدة احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب
اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان
في الوحدة وحشة وفي المجالسة انس يروح القلب فهي اولى اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال عليه
السلام ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها
الملازمة تنفير ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان الدين متين والايغال فيه برفق دأب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس
لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغني
المعتزل اذن عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته
تلك عليه سائر ساعاته فقد قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء

في امور الدين وحكايات احوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففي ذلك متنفس
ومستروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا ينقطع شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضي
عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستيناس في بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض
الاشخاص فليتفقد فيه احوال القلب واحوال الجليس اولا ثم ليجالس الفائدة الخامسة في نيل الثواب وانالته
اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منها وحضور الجماعة في سائر
الصلوات ايضا لا رخصة في تركها الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك
لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم واما انالته
فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه في المصائب او يهنئوه على النعم فانهم ينالون به ثوابا وكذلك اذا
كان من العلماء واذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي ان يزن ثواب هذه
المخالطات بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد يترجح العزلة وقد يترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة
من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى والجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون
الا الى الجمعة وزيارة القبور وكان بعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من
الشواغل الفائدة السادسة من المخالطة التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة
وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين
مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملأت الارض نفاقا
واني لا اقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال الآن قد بلغت محبة ربي فاوحى الله تعالى
الى نبيه قل له انك لم تبلغ رضاي فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام بينهم ومشى
في الاسواق معهم فاوحى الله تعالى اليه الآن قد بلغت رضاي فكم من معتزل في بيته وباعثه التكبر ومانعه عن المحافل
ان لا يوقر ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة
من ان تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ من البيت سترا على مقابحه ابقاء على
اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا
ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم على بابه وطرقه وتقبيلهم يده على سبيل التبرك ولو كان
الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل
حيث قال وهل جئتني الا لأتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الاصم انه قال للامير الذي زاره حاجتي اليك ان لا اراك ولا
تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد للالتفات
الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا ينقص
عن منصب من هو متكبر بعلمه او دينه اذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول لا ينقص الكامل
من كماله ما جر من نفع الى عياله وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق على اكتافهم
وكان يقول ابو هريرة وهو وال والحطب على راسه طرقوا للامير وكان سيد المرسلين صلوات الله عليه يشتري الشيء فيحمله
الى بيته فيقول صاحبه اعطني فيقول صاحب الشيء احق بحمله وكان الحسين بن علي يمر بالسؤال وبين ايديهم كسر فيقولون
هلم الى الغداء يا ابن رسول الله فكان يجلس على الطريق ويأكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين الوجه الثاني
ان الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف الله حق معرفته علم ان رضا الخلق لا يغني
عنه من الله شيئا وان ضرره ونفعه بيد الله ولا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله
عليه واسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تنال فرضا الله اولى بالطلب ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الاعلى
والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر ما يصلحك فافعل ولذلك قيل من راقب الناس مات غما

اذا لم يقبل القبلة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما سبق من فضايله في الزكوة وملازمة القران
والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاخير فهي عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش
وشد المئزر ودأب وادأب اهله اي اداموا النصب في العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انه في اوتارها واشبه الاوتار
ليلة احدى وثلث وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف اولى فان نذر اعتكافا متتابعا او نواه انقطع تتابعه بالخروج
من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة او شهادة او جنازة او زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع
وله ان يتوضأ في البيت ولا ينبغي ان يعرج على شغل آخر كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسأل
عن المريض الا مارا وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا بأس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح وبالاكل والنوم
وغسل اليدين في الطشت فكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا يقطع التتابع خروج بعض بدنه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدني رأسه فترجله عايشة وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجة فاذا عاد ينبغي ان يستأنف
النية الا اذا كان قد نوى اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك تجديد النية وكذا دخول. الفصل الثاني في اسرار
الصوم وشروطه الباطنة اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص
اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر
واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الاثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار
الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر
في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف
في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود
وهذه رتبة الانبيا والصديقين والمقربين ولا يطول النظر في تفصيله قولا ولكن في تحقيقه عملا فانه اقبال
بكنه الهمة على الله وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فاما صوم الخصوص وهو صوم
الصالحين فهو كف الجوارح عن الاثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى
كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله قال النبي صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام
ابليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروى جابر عن انس رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصايم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة الثاني
حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت او شغله
بذكر الله وتلاوة القران فهذا صوم اللسان وقال سفين الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث
عن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان
احدكم صايما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صايم اني صايم وجاء في الخبر ان امرأتين صامتا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم تستأذنانه في الافطار فارسل النبي صلى الله عليه وسلم اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما اكلتما
فقاءت احديهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلى
الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احديهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس
فهذا ما اكلتا من لحومهم الثالث كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه
ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع واكل السحت فقال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وقال الله تعالى لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال ايضا انكم اذا مثلهم ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع شريكان في الاثم الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن
الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصايم مثال من يبني قصرا

ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم تقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره
اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم يهلك الدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كم من صايم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل
هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن
الاثام الخامس ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ جوفه فما من وعاء ابغض الى الله تعالى من بطن
ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصايم عند فطره ما فاته ضحوة
نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات بان تدخر جميع الاطعمة لرمضان فيوكل من الاطعمة
فيه ما لا يوكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى فاذا دفعت
المعدة ضحوة النهار الى العشا حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها
وتضاعفت قوتها وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره
تضعيف القوى التي هي وسايل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل
اكلته التي كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلا ينتفع بصومه بل
من الاداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك
قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده فعسى الشيطان ان لا يحوم على قلبه فينظر الى
ملكوت السما وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شي من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى انا انزلناه
في ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع
الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله وذلك هو الامر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسياتي له مزيد بيان في كتاب الاطعمة
ان شاء الله تعالى السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجا اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه
فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روي عن الحسن بن ابي الحسن انه مر بقوم يوم العيد
وهم يضحكون فقال ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا
وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون
اما والله لو كشف الغطا لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته اي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب
وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك
فقال اني اعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله اهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم
فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقها صومه صحيح فما معناه
فاعلم ان فقها الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هي اضعف من هذه الادلة التي اوردناها في هذه
الشروط الباطنة لا سيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقها الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على عموم
الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحتها فاما علما الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود
ويفهمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من اخلاق الله وهو الصمدية والاقتدا بالملائكة في الكف عن الشهوات
بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهايم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته
ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط الى اسفل السافلين
والتحق بغمار البهايم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملائكة والملائكة هم المقربون من الله والذي
يقتدي بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله تعالى كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا
كان هذا سر الصوم عند ارباب الالباب واصحاب القلوب فاي جدوى لتاخير اكلة وجمع اكلتين عند العشا مع الانهماك في الشهوات الاخر
طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاي معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صايم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال ابو الدردا

الخوف ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال له اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال
لا ينال عبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط الناس من عينيه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وان احدا
لا يقدر ان يضره وينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه وقال الشافعي ليس من احد الا له محب ومبغض
فاذا كان هكذا فكن مع اهل طاعة الله وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك
في السؤال فتبسم وقال هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس
لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى صلوات الله عليه يا رب احبس عني السنة الناس
فقال هذا شيء لم اصنعه لنفسي فكيف افعله بك واوحى الله سبحانه الى عزير ان لم تطب نفسك بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك
عندي من المتواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت يحفظ اعتقادات الناس فاتهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا
ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاذن لا يستحب العزلة الا للمستغرق الاوقات بربه ذكرا او فكرا او عبادة او علما
بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته او كثرت آفاته وتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة
ينبغي ان يتقي فانها مهلكات في صور منجيات **الفائدة السابعة** التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجاري
احوالهم فالعقل الغريزي ليس كافيا في تفهيم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة فلا خير في عزلة
من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج
اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان
يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلاء يسر وكل غضوب او حقود
او حسود اذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها يجب اماطتها وقهرها ولا يكفي تسكينها
بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمه
ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم تكن له يد تمسه او عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة
ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام لتفجر منه الصديد وفار فوران الشيء
المختنق اذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وساير الاخلاق الذميمة انما تتفجر
منه خبائثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الاخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر
في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على راسه ويتردد في الاسواق ليجرب نفسه فان غوائل
النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكي عن واحد انه قال اعدت صلوة ثلاثين سنة مع اني كنت
اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي
تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت بالصف الاول فعلمت ان جميع صلاتي التي كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس
الي رؤيتهم اياي في زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر
يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة دائم وستاتي غوائل هذه المعاني ودقايقها في ربع المهلكات فان بالجهل بها يحبط
العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلوة ولا يراد الا
للصلوة افضل من الصلوة فانا نعلم ان ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال
عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم يرجع الى ثلثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني
عموم نفعه اذ يتعدى فائدته والعمل لا يتعدى والثالث ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل
مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لتنبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل والعلم بالعمل مراد
لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض
من اللايق بهذا الكلام فلنرجع الى المقصود فنقول اذا عرفت فوايد العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفصيل

نفيا واثباتا خطا بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفايت بسبب
مخالطته من هذه الفوايد المذكورة ويقاس الفايت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي
هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن
بين المنقبض والمنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوايد
والآفات يتبين الافضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة
خاصة هو فيها فلا يجوز ان يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع
الى هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم تختلف اجوبتهم في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على
ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق
كثير لا ينحصر ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا اجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالاضافة
الى حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله بن الجلاء وقد سئل عن الفقر فقال
اضرب بكميك الحايط وقل ربي الله فهو الفقر وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسال ولا يدخر وقال آخر الفقير هو الذي
لا يسال ولا يعارض وان عورض سكت وقال سهل بن عبد الله هو ان لا يكون لك فاذا كان لك لا يكون لك من حيث لم
يكن له وقال ابراهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب
مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى
اثنين منهم يثبت لصاحبه قدما في التصوف او يثني عليه بل كل واحد يدعي انه الواصل الى الحق والواقف عليه
لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم
اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظر هولاء ما رايت من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل
فقال بعضهم هو في الصيف قدمان وحكي عن آخر انه نصف قدم وآخر يرد عليه وانه في الشتاء سبعة اقدام وحكي عن آخر
انه خمسة اقدام وآخر يرد عليه وهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هولاء اخبر عن الظل الذي راه
ببلد نفسه فصدق في قوله واخطا في تخطئة صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا
بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد
مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره في فضيلة العزلة والمخالطة فان
قلت فمن آثر العزلة وراها افضل له واسلم فما آدابه في العزلة فنقول انما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب
الصحبة **واما آداب العزلة** فلا تطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولا ثم طلب السلامة
من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه
آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه
وزيارته فيتشوش وقته وليكف عن السوال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلاد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك
ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلوة او الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد وان
ينبت ويتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى بعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والاخبار
ينابيع الوساوس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه
من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة فان كل ذلك يوثر
في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد وان يكون واقفا عن سيره في طريق الآخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر
مع حضور قلب واما بالفكر في جلال الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واما بالتامل في دقايق الاعمال ومفسدات القلوب
وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام
الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالحة او جليس صالح لتستريح نفسه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات

يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين
فلذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم
المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام
كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلث مرات فقد وافق في الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله
ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل ومثل
من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم
أمانته ولما تلا قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع أمانة والبصر أمانة
ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال فليقل إني صائم أي إني أودعت لساني لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك فإذن قد ظهر أن لكل
عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فإليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز
إلى غمار أرباب الألباب **الفصل الثالث في التطوع بالصيام** وترتيب الأوراد فيه اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام
الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل أسبوع أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم
عرفة ويوم عاشورا والعشر الأول من ذي الحجة والعشر الأول من المحرم وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهي أوقات فاضلة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه من رمضان وفي الخبر أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله
المحرم لأنه ابتدا السنة فبناؤه على الخير أحب وأرجى لدوام بركته وقال النبي صلى الله عليه وسلم صوم يوم من شهر حرام أفضل
من صوم ثلثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلثين من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة
سبع مائة عام وفي الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى شهر رمضان ولهذا استحب أن يفطر قبل رمضان أياما فإن وصل
شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو
ثلثة إلا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهي شهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم
ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلثة سرد وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج
والأيام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وأشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب من
الحرم وليسا من أشهر الحج وفي الخبر ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه
يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا
من عقر جواده وأهريق دمه وأما ما يتكرر في الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهو الثالث
عشر والرابع عشر والخامس عشر وأما في الأسبوع فيوم الاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام
وتكثير الخيرات لتتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات وأما صوم الدهر فإنه شامل للكل وزيادة وللسالكين
فيه طرق فمنهم من كره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهيته والصحيح أنه إنما يكره لشيئين أحدهما أن لا يفطر
في العيدين وأيام التشريق وهو الدهر كله والآخر أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع أن الله
تعالى يحب أن تؤتى رخصه فإذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله
جماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم رواه أبو موسى الأشعري من صام الدهر
كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر
بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار لأن العبد فيه بين صبر يوم
وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما
أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت وقال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما
ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول إني أريد أفضل من ذلك فقال عليه السلام صم يوما وأفطر
يوما فقال أريد أفضل من ذلك فقال لا أفضل من ذلك وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان بل كان يفطر منه

في الحديث من صام ثلثة ايام من شهر حرام

ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلثة من أول الشهر
وثلثة من الوسط وثلثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب
من الثلث فإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله والفقيه
بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي حاله دوام الفطر وقد يقتضي مزج الإفطار
بالصوم فإذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا
ولذلك روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم
حتى يقال لا ينام وذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات وقد كره العلماء أن يوالي بين الإفطار أكثر من
أربعة أيام تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسي القلب ويولد ردي العادات ويفتح أبواب الشهوات
ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لا سيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به
والله أعلم بالصواب **كتاب أسرار الحج ومهماته وهو الكتاب السابع من كتب إحيا علوم الدين**
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق
مثابة للناس وأمنا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب
ومجنا والصلوة على محمد نبي الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وأصحابه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما أما بعد
فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين فيه أنزل الله تعالى قوله اليوم أكملت
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا وفيه قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء
نصرانيا فأعظم بعبادة يعدم بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال وأجدر بها أن
يصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها وجملة ذلك تنكشف بتوفيق الله تعالى في
ثلثة أبواب **الباب الأول** في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركانها وشرائط وجوبها **الباب**
الثاني في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع **الباب الثالث** في آدابها الدقيقة وأسرارها
الخفية وأعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الأول وفيه فصلان **الفصل الأول** في فضائل الحج وفضيلة البيت
ومكة والمدينة وشد الرحال إلى المشاهد **فضيلة الحج** قال الله تعالى وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر
قال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أن يؤذن بالناس في الحج نادى يا أيها الناس إن لله بيتا
فحجوه وقال الله تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في الموسم والأجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل
في تفسير قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم أي طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم
من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقال ما رؤي الشيطان في يوم هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر
ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إذ يقال إن من الذنوب
ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين
أن إبليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك
قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي أنحل جسمك قال صهيل
الخيل في سبيل الله ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو
تعاونوا على المعصية كان أحب إلي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتاه متى يعجب
هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجري له أجر الحاج
والمعتمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال حجة مبرورة خير من الدنيا
وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة وقال الحجاج والعمار وفد الله وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه
غفر لهم وإن دعوه استجيب لهم وإن شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق أهل البيت أعظم الناس ذنبا من وقف

بعرفه

ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه
عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر
تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله
ومعرفته ما لا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله عليه كما
قال الله تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله
وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما ادركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله
عليه وسلم والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والله تعالى
اعلم بالصواب

كتاب آداب السفر وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر
فاصبحوا راضين بمجاري القدر منزهين قلوبهم عن التلفت الى متنزهات البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسرح في مسارح النظر
ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر والصلوة على محمد سيد البشر وعلى اله واصحابه
المقتفين لآثاره في الاخلاق والسير وسلم كثيرا اما بعد فان السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب عنه والوصول الى مطلوب
والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحارى والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الى ملكوت
السموات واشرف السفرين سفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد
من الآباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء عرضها السموات والارض ظلمة السجن
وضيق الحبس ولم ار في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير
لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب
النازل القليل اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الانفس والملكوت والآفاق واليه
دعا الله سبحانه بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وبقوله وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وعلى القعود
عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله وكاين من آية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والارض
وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل تزيد
بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا
بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم وما الله
بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما
سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة الدنيا او ذخيرة للآخرة فان كان مطلبه العلم والدين او الكفاية
للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع
الشيطان وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين

الباب الاول في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته
الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

الباب الاول في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الاول في فوائد السفر وفضله ونيته اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه
فوائد وله آفات كما ذكرناه في كتاب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج
عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية
كالطاعون والوباء اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة وخصومة او غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه او خاص كمن يقصد باذية في بلدة
فيهرب منها واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع اسباب يصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة

[illegible]

والجاه ولكن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال والجاه او
ديني والديني اما علم او عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاقه وصفاته على سبيل التجربة واما علم
بآيات الارض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الارض والعمل اما عبادة او زيارة والعبادة هو الحج والجهاد
والزيارة ايضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد
بها الاولياء والعلماء وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة
في الاقتداء بهم فهذه هي اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام اربعة القسم الاول السفر في طلب العلم وهو اما واجب
او نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينية او باخلاقه في نفسه او بآيات الله في ارضه وقد قال
عليه السلام من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له
طريقا الى الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن
في كلمة تدله على هدى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا
في حديث بلغهم عن عبد الله بن انيس الانصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه وقل مذكور في العلم محصل له من زمان
الصحابة الى زماننا الا وحصل العلم بالسفر وسافر لاجله واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الآخرة
لا يمكن سلوكها الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها
وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق وبه اخرج الله الخبء في السموات والارض وانما سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق ولذلك
قال عمر رضي الله عنه للذي كان يعرف بعض الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال
ما اراك تعرفه وكان بشر يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير وبالجملة فالنفس
في الوطن مع مواتاة الاسباب لا تظهر خبائث اخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة فاذا حملت وعثاء
السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال
بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق واما آيات الله في ارضه
ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وانواع الحيوانات والنبات وما من
شيء الا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد واما الجاحدون والغافلون
والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع لمعزولون وعن آيات ربهم محجوبون
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين اريدوا به ما كانوا معزولين
عنه وانما اريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر الا الاصوات ويشارك فيه الانسان سائر الحيوانات فاما السمع الباطن
فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط قال الجدار للوتد لم تشقني
فقال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي وما من ذرة في السموات والارض الا ولها انواع شهادات لله بالوحدانية
هي توحيدها وانواع شهادات لصانعها بالتقديس هي تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق السمع الظاهر الى
فضاء السمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا المسير لما كان
سليمان صلوات الله عليه مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله الذي يجب تقديسه
عن مشابهة الحروف والاصوات ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات
الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فما له
وللتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم مسخرات وهي الى ابصار ذوي الابصار مسافرات
في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة في الحركة على توالي الاوقات فمن الغرائب ان يدأب في الطواف بآحاد المساجد من امر الكعبة
ان تطوف به ومن الغرائب ان يطوف في اكناف الارض من تطوف به اقطار السموات ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر
عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السائرين الى الله والمسافرين الى حضرته وكانه معتكف

فقد انزل الله عز وجل لم يغفر له وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل على اهل هذا البيت في كل يوم مائة
وعشرون رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه
من اقل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيمة واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر
من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل
اذا غفر ذنبا للعبد في الموقف غفر لكل من اصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة
غفر لكل اهل المعرفة وهو افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل
قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فقال اهل الكتاب لو انزلت هذه الاية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله
عنه لقد انزلت في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم
اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروي ان ابن الموفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا فقال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا ابن موفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني
اكافيك بها يوم القيمة اخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء
ان الحاج اذا قدموا الى مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا
وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له
ومن استغفر له الحاج في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا
الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادرون ذلك قبل ان يتدنسوا بالاثام
ويروى عن علي بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين
قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال الاخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم
حج بيت ربنا في هذه السنة فقال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمائة الف فتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم
ستة انفس قال ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج
ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة وبت عند المشعر جعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة
من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال اتدري
ماذا حكم ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن
الوصف وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم اني قد
وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم يتقبل حجه قال فرايت رب العزة في النوم فقال لي يا علي تتسخى علي وانا خلقت السخاء والاسخياء
وانا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل حجه لمن قبلته **فضيلة البيت**
ومكة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله
تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة
فيدخلون معها وفي الخبر ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيمة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن
استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وروي انه سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن
عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر ثم قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فرأى عليا رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن هاهنا تسكب
العبرات فقال علي يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله عز وجل لما اخذ الميثاق على الذرية كتب
عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند
الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروي عن الحسن البصري ان صوم يوم فيها بمائة الف
وصدقة درهم بمائة الف درهم وكذا كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع يعدل عمرة وثلث عمر تعدل حجة

وفي الخبر عمرة في رمضان كحجة معي وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال حججنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما
دخل الطواف استلم الحجر وقبله فقال اني اعلم انك حجر ما تضر وما تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبلك ما قبلتك قال ثم مضى في الطواف فقال له علي رضي الله عنه يا امير المؤمنين انه ليضر وينفع فقال له عمر فبم
ذاك قلت بكتاب الله عز وجل قال فاين ذلك من كتاب الله قال قول الله عز وجل واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى قال لما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره فاخرج ذريته
مثل الذر فعرفهم نفسه انا الرب وهم العبيد فاقروا بذلك على انفسهم واخذ ميثاقهم بذلك فكتب في رق
قال وكان هذا الركن الاسود يومئذ له لسان وشفتان وعينان فقال افتح فاك قال فالقمه ذلك الرق وجعله في
موضعه فقال اشهد لمن وافاك بالموافاة الى يوم القيمة قال فقال له عمر لا ابقيت في قوم لست منهم ابا حسن وقال لا عشت
في قوم لست فيهم يا ابا حسن مذكور في الصحيح وقال صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم آتي اهل البقيع
فيحشرون معي ثم آتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا
بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وجاء في الاثر ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول
من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه
مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الاولياء قال رايت الثغور كلها تسجد لعبادان
ورايت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر
من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت
الكعبة لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس
فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار
والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المتم
تتوقع ولادها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروي
عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا
على اثره **فضيلة المقام بمكة وكراهته** كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلثة
احدها خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام ولهذا كان عمر
رضي الله عنه يضرب الحاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم
ولذلك هم عمر بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يأنس الناس بهذا البيت الثاني تهييج الشوق
بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس اي يثوبون ويعودون اليه مرة
بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك
من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب
الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل الثالث
الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطور وبالحري ان يورث مقت الله لشرف الموضع وروي
عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى
الله تعالى اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من الطائفين حولي من تفكههم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا
عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ العبد
فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلا قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة
ويقال ان السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد
في الحرم وقيل الكذب ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة

على باب الوطن لم يقيض به السبيل الى متسع الفضا والسبب لطول المقام في منزل الا الجبن او القصور ولذلك قال بعض ارباب القلوب
ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غمضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا ان
الاول خبر عن المنزل الاول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطاها
الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما ياخذ التوفيق بيده فيرشده الى سوا السبيل والهالكون في التيه
هم الاكثرون من ركاب هذه الطرق ولكن السائحون السالمون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين
سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب
قل المساعد ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب واذا
كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام وما اودع الله العز والملك في الدين والدنيا الا في متن الخطر وقد يسمي
الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم فهذا حكم
السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن بمطالعة ايات الارض فلنرجع الى الغرض الذي كنا نقصده ولنبين **القسم الثاني**
وهو ان يسافر لاجل العبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا فضل ذلك وادابه واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل
في جملته زيارة قبور الانبيا وزيارة قبور الصحابة والتابعين وساير العلما والاوليا وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته
يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام لا تشد الرحال الا الى ثلث مساجد
مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد هذه المساجد والا فلا فرق بين زيارة قبور الانبيا
والعلما والاوليا في اصل الفضل وان كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله وبالجملة
زيارة الاحيا اولى من زيارة الاموات والفايدة من زيارة الاحيا طلب بركة الدعا وبركة النظر الى وجه العلما
والصلحا والنظر اليهم عبادة وفيه ايضا حركة الرغبة في الاقتدا بهم والتخلق باخلاقهم وادابهم هذا سوى ما
ينتظر من الفوايد العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه
في كتاب الصحبة وفي التورية سر اربعة اميال زر اخا في الله **واما البقاع** فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلثة وسوى
الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر في انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد الثلثة وقد ذكرنا فضايل
الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس ايضا له فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات
الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وقد سال سليمان عليه السلام ربه ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلوة
فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج عنه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله ذلك
القسم الثالث ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن
المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلايق والاسباب فان ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم
الا بقلب فارغ عن غير الله فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا
عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله
الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعبا بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف
هو الذي ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علايقه فلا يتم مقصوده الا بالغربة
والخمول وقطع العلايق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يقوي به نفسه
ويطمين به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلايق وعدمها فلا يصده شي منها
عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد
بهذه القوة الانبيا والاوليا والوصول اليها بالكسب شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيه مدخل ايضا ومثال تفاوت القوة الباطنة
فيه تفاوت القوة الظاهرة في الاعضا فرب رجل قوي ذي مرة سوي شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف
رطل مثلا فلو اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد

يزيد في قوته زيادة ما وان كان لا يبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند الياس عن الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية
الضلال وقد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن قال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل
فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع يتحول الى غيره وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري وقد
علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال قد بلغني عن قرية فيها رخص اريد ان اقيم بها فقيل وتفعل
هذا قال نعم اذا بلغك عن قرية ان فيها رخصا فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلا السعر وكان سري السقطي
يقول للصوفية اذا خرج الشتا فقد خرج اذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم في بلد اكثر
من اربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسياتي اسرار الاعتماد على الاسباب
في كتاب التوكل **القسم الرابع** السفر هربا مما يقدح في البدن كالطاعون او في المال كغلا السعر وما يجري مجراه ولا حرج في ذلك
بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع وربما يستحب في بعض بحسب ما يترتب عليه من الفوايد والمضار ولكن يستثنى منه
الطاعون فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة بن زيد قال عليه السلام ان هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض
الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب المرة وياتي الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو
بها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت عايشة رضي الله عنها قال عليه السلام ان فنا امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن
قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير ياخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط
في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى النبي عليه السلام بعض اهله لا تشرك بالله
شيا وان عذبت او حرقت واطع والديك وان امراك ان تخرج من كل شي هو لك فاخرج منه ولا تترك الصلوة عمدا فان من ترك
الصلوة عمدا فقد بريت منه ذمة الله واياك والخمر فانها تسخط الله لا تفر من الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت
فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم في الله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذلك
القدوم عليه وسياتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح
والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم
الذي هو فريضة على كل مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلما وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية في السفر
فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن نيته الاخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب
والمندوب ومحال في المكروه والمحظور واما المباح فمرجعه الى النية فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السوال ورعاية ستر المروة على
الاهل والعيال والتصدق بما يفضل من مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من اعمال الاخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الريا والسمعة
خرج عن كونه من اعمال الاخرة فقوله عليه السلام الاعمال بالنيات عام في الواجبات والمباحات دون المحظورات فان النية
لا تؤثر في اخراجها عن كونه محظورة وقد قال بعض السلف ان الله قد وكل بالمسافرين ملايكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطي كل واحد
على قدر نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من اخرته اضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت
نيته الاخرة اعطي من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملايكة واستغفرت له واما
النظر في ان السفر هو الافضل او الاقامة فذلك يضاهي النظر في ان الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة
فليفهم هذا منها فان السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الاكثرين والافضل
ما هو الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل بدوام
الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم
في الابتدا والاقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتها واما السياحة في الارض على الدوام فمن المشوشات للقلب الا
في حق الاقويا فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله
وتارة بمفارقته ما الفه واعتاده في اقامته وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الى الخلق
فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام اسباب الطمع ثم شغل الحط والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغي ان

حرم

مفتاح كل شر

جب

وركبه فنزل بين مكة والطايف وكره ذلك انتهى بعض المقيمين الى ان لم يقض حاجته في الحرم بل كان
يخرج الى الحل عند قضا الحاجة وبعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلما
المجاورة بمكة ولا تظنن ان كراهة المقام تناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم
عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما ان يكون
افضل من المقام مع الوفا بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد عليه السلام الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض
الله واحب بلاد الله الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة
فضيلة المدينة وساير البلاد ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فالاعمال فيها ايضا
تتضاعف قال صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام فكذلك كل عمل بالمدينة
بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة فيها بخمس ماية وكذا ساير الاعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال صلوة في مسجد المدينة بعشرة الاف صلوة وصلوة في المسجد الاقصى بالف صلوة وصلوة في المسجد الحرام
بماية الف صلوة وقال صلى الله عليه وسلم لم يصبر على شدتها ولاوايها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال من استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وما بعد هذه البقاع الثلث فالمواضع فيها
متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة له فضل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة
مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلما الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من
الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلما والصلحا وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها قال صلى الله عليه وسلم
كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها والحديث ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد
الثلث متماثلة ولا بلد الا وفيها مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد اخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر
درجاتهم عند الله نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحال الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شا
ثم ليت شعري هل يمنع هذا القايل من شد الرحال الى قبور الانبيا مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من
ذلك في غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور العلما والاوليا والصلحا في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة
كما ان زيارة العلما في الحيوة من المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده
من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه وان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم
للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاي موضع
رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من رزق من شي فليلزمه ومن جعلت معيشته في شي فلا ينتقل
عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم رايت الثوري قد جعل جرابه على كتفه واخذ نعليه بيده فقلت الى اين يا ابا
عبد الله قال الى بلد املا فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى الى اين يا ابا عبد الله قال الى قرية فيها رخص اقيم بها
قال قلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله قال نعم اذا سمعت ببلد فيه رخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول
هذا زمان سو لا يومن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل يتنقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه
من الفتن ويحكى عنه انه قال والله ما ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة واراء فاسدة
قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل فمكة قال مكة تذيب الكيس
والبدن وقال له رجل عزمت على المجاورة بمكة فاوصني قال اوصيك بثلث لا تصلين في الصف الاول ولا تصحبن قرشيا
ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد فيختلط بعمله التزين والتصنع

الفصل الثاني

في شروط وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته اما الشرايط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح
حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره
واما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة

وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال
عقيبه لاشتغاله باعمال منى واما شرط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل
والوقت فان احرم الصبي او العبد ولكن اذا عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع
الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الاساءة ويشترط هذه الشرايط في وقوع العمرة عن فرض
الاسلام الا الوقت **واما شرط وقوع الحج** نفلا عن الحر البالغ براة ذمته عن حجة الاسلام فحجة الاسلام متقدمة ثم
القضا لمن افسده في حالة الرق ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه **واما شرط**
لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد
دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة او حج **واما الاستطاعة**
فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب اما في نفسه فبالصحة واما في الطريق فبان يكون خصبة امنة بلا بحر
مخطر ولا عدو قاهر واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل او لم يكن لان مفارقة الوطن
شديدة وان يملك نفقة من يلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي به ديونه وان يقدر على راحلة وكراها
محمل او زاملة ان استمسك على الزاملة **واما النوع الثاني** فاستطاعة المعضوب بماله ان يستاجر من يحج عنه
بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام نفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع والابن اذا عرض طاعته على الاب
الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيه شرف للولد وبذل المال
فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في اخر عمره سقط عنه
وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كساير ديونه وان استطاع
في سنة فلم يخرج مع الناس فهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله ولا حج عليه ومن مات ولم يحج
مع اليسار فامره شديد عند الله قال عمر لقد هممت ان اكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه
سبيلا وعن سعيد بن جبير وابرهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما
صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج
سال الرجعة الى الدنيا وقرا قوله رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج اما الاركان التي لا يصح الحج دونها
فخمسة الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات
المجبورة بالدم ست الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمي فيه الدم قولا واحدا
واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها
بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب واما وجوه ادا الحج والعمرة فثلثة **الاول**
الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة
ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع **الثاني القران** وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة
وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا
طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج ان
يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شي عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة **الثالث**
التمتع وهو ان يجاوز الميقات بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون
متمتعا الا بخمس شرايط **احدها** ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها
الصلوة **الثاني** ان يقدم العمرة على الحج **الثالث** ان تكون عمرته في اشهر الحج **الرابع** ان لا يرجع الى
ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج **الخامس** ان تكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف
كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى

المريد إلا في طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فإن اشتغل بنفسه واستبصر
وانفتح له طريق الفكر والعمل فالسكون أولى به إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار
ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد ألفوا البطالة واستثقلوا
العمل واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم
المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة وانتشار الصيت
واقتناص الأموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الأتباع فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا تأديب للمريدين نافع ولا حجر
عليهم نافذ فلبسوا المرقعات واتخذوا من الخانقاهات متنزهات وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات فينظرون إلى
أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا
ويحسبون أن كل سوداء تمرة ويتوهمون أن المشاركة في الظاهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات فما أغزر حماقة من لا يميز
بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فإن الله يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة إلا الشباب والفراغ إلا من سافر لحج أو عمرة
في غير رياء ولا سمعة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت
وضعفت إلا التصوف فإنه قد انمحق بالكلية وبطل لأن العلوم لم تندرس بعد والعالم وإن كان عالم سوء فإنما فساده
في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله والاستحقار لما
سوى الله وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الأصل وفي أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث إنه إتعاب
نفس بلا فائدة وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فإن حظوظهم التفرج عن كرب البطالة
بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وإن كانت خسيسة فنفوس المتحركين بهذه الحظوظ أيضا خسيسة فلا بأس بأن تعاطى
خسيس حظا خسيسا يليق به ويعود إليه نفعه فهو المتأذي به والفتوى تقتضي تسييب العوام في المباحات
التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسائحون من غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج بمشاهدة البلاد كالبهائم المترددة في الصحراء
فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وإنما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف
والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية لأن الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات وراء الصلاح ومن أقل
أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكبائر فلا يبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي
كافر وفقيه يهودي وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي
يحصل به العدالة وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم وأعطاهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله حرم عليهم الأخذ
وكان ما أكلوه سحتا وأعني به إذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال بإظهار التصوف من غير اتصاف
بحقيقته كأخذه بإظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ومن زعم أنه علوي وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحب
أهل بيت رسول الله ولو علم أنه كاذب لم يعطه فأخذه عليه حرام وكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الأكل بالدين
فإن المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشفت للراغبين في مواساته لفتروا عن المواساة فلا جرم
كانوا لا يشترون بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا آكلين بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر
أنه لمن يشتري نعم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله لم يقتض ذلك فتورا
في رأيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز والمغرور الجاهل لنفسه أحرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه فإن
أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن هذه
الغائلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال
ومريد طريق الآخرة إلى الأكل من مال غيره فليصرح له وليقل إن كنت تعطيني لما تعتقده في من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف
الله ستري لم ترني بعين التوقير بل اعتقدت أني شر الخلق أو من شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فإنه ربما يرضى منه
هذه الخصلة ومن اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحلاله ما يأخذه ولكن ها هنا مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها

وهو أنه لو أخلك فيظهر أنه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم إليها بعين المقت والازدراء
فيكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو المدح والإطراء فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه
فذم النفس في الخلوة مع النفس هو المحمود فأما الذم في الملأ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادا يحصل للسامع يقينا بأنه
مقترف للذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه ويمكن تلبيسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله أن مخادعته
لله أو مخادعته لنفسه فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول في أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته
الفصل الثالث في آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهي إحدى عشر **الأول** أن يبدأ برد المظالم وقضاء
الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ لزاده إلا الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع
به على رفقائه قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره ولا بد في السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار
مكارم الأخلاق فإن السفر يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح
في السفر ولذلك قيل إذا أثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر من أسباب الضجر
ومن أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاثة لا يلامون
على الضجر الصائم والمريض والمسافر وتمام حسن خلق المسافر بالإحسان إلى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن وبالرفق بكل
منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالإعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الأوقات من غير
فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه الثانية أن يختار رفيقا فلا يخرج وحده والرفيق ثم الطريق وليكن
رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا نسي ويعينه ويساعده إذا ذكر فإن المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه وقد
نهى عليه السلام أن يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة نفر وقال إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا أحدكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون
هو أمير أمره عليه السلام وليؤمروا أحسنهم أخلاقا وأرفقهم بالأصحاب وأسرعهم إلى الإيثار وطلب الموافقة وإنما يحتاج إلى
الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا من الكثرة وإنما انتظم
أمر العالم لأن مدبر الكل واحد ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا انتظم التدبير وإذا كثر المدبرون
فسدت الأمور في الحضر والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وعن أمير خاص كرب الدار وأما السفر
فلا يتعين له أمير إلا بالتأمير فلهذا وجب التأمير ليجتمع شتات الآراء ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه
وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي أنه صحبه أبو علي الرباطي فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا فقال بل أنت فلم يزل يحمل
الزاد لنفسه ولأبي علي على ظهره وأمطرت السماء ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكلما
قال له أبو علي لا تفعل يقول ألم تقل إن الإمارة مسلمة لك فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو علي وددت أني مت
ولم أقل له أنت الأمير فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد قال عليه السلام خير الأصحاب أربعة وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد
لا بد أن يكون له فائدة والذي ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها
ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق
ولو تردد في الحاجة اثنان كان الحافظ للرحل وحده فلا يخلو عن الخطر وعن ضيق القلب فما دون الأربعة لا يفي بالمقصود
وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف
الهمة إليه فلا تتم المرافقة معه نعم في كثرة الرفاق فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرفاقة الخاصة لا الرفاقة
العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه **الثالث** أن يودع
رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة إلى المدينة فلما أردت
أن أفارقه شيعني وقال سمعت رسول الله يقول قال لقمان إن الله عز وجل إذا استودع شيئا حفظه وإني أستودع الله
دينك وأمانتك وخواتيم عملك وروى زيد بن أرقم عن رسول الله أنه قال إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله
تعالى جاعل له في دعائهم البركة وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى

وان لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة تباعا او متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد
ثم التمتع ثم القران واما محظورات الحج والعمرة فستة الاول لبس القميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي
ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فمكعبا فان لم يجد ازارا فسراويل ولا باس بالمنطقة والاستظلال
بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان حرمه في الراس والمراة ان تلبس كل مخيط بعد ان تستر وجهها الا بما
تماسه فان حرمها في وجهها الثاني التطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم شاة
الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل
الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل
الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء
فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس قتل صيد
البر اعني ما يؤكل لحمه او ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب
في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه والله اعلم الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة
من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل الجملة الاولى في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية الاولى في المال
فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون في المال واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع
ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه
يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة
قوية على الحمل لا تضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل او كثير ويحصل رضاه
فيه الثانية في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان
جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين واخوانه فيودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله
عز وجل جاعل في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير
اينما توجهت الثالثة في الخروج من الدار ينبغي اذا هم بالخروج ان يصلي اولا ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة
قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم
انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم
اني اسالك ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا
حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال
والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك الرابعة
اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او اذل او اذل او اظلم
او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء
مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت
وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني
عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو
بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه الخامسة في الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت
على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت حسبي ونعم كله
الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال الحمد لله

الذي

هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور السادسة
في النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان
الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما اشرف على المنزل
فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب
الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه
اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى فيه ركعتين ثم قال اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك
وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في
الليل والنهار وهو السميع العليم السابعة في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه
ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في اخر
الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره لانه
ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة افضل مما يناله من الحج والاحب بالليل
ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام احدهما حرس الاخر فهو السنة فان قصده عدو او سبع في ليل
او نهار فليقرا اية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله
حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى
سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت
بالله العظيم واستغثت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام
اللهم ارحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك
برافة ورحمة انك انت ارحم الراحمين الثامنة مهما علا نشزا من الارض في الطريق فيستحب ان يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك
الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس
رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الجملة الثانية في اداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة
وهي خمسة الاول ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس
منه ويتمم غسله بالتنظيف فيسرح راسه ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في
الطهارة الثاني ان يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبي الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين فالابيض
هو احب الثياب الى الله ويتطيب في بدنه وثيابه ولا باس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد رئي وبيص المسك
على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام الثالث ان يصبر بعد لبس
الثياب حتى ينبعث به راحلته ان كان راكبا او يبتدي السير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة
قرانا او افرادا كما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول
لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير
كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الرابع اذا انعقد احرامه
بالتلبية المذكورة يستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت
اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وامنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت
وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي
النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الاخرة ومن وقت الاحرام يحرم عليه المحظورات الست التي
ذكرناها من قبل فليجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند

وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان أتيت أبا هريرة أودعه لسفر
أريده فقال ألا أعلمك يا ابن أخي شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى قال قل أستودعك
الله الذي لا تضيع ودائعه وعن أنس بن مالك أن رجلا أتى النبي عليه السلام وقال إني أريد سفرا فأوصني فقال له في حفظ
الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت وأين ما كنت شك فيه الراوي وينبغي إذا استودع
الله ما يخلفه أن يستودع الجميع ولا يخصص فقد روي أن عمر كان يعطي الناس عطاياهم إذ جاء رجل معه ابن له فقال عمر
ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين بأمر أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به
فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة فقلت أستودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا
نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله إنها كانت لصوامة قوامة فأخذت
المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب فقيل إن هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها
فقال عمر رضي الله عنه لهو أشبه بك من الغراب بالغراب الرابع أن يصلي قبل السفر صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلاة
ووقت الخروج يصلي لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك أن رجلا أتى النبي عليه السلام فقال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي
فإلى أي الثلاثة أدفعها إلى أبي أم أخي أم ابني فقال النبي عليه السلام ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات
يصليهن في بيته إذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أتقرب بهن إليك فاخلفني
بهن في أهلي ومالي فهن خليفته في أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله الخامس إذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله
توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي
فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا أهتم
به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت وليدع
بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فإذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته
فليقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور السادس
أن يرحل من المنزل بكرة روي عن جابر أن النبي عليه السلام رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها
وينبغي أن يبتدئ بالخروج يوم الخميس فقد روى كعب بن مالك عن أبيه أنه قال قلما كان رسول الله عليه السلام يخرج إلى سفر إلا يوم
الخميس وروى أنس أنه عليه السلام قال اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم السبت وكان عليه السلام إذا بعث سرية بعثها أول النهار
وروى أبو هريرة أنه قال عليه السلام اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس إذا كانت لك إلى رجل حاجة
فاطلبها إليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فإني سمعت النبي عليه السلام اللهم بارك لأمتي في بكورها ولا ينبغي أن يسافر
بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها وكان أوله من أسباب وجوبها والتشييع للوداع
سنة قال النبي عليه السلام لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روحة أحب إلي من الدنيا وما فيها السابع
أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة ويكون أكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا
تطوى بالنهار ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما
أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه
اصرف عني شر شرارهم فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر
ما خلق فإذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من
كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا
نشزا من الأرض في وقت المسير ينبغي أن يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة
في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الثامن أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا

خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان عليه السلام إذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش
ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه والغرض من ذلك أن لا يستثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري
ويكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره والمستحب بالليل أن يتناوب الرفقاء في الحراسة فإذا نام واحد حرس واحد فهو السنة
ومهما قصده عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والإخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله
حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخيرات إلا الله ما شاء الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي
إن الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم
ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين
التاسع أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب في وجهها فإنه منهي عنه ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم
وتتأذى به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة وقال عليه السلام لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب أن ينزل
عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأ
ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري ومن آذى البهيمة بضرب أو حمل ما لا يطيق
طولب به يوم القيامة إذ في كل كبد حرى أجر وقال أبو الدرداء لبعير له عند الموت يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن
أحملك فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان إحداهما ترويح الدابة والأخرى إدخال السرور على قلب المكاري وفيه فائدة أخرى
وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب وينبغي أن يقرر مع المكاري ما يحمله شيئا شيئا
ويعرضه عليه ويستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثير بينهما نزاعا يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ العبد من قول
إلا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري ولا ينبغي أن يحمل فوق المشروط وإن خف فإن القليل
يجر إلى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه قال رجل لابن المبارك وهو على دابته احمل لي هذه الرقعة إلى فلان فقال
حتى أستأذن الجمال فإني لم أشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يتسامح به ولكن سلك طريق
الورع العاشر ينبغي أن يستصحب ستة أشياء قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله إذا سافر حمل معه خمسة أشياء
المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفي رواية أخرى عنها ستة المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة
والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان عليه السلام لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة وقال صهيب قال النبي عليه السلام عليكم بالإ ثمد
عند مضجعكم فإنه مما يزيد في البصر وينبت الشعر وروي أنه كان يكتحل ثلاثا وفي رواية أنه اكتحل اليمنى ثلاثا واليسرى اثنتين
وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإنما زادوا
هذا لما رأوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزع الماء
وكان الأولون يكتفون بالتيمم ويغنون أنفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا
نجاستها حتى توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والجبل عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة
عليها فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإنما البدعة المذمومة ما يصادم السنن الثابتة أما ما يعين على الاحتياط في الدين
مستحسن وقد ذكرنا أحكام المبالغة في الطهارة في كتاب الطهارة وإن المتجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يتوقى طريق الرخصة بل يحتاط في
الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه أربعة في السفر والحضر الركوة
والحبل والإبرة بخيوطها والمقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا الحادي عشر في آداب الرجوع من السفر كان عليه
السلام إذا قفل من غزو أو حج أو غير ذلك يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب
وحده وإذا أشرف على مدينة فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم
بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي أن يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عنه وكان عليه السلام إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل
البيت وإذا دخل البيت قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي أن يحمل إلى أهله وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه

اجتماع الناس وتغير كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي اصم
ولا غايبا كما ورد في الحديث ولا باس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك اعني المسجد الحرام
ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما ساير المساجد فلا باس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم
اذا اعجبه شي قال لبيك ان العيش عيش الاخرة **الجملة الثالثة** في اداب دخول مكة الى الطواف وهي عشرة **الاول**
ان تغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغسال المستحبة المسنونة في الحج تسعة الاول للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة
ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلثة اغسال لرمي الجمرات الثلث ولا غسل لرمي جمرة
العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فيعود الى سبعة **الثاني**
ان تقول عند الدخول الى اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وامني
من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك **الثالث** ان يدخل مكة من جانب الابطح وهو من
ثنية كدا بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق اليها فالتاسي به اولى واذا خرج خرج
من ثنية كدا بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا **الرابع** اذا دخل مكة وانتهى الى راس الردم
فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال
والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من
حجه برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم **الخامس** اذا دخل
المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وعلى ابرهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني اسالك في مقامي هذا في اول مناسكي
ان تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس
وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك
اسالك مسالة المضطر الخائف لعقوبتك الراجي لرحمتك الطالب مرضاتك **السادس** ان تقصد الحجر الاسود
بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول اللهم امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع التقبيل
وقف في مقابلته وتقول ذلك ثم لا يعرج على شي دون الطواف وهو طواف القدوم الا ان يجد الناس في المكتوبة
فيصلي معهم ثم يطوف **الجملة الرابعة** في الطواف فاذا اراد افتتاح الطواف اما للقدوم او لغيره فينبغي ان يراعي
امورا ستة **الاول** ان يراعي شروط الصلوة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمكان وستر العورة
فالطواف بالبيت صلوة ولكن الله اباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتدا الطواف وهو ان يجعل وسط ازاره تحت ابطه اليمنى
ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتدا الطواف ويشتغل
بالادعية التي سنذكرها **الثاني** اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود
وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتدا طوافه وليجعل بينه وبين البيت
قدر ثلث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكيلا يكون طايفا على الشاذروان فانه من البيت
وعند الحجر الاسود قد يتصل بالارض ويلتبس به والطايف عليه لا يصح طوافه لانه طايف في البيت والشاذروان
هو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيق اعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدي الطواف **الثالث**
ان يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتدا الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفا بعهدك
واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت
بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك وهذا مقام العايذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام
ابرهيم اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي

على النار وامني من اهوال يوم القيمة واكفني مؤنة الدنيا والاخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده
يقول اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل
والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظله اللهم اسقني بكاس محمد صلى الله
عليه وسلم شربة لا اظما بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا
مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن
اليماني قال اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ
بك من الخزي في الدنيا والاخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار فاذا بلغ الى الحجر قال اللهم اغفر لي برحمتك واعوذ
برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة
اشواط ويدعو بهذه الادعية في كل شوط **الرابع** ان يرمل في الثلثة اشواط الاول ويمشي في الاربع الاخر على الهيئة
المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق مشي العادة والمقصود منه
ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد اولا قطعا لطمع الكفار وبقيت السنة
والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم تمكنه الزحمة فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف
وليرمل ثلثا ثم ليقرب الى البيت في المزدحم وليمش اربعا وان امكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الاحب وان
منعته الزحمة اشار باليد وقبل يده وكذا استلام الركن اليماني يستحب من بين ساير الاركان روي انه
عليه السلام كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع خده عليه ومن اراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في
الركن اليماني على الاستلام اعني اللمس باليد فهو اولى وهو الاشهر في الرواية **الخامس** اذا تم الطواف
سبعا فليات الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار
وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب
البيت العتيق اعتق رقبتي من النار واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل سوء وقنعني
بما رزقتني وبارك لي فيما اتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العايذ بك من النار
اللهم اجعلني من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسوله محمد وعلى جميع الرسل
كثيرا وليدع بحوايجه الخاصة وليستغفر الله من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه
تنحوا عني حتى اقر لربي بذنوبي **السادس** اذا فرغ من ذلك ينبغي ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرا
في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة ان
يصلي لكل سبع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكل سبع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي
في الاخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك حتى لا اعصيك واعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني
ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببني الى ملائكتك ورسلك والى
عبادك الصالحين اللهم فكما هديتني الى الاسلام فثبتني عليه بالطافك وولايتك واستعملني بطاعتك
وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله
عليه وسلم من طاف بالبيت سبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة هذه كيفية الطواف والواجب
من جملته بعد شروط الصلوة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدي بالحجر ويجعل البيت على
يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا
خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهي سنن وهيات **الجملة الخامسة في السعي** فاذا فرغ من الطواف فليخرج

فهو سنة وقد روي انه اذا لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم واظهار التفات القلب في السفر الى ذكرهم بما يستصحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة فاما الآداب الباطنة ففي الفصل الاول بيان جملة منها وجملتها ان لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي ان يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ادبا او كلمة لينتفع به لا ليحكي ويظهر انه لقي المشايخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين وان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكلما دخل البلد لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فان كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن الى ان يخرج فاذا خرج تقدم بادب ولا يتكلم بين يديه الا ان يسأله فان سأله اجاب بقدر السؤال ولا يسأل عن مسألة ما لم يستأذن اولا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان واسخيائهم ولا اصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل بلدة وقرية ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة ومع من يقدر على ازالتها ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فان البركة في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر فليعلم ان سفره معلول وليرجع اذ لو كان بحق لظهر اثره وقال رجل لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن ان يذل نفسه واشار به الى من ليس له في السفر زيادة دين والا فعز الدين لا ينال الا بذل الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا

الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود لدنياه ولآخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او عشرا ويقدر على ان يجتزي بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى نفسه بيده الى التهلكة ولهذا سر سيأتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو ونزع الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله ملكا او شخصا آخر حتى يصب الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب فحمل عين المشروب والمطعوم حيث لا ينتظر له وجود اولى بان لا يقدح فيه وسيأتي في حقيقة التوكل في موضعه فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين واما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه في طهارته وصومه وصلوته وعباداته فلا بد وان يتزود منه اذ السفر تارة يخفف عليه امورا فيحتاج الى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه امورا كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوة فانه في البلد يكتفي بغيره من محاريب المساجد واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يتعرف بنفسه فاذن ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين

القسم الاول العلم برخص السفر والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخف والتيمم وفي صلوة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع رخص

الرخصة الاولى المسح على الخفين قال صفوان بن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين ان لا ننزع خفافنا ثلثة ايام ولياليهن فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلوة ثم احدث فله ان يمسح على خفيه من وقت حدثه ثلثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا ويوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شروط الاول ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها الخف ثم غسل اليسرى لم يجز له المسح عند الشافعي حتى ينزع اليمنى ويعيد لبسه الثاني ان يكون الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا اذ العادة جارية بالتردد عليه في المنازل لان فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فانه لا يجوز المسح

عليه ولذا الجرموق لضعفه الثالث ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح وللشافعي رحمه الله قول قديم انه يجوز ما دام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك رحمه الله ولا بأس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز في السفر في كل وقت والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساتر الاسفل بشرج القدم من ولذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشرج لان الحاجة تمس الى جميع ذلك ولا يعتبر الا ان يكون ساترا الى فوق الكعبين كيف كان فاما اذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى استيناف الوضوء فان اقتصر على غسل القدمين جاز الخامس ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل لا على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظاهر القدم من الخف واذا مسح ثلثة اصابع خرج من شبهة الخلاف واكمله ان يمسح اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول الله ووجهه ان يبل اليدين ويضع رؤس اصابع اليمنى من يده على رؤس اصابع اليمنى من رجله ويمسحه بان يمرها الى جهة نفسه ويضع رؤس الاصابع من يده اليسرى على العقب من اسفل الخف ويمرها الى راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلثة يحسب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجل فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث فلو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلثة لان العادة قد تقتضي اللبس من قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز عن الحدث فاما اذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس خف حضرا وسفرا ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من عقرب او حية او شوكة فقد روي عن ابي امامة انه قال دعا رسول الله بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر فرمى به فخرجت منه حية فقال النبي عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما

الرخصة الثانية التيمم والتراب بدل عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاده اهل المنزل في ترددهم لقضاء الحاجة التردد اليه وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم وان كان الماء قريبا وكذلك ان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لعطش رفيق له فيتيمم وكذا ان احتاج اليه للعطش احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه التسليم اما بثمن او بغير ثمن ولو كان يحتاج اليه للطبخ لمرقة او لحم او اضاح اليه لطبخ به الكعك او طبخ به اللحم لم يجز له التيمم بل عليه ان يجتزي بالكعك اليابس ويترك تناول المرقة ومهما وهب منه الماء وجب قبوله وان وهب منه ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد حوالي المنزل والتردد الى الرحل وطلب البقايا من الاواني والمطاهر فان نسي الماء في رحله او نسي بئرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلوة لتقصيره في الطلب وان علم انه سيجد الماء في آخر الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله تيمم ابن عمر فقيل له اتتيمم وجدران المدينة تنظر اليك فقال اوابقى الى ان ادخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في صلوته لم تبطل صلوته ولم يلزمه الوضوء واذا وجد قبل الشروع في الصلوة لزمه الوضوء ومهما طلب فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب كفيه عليه بعد ضم اصابعه ضربة يمسح بهما وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم وتفريج الاصابع ويمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جميع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف فيه ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا صلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل بما شاء بذلك التيمم وان اراد الجمع بين صلوتين فريضتين فعليه ان يعيد التيمم للصلوة الثانية فلا يجمع فرضين بتيمم واحد ولا ينبغي ان يتيمم للصلوة قبل دخول وقتها فان فعل فعليه اعادة التيمم وليتيمم عند جواز استباحة للصلوة ولو وجد من الماء اقل مما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما

الرخصة الثالثة في الصلوة المفروضة القصر وله ان يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلثة الاول ان يؤديها في اوقاتها فلو صارت قضاء فالاظهر لزوم الاتمام

من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع بين الركن اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة وابتدا السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغي ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدا من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي ان يقبل على البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شي قدير لا اله الا الله صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اللهم اني اسالك ايمانا دايما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسالك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والاخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله بما شا من حاجته عقيب هذا الدعا ثم ينزل ويبتدي السعي وهو يقول رب اغفر وارحم واعف عما تعلم وانت الاعز الاكرم اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينة حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة اذرع اخذ في السعي السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعا وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف واذا سعى فينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي ان يتاخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي ان يقع بعد طواف اي طواف كان

الجملة السادسة

في الوقوف وما قبله الحاج ان انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بايام وطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويامر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي ان يخرج الى منى ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضا حجه ان قدر عليه والمشي من مسجد ابرهيم الى الموقف فضل واكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذه منى فامنن علي بما مننت به على اوليايك واهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وافضل فاذا اتى عرفات فليضرب خباه بنمرة قريبا من المسجد فثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد واخذ المؤذنون في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلوة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة واما مسجد ابرهيم صدره في الوادي واخرياته في عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والافضل ان يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا

القبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثنا على الله تعالى والدعا والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعا ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الاحب ان يلبي تارة ويكب على الدعا اخرى ولا ينبغي ان ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف اليوم الثامن ساعة عند مكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه ان يتحلل عن احرامه باعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي وليكن اهم اشتغاله في هذا اليوم الدعا ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعوات والدعا الماثور يوم عرفة اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري وليقل اللهم رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيرا مما نقول لك صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مابي وعليك ثوابي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوايق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الاخرة والاولى يا خير مقصود وايسر منزول عليه واكرم مسوول ما لديه اعطني العشية افضل ما اوتيت احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الارضين والسموات عجت اليك الاصوات بصنوف اللغات تسالك الحاجات وحاجتي ان لا تنساني في دار البلى اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شي من امري انا البايس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك مسالة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعا الخايف الضرير ودعا من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعايك رب شقيا وكن بي روفا رحيما يا خير المسولين واكرم المعطين الهي من مدح اليك نفسه فاني لايم نفسي الهي اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار اليك وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني رحمتك وسعت كل شي وانا شي الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي انت انت وانا انا العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة الهي ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك عني الا غفرت لي يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد صلى الله عليه وسلم اتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوايج وهب لي ما سالت وحقق رجايي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعا الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجا الذي عرفتنيه الهي ما انت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تايب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب اليك نجاح حوايجه راج اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجا كل حي وولي كل مومن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اسا فبخطيته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنايك انخنا واياك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا واليك بيتك الحرام حججنا يا من يملك حوايج السايلين ويعلم ضماير الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يوتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على السوال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوايج الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جايزة ولكل زاير كرامة ولكل سايل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفة ولكل متوسل اليك

الثاني أن ينوي القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك في أنه نوى للقصر او الاتمام لزمه الاتمام الثالث أن لا يقتدي
بمقيم ولا بمسافر متم فان فعل لزمه الاتمام بل ان شك في أن إمامه مقيم او مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعد انه مسافر لان شعار المسافر
لا يخفى فليكن متحققا عند النية وان شك في ان إمامه هل نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان النيات لا يطلع عليها
وهذا كله اذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال ولا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من
موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير
مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خرابها وبساتينها التي يخرج اهل البلد اليها للتنزه واما القرية فالمسافر
منها ينبغي ان يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة ولو رجع المسافر الى البلد لأخذ شيء نسيه لم يترخص ان كان
ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وان لم يكن هو الوطن فله الترخص اذا صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه واما نهاية السفر
فبأحد امور ثلاثة الاول الوصول الى عمران البلد الذي عزم على الاقامة بها والثاني العزم على الاقامة ثلاثة ايام فصاعدا
إما في بلد او صحراء والثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على موضع واحد ثلاثة ايام سوى يوم الدخول فليس له الترخص
بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم انه يتنجز ولكنه كان يتعوق ويتأخر فله ان يترخص وان طالت المدة
على اقيس القولين لانه منزعج بقلبه وهو مسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين
ان يكون هذا الشغل قتالا وغيره ولا بين ان يطول المدة او تقصر ولا بين ان يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة ايام او لغيره اذ روي ان
رسول الله قصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد وظاهر الظن انه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى
للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر ان قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى السفر واما معنى الطويل فهو ان يكون
مرحلتان كل واحدة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال وكل ميل اربعة آلاف خطوة ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما
ولا هاربا من مالكه ولا تكون المرأة هاربة من زوجها ولا يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق
او قتل انسان او طلب ادرار حرام من سلطان ظالم او سعي بالفساد بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الانسان الا في غرض والغرض
هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص واما الفسق
في السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر نهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما مباح
والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكان لا محالة يسافر لاجله فله الترخص والمتصوفة
الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج بمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار ان لهم الترخص

الرخصة الرابعة الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما فذلك جائز في كل سفر مباح طويل وفي جوازه
في السفر القصير قولان ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر
ويجدد التيمم ان كان متيمما ولا يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع عند التحرم بصلاة
العصر جاز عند المزني رحمه الله وله وجه في القياس اذ لا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما
الرخصة في العصر فيكفي النية فيه واما الظهر فجار على القانون ثم اذا فرغ من الصلاتين فينبغي ان يجمع بين سنن الصلوات
اما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر راكبا او ماشيا لانه لو صلى راتبة الظهر
قبل العصر انقطعت الموالاة وهي واجبة على وجه وان اراد ان يقيم الاربعة المسنونة قبل العصر فليصلها قبل الفريضة
فيصلي سنة الظهر اولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم يأتي بالركعتين اللتين بعد الفرض ولا ينبغي
ان يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له اداءها على
الراحلة كيلا يتعوق عن القافلة بسببه وان اخر الظهر الى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر
بعد العصر في الوقت المكروه لان ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر واذا قدم او اخر فبعد
الفراغ من الفرض يشتغل بجمع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على ادائه مع
العصر جمعا فهو نية الجمع لانه انما يخلو عن هذه النية اما بنية الترك او نية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام فالعزم عليه حرام

ولذلك قال الله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال الله تعالى يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال الله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا
الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه
الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التي تتسع
لجميع الامور ولا تضيق عنها فاما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن
الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار

اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها
فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل
لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع
في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل له ومن اين حصل والى ما يطلع
معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع
والثاني يسمى وحيا وتختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص
به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب
الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش
بجميع ما قضى الله تعالى به الى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من
مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب
رياح الالطاف فتنكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند
المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطاء وقد ينكشف في اليقظة ايضا حتى يرتفع الحجاب
بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي
الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة
زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم
فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا
على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم
المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله
هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب
وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور
الالهية فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام
والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة فالانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور
لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة
على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع
الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيه وجود كل شيء وعدمه
ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن
ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا
بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان

اى ما هو مطابق للواقع

عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا من المشاعر العظام وشاهدنا من المشاهد الكرام رجا لما عندك
الهنا بعثت النعم حتى اطمانت الانفس بتتابع نعمك واظهرت العفو حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن
حتى اعترف اولياوك بالتقصير عن حقك واظهرت الايات حتى افصحت السما والارض بادلتك وقهرت بقدرتك
حتى خضع كل شي لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اسا عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا تفضلت وقبلت
واذا عصينا سترت واذا اذنبنا عفوت وغفرت واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت
واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة
مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام
الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا وانك امرتنا
ان نتصدق على فقرآينا ونحن فقراوك وانت احق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا تنا
وقد ظلمنا انفسنا وانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر من دعا الخضر صلوات الله عليه وهو ان يقول يا من
لا يشغله سمع عن سمع ولا يشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسايل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه
الحاح الملحين ولا تضجره مسالة السايلين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك وليدع بما بدا له وليستغفر
لنفسه ولوالديه وليلح في الدعا وليعظم المسالة فان الله تعالى لا يتعاظمه شي قال بكر المزني نظرت الى
اهل عرفات فظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم الجملة السابعة في بقية اعمال الحج بعد الوقوف
من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف فاذا افاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي ان يكون
على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا ولا توطوا ضعيفا ولا توذوا مسلما
فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو
افضل واقرب الى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه
مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة تسالك حوايج موتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك
فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشا بمزدلفة في وقت العشا قاصرا له باذان واقامتين ليس بينهما نافلة
ولكن يجمع نافلة المغرب والعشا والوتر بعد الفريضتين ويبدا بنافلة المغرب ثم بنافلة العشا كما في
الفرضين وهكذا يفعل الجامع في السفر فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في الاوقات
اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرايض فاذا جاز ان يودي النوافل مع الفرض بتيمم واحد بحكم التبعية
فبان يجوز اداوها على حكم الجمع بالتبعية اولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل الفرض في جواز ادايه على
الراحلة لما اومانا اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها
في النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحيا هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه
ثم مهما انتصف الليل ياخذ في التاهب للرحيل ويتزود الحصا منها ففيها احجار رخوة فلياخذ سبعين
حصاة فانه قدر الحاجة ولا باس بان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضه وليكن الحصى خفافا
بحيث يحتوي عليها اطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر
الحرام وهو اخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر
الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها
قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال له وادي محسر فيستحب له ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان

راجلا

اسرع في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهي الى منى ومواضع
الجمرات وهي ثلث فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على
يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة
بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته ان يقف مستقبل القبلة وان استقبل الجمرة فلا باس ويرمي سبع حصيات
رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك
فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرايض الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح
اخر ايام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعا بل يدعو في منزله وصيغة التكبير ان يقول الله اكبر الله
اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين
له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر ثم ليذبح
الهدي ان كان معه والاولى ان يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله اكبر اللهم منك وبك واليك تقبل مني كما
تقبلت من خليلك ابرهيم والتضحية بالبدن افضل ثم بالبقر ثم بالشاة والشاة افضل من مشاركة ستة في
البدنة او البقرة والضان افضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضا
افضل من الغبرا والسودا قال ابو هريرة البيضا افضل في الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه ان كان من هدي
التطوع ولا يضحين بالجدعا والعضبا والجربا والشرقا والخرقا والمقابلة والمدابرة والعجفا والجدعا
في الانف والاذن القطع منهما والعضبا في القرن ونقصان القوايم والشرقا المشقوقة الاذن من فوق
والخرقا من اسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفا المهزولة التي لا تنقي
اي لا مخ لها من الهزال ثم يحلق بعد ذلك والسنة ان يستقبل القبلة ويبتدي بمقدم راسه فيحلق الشق
الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني
بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمراة تقصر الشعر والاصلع يستحب له امرار الموسى على راسه ومهما
حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحظورات الا النسا والصيد ثم يفيض الى مكة
ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة واول وقته بعد نصف الليل
من ليلة النحر وافضل وقته يوم النحر ولا اخر لوقته بل له ان يؤخر الى اي وقت شا ولكن يبقى مقيدا
بعلقة الاحرام فلا يحل له النسا الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم
يبق الا رمي ايام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا
الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف
القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي ان يعيد السعي واسباب التحلل ثلثة الرمي والحلق والطواف
الذي هو ركن ومهما اتى باثنين من هذه الثلث فقد تحلل احد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتاخير بهذه
الثلث مع الذبح ولكن الاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم ان يخطب بعد الزوال
فهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الحج اربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم
النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال وكلها افراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما
جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس
في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا اصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة
الاولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ويرمي اليها سبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة
ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة
قدر قراة سورة البقرة مقبلا على الدعا ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى ويقف كما وقف للاولى ثم يتقدم

ثم يصير عليه الى ان يمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه
وهيأة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار
في استدامة هذه الحال بدفع الوساوس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات الرحمة فلا يبقى
الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الانبيا والاوليا بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت
مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فتلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق
الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد
يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اوليا الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم
واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط واما النظار
وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبيا والاوليا
ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطاوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر
وان حصل في حالة فثباته ابعد منه اذ ادنى خاطر ووسواس يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن
اشد تقلبا من القدر في غليانها وقال قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد
المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات
فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيه فكم من صوفي سلك هذا الطريق
ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال
بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرير وتعليق فانا ايضا ربما انتهى بي الرياضة اليه
ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك
ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلما وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار
لما لم ينكشف لسائر العلما فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف
الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفا بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا
في الارض احتمل ان يساق الما اليه من فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان
يقرب من مستقر الما الصافي فينفجر الما من اسفل الحوض ويكون ذلك الما اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب
مثل الحوض والعلم مثل الما والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان يساق العلم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار
بالمشاهدات حتى يمتلي علما ويمكن ان يسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب
بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله فان قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال
عنه فاعلم ان هذا من عجائب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشيا
مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين وكما ان المهندس من يصور صورة ابنية الدار في بياض ثم يخرجها
الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره في اللوح المحفوظ
ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته يتادى منه صورة اخرى الى الحس
والخيال فان من ينظر الى السما والارض ثم يغض بصره يرى صورة السما والارض في خياله حتى كانه ينظر اليها ولو انعدم
السما والارض وبقي هو لوجد صورة السما والارض في نفسه كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب
فيحصل فيه حقائق الاشيا التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في
الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح
المحفوظ

فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبعه وجوده
الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبعه وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض
هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانيات بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة
الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجودها
في الحس وجود الى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في
ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها
القلوب والابصار حتى صار قلوب اكثر الخلق جاهلة بالقلب وبعجائبه فلنرجع الى المقصود فنقول القلب قد يتصور
ان يحصل فيه حقيقة العلم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة
الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الما الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه
وبين اللوح المحفوظ راى الاشيا فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من مداخل الحواس فيكون
ذلك كتفجر الما من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له من مطالعة
اللوح المحفوظ كما ان الما اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك من التفجر من الارض وكما ان من نظر الى
الما الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذن للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو
اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة
والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى
عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتامل في عجائب
الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس
وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال عليه السلام سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله
وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم اقبل عليهم بوجهي يعلم احد اي شي اريد اعطيه ثم قال
اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذن
الفرق بين علوم الاوليا والانبيا وبين علوم الحكما والعلما هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح
الى عالم الملكوت وعلم الحكما ياتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي
الغيب والشهادة لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العالمين

المثال الثاني

يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل العلما وعمل الاوليا فان العلما يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى
القلب واوليا الصوفية يعملون في جلا القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكي ان اهل الصين واهل
الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش
اهل الصين منها جانبا واهل الروم جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك وجمع اهل الروم
من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير صبغ وهم يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى
اهل الصين انهم قد فرغوا ايضا فعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من
غير صبغ فقالوا وما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا فاذا بجانبهم يتلالا فيه عجائب صنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق
اذ كان قد صار كالمراة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاوليا بتطهير القلب
وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلالا فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلما والحكما بالاكتساب
ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب وكيف ما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر
واليه اشار الحسن رحمة الله عليه بقوله التراب لا ياكل محل الايمان ويكون وسيلة مقربة له الى الله تعالى واما ما حصله
من نفس العلم او ما حصله من الصفا والاستعداد لقبول نقش العلم والسعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف

اترى من واجهته بوجهي

[illegible] سبعا والعقبة سبعا ولا يشتغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويصبح فإذا الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل لا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني إحدى وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك المبيت والرمي إراقة دم وليتصدق باللحم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يتركن حضور الفرائض مع الإمام في مسجد الخيف فإن فضله عظيم فإذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة وإن لم يفعل فلا شيء عليه

الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع من أراد أن يعتمر قبله أو بعده كيف أراد فليغتسل وليلبس ثياب الإحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفناه فإذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخل حافيا موقرا فقد قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربي فكيف أراهما أهلا بأن أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا وإلى أين مشتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه والارتواء منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الإخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له أي يشفي ما قصد به

الجملة التاسعة في طواف الوداع مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فليفرغ أولا أشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما أبقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها قال صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي وقال من وجد سعة ولم يزرني فقد جفاني وقال من جاءني زائرا لا يهمه إلا زيارتي كان حقا على الله تعالى أن أكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسوله في طريقه كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه فإذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد وليجتهد أن يصلي في المسجد الأول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله

بل الوقوف من بعد أقرب إلى الاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الأمة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وأزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك الغافلون وصلى عليك في الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وكرم وشرف وعظم وإن كان قد أوصي بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع فيسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر عند منكب أبي بكر ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في أمته بعده بأمور الدين تتبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي على دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والأسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم إنك قلت ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به إليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة التي كان صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له أن يأتي أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلي الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان وقبر حسن بن علي رضي الله عنهما وفيه أيضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك كله بالبقيع ويستحب أن يأتي مسجد قبا في كل سبت ويصلي فيه لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قبا ويصلي فيه كان له عدل عمرة ويأتي بئر أريس فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر المساجد والمشاهد ويقال إن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان عليه السلام يتوضأ منها ويغتسل ويشرب وهي سبعة آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة

من بعض حمااته لا يغنى الا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزاين المترعة غنى ويتفاوت درجات السودد اى
تفاوت المعرفة والايمان كما يتفاوت درجات الاغنيا بحسب قلة المال وكثرته والعارف انوار ولا يسعى المومنين
الى لقا الله الا انوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد فى الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل
وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضى مرة ويطفا مرة فاذا اضا قدم قدمه
واذا طفى قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب
ومنهم كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذى اعطى نورا على ابهام قدمه يحبوا على وجهه ويديه ورجليه
يجر يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا
يظهر تفاوت الناس فى الايمان ولو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين لرجح وهذا يضاهى قول القايل لو وزن نور الشمس
بنور السرج كلها لرجح فايمان احاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر
والنجوم وايمان الانبيا كنور الشمس وكما ينكشف فى نور الشمس صورة الافاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف فى نور السراج الا زاوية ضيقة
من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جا فى الخبر انه
يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من فى قلبه مثقال من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على
على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفى مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه
لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من فى قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود فى النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله
عليه وسلم ليس شى خيرا من الف مثله الا الانسان اشارة الى تفضيل قلب العارف المومن وانه خير من قلب الف من عوام
الناس وقال الله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين تفضيل للمومن على المسلم والمراد به المومن العارف دون المقلد
وقال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد هاهنا بالذين امنوا الذين صدقوا من غير علم
وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المومن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف
وفسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المومن بسبع مائة درجة ما
كل درجتين ما بين السما والارض وقال النبى صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب وقال
النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى وفى رواية كفضل القمر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد
يتضح تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم
من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغنى الذى يملك عشرة
دراهم الى الغنى الذى يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على
من يخس حظه منه والاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا **بيان** شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف
فى اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد اعلم ان من انكشف له ولو الشى اليسير بطريق الالهام والوقوع
فى القلب من حيث لا يدرى فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغى ان يومن به فان درجة
المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام
وقال النبى صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل
بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من الجهل
له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا تفرق به بين الحق والباطل وتخرج به من الشبهات
ولذلك اكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه سوال النور فقال اللهم اعطنى نورا وزدنى نورا واجعل لى فى قلبى
نورا وفى سمعى نورا حتى قال فى شعرى وبشرى ولحمى ودمى
وسيل النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله افمن شرح الله صدره

للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به فى القلب انفسح له الصدر وانشرح
وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل وقال على رضى الله عنه
ما عندنا شى اسره النبى صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يوتى الله عبدا فهما فى كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل
فى تفسير قوله تعالى يوتى الحكمة من يشا انه الفهم فى كتاب الله وقال الله تعالى ففهمناها سليمن خص ما انكشف له
باسم الفهم وكان ابو الدردا رضى الله عنه يقول المومن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله
فى قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المومن كهانة وقال النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة
المومن فانه ينظر بنور الله واليه يشير قوله تعالى ان فى ذلك لايات للمتوسمين وقوله قد بينا الايات لقوم يوقنون وروى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن فى القلب فذلك هو العلم النافع وسيل بعض العلما عن
العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله يقذفه فى قلوب احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقال النبى عليه السلام
ان من امتى محدثين ومعلمين ومكلمين وان عمر منهم وقرا ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث يعنى الصديقين
والمحدث هو الملهم والملهم هو الذى انكشف له فى باطنه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقران
مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى وما خلق الله فى السموات والارض
لايات لقوم يتقون خصصها بهم وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول
ليس العالم الذى يحفظ من كتاب فاذا نسى ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذى ياخذ علمه من ربه اى وقت شا بلا تحفظ
ولا درس وهذا هو العلم اللدنى واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها
بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدنى الذى ينفتح فى سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه
شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الايات والاخبار والاثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك
ايضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر رضى الله عنه لعايشة انما هما اختاك وكانت
زوجته حاملة فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضى الله عنه فى اثنا خطبته يا سارية الجبل
اذ انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن
مالك قال دخلت على عثمان بن عفان رضى الله عنه وكنت لقيت امراة فى الطريق فنظرت اليها شزرا وتاملت
محاسنها فلما دخلت عليه قال يدخل على احدكم واثار الزنا ظاهرة فى عينيه اما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك
فقلت له اوحى بعد النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابى سعيد الخراز قال
دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان فقلت فى سرى هذا واشباهه كل على الناس فنادانى وقال والله يعلم
ما فى انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله تعالى فى سرى فنادانى فقال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده
ثم غاب عنى ولم اره وقال زكريا بن داوية دخل ابو العباس بن مسروق على ابى الفضل الهاشمى وهو عليل وكان
ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت فى نفسى من اين ياكل هذا الرجل قال فصاح بى يا ابا العباس رد
هذه الهمة الدنية فان لله تعالى الطافا خفية وقال احمد النقيب دخلت على الشبلى فقال مفتونا يا احمد فقلت
ما الخبر فقال كنت جالسا فجرى بخاطرى انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد منى خاطرى وقال بل انك بخيل فقلت
ما فتح اليوم على بشى الا دفعته الى اول فقير يلقانى قال فما استتم الخاطر حتى دخل على صاحب لمونس الخادم
ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها فى مصلحتك قال فاخذتها وقمت فخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدى مزين
يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال اعطها المزين فقلت انها دنانير فقال اوليس قلنا لك انك بخيل
قال فناولتها المزين فقال عقدنا لما جلس الفقير بين ايدينا ان لا ناخذ عليه اجرا فرميت بها فى دجلة وقلت
ما اعزك احد الا اذله الله عز وجل وقال حمزة بن عبد الله العلوى دخلت على ابى الخير التيناتى واعتقدت فى نفسى ان
اسلم عليه ولا اكل فى داره طعاما فلما خرجت من عنده فاذا به قد لحقنى وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل فقد
خرجت الساعة

فانه فضل عظيم قال صلى الله عليه وسلم لم يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال
صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا
يوم القيمة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان يأتي القبر ويعيد دعا الزيارة
كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسال الله ان يرزقه العود اليه ويسال السلامة في سفره ثم
يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة في
المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد
بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني في سفري ويسر رجوعي الى اهلي سالمين يا ارحم الراحمين وليتصدق
على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها
وهي عشرون موضعا فصل في سنن الرجوع من السفر كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج
او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو على كل شي قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان
يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا
حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق
اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي ان
ينسى ما انعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو
والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متاهبا للقاء
رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث في الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهي عشرة الاول ان تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم
حتى يكون الهم مجردا لله والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روي في خبر من طريق
اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة
وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج
فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة
فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له
ما يبلغه فلا باس ان ياخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي
ان يكون قصده زيارة بيت الله ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قوله عليه السلام
يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة
او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره
فان الله تبارك وتعالى يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله تعالى وياخذ
اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتاخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا باس باخذه
فانه ياخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج لياخذ الاجرة كما كانت تاخذ ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها
عليهم الثاني ان لا يعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب
المترصدين في الطريق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف
في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا باس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق

افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة احدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على
المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في البيت او رجع من الطريق
لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر اسباب الترفه فيكثر مطالبته ولو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه
الى حالة الاضطرار الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف على
الاقتصاد واعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين فاما كثرة
البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله
والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر من كرم الرجل طيب الزاد في سفره وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم
نية وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل
له يا رسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق والجدال
كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن
والتحدث بشان الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسق
اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق
في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكون
كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله
ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق
الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على
مكارم الاخلاق قال لا فقال ما اراك تعرفه الخامس ان يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك افضل اوصى
عبد الله بن عباس بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة
حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف والاستحباب في المشي في المناسك
والتردد من مكة الى الموقف والى منى آكد منه في الطريق وان اضاف الى المشي الاحرام من دويرة اهله
فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود في معنى قوله تعالى واتموا الحج والعمرة وقال بعض العلماء
الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه ابعد من ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته
وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي ان يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو الافضل
فان كان يضعف ويؤدي ذلك به الى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له افضل كما ان الصوم افضل
للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها افضل او يكتري حمارا
بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكرا وان كان المشي اشد عليه كالاغنياء فالمشي افضل
وكانه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل ان يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو
اولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا يتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان
المال فما ذكره غير بعيد السادس ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف على
الزاملة او لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان احدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثاني
اجتناب زي المترفين والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث
وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عني
مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها وروى سفيان الثوري
عن ابيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافقت الرفاق من البلدان فرايت الحاج كلهم

من اعتقاده وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات. وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلم خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى فتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد. وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر صلوات الله عليه والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل. والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف به الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه. والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا. فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى الخارج وهو الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي فاذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز ان تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت. واما السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها. فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني ان املي عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت الستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك. وهذا اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة. وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا ادري فسألت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي وسألته فحدثني بما اجبتك فاذا هو اعلم منهما. وكأن هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان في امتي محدثين وان عمر منهم. وفي الاثر ان الله تعالى يقول اي عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه. وقال ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه. فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملأ الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم تنجلي لهم امور صادقة. وقال بعض العلماء يد الله على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق. وقال آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره.

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من كل جانب او هو مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب

انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا. ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة. والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك. والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر. فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها. والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير. وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله امضاه وما كان من عدوه جاهده. ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن. والله سبحانه يتعالى عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم وعظم ودم منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما انك تتعاطى الافعال باصابعك والله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا. والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم. ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المنشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يأمر الا بخير. وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله تعالى على شهوته حتى صار لا ينبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر الا بالخير. ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم. والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكوها فامتلأت بالوساوس

على الرواحل وعلى الرقاب ورواحل وما رأيت في جميعهم المحملين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحاج

السابع أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر شعثا غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين والمترفين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد أمر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الخبر إنما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاؤوني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال الله تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الأظفار وكتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد اخلولقوا واخشوشنوا أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء وقد قيل زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف وينبغي أن يجتنب الحمرة في زينته على الخصوص والشهرة كيف ما كان على العموم فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الإبل

الثامن أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك وهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيكون في حسابه ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به في القيامة قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك وفي الحمل لكل كبد حرى رطبة أجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعا وفي نزوله ساعة ترويح للدابة وسرور قلب المكاري قال رجل لابن المبارك احمل هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى أستأذن الجمال فإني قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فإنه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيرا يسيرا

التاسع أن يتقرب بإراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل إن كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله إنه تحسينه وتسمينه وسوق الهدي من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والأضحية والرقبة فإن أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله روى ابن عمر أن عمر أهدى بختية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أو قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج قال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل آدمي يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا

العاشر أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدي وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه فإن ذلك من دلائل قبول حجه فإن المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب فلا يضيع منه شيء عند الله ويقال إن من علامة قبول الحج ترك ما كان عليه من المعاصي وأن يتبدل بإخوانه البطالين إخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره

اعلم أن أول الحج الفهم أعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الإحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج من البلد ثم المسير في البادية ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفطن فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه

أما الفهم فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه وتعالى في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله وتركوا لله اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنه بعث الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها سأل أهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم أبدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون فأنعم الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكاة إرفاق ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله سبحانه وتعالى بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله سبحانه وتعالى فأما ترددات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفس ولا أنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلاة وغيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدي إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم أصل الحج

أما الشوق فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله وأنه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله وزائر له وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث أن العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وأنها إن أمدت في دار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار

الى ثمار العاجلة واطراح الفكر وتعقد استيلائها اتباع الهوى والعجز عن منعها بعد ذلك الا بقلة يخنس القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح اثار الملائكة قال جرير بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك تسلط عليه الشيطان وقد قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال عثمان بن العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب اذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شيء ما سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون فيه ايضا مجال للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس قال النبي عليه السلام ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فان ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال عليه السلام ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوة للقلب من جوانبه قال الله تعالى حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتترك دينك ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر اتدع ارضك وسماءك وانما مثل المهاجر كالفرس في طوله فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان قتل او مات غرقا او حرقا او اكله السبع فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهو هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وينكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه ادمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف ام ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علم وذلك دال على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة ليؤمن به ويحترز عنه فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه وقال الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في علم المعاملة الى معرفته نعم

ينبغي ان تعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داعي الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داعي الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم ولا يزال يستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار ليستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليؤيد الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى صلوات الله عليه فقال قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له تحت الخير ايضا تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبه يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور من آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها من خارج الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد عن الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى واحد بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سياتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمؤمن عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قتيبة بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجمل وانا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني بكتاب الله عز وجل فاهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسوها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي

يبقى

والحنين الى البيت والنظر اليه تستحق لقا رب البيت بحكم وعده الكريم فالشوق الى لقا الله يشوقه الى اسباب
اللقا لا محالة هذا مع ان المحب مشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله تعالى فبالحري ان
يشتاق اليه بمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل واما العزم فليعلم
انه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجر للشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله تعالى فليعظم
في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيمه
وليجعل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب الريا والسمعة وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا
الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم
وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه ريا وسمعة وليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير
واما قطع العلائق فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله من جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل
غريم حاضر متعلق بتلبيبه ينادي عليه ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في
منزلك هذا ومستهين به ومهمل له اولا تستحيي من ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا
في قبول زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى
ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك
اولا الا النصب والشقا وآخرا الا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر
ان لا يعود اليه وليكتب وصيته لاهله واولاده فان المسافر لعلى خطر الا ما وقى الله وليتذكر عند قطعه
العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير
ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر واما الزاد فليطلبه
من موضع حلال واذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد
قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده
يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة
متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان تكون اعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الريا
وكدورات التقصير واما الراحلة اذا احضرها فليشكر الله سبحانه وتعالى بقلبه على تسخير الله له الدواب لتحمل
عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى دار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها
فان امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب لان يكون زادا لذلك السفر
على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه الجمازة فركوب الجنازة
مقطوع به وتيسر اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته
ويهمل امر السفر المستيقن واما شرا ثوب الاحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام
عند القرب من بيت الله وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله تعالى ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى
بيت الله الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا
وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيهما مخيط كما في الكفن واما الخروج من البلد فليعلم عنده انه فارق
الاهل والوطن متوجها الى الله في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة
من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا
العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقا البيت عن لقا رب
البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجا الوصول والقبول لا ادلالا باعماله
في الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجا لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل

التلبيب
كريبان قميص گرفتن
وبعضي كشيدن را

والفلك بالتحريك
الهلاك

وادركته المنية في الطريق لقي الله تعالى وافدا اليه اذ قال ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم
يدركه الموت فقد وقع اجره على الله واما دخول البادية الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر
فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول
قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه من الافاعي والحيات
ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن من انفراده في هذه المخاوف في اعماله
واقواله متزود لمخاوف القبر واما الاحرام والتلبية بالميقات فليعلم ان معناه اجابة ندا الله تعالى فارج
ان يكون مقبولا واخش ان يقال له لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجا والخوف مترددا وعن حولك
وقوتك متبريا وعلى فضل الله وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر قال
سفين بن عيينة حج علي بن الحسين فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه
الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط
من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمن الداراني حين اراد
الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا واخذته كالغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه
السلام قل لظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك
يا احمد بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نامن
ان يقول لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الاصوات بالتلبية في الميقات اجابته لندا الله تعالى اذ قال
واذن في الناس بالحج وندا الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيمة مجيبين
لندا الله ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف
والرجا تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا واما دخول مكة
فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم آمن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان
لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا
فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع واما وقوع
البصر على البيت فينبغي ان تحضر عنده عظمة البيت في القلب وتقدر كانك مشاهد لرب البيت
لشدة تعظيمك وارج ان يرزقك الله النظر الى وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم واشكر
الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين اليه واذكر عند ذلك انصباب
الناس في القيمة الى جهة الجنة آملين لها ولدخولها كافة ثم انقسامهم الى ماذونين في الدخول ومصروفين
انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر امور الآخرة في شي مما تراه فان كل احوال الحاج
دليل على احوال الآخرة واما الطواف بالبيت فاعلم انه صلوة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجا
والمحبة على ما فصلناه في كتاب الصلوة واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش
الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى
لا تبتدي الذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدي الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم ان الطواف
الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد
بالبصر وهو في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في
عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه
الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازا الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف
الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان

في بادية لكثرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يهتدي إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة
ههنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله فيما يهتدي
إلى غوامض طرقه وإلا فطرقه كثيرة وغامضة قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو
إليه ثم تلا وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة
طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكون لشهواتهم الكافون عن
المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه وذلك كما روي عن
النبي عليه السلام أنه قال كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عنده
الراهب فأتي بها الراهب فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فأتاه الشيطان فوسوس
له وزين له مقاربتها ولم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها
فإن سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها
فأتاه أهلها فسألوه فقال ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان فقال أنا الذي أخذتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني
تنج اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال الله عز وجل كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني
بريء منك فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر وكل ذلك بطاعته له في قبول الجارية للمعالجة
وهو أمر هين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه إقدام الراغب في الخير
فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور وإليه
الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب

اعلم أن القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن
من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرف أبوابه وحماية القلب عن
وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل مداخل
إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة
ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن أبوابه العظيمة الحسد
والحرص فمهما كان العبد حريصا على شيء أعماه حرصه وأصمه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ونور
البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما
يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روي أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين
كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم
معك فقال نوح اخرج منها يا عدو الله فإنك رجيم فقال إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين
فأوحى الله إلى نوح أنه لا حاجة لك إلى الثلاث مره يحدثك بالاثنتين فقال ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما
أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص أبيح لآدم عليه السلام الجنة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص
ومن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان
لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي أن إبليس لقي موسى صلوات الله عليه فقال يا موسى أنت الذي اصطفاك
الله برسالته وكلمك تكليما وأنا من خلق الله أذنبت ذنبا وأنا أريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب علي فلما كلم موسى ربه
فدعا موسى ربه عز وجل فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى إبليس وقال قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ليتاب عليك فاستكبر
وغضب وقال لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ثم قال إبليس يا موسى إن لك علي حقا بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند
ثلاث لا أهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى

الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم
فإني رسولها إليك ورسولك إليها فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا
وامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام ميتا هو الحسد وهو من أعظم مداخله وقال بعض الأولياء قال إبليس بأي شيء تغلب ابن آدم
قال آخذه عند الغضب وعند الهوى وقد ظهر إبليس لراهب فقال له أي أخلاق بني آدم أعون لك قال الحدة إن العبد إذا كان حديدا
قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل إن الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا
غضب طرت حتى أكون في رأسه ومن أبوابه حب التزين في الثياب والأثاث والدار فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا
على قلب إنسان باض فيه الشيطان وفرخ فيه فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها
ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره وإذا أوقعه فيها فقد استغنى عن معاودته فإن ذلك
يجر بعضه إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى
ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا
فإن الشبع يقوي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان فقد روي أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا فرأى عليه معاليق من كل شيء
فقال له يحيى يا إبليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصيب بهن من ابن آدم قال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فثقلناك
عن الصلاة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي أن لا أملأ بطني من طعام أبدا فقال إبليس ولله علي أن لا أنصح مسلما
أبدا ومن أبوابه العظيمة الطمع في الناس فإذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه
بأنواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل
للوصول إلى ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روى
صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به قال لا حاجة لي به قال انظر فإن
كان خيرا قبلت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت ومن
أبوابه العجلة وترك التثبت في الأمور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتأني من الله وقال الله
تعالى وكان الإنسان عجولا وقال الله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما وهذا لأن الأعمال ينبغي أن
تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره من
حيث لا يدري روي أنه لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالت أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث
قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا الملائكة حافين حوله فرجع إليهم
فقال إن نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة
ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض
والدواب والعقار فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة
دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه مائة شهوة يحتاج كل واحدة منها إلى مائة دينار فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى
وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن وجد مائة وظن أنه صار غنيا بها وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشتري بها دارا
يعمرها ويشتري جارية ويشتري أثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به
وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم ولا آخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبي عليه السلام قال إبليس لشياطينه
لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاءوه وقالوا لا ندري قال إبليس أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث محمد صلى الله
عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط
مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك فقال إبليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب هنالك
حاجتنا منهم وروي أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه من تحت رأسه ورمى به
وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فإن القائم بالليل

ويدعو وان من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف
عليه على ما رآه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله واما الاستلام فاعتقد عنده انك مبايع لله على طاعته فصمم عزيمتك
على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر الاسود يمين الله في الارض
يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه واما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام
طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء من
البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من
اذنب اليه في عفوه عنه المظهر له انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا المتضرع اليه
بالعفو وبذل الامن في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فانه يضاهي تردد العبد بفناء دار
الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل
على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول او رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد
اخرى يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي
الميزان في عرصات القيمة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين
ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام
الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم
وسيرا بسيرهم عرصات القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم
وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله
تعالى فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال
الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقات
من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم
وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع
سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله لم يغفر له وكأن
اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق
الى استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد واما رمي الجمار فاقصد به الانقياد
للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بابراهيم صلوات
الله عليه حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له
وقطعا لامله فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه واما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان
هذا الخاطر من الشيطان وانه الذي القاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل لك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهي اللعب
فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم انف الشيطان واعلم انك في الظاهر ترمي الحصا الى العقبة
وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك امر الله تعالى تعظيما له بمجرد الامر
من غير حظ للنفس والعقل فيه واما ذبح الهدي فاعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فاكمل الهدي
وارج ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكبر واجزاؤه اوفر
كان فداؤك من النار به اعم واما زيارة المدينة فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل
لنبيه عليه السلام وجعل اليها هجرته وانها داره التي فيها شرع فرائض ربه وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه
الى ان توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم مثل في نفسك مواقع اقدام رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند تردده فيها وانه ما من موضع تطؤه الا كان موضع قدمه العزيز ولا تضع قدمك عليه الا على سكينة

وجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم
معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما منّ
الله به على الذين ادركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة
اصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر انك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته في الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة
وقد حيل بينك وبينه بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم يرفع الله الي اقواما فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب اصحابي
اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق
فلا تأمن ان يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ان لا يحول الله بينك وبينه بعد ان
رزقك الايمان واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لمحض حبك له وشوقك الى ان
تنظر الى آثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما اجدرك بان ينظر الله اليك بعين
الرحمة واذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاول المسلمين
وافضلهم عصابة وان فرائض الله عز وجل اول ما اقيمت في تلك العرصة وانها جمعت افضل خلق الله حيا وميتا فليعظم
املك في الله عز وجل ان يرحمك بدخولك اياه فادخله خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعي الخشوع من
قلب كل مؤمن كما يحكى عن ابي سليمان انه قال حج اويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب
المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد محمد فيها مدفون
واما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفناه
وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت ترى الحرمة في ان لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف
من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم انه عالم
بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلواتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد
بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه عليه السلام ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من
سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه
واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة
صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه
وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قائما على المنبر وقد احدق به المهاجرون
والانصار وهو يحثهم على طاعة الله بخطبته واسأل الله ان لا يفرق في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب
في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الحزن والهم والخوف فانه ليس يدري اقبل منه حجه واثبت
في زمرة المحبوبين او رد حجه والحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه واعماله فان صادف قلبه قد ازداد
تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى الانس بالله ووجد اعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله لا يقبل
الا من احبه ومن تولاه تولاه واظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول
وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله من ذلك والله تعالى اعلم بالصواب

كتاب آداب تلاوة القران وهو الكتاب الثامن من كتب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط
المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور
ومن خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى
والمعتصم الاوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه ولا يحيط بفوائده عند اهل الفهم

تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا لكنت صح

مثلا الصلوة مهما كان القرب منه حجرة يمكن ان تتوقد الاوراك يدعو الى النوم والى ان يوسعه ولو لم يكن ذلك لكان الحفظ له ذلك
والتحرك رغبته في اليوم هذا في حجرة طرفه من تملك المخاد الوثيرة والفرش الوطية والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط
لعبادة الله تعالى ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعوا الى الادخار
والكنز والعذاب الاليم هو الموعود للكافرين كما نطق به القران قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني عليه
ابن ادم فلن يغلبني على ثلث ان امره ان ياخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح
مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن اثار البخل
الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشيطان روى عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي
مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل
لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرانا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل
لي مصايد قال النساء ومن ابوابه التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار
وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات
السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته
وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان ترى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه
وهو اكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو راه ابو بكر لكان اول عدو له اذ موالي
ابي بكر رضي الله عنه من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته ان يضع حجرا في فيه ليكف لسانه عن الكلام
فيما لا يعنيه فانى لهذا الفضولي ان يدعي ولاه وحبه ويرى فضوليا اخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي رضي الله
عنه وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ فترى الفاسق لابسا لثياب الحرير
ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيمة وليت شعري من اخذ ولدا
عزيزا لانسان هو قرة عينه وثمرة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه
وولاه كيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر وعلي وساير الصحابة رضي الله عنهم من
الاهل والولد بل من نفوسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون
به الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند الصحابة وعند اولياء الله لا بل لو كشف الغطاء
وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح افعالهم
ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الاخر انه اذا مات محبا لعلي لم يكن
عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيا وهذا
مثال اوردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين لابي حنيفة والشافعي واحمد ومالك وغيرهم من الائمة رحمهم الله تعالى
وكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي العمل لا الحديث
وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي
ذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا فهذا مدخل عظيم ومداخل الشيطان قد اهلك بها اكثر العالم وقد
سلمت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم
يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن
الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم
قال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا
يستغفرون الله تعالى منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف
يستغفرون

وان حمل على جواز لعنه من يدل على كونه
قاتل الحسين او امر به علما
لم يثبت اصلا ولا يجوز ان يقال انه قتله او
امر به فانه لم يثبت نقلا عن العدل
ولا يجوز ان ينسب مسلم الى كبيرة من غير
تحقيق نعم يجوز ان يقال ان ابن ملجم
قتل عليا كرم الله وجهه وقتل ابو لؤلؤة
عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا
فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق وكفر
من غير تحقيق وعلى الجملة ففي لعنة
الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر
في السكوت عن لعن ابليس فضلا
عن غيره

عنها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود
قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث
الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا
عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر
في ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقلهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم في الله تعالى عنه
فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك
بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنونه
واكثرهم سؤالا من العلماء قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله
تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه والنبي صلى الله
عليه وسلم لم يامر في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يؤمنوا
ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم الى العلماء والعامي لو زنى او سرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم
فان من تكلم من غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة
ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب لا تحصر وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه سوء الظن
بالمسلمين قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ومن حكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه
اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا
منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم
حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احترز منه روى عن علي بن حسين رضي الله عنهما ان صفية بنت حيي رضي الله عنها
اخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به
رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا فقال لهما انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله انظن بك الا خيرا فقال ان
الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق
على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا
يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا
بعضهم وبعين السخط بعضهم شعر وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فيجب الاحتراز
عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسي الظن بالناس
طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير
والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت
استقصاها جميعه لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح للشيطان ومدخل
من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج
ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من المهلكات
بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي نعم اذا قطعت من القلب اصول
هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى
لان حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس
لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا خصص
ذلك بالمتقين ومثل الشيطان كلب جايع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز فانه ينزجر بان تقول له اخسا فمجرد الصوت يدفعه
وان كان بين يديك لحم وهو جايع يهجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر

مجدد ولا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي ارشد الاولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا
الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فكل من آمن به فقد وفق
ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز وقال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة
على ما فيه من الاعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وينكشف مقاصده في اربعة ابواب

الباب الاول في فضل القرآن واهله **الباب الثاني** في آداب التلاوة في الظاهر
الباب الثالث في الاعمال الباطنة عند التلاوة **الباب الرابع** في فهم القرآن وتفسيره بالرأي
وغيره

الباب الاول في فضل القرآن واهله وذم المقصرين في تلاوته **فضيلة القرآن**

قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى الله
عليه وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم
لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي قراءة القرآن وقال ايضا ان الله عز وجل قرأ طه
ويس قبل ان يخلق الخلق بالفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل
هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال يقول الله عز وجل من شغله قراءة القرآن
عن دعائي ومسالتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم
فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأم به قوما وهم به راضون
وقال اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة
القرآن وذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته **الآثار**

قال ابو امامة الباهلي اقرأوا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن وقال
ابن مسعود اذا اردتم العلم فأثيروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال ايضا اقرأوا القرآن فانكم تؤجرون
عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الحرف الم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا
لا يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وان كان يبغض
القرآن فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قرأ القرآن
فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله عز وجل اتسع
باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق
باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام فقلت
يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم قال بفهم وبغير
فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القرآن من الرحمن عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل
بن عياض رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود انزل القرآن عليهم
ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط
العمل به وفي حديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد فيتعلم حلالها
وحرامها وامرها وزجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين
فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة يا عبدي اما
تستحيي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرأه وتتدبره
حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل
طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل

من دعاهم وقال ايضا حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو [illegible]

[illegible]

وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومأت اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك
ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني افجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك **الباب الثاني** في ظاهر آداب
التلاوة وهي عشرة **الاول** في حال القارئ وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما قائما
واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين
يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرأ في الصلاة قائما وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال وان قرأ على غير وضوء او
كان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
فاثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم
في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ في غير
صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل
لانه افرغ للقلب قال ابو ذر الغفاري ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل افضل **الثاني** في مقدار القراءة
وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم
الى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام
من قرأ القرآن في اقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت
رجلا يهذ القرآن هذا ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وامر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو ان يختم القرآن في سبع وكذلك
كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات
الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في الشهر كل يوم جزء من ثلاثين وكانه مبالغة في الاقتصار كما ان الاول
مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما في الاسبوع مرة والثانية في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب
ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمته بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويجعل ختمة الليل ليلة
الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل بختمته اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا
حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فيشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين
السالكين طريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر
او من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي
في الشهر بمرة لحاجته الى كثرة الترديد والتأمل **الثالث** في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن
سبعة احزاب فقد حزب الصحابة القرآن احزابا فروي ان عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة
وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء
بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وكان ابن مسعود كان يقسمه سبعة اقسام
على هذا الترتيب وقيل احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب
الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع
المفصل من قاف فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرؤونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانه حزب على عدد
الآي وعددها ستة آلاف ومائتا آية وست وثلاثون آية وقد اعتبرت ذلك فرأيته في كل حزب يتقارب وهذا قبل
ان تعمل الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا محدث **الرابع** في الكتابة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا
بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانه تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه وقد كان الحسن
وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن الشعبي وابراهيم كراهية النقط بالحمرة والاجر
على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من ان يؤدي الى احداث زيادات
وحسما للباب وشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد الى محذور واستقر الامر فيه على ما يحصل به مزيد

فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب وأما
قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فيطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فإذا
عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الآيات والأخبار الواردة في الذكر
وقال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر سمين دهين كاس وإذا شيطان المؤمن
مهزول أشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك قال أنا مع رجل إذا أكل سمى فأظل جائعا وإذا شرب
سمى فأظل عطشان وإذا ادهن سمى فأظل شعثا وإذا لبس سمى فأظل عريانا فقال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل
شيئا مما ذكرت فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم إنك
سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا
كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك إنك على كل شيء قدير فتمثل له إبليس يوما في طريق
المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا إبليس قال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة
قال والله لا أمنعها ممن أرادها فاصنع ما شئت وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي صلى الله
عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبريل عليه السلام فقال قل أعوذ
بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
ومن شر فتن النهار ومن طوارق الليل إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن نبئت
أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتا من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتى وجدت
برد لسانه على يدي ولولا دعوة أخي سليمان صلوات الله عليه لأصبح طريحا في المسجد وقال عليه السلام ما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا
غيره وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد
الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع في أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الأطعمة
ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب من الشهوات
فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الأطعمة قال الله تعالى
إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان
بعمله فقد تولاه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بأن الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم أن أكثر
عمومات الشرع مخصوص بشروط يعرفها علماء الدين فانظر إلى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل أن منتهى ذكرك
وعبادتك صلاتك فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يتجاذبه الشيطان في الأسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين
وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى إنك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك
إلا إذا صليت فالصلاة محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لا تقبلها القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم
لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت الخلاص
من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما كان يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك
قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أي أنت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي
المحسن بعد معرفته بإحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما أن الله تعالى قال ادعوني أستجب لكم وأنت تدعو ولا يستجاب
لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال
ادعوني أستجب لكم قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذي أماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله فلم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن
فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقال الله تعالى إن الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار فأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة فلم تعملوا لها وإذا قمتم

من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم ونشرتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فإن قلت فالداعي إلى المعاصي المختلفة
شيطان واحد أو شياطين مختلفون فاعلم أنه لا حاجة بك إلى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته
كل البقلة ولا تسأل عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الأخبار أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من المعاصي
شيطانا يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو أن اختلاف المسببات يدل على
اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل
واحد منهم على شيء من أمره وذكر ثبر والأعور ومسوط وداسم وزلنبور فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور
وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فهو صاحب الزنا يأمر به ويزينه وأما مسوط فهو صاحب الكذب
وأما داسم فيدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم وأما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا تزالون
متظالمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة وكما أن الشياطين فيهم كثرة
فكذلك في الملائكة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد بعمل ينفرد به وقد قال أبو أمامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك
يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط
يده فاغر فاه وما لو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال يونس بن يزيد بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس
أبناء الجن ثم ينشئون معهم وقال جابر بن عبد الله إن آدم صلوات الله عليه لما أهبط قال رب هذا العبد الذي جعلت
بيني وبينه عداوة إن لم تعني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال رب زدني قال أجزي بالسيئة
سيئة وبالحسنة عشرا إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال إبليس رب هذا العبد الذي
كرمته علي إن لا تعني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم
وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك إلى قوله غرورا وعن أبي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خلق الله عز وجل الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم
الحساب والعقاب وخلق الله عز وجل الإنس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم قال الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم أعين لا يبصرون بها الآية وصنف أجسامهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل
إلا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس تمثل ليحيى بن زكريا صلوات الله عليهما وقال له أنصحك فقال لا أريده ولكن أخبرني
عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونستمكن منه ثم
يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه
حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا
أنفسهم وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فإن قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض
وإذا رأى صورته فهو صورته الحقيقية أو هو مثال له يتمثل به وإن كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى
في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان
هي حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة إلا بأنوار النبوة فما رأى النبي جبريل صلى الله عليهما في صورته إلا
مرتين وذلك أنه صلى الله عليه وسلم سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده ذلك فطلع له جبريل فسد الأفق إلى المغرب ورآه مرة
أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبا وكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان
رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه
ويسمع كلامه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين فإنما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى
إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي
عن عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه عز وجل أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله

تحميده والانخلاع عنه اهل التلاوة لكثرة التوحيد هو الذي ارشد الاولين والآخرين وبأسماعه الجن لم يلبثوا ان ولّوا
الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا وكل من آمن به فقد وفق
ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز وقال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف ادامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة
على ما فيه من الاعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده في اربعة ابواب

الباب الاول في فضل القرآن واهله **الباب الثاني** في آداب التلاوة في الظاهر
الباب الثالث في الاعمال الباطنة عند التلاوة **الباب الرابع** في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره

الباب الاول في فضل القرآن واهله وذم المقصرين في تلاوته **فضيلة القرآن**

قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى الله
عليه وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم
لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي قراءة القرآن وقال ايضا ان الله عز وجل قرأ طه
ويس قبل ان يخلق الخلق بالفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل
هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال يقول الله عز وجل من شغله قراءة القرآن
عن دعائي ومسألتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم
فزع ولا ينالهم حساب حتى يفر[illegible] ابتغاء وجه الله عز وجل وام به قوما وهم به راضون
وقال اهل القرآن اهل الله وخاصته [illegible] رسول الله وما جلاؤها قال تلاوة
القرآن وذكر الموت وقال صلى [illegible] الغيبة الى قينته **الآثار**
قال ابو امامة الباهلي اقرأوا القرآن [illegible] يعذب قلبا وعى القرآن وقال
ابن مسعود اذا اردتم العلم فأثيروا [illegible] اقرأوا القرآن فانكم تؤجرون
عليه بكل حرف منه عشر حسنات [illegible] واللام حرف والميم حرف وقال ايضا
لا يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن [illegible] رسوله وان كان يبغض
القرآن فهو يبغض الله ورسوله [illegible] وقال ايضا من قرأ القرآن
فقد ادرجت النبوة بين جنبيه [illegible] فيه كتاب الله عز وجل
باهله ولشر خيره وحضرته [illegible] الا تبلى فيه كتاب الله عز وجل فاق
باهله وقل خيره ومرحت [illegible] رأيت الله عز وجل في المنام فقلت
يارب ما افضل ما تقرب به [illegible] بفهم او بغير فهم فقال بفهم وبغير
فهم وقال محمد بن كعب القرظي [illegible] به وكأنهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل
بن عياض [illegible] وقال ابن مسعود انزل القرآن عليهم
ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا [illegible] خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط
العمل به وفي حديث جندب لقد عشنا دهرا وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد فيتعلم حلالها
وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين
فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة يا عبدي اما
تستحيي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرأه وتتدبره
حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل
طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل

بسم الله الرحمن الرحيم
روي عن علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النصف
من شعبان قام فصلى اربع عشرة ركعات في كل ركعة
فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد مرة وقل اعوذ برب
الفلق [illegible] مرة وقل اعوذ برب الناس [illegible]
[illegible] بعد السلام [illegible] مرة
[illegible] سورة الفلق [illegible] آية الكرسي مرة [illegible]
[illegible] مرة [illegible]
[illegible] من صلى هذه الصلاة [illegible]
[illegible] قد غفر لك
[illegible] شعبان [illegible]

عا

وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه او مال اليه ان كف وما انا ذا مقبل عليك
ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني فجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك **الباب الثاني** في ظاهر آداب
التلاوة وهي عشرة **الاول** في حال القارئ وهو ان يكون على الوضوء وواقفا على هيئة الادب والسكون اما قائما
واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة المتكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين
يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرأ في الصلاة قائما وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال وان قرأ على غير وضوء او
كان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
فاثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم
في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ في غير
صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل
لانه افرغ للقلب قال ابو ذر الغفاري ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل افضل **الثاني** في مقدار القراءة
وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم
الى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام
من قرأ القرآن في اقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت
رجلا يهذ القرآن هذا ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وامر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو ان يختم القرآن في سبع وكذلك
كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات
الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في الشهر كل يوم جزء من ثلاثين وكأنه مبالغة في الاقتصار كما ان الاول
مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما في الاسبوع مرة والثانية في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب
ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمته بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويجعل ختمته بالليل ليلة
الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل بختمته اول النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا
حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فيشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين
السالكين طريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر
او من المشغولين بنشر العلم فلا بأس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي
في الشهر بمرة لحاجته الى كثرة الترديد والتأمل **الثالث** في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن
بسبعة احزاب فقد حزب الصحابة القرآن احزابا فروي ان عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة
وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء
بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وكان ابن مسعود كان يقسمه سبعة اقسام
على هذا الترتيب وقيل احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب
الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع
المفصل من ق فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرؤونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانه حزب على عدد
الآي اعدادها ستة آلاف ومائتا آية وست وثلاثون آية وقد اعتبرت ذلك قراءته في كل حزب يتقارب فهذا قبل
ان تعمل الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا محدث **الرابع** في الكتبة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا
بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانه تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرأه وقد كان الحسن
وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن الشعبي وابراهيم كراهية النقط بالحمرة والاجر
على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من ان يؤدي الى احداث زيادات
وحسما للباب وشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد الى محذور واستقر الامر فيه على ما يحصل به مزيد

طريق

من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعدا على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه
الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد يراه بعض المكاشفين في صورة كلب
على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا بد وأن يظهر
فيه حقيقته من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما
متصل بالآخر وقد بينا أن للقلب وجهان وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحي ووجه إلى عالم الشهادة فالذي
يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كلها متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل
من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن
قبيح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر
القلوب فلا تكون إلا محاكيا للصفة وموافقا لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا
بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان
المعاني ومحاكيا لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث ويدل الشاة على إنسان سليم الخاطر
وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وإنما
المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذا الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة كما في النوم وتارة
بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة
وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حواليه كالنائم

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم أن هذا أمر غامض وقد وردت فيه أخبار وآيات متعارضة يلتبس طريق
الجمع بينها إلا على سماسرة العلماء فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى عفا عن أمتي ما حدثت به نفوسها
وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة وإذا
هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرا وقد أخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو
عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة
ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت وفي لفظ آخر وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها
وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه وتعالى إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وقوله سبحانه
وتعالى ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر
فلا يعفى عنه وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وقال لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على
الجوارح فنقول أول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها
والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسميه ميل الطبع ويسمى الأول
حديث النفس والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية
ما لم تندفع الصوارف فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم
من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه
هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس
تأكدت هذه الهمة وصارت إرادة مجزومة فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل
به ولا يلتفت إليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فهاهنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس
ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان
تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس

ولا يتبعه عزم على الفعل فأما العزم والهم فلا يسميان حديث نفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي قال مهلا إخصاء
أمتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني أن أترهب قال مهلا رهبانية أمتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم قال
مهلا فإني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك
شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل
فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به وأما الرابع
وهو الهم بالفعل فإنه يؤاخذ به إلا أنه إن لم يعمل نظر فإن تركه خوفا من الله وندما على همه كتبت له حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على
تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى أشد من جده
في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لأنه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وإن تعوق الفعل
بعائق أو تركه بعذر لا خوفا من الله كتبت له سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح
مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر
به فقال ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جراي وحيث قال فإن لم يعملها أراد
به تركها لله فأما إذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال النبي عليه السلام إنما يحشر
الناس على نياتهم ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ويقتل مسلما أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا أو
يحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا التقى
المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه وهذا
نص في أنه صار من أهل النار بمجرد الإرادة مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار
العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فأما فوت المراد بعائق
فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق
ولذلك لما نزل قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا كلفنا ما لا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال النبي عليه السلام لعلكم
تقولون كما قالت بنو إسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فأنزل الله الفرج بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها
فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن
أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن يغلط وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من
الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مسؤولا أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فإن أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا
بها لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال النبي عليه السلام التقوى هاهنا
وأشار إلى القلب ثم قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال الإثم حواز القلوب وقال البر ما اطمأن
إليه القلب وإن أفتوك وأفتوك حتى إنا نقول إذا حكم القلب المفتي بإيجاب شيء وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من ظن أنه
تطهر فعليه أن يصلي فإن صلى ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت
أجنبية وإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح

بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها
اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق فقالت فرقة إن الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لأنه صلى الله عليه وسلم قال فإذا ذكر الله
خنس والخنوس هو السكوت فكأنه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا
بالذكر كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فإنه قد يتكلم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا يسقط الوسوسة

بحدود ولا تخليته عند اهل التلاوة لكثرة الترديد هو الذي ارشد الاولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز وقال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده في اربعة ابواب

الباب الاول في فضل القرآن واهله **الباب الثاني** في آداب التلاوة في الظاهر **الباب الثالث** في الاعمال الباطنة عند التلاوة **الباب الرابع** في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره

الباب الاول في فضل القرآن واهله وذم المقصرين في تلاوته

فضيلة القرآن

قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي قراءة القرآن وقال ايضا ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال يقول الله عز وجل من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأم به قوما وهم به راضون وقال اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته

الآثار

قال ابو امامة الباهلي اقرأوا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم فانثروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال ايضا اقرأوا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الحرف الم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا لا يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قرأ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله عز وجل اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القرآن من الرحمن عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض [illegible] رسائل من ربهم وكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفي حديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة يا عبدي اما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرأه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل

وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومأت اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني فجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة

الاول في حال القارئ وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرأ في الصلاة قائما وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال وان قرأ على غير وضوء او كان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه افرغ للقلب قال ابو ذر الغفاري ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل

الثاني في مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاقتصار فمنهم من يختم في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة والاولى ان يرجع في التقديرات الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من قرأ القرآن في اقل من ثلاث لم … وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذ القرآن هذا … عبد الله بن عمرو ان يختم القرآن في سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة … بن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات الختم في يوم وليلة وقد … ن وكانه مبالغة في الاقتصار كما ان الاول مبالغة في الاستكثار و … في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب ان يختم ختمة بالليل و … ركعتي الفجر او بعدهما ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب … ان الملائكة تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان … والتفصيل في مقدار القراءة ان كان من العابدين السالكين طريق العمل … ن من السالكين اعمال القلب بضروب الفكر او من المشغولين بنشر … ن نائبا للفكرة في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته … ة اما من يختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن بسبعة احزاب فقد … ه كان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام … ن بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الاثنين بالعنكبوت الى ص … وكان ابن مسعود كان يقسمه سبعة اقسام على هذا الترتيب وقيل … الحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من ق فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرأونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا قبل ان تعد الآي ستة آلاف ومائتا آية وست وثلثون آية وقد اعتبرت ذلك في قراءته في كل حزب يتقارب فهذا قبل ان تعمل الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا محدث

الرابع في الكتبة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانه تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرأه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن الشعبي وابراهيم كراهية النقط بالحمرة والاجر على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب حذرا من ان يؤدي الى احداث زيادات وحسما للباب وشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد الى محذور واستقر الامر فيه على ما يحصل به مزيد

من يعجب بالتسطيح والتزهد النبيه
فكانما يمص [illegible]

ولا اثر له ايضا ولكن يسقط غلبته للقلب وكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم
الذكر في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة
فانها اذا ادرت بسرعة رايت النقط دوائر لسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد
الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان
قد يرى في حالة واحدة بعينيه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد
الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح
عندنا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد الى
صنف واحد من الوسواس واخبر عنه والوسواس اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان
قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر المه عظيم فعند ذلك
اذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد
من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول النار
ايسر من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه
وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله ويقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر
العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان
اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان تدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين
بنور الايمان والمعرفة الصنف الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا
انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج [وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث]
يحتاج الى المجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة الصنف الثالث ان يكون وسوسته
بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع
ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر
كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال النبي صلى الله
عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه
لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو قد تأذى به قد يتفكر
بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة محبوبه
بقلبه فيغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه كان كأنه
لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة
ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الآخر فاذا تأملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل
مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص
عنه عمرا بعيد جدا وهو محال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وكان
في يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر
الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب ولذلك لبسه ثم رماه ولا ينقطع وسوسة عروض الدنيا
ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا لا يخليه الشيطان في صلاته عن الفكر
في ديناره انه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به وكيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس
فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال

فالدنيا باب عظيم لوسواس الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي
فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه
في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم اليه فيعجب
بنفسه وبه يهلكه وعنده تشتد الحاجة فانه آخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منه الى الجنة **بيان** سرعة
تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات   اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب
اليه الآثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتأثر
به اصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فان نزل الشيطان به ودعاه الى الهوى التفت القلب اليه وصده عنه وان
جذبه شيطان الى الشر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى الخير جذبه ملك آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين
ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم
ولاطلاع رسول الله على عظيم صنع الله في عجائب القلوب وتقليبها كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه
كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال
مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب
مثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقليبات وعجيب صنع الله في تقليبها من حيث لا تهتدي اليه
المعرفة لا يعرفها الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما
ثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل
الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسراره وفوائده فينكشف له بنور
البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في
جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقره ومهبطا فعند
ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب
في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا
القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة
السوداء في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي
زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي
سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر
والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة **القلب الثاني** القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق المذمومة المفتوح
فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه
فينظر القلب الى الحاكم العقل ليستفتيه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس
به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط
فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى
فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد
والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى ينطفئ انواره
فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا يفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا
يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت
الشهوة

معرفته فلا باس به ولا يمنع منه كونه محدثات عمر وانها بدعة حسنة انما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة او يكاد
يفضي الى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرا في المصحف المنقوط ولا انقطه بنفسي وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القران
مجردا في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا نقطا كبارا عند
منتهى الاي فقالوا لا باس به يعرف به راس الاية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح قال ابو بكر الهذلي سالت
الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال اما اعراب القران فلا باس به
وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرايته يقرا في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذي
احدث ذلك واحضر القراء حتى عدوا كلمات القران وحروفه وسووا اجزاءه وقسمه الى ثلثين جزوا والى اقسام
اخر الخامس الترتيل هو المستحب في هيئة القراة لانا سنبين ان المقصود من القراة التفكر والترتيل معين عليه
ولذلك نعتت ام سلمة قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تنعت قراة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس لان
اقرا البقرة وال عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القران كله هذرمة وقال ايضا لان اقرا اذا زلزلت
والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرا البقرة وال عمران تهذيرا وسيل مجاهد عن رجلين دخلا في صلوة فكان قيامهما
واحدا الا ان احدهما قرا البقرة فقط والاخر القران كله فقال هما في الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد
التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى القران يستحب له ايضا في القراة الترتيل والتودة لان ذلك اقرب الى التوقير
والاحترام واشد تاثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال السادس البكا مستحب مع القراة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقران وقال
صالح المري قرات القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراة فاين البكا وقال ابن عباس
اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكا
ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشا البكا قال صلى الله عليه وسلم ان القران نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا
ووجه احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتامل تقصيره في اوامره
وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكا كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد
الحزن والبكا فان ذلك اعظم المصايب السابع ان يراعي حق الايات فاذا مر باية سجود سجد وكذلك اذا سمع
من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القران اربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس
في ص سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالاية التي
قراها مثل ان يقرا قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين
لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او على اوليايك واذا قرا قوله ويخرون
للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فليقل اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وكذلك في كل سجدة
ويشترط في هذه السجدة شروط الصلوة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الحدث والخبث ومن لم يكن
على الطهارة عند السماع فاذا تطهر سجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه للتحريمة ثم يكبر للانحطاط ثم يسلم
وزاد زايدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلوة وهو بعيد فانه ورد الامر بالسجود فليتبع فيه الامر
وتكبيرة الهوي اقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم الماموم ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة
نفسه الثامن ان يقول في مبتدا قراته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرا قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى
وبلغ رسول الله اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي اثنا القراة
اذا مر باية تسبيح سبح وكبر واذا مر باية دعا واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو سال وان مر بمخوف
استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله تعالى الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا

صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدا سورة البقرة فكان لا يمر باية عذاب الا استعاذ ولا باية رحمة
الا سال ولا باية تنزيه الا سبح فاذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه عند ختم القران اللهم ارحمني
بالقران واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني
تلاوته اناء الليل والنهار واجعله حجة لي يا رب العالمين التاسع الجهر بالقراة ولا شك انه لا بد ان يجهر
به الى حد يسمع نفسه اذ القراة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت فاقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع
نفسه لم تصح صلوته واما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه اخر ويدل على استحباب الاسرار
ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال فضل قراة السر على قراة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي
لفظ اخر الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية
سبعين ضعفا وكذلك قوله خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراة
بين المغرب والعشا وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراة في صلوته
وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره بان يخفض صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب
فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد
الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيا فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يوميذ
امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روي انه صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من اصحابه يجهرون في صلوة الليل
فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراته فان الملايكة وعمار الدار
يستمعون الى قراته ويصلون بصلاته ومر صلى الله عليه وسلم على ثلثة من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر وهو
يخافت فساله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فساله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان
وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرا اية من هذه السورة واية من هذه فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب
فقال كلكم قد احسن واصاب فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الريا والتصنع فهو افضل
في حق من يخاف ذلك على نفسه وان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل اخر فالجهر افضل لان العمل
فيه اكثر ولان فايدته تتعلق ايضا بغيره والخير المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القاري ويجمع
همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراة ويقلل
من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نايم فيكون هو سبب احيايه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه
ويشتاق الى الخدمة فمهما حضره شي من هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات تزكوا اعمال الابرار وتتضاعف
اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة اجور ولهذا نقول قراة القران في المصحف افضل اذ يزيد
عمل البصر وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة من المصحف بسبع لان النظر في المصحف
ايضا عبادة وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراته منهما وكان كثير من الصحابة يقرون من المصحف
ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف العاشر تحسين القراة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط
مفرط يغير النظم فذلك سنة قال صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم وقال عليه السلام ما اذن الله لشي اذنه
لحسن الصوت بالقران وقال ليس منا من لم يتغن بالقران فقيل اراد به الاستغنا وقيل اراد به الترنم وترديد
الالحان به وهو اقرب عند اهل اللغة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عايشة رضي الله عنها
فابطات عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام صلى الله عليه
وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله واستمع ايضا ذات
ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرا القران غضا كما
انزل فليقراه على قراة ابن ام عبد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا فقال يا رسول الله اقرا وعليك انزل

وسلطان الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله
وقدره وهو الذي قال الله تعالى فيه ارأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان
اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله
سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله
بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه
وطاش عقله وسقط مسكة قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت
عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة
على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان
الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفي منه انواره فينطفي نور الحيا والمروءة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان

القلب الثالث قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث
النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في
وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب
فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع
عن هواك فتوذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون
بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد
فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى
الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من يتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة
يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوة ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن
انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك ارايت لو كنت في يوم صيف
ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس
خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا
بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية
التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه ومساعدا
لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات
الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الاخرة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت
الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الحزبين
وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشيطان
فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من
خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضا فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعة
واسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية وسلط عليه اقران السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع
الحكم يغتر الحمقى كقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب
غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل وما
يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السما ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان
يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة

٢١٩

...لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار واهل
الجنة فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال هولاء في النار ولا ابالي وهولاء في الجنة ولا ابالي فتعالى الله الملك
الحق لا يسال عما يفعل وهم يسالون فلنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاه لا يليق بعلم المعاملة
وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع به من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشر عن اللباب
بل يتشوق الى معرفة دقائق الاسباب ففيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى والله اعلم

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقداره
وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه
وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلوة على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح انوار النبوة
من بين اساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى اله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلمة الكفر ودياجيره
وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا كثيره اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين
وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات
الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين
وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب
الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد واين
منه المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطبا بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت
حياة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه
على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في
معرفة عللها واسبابها ثم الى التشمير في معالجتها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها
هو المراد بقوله تعالى وقد خاب من دساها ونحن نشير في هذا الكتاب الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها
على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلي في تهذيب
الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة
حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق
ثم بيان تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان
الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات
لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات
المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصدها الكتاب ان شاء الله

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله
سبحانه لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلقه القران وسال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقال النبي صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع
في الميزان خلق حسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فاتاه من قبل يمينه
فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت
اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني قال
اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال
افضل قال حسن الخلق وقال عليه السلام ما حسن الله خلق امري وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة

فقال اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه
وسلم الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك
كنت تسمع لحبرته لك تحبيرا وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ
سورة من القران وكان عمر يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلوة يتوسط فيقال يا امير
المؤمنين الصلوة الصلوة فيقول اولسنا في صلوة اشارة الى قوله تعالى ولذكر الله اكبر وقال عليه السلام من استمع
الى اية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيمة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع
وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الاجر الا ان يكون قصده الرياء والتصنع والله تعالى اعلم بالصواب

الباب الثالث في اعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة

فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري

الاول فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف
لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة
في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه ولولا
استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع كلامه عرش ولا كرسي ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه
وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى صلوات الله عليه لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث
صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل
حرف من كلام الله في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه لما اطاقوه حتى ياتي
اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله تعالى طوقه ذلك واستعمله
به ولقد تانق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان مع قصور
رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك الى شريعة الانبياء فسأله الملك عن امور فاجاب بما لا يحتمله
فهمه فقال الملك ارايت ما ياتي به الانبيا ان ادعت انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله تعالى فكيف يطيق الناس
حمله فقال الحكيم انا راينا الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها
واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع
نظمه نزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بهم من النقر
والصفير والاصوات القريبة من اصواتهم التي يطيقون حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه
وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت
به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من ان شرف الكلام على الاصوات
لشرفها وعظم لتعظيمها وكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد
البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة
قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة
للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة
للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس
ما تحيا به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط والكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد امره وكالشمس
العزيزة الظاهرة المكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح
الخزائن النفيسة وباب للمنازل العالية ومراقي الدرجات الشريفة وشراب الحيوة الذي من شرب منه لم يمت
ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق

بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه **الثاني** التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القران ينبغي ان
يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله تعالى غاية الخطر فانه تعالى
قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن
معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير
وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم
كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه وهو يقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم
الكلام بتعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وافعاله فاذا خطر بباله العرش والكرسي
والسموات والارضين وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق
لها واحد وان الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان
عاقب فبعدله وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وهذه غاية العظمة والتعالي فبالتفكر
في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام **الثالث** حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير يا
يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة اليه عن غيره
وقيل لبعضهم اذا قرات القران اتحدث نفسك بشيء فقال اوشيء احب الي من القران احدث به نفسي وكان بعض
السلف اذا قرا سورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام
الذي يتلوه يستبشر به ويستانس ولا يغفل عنه ففي القران ما يستانس به القلب ان كان التالي اهلا له
فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها
فقد قيل ان في القران ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين
القران والراءات بساتين القران والحاميمات مقاصيره والمسبحات عرائس القران والحاميمات ديابيج
القران والمفصلات رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا جال القارئ في الميادين وقطف من البساتين
ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك
وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر
في غير القران ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك
سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا خير
في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان
يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر اية وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب
من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في اية
قراها فهذا وسواس فقد روي عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلوة فقيل في امر الدنيا
فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي وانى كيف
انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك لانه شغله عن فهم ما فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا
بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين
عنه فما اصطنع الله عز وجل ذلك عندنا وروي انه صلى الله عليه وسلم قرا بسم الله الرحمن الرحيم فرددها
عشرين مرة وانما رددها لتدبره في معانيه وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهده فيها
عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول كل اية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا
وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الاية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر
فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر

تصوم النهار وتقوم بالليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار قال ابو الدردا
رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخا ولما خلق الله عز وجل الكفر قال اللهم
قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخا
وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي المومنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن
الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم انك امرو قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البرا بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم
خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان النبي عليه السلام يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمرو قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعا يقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي عليه السلام
قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسالون النبي عليه السلام يقولون
ما خير ما اعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا يعتدن بشي من عمله تقوى تحجزه عن
معاصي الله عز وجل او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوة
اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها الا انت قال انس بينما نحن مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام من
سعادة المرء حسن الخلق وقال عليه السلام اليمن حسن الخلق وقال عليه السلام لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن
الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت المراة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان
الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال عليه السلام ان المسلم
المسدد ليدرك درجة الصايم القايم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية درجة الظمان في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب
فجا حسن خلقه فادخله على الله وقال انس قال عليه السلام ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل
وانه لضعيف العبادة وروي ان عمر استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسا من نسا قريش يكلمنه ويستكثرنه
عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر
اضحك الله سنك بابي وامي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت لهولاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن
الحجاب فقال عمر فانت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال يا عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال عليه السلام ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال عليه السلام
سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال عليه السلام ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم
الاثار قال ابن لقمن الحكيم لابيه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال
قال فاذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحيا قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخا قال فاذا
كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس الخصال فهو تقي نقي ولله ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من سا خلقه عذب
نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل درك في جهنم
وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا
تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجلا سيء
الخلق في سفر وكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم تفارقه وقال الجنيد

ايها

مثاله تركتهم فان العاجز عن المجاهدة في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة
في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر تتقطعه قواطع كثيرة من العجب والريا
والفرح بما ينكشف من الاحوال وما يبدو من اوايل الكرامات ومهما التفت الى شي من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك
فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه
ويدوم على ذلك وراس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السايحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق
الى التحقيق فقال ان تكون في الدنيا كانك عابر سبيل وقلت له دلني على عمل اجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام فقال لا تنظر الى الخلق فان النظر
اليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت
انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة قال يا هذا اتنظر الى
الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذن
منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله عز وجل ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول الجهاد
فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطايف رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف
بل لا يحيط الوصف به اصلا واذا انكشف للمريد شي من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى
للتذكير فيجد النفس فيه لذة ليس وراها لذة فيدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين
الالفاظ عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القران والاخبار وتحسين صورة الكلام ليميل اليه القلوب
والاسماع والشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احيا لقلوب الموتى الغافلين عن الله وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق
بدعوة عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما
واجزل لفظا واقدر على اجتلاب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه كيد القبول وان
كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله الى الصراط المستقيم فيعظم به فرحه فيقول الحمد لله الذي عضدني وايدني
بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه ان يحمل ميتا ليدفنه اذا وجده ضايعا وتعين عليه ذلك شرعا فجا من اعانه
عليه فانه يفرح به ولا يحسده والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون ففي كثرتهم استرواح وتناصر
فينبغي ان يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبايل الشيطان في قطع الطريق
على من انفتح له اوايل الطريق فان ايثار الحيوة الدنيا غالب على طبع الانسان ولذلك قال الله تعالى بل توثرون الحيوة الدنيا
ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى
فهذا منهاج رياضة المريد وترتيبه في التدريج الى لقا الله تعالى اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي فان اغلب الصفات
على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب
الانسان شهوة البطن والفرج وانس بها احب الدنيا ولم تمكنه منها الا بالمال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة
واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدين راسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد
تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب كتاب في كسر شره البطن والفرج وكتاب
في كسر شره الكلام وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل
خدعها وكتاب في ذم المال والبخل وكتاب في ذم الريا وحب الجاه وكتاب
في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا
من ربع المهلكات ان شا الله عز وجل فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات
والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب واما تفصيلها
فانها ياتي في هذه الكتب ان شا الله عز وجل كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وهو الكتاب الثالث
من ربع المهلكات من كتاب احيا علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريايه وتعاليه المستحق للتحميد

فهذا قال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت
منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا يقول اقمت نفسي مقام الاجرا فانا اعمل مياومة ومشاهرة
ومجاينة ومسانهة **الخامس** التفهم وهو ان يستوضح من كل اية ما يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات ذكر
الله وذكر افعاله وذكر احوال الانبيا وذكر احوال المكذبين بهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة
والنار اما صفات الله فكقوله ليس كمثله شي وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المومن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر فليتامل معاني هذه الاسما والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة
لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي رضي الله عنه ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا كتمه عن الناس الا ان
يوتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والاخرين
فليثور القران واعظم علوم القران تحت اسما الله وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لايقة بافهامهم
ولم يعثروا على اغوارها واما افعاله فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله
اذ الفعل يدل على الفاعل فيدل عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق
راه في كل شي اذ كل شي فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن
عرفه عرف ان كل شي ما خلا الله باطل وان كل شي هالك الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو الان باطل ان اعتبر
ذاته من حيث هو الا ان يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات
وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدا من مبادي علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرا التالي قوله افرايتم
ما تحرثون افرايتم الما الذي تشربون افرايتم النار التي تورون افرايتم ما تمنون فلا يقصر نظره على الما والنار والحرث والمني
بل يتامل في المني وهو نطفة متشابهة الاجزا ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب
وكيفية تشكل اعضايها بالاشكال المختلفة من الراس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر
فيه من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى ما ظهر فيه من الصفات المذمومة من الغضب
والشهوة والكفر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال الله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو
خصيم مبين فيتامل هذه العجايب ليترقى منها الى اعجب العجايب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب
فلا يزال ينظر الى الصنعة ويرى الصانع واما احوال الانبيا فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم
فليفهم منه صفة الاستغنا لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم فانه لو اهلك جميعهم لم يوثر في ملكه واذا سمع
نصرتهم في اخر الامر فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم
فليكن فهمه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل
واسا الادب واغتر بما امهل فربما يدركه النقمة وينفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وما
في القران فلا يمكن استقصا ما يفهم منها لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو
جينا بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شيت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب
فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فاما الاستقصا فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم
ما في القران ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين
اوتوا العلم ماذا قال انفا وقال الله تعالى اوليك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هي الموانع التي سنذكرها من الفهم
وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القران كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد
السادس التخلي من موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القران لاسباب وحجب اسدلها الشيطان
على قلوبهم فعميت عليهم عجايب اسرار القران قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى
الملكوت ومعاني القران

من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة الاولها
ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقرا فيصرفهم فهم
عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تامله مقصورا
على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس وثانيها
ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه
ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره
موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي يباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد
حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد ابايك فيرى ان ذلك غرور الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن
مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقايد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد
التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف
والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى الطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد
من الاستوا على العرش التمكن والاستقرار فان خطر بباله مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه
لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع
الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق
الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدا ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول
الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في قواعد العقايد وثالثها ان يكون مصرا على ذنب
او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المراة
فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما
كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المراة والشهوات
مثل الصدا ومعاني القران مثل الصور التي تترايا في المراة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلا
للمراة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف
حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القران وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر وقال تبصرة وذكرى
لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي اثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة
فليس من ذوي الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب ورابعها ان يكون قد قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا
معنى لكلمات القران الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيره وان ما ورا ذلك تفسير بالراي وان من فسر القران
برايه فقد تبوا مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالراي في الباب الرابع وان
ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان يوتي الله العبد فهما في القران فانه لو كان المعنى هو الظاهر
المنقول لما اختلف الناس فيه **السابع** التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القران فان سمع امرا
او نهيا قدر انه المنهي والمامور وان سمع وعدا ووعيدا فكذلك وان سمع قصص الاولين والانبيا علم ان السمر غير مقصود
وانه المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القران الا وسياقها لفايدة في حق النبي وامته
ولذلك قال الله تعالى ما نثبت به فوادك فليقدر العبد ان الله يثبت فواده بما يقصه عليه من احوال الانبيا وصبرهم
على الايذا وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقران ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرسول الله خاصة بل هو شفا وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال
واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم

والتقديس والتسبيح والتنويه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي باما نيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى تضيق به مجاري الشيطن الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ودواعيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه اما بعد فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادوا والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منها آفة الريا وغائلة التفاخر والتكاثر والكبريا ثم يتداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضا ثم يفضي بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشا وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلا ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطن لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوايد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الريا في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد من ترك التزوج وفعله ثم بيان فضيلة من خالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي عليه السلام لا يدخل ملكوت السما من ملا بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال النبي عليه السلام افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نووم اكول شروب وفي الخبر كان عليه السلام يجوع من غير عوز اي مختارا له وقال النبي عليه السلام ان الله يباهي الملايكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملايكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال النبي عليه السلام لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الما وقال عليه السلام ما ملا آدمي وعا شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس من الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفيا الاتقيا الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملايكة السما نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم لم يتكالبوا على الدنيا

تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم دا وما بهم دا ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر ذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جايع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملايكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السما وقال عيسى صلوات الله عليه اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم ايضا رواه طاوس وفي التورية مكتوب ان الله تعالى ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القاري السمين وفي خبر مرسل ان الشيطن ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المومن ياكل في معا واحد والمنافق ياكل في سبعة امعا اي ياكل سبعة اضعاف المومن او تكون شهوته سبعة امثال شهوته ويكون المعا كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذ المعا وليس المعنى زيادة عدد معا المنافق على معا المومن وروى الحسن عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما وروي ان ابا جحيفة تجشا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقصر من جشايك فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عايشة تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلايي قالت عايشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله وعن انس قال جات فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة وقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال ابو هريرة ما اشبع النبي صلى الله عليه وسلم اهل بيته ثلثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال عليه السلام ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملاى وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة واما الآثار فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحيوة نتن في الممات وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وثمنها المجاعة وقال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضا عن العبادة وقال الفضيل بن عياض لنفسه اي شي تخاف اتخافين ان تجوعي لا تخافي ذلك انت اهون على الله تعالى من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليايك فباي عمل اودي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جايعا وامسى جايعا وهو عن الله راض وكان الفضيل يقول الهي اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليايك فباي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التايبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التورية اتق الله واذا شبعت فاذكر الجياع وقال ابو سليمن لان اترك لقمة من عشايي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزاينه لا يعطيه الا لمن احبه

هذا بصاير للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب
جميع الناس قصد الاحاد فهذا الواحد القاري مقصود فما له وللناس فليقدر انه المقصود وقال الله
واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما كلمه الله عز وجل
واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القران عمله بل يقرا كما يقرا العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتامله ويعمل
بمقتضاه ولذلك قال بعض العلما هذا القران رسايل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف
عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القران في قلوبكم
يا اهل القران ان القران ربيع المومن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا القران الا قام
بزيادة او نقصان قال الله عز وجل هو شفا ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا **الثامن** التاثر
وهو ان يتاثر قلبه باثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه
من الحزن والخوف والرجا وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب
على ايات القران فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى واني لغفار
لمن تاب ثم اتبع ذلك باربعة شروط لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا
جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القران من اوله الى اخره
ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران
يومن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاوه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته
وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن
من قراة القران وتفهمه وتدبره فتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة فعند الوعيد وتقييد
المغفرة بالشروط يتضال من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح
وعند ذكر صفات الله واسمايه يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله
كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حيا من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه
شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرايصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا
علي قال فافتتحت سورة النسا فلما بلغت فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا رايت عينيه
تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الان وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الخايفين
من خر مغشيا عليه عند ايات الوعيد ومنهم من مات في سماع الايات فمثل هذه الاحوال يخرجه عن ان يكون حاكيا
في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا لم يكن خايفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك
انبنا ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قرا ولنصبرن على ما اذيتمونا فليكن حاله الصبر او العزيمة
عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فاذا لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة
حركة لسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفلة معرضون وقوله فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وفي
قوله تعالى ومن لم يتب فاوليك هم الظالمون الى غير ذلك من الايات وكان داخلا في معنى قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا
اماني يعني الا التلاوة المجردة وفي قوله وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فان القران
هو المبين لتلك الايات في السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتاثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن
متصفا باخلاق القران فاذا قرا القران ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب
الي ومثال العاصي اذا قرا القران وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته

وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد عن الاستهزا
واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراة القران فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى
التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله فنبذوه ورا ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبيس ما
يشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروا القران ما ايتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا
اختلفتم فقوموا عنه وقال الله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا
وقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الناس صوتا بالقران الذي اذا سمعته يقرا رايت انه يخشى الله عز وجل وقال
ايضا لا يسمع القران من احد اشهى منه ممن يخشى الله عز وجل فالقران لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل
به والا فالمونة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القرا قرات القران على شيخ لي ثم رجعت لاقرا
ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراة علي عملا اذهب فاقرا على الله عز وجل فانظر بماذا يامرك وبماذا ينهاك وبهذا
كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القران
منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام
من علمايهم ولما جا واحد ليتعلم القران فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه فانما العزيز مثل
تلك الحالة التي يمن الله بها على قلب عقيب فهم الاية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي
باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا
ونحشره يوم القيمة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها
ولم تعبا بها فان المقصر في الامر يقال نسي الامر وتلاوة القران حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب
فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتاثر بالانزجار والايتمار
فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ **التاسع** الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله
تعالى لا من نفسه فدرجات القراة ثلاث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرا على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه
ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السوال والتملق والتضرع والابتهال **الثانية** ان يشهد بقلبه كان
ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحيا والتعظيم والاصغا والفهم **الثالثة** ان
يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه
بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة
المقربين وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن
محمد الصادق فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلوة
حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت
جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكما كنت اقرا القران
فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه
فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جا الله بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه
من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من قراة
القران وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القران عشرين
سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله ولقوله ولا
تجعلوا مع الله الها اخر فمن لم يره في كل شي فقد راى غيره وكل ما التفت اليه العبد تضمن التفاته شيا من الشرك الخفي بل
التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شي الا الله **العاشر** التبري واعني به انه يتبرا من حوله وقوته والالتفات

الى نفسه

فلستم تقرؤنها في حينها
اذا اختلفتم

وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر افضل من ترك فضول الطعام والاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضع الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشي افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسيل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر واعتزال الخلق وقال راس كل بر نزل من السما الى الارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلا الا من شا الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الما حتى روي فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف الشبع من الطعام وسيل حكيم باي قيد اقيد النفس قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابنا الآخرة واكسرها بترك زي القرا عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سو الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الما الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا والاهم الله تعالى الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلي فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال ابو بكر بن عبد الله المزني ثلثة يحبهم الله عز وجل رجل قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة

بيان فوايد الجوع وآفات الشبع لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشيا الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دوا فانتفع به وظن ان منفعته لمرارة الدوا وكراهته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه مر المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدوا وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطبا فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلما ومن جوع نفسه مصدقا لما جا في الشرع من مدح الجوع انتفع وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدوا انتفع وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوايد

الفايدة الاولى صفا القلب وايقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي الفهم والادراك وقال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي وقال النبي عليه السلام احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شي زكوة وان زكوة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله تعالى يوما الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاعتبار بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضا عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فيطفى نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح

الفايدة الثانية رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيا لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه

فهي خير

فيكون انفع لبدنه وقال الافراد اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابراهيم بن ادهم يسال اصحابه عن الثمن من الماكول فيقال انه غال فيقول ارخصوه بالترك وقال سهل الاكل منهم في ثلثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شي فلا ينصف لله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الاحوال كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم ادموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في ساير الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله وتجارة الآخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه انما لا تلهيهم لاستغنايهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة

الفايدة العاشرة ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع وكان الحسن رضي الله عنه اذا قرا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرايق اللاتي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قيل لها ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت قالت لا ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة قالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الآفا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها بيوتهم وضيقوا بها قبورهم وسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان يتعرضون للبلا وهم من الله في عافية يقول قايلهم تبيعني ارض كذا وكذا وازيدك كذا وكذا يتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام اذا بلغت به الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ايتني بشي اهضم به طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين المسكين اين اليتيم الذي امرك الله به فهذه اشارة الى هذه الفايدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقرا ليدخر به الاجر فذلك خير من ان ياكله حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاوما الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا اقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شا لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوايد للجوع يتشعب عن كل فايدة فوايد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوايده فالجوع خزانة عظيمة لفوايد الآخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح باب الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح باب الدنيا وباب الرغبة بل كل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوايد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك رتبة المقلدين في الايمان

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظايف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبنا على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظايف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطا والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها

اما الوظيفة الاولى في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرد الى واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص منه جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شا فعل ذلك بالوزن وان شا بالمشاهدة فيترك كل

يوم

الكظة

بين يديه ... فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد لنفسه عند ذلك بل يشهد للموقنين والصديقين
فيها ويتشوق إلى أن يلحقه الله بهم وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب
خوفا وإشفاقا ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا
قوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله
من تقصيري سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فإن من شهد البعد في القرب
لطف له بالخوف حتى يسوقه إلى درجة أخرى في القرب وراءه ومن شهد القرب في البعد مكر به بالأمن الذي يفضيه
إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حد
الالتفات إلى نفسه فلم يشاهد إلا الله في قراءته انكشف له الملكوت قال سليمان بن أبي سليمان الداراني وعد ابن ثوبان
أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له وعدتني أن تفطر عندي فأخلفت
فقال لولا ميعادك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأني لا آمن ما يحدث
من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت
فهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات
بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها
عيانا وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله تعالى يشتمل على السهل اللطيف
والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب
مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر
يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام
غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

لعلك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف
لأرباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه
فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المنسوبين في تأويل كلمات
القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا إلى أنه كفر فإن صح ما قاله أهل التفسير فما
معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه
فليتبوأ مقعده من النار فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه
وهو مصيب في الإخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه بل
الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم قال علي رضي الله عنه إلا أن يؤتي الله عبدا
فهما في القرآن فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا
ومطلعا ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع
وقال علي لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار
وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي
علم إذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعا إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون إلا لتدبره باطن معانيه وإلا فترجمته وتفسيره
ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير وقال ابن مسعود من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل
بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته
وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد

ظاهر التفسير ولا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن
رموز إليه ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
في حديث علي والذي بعثني بالحق لتفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة
مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فإن فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم
وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالى ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله هو حبل الله المتين
ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي
عجائبه ولا يخلقه كثرة الترداد الحديث وفي حديث حذيفة لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف
والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج
من ذلك قال فأعدت ذلك عليه ثلاثا فقال ثلاثا تعلم كتاب الله واعمل بما فيه النجاة وقال علي رضي الله عنه من
فهم القرآن فسر جمل العلم أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس في قوله تعالى
ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما
وعلما سمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد سليمان به بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على العلم
فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك
فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه وقول أبي بكر أي أرض تقلني وأي سماء
تظلني إذا قلت في القرآن برأيي إلى غير ذلك مما ورد في الآثار والأخبار من النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلو
إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمرا آخر وباطل
قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه لوجوه أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا إليه وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود
من أنفسهما فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي لأنهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم
من الصحابة والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن
الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لترك الباقي فتبين على القطع أن
كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل فقيل الر هي حروف
من الرحمن وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون
الكل مسموعا والثالث أنه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فإن
كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع أنه قال الله تعالى لعلمه الذين
يستنبطونه منهم فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن ينافي
هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله
وأما النهي فإنه ينزل على أحد وجهين أحدهما أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن
على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن
ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية
ذلك ولكن يلبس على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق
غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه
لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم
أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم تسحروا فإن في السحور بركة ويزعم
أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول اذهب إلى فرعون

مقدار لقمة وتستصعب اكله بالاضافة ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو
عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين
منها وهو الحياة والعقل اكل وافطر ان كان صايما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال ينبغي
ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا وراى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلوته قايما مع كثرة الاكل وسيل سهل عن
بدايته وما كان يقوت به فقال كان قوتي كل سنة ثلثة دراهم كنت اخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز
فاسويه ثلثماية وستين كرة اخذ كل ليلة كرة افطر عليها فقيل الساعة كيف تاكل قال بلا حد ولا توقيت ويحكى عن
الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم
والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشي مما يكون الثلثة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر
رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم الدرجة الثالثة ان يرد الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد
على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشرب ولا يبقى شي للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر
بدل قوله للنفس الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله ولا
تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس
لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من
لم يقدر مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات
احدها ان لا تطلب النفس الادم بل ياكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه او طلب ادما فليس ذلك بجوع وقيل
ان يبزق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامضة فالصواب للمريد
ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير
الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم كان قوت جماعة من الصحابة رضي الله عنهم صاعا من حنطة في كل جمعة
فاذا اكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصفه وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث
البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه شيا حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيمة واحبكم الي من مات على ما هو
عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم تنخلون الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين
واختلف عليكم الوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في اخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت
اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن رضي الله عنه يقول المومن مثل
العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي
بطنه لجاره ولا يوثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المومن منها حلالا
لان اكل المومن عند الضرورة بقدر القوام فقط الوظيفة الثانية في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات الدرجة
العليا ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطوي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين يوما
وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابرهيم بن رحيم وابرهيم التيمي وحجاج
بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمن الخواص وسهل بن عبد الله وابرهيم بن احمد الخواص وقد
كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزا صاحب ابن عباس
يطوي سبعا وروي ان الثوري وابرهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك يستعينون بالجوع على طريق الاخرة قال بعض العلما
من طوى لله اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد حكي ان بعض هذه الطايفة
مر على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان
يطوي

اربعين يوما وانه معجزة لا تكون الا لنبي او صديق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام
وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وازيدك ايضا فطوى الى تمام الستين
فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا
مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته الدرجة
الثانية ان يطوي يومين الى ثلثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة الدرجة
الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى
لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة وقال عليه السلم لعايشة رضي الله عنها اياك والاسراف
فان اكلتين في يوم من السرف واكلة واحدة في يومين اقتار واكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في
كتاب الله تعالى ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان ياكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون اكله بعد التهجد
وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم
وسكون النفس الى المعلوم فلا ينازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عايشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان تلتفت نفس الصايم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله
عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه بنصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر
ليسكن نفسه ويخف جسده عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل السحور فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني
على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق
في مواقيت الاكل وتقاربه وتباعده الوظيفة الثالثة في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل
فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات
بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذة
يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقا الله
ويصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه
ومضيقة فاشتهت نفسه الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا انفسكم
لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكلما ذكرناه من افات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول
اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها ولذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن
داوم عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فيانس بالدنيا ويالف اللذات ويسعى في طلبها فيجره ذلك الى
المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين
غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى
عليه السلام اذكروا انكم ساكنوا القبور فليمنعكم ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة
وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال
التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله
وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسر اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع
عمر رضي الله عنه من شرب ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله اعظم من مخالفة الشهوات في ترك اللذات كما اوردناه
في كتاب رياضة النفس وقد روي نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا

انه طغى ويشير الى قلبه ويومئ الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا
للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم
الباطل فينزلون القران على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة به فهذه الفنون احد وجهي المنع
من التفسير بالراى ويكون المراد بالراى الراى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والراى يتناول
الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الراى الوجه الثانى ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر العربية
من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرايب القران وما فيها من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيها
من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعانى
بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالراى فالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير
اولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهيم والاستنباط والغرايب التى لا تفهم الا بالسماع
كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر
اولا ولا مطمع فى الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القران ولم يحكم التفسير
الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعى فهم مقاصد الاتراك من كلامهم
وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعلم اللغة التى لا بد منها للفهم وما لا بد فيه من السماع
فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه اية مبصرة
فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن
عمياء ولا يدرى انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله واشربوا فى قلوبهم العجل اى حب العجل وقوله
اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل
الاحياء والموتى بذكر الحيوة والموت وكل جائز فى فصيح اللغة وقوله تعالى وسئل القرية التى كنا فيها اى اهل
محذوف مضمر وقوله ثقلت فى السموات والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض والشىء اذا خفى ثقل فابدل
اللفظ به واقيم فى مقام على واضمر اهل وحذف وقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى شكر رزقكم وقوله
اتنا ما وعدتنا على رسلك اى على السنة رسلك فحذف الالسنة وقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر اراد القران
وما سبق له ذكر وقال حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر وقال والذين اتخذوا من دونه
اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا اى يقولون ما نعبدهم وقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون حديثا يقولون ما اصابك وان
لم يرد هذا كان مناقضا لقوله قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول
المنقلب كقوله تعالى وطور سينين اى طور سينا سلام على الياسين اى على الياس وقيل ادريس لان فى حرف
ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام فى الظاهر كقوله وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا الا الظن وقوله قال الملأ
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم معناه الذين استكبروا من قومه لمن امن
من الذين استضعفوا ومنها المقدم والموخر وهو مظنة الغلط كقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما واجل مسمى معناه ولولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله يسالونك كانك
حفى عنها اى يسالونك عنها كانك حفى وقوله لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق اى فصارت انفال الغنائم لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى
وغيره وقوله حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة او
حرف

اما الكلمة فكالشى والقرين والامة والروح ونظايرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شى
اراد به النفقة مما رزق وقوله وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شى اى الامر بالعدل والاستقامة
فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شىء اراد به من صفات الربوبية وهى العلوم التى لا يحل السوال عنها حتى يبتدى بها
العارف فى اوان الاستحقاق وقوله ام خلقوا من غير شىء اى من غير خالق فربما يتوهم به انه يدل على
انه لا يخلق شى الا من شى واما القرين فقوله وقال قرينه هذا ما لدى عتيد اراد به الملك الموكل به وقال
قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان واما الامة فتطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة قوله وجد عليه امة
من الناس يسقون واتباع الانبيا كقولك نحن من امة محمد ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله ان ابرهيم كان
امة والامة الدين قوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة والامة الحين والزمان كقوله الى امة معدودة
وقوله وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة اى القامة وامة رجل منفرد بدين لا يشركه
فيه احد قال صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد اى ام زيد
والروح ايضا ورد فى القران على معان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام فى الحروف مثل قوله
فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهى الموريات اى اثرن بالحوافر نقعا
والثانية كناية عن الاغارة وهى المغيرات صبحا فوسطن جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله فانزلنا
به الماء بالسحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعنى بالماء وامثال هذا فى القران لا ينحصر ومنها التدر
يج فى البيان كقوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القران اذ لم يظهر به انه ليلا ام نهارا وبان بقوله انا
انزلناه فى ليلة مباركة ولم يظهر انها اى ليلة فظهر بقوله انا انزلناه فى ليلة القدر وربما يظن فى
الظاهر الاختلاف بين هذه الايات فهذا وامثاله لا يغنى فيه الا النقل والسماع والقران من اوله الى اخره
غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار
وحذف وابدال وتقديم وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا فى حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية
وبادر الى تفسير القران ولم يستظهر بالسماع والنقل فى هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القران برايه مثل
ان يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورايه اليه فاذا سمعه فى موضع اخر مال رايه الى ما سمعه
من مشهور معناه وترك تتبع النقل فى كثرة معانيه فهذا مما يمكن ان يكون منهيا دون التفهيم لاسرار
المعانى كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفى ذلك
فى فهم حقايق المعانى ويدرك الفرق بين حقايق المعانى وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله تعالى قال
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات للرمى
ونفى له وهما متضادان فى الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم
رماه الله وكذلك قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب
وان كان الله هو المعذب من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغنى عنه ظاهر التفسير وهو ان تعلم
وجه ارتباط القدرة بقدرة الله حتى ينكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قوله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق فى استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته
ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القران الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك
وانما ينكشف للراسخين فى العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم الى التدبر
وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد فى الترقى الى درجة منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان
البحر مدادا والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله من هذا الوجه يتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك
فى معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغنى عنه ومثاله فهم بعض ارباب القلوب من قوله عليه السلام فى سجوده

فاشتريت بدرهم ونصف فتوت وحملت اليه على رغيف فسلم سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها فادفعها اليه
فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم تجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف ونحن نعطيه
ثمنها قال لفها وادفعها اليه قال الغلام للسائل هل لك ان تاخذ درهما فتاخذها وتضعها بين يديه فقال نعم فاعطيته درهما
واخذتها منه قال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه فقال ابن الربيع اني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ
اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح
فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه
ان يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب
عشاؤه فجاء بثريد لحم فاكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام
بعد طعام والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا
قط الا وانا له عاص وروى ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ
في الدار الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة
لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد شردت عني كلب الجوع وروى عن مالك بن دينار
انه بقي بعض سنة يشتهي لبنا فلم ياكله واهدي اليه يوما رطب فلم ياكل فرادده في اكله فقال لاصحابه كلوا فما ذقته
منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم
طرح الرغيف واقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما
رايته اكل الملح حتى لقي الله وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق بالبصرة فنظرت الى البقل فقالت نفسي لو اطعمتني الليلة
من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة
ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني
ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى
الحق بالله وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك
جزرا ثم اشتهيت تمرا فاليت ان لا تاكليه ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم بالسوق فراى فيها من الفاكهة
فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا هي مقطوعة
ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقتيه
فبعث به الى يتامى من الفقراء وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة لما طلب مني الا الماء
حتى تؤذي ما اروتها روى ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما ان كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي ان ادفعها
منذ سبع سنين فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها فلقي صبيا فقال الست انت ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياه
واقبل يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ثم لم يذقه بعد ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا
سنين فلما ان كان ذات ليلة اشترى بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس
فاقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجراتي عليك وشرائي التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذ الناس الا بذنبك على ان لا تذوقيه وترك التمر واشترى
داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فاقبل ليلته يقول لنفسه ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ولم يكن
ياكل الا القفار وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من نفسه منزلة ما اعرفها من نفسي فقال لانك تاكل مع خبزك
تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال فان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له
بعض اصحابه ابكى الله عينك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا
ترك شيئا لم يعاود فيه ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري له التين الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة
ووضعها في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي اما تستحيي تركته من اجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري

قلت لعطاء السليمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من سويق
قد لتته بسمن وعسل وقلت له لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فاتيته فلمته وقلت
سبحان الله رددت علي كرامتي فلما راى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسي
في المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قول الله عز وجل يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت في واد
وقال السري ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف رجلا
تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة
ايام ولكن اترك هذه الشهوة وروى ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغيفا فجعل اخوه يقلب الارغفة
ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل
فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم
وبني آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه
ثلاثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر
والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسم
الجوعي فسالته عن الزهد اي شيء هو فقال اي شيء سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت وانت اي شيء تقول فقال
اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان
بشر بن الحارث قد اعتل فقال عبد الرحمن بن المتطبب عن شيء يوافقه من الماكول فقال تسالني فاذا وصفت
لك لم تقبل مني قال اشرح لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيذباجا فقال له
بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال فانا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال اتعرف شيئا
اقل ثمنا من السفرجل قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامي قال فتعرف اقل ثمنا من الاسفيذباج ويقوم مقامه قال
قال انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر معناه فقال عبد الرحمن فانت اعلم مني بالطب فلم تسالني فقد عرفت ان هؤلاء كلهم
امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانه كان
لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة
لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في
الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي
رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة
كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما
طلبت النفس الاكل لينشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك
ولكن ليصل او ليجلس وليذكر الله فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو
قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القرآن عقيب كل اكلة وكان سفيان الثوري
اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالذكر والصلاة وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده
ومهما اشتهى شيئا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكله بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس
بين عادة وشهوة ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدا بالتمر فان قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز
بعد حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف
ايضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها
وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما تاتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة

أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وأنه قيل له واسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فإن الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقي إلى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيى به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله لا أحصي ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نريده بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله تعالى أعلم بالصواب

كتاب الأذكار والدعوات وهو الكتاب التاسع من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشامل رأفته العام الكامل رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال اذكروني أذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال ادعوني أستجب لكم وأطمع المطيع والعاصي والقاصي والداني في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليما كثيرا أما بعد فليس بعد تلاوة القرآن كتاب الله تعالى عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله عز وجل ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة **الباب الأول** في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا **الباب الثاني** في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم **الباب الثالث** في أدعية مأثورة معزية إلى أصحابها وأسبابها **الباب الرابع** في أدعية مأثورة منتخبة محذوفة الأسانيد والله أعلم **الباب الخامس** في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث

الباب الأول في فضيلة الذكر على الجملة من الآيات والأخبار والآثار ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه اذكروني أذكركم قال ثابت البناني إني أعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرني وقال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال الله عز وجل فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم الآية وقال فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال الله تعالى فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال الله تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله إلا قليلا وقال الله عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال الله عز وجل ولذكر الله أكبر قال ابن عباس له وجهان أحدهما أن ذكر الله لكم أكبر من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أكبر من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات **وأما الأخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالحي بين الأموات وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال

٩ عليه السلام ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تعالى تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم

ذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحا وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه وإذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وإذا مشى إلي هرولت إليه يعني بالهرولة سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله ومن جملتهم رجل ذكر الله في الخلاء ففاضت عيناه من خشية الله وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين

وأما الآثار فقد قال الفضيل بلغنا أن الله عز وجل قال ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم الله ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله تعالى وقال معاذ بن جبل ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها

فضيلة مجالس الذكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال عليه السلام ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال أيضا صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وقال داود النبي عليه السلام إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فإنها نعمة تنعم بها علي وقال النبي صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة إذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى على أي شيء تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول سبحانه وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف ولو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول هل رأوها فيقولون لا فيقول سبحانه وتعالى فكيف ولو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول سبحانه وتعالى وأي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول الله تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول سبحانه وتعالى فكيف ولو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول سبحانه وتعالى إني أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم

فضيلة التهليل قال صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك وقال صلى الله

لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له يوم القيامة اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الآخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال لا احسن اصف لك ما تلقاني به ربي عز وجل من النعيم والكرامة وكان اول شيء استقبلني به خبز ارز وسمك فقال كل اليوم شهوتك هنيا بغير حساب وقد قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه واذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان المقصود من الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الجوع والشبع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محماة على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي هي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله به البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه عبر قوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه اشارة قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسر له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحا مشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجع الى الاعتدال وترك تعذيبها ولذلك يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لانه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح له الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال لينكسر والمقصود ان ينكسر حتى يعتدل فيرد بعد ذلك من الغذاء ايضا الى الاعتدال فانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تأديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة

نفس شانية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذن صائم وقد كان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما وقال اني صائم فقالت عائشة قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف انت في وقتك قال اكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد اني اكل كثيرا اي لا اقدر بمقدار واكل ما احضر وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فقيل له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فقال اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت ما لي والاعتراض والتمييز ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث والذي اخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن ادهم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة وعن سري السقطي انه منذ اربعين سنة اشتهي ان اغمس جزرة في دبس فلم افعل فيراه متناقضا فيتحير او يقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها الفطن المحتاط او الغبي المغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فلست اقل ذنبا من سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي باعصى علي من نفس معروف الكرخي وابراهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي فانا ايضا ضيف في دار مولاي فما لي والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بنظر فقه قامت قيامته عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل ترك التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولاية او النبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله في اكله وافطاره وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس نفسه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فتذهب حلاوتها ويبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ لم يامره بما لا يفعله فينفره ذلك عن رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك

بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك الشهوات او قلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احديهما ان لا يقدر النفس على ترك بعض الشهوات فيشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة وياكل في الخلوة ما لا ياكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل هل تعلم به باسا فقال

ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
الا فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال ايضا ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور
كاني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان
ربنا لغفور شكور وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيمة الا
شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات
السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال عليه السلام لو جاء بلا اله الا الله
صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له وقال عليه السلام لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب
هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء فقال هي اهدم واهدم وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله
مخلصا دخل الجنة وقال لتدخلن الجنة كلكم الا من ابى وشرد على الله شراد البعير على اهله فقيل يا رسول الله
من الذي يابى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد
وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة
وقال الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان قيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الاخرة الجنة وكذا قوله
سبحانه وتعالى للذين احسنوا الحسنى وروى البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه
صلى الله عليه وسلم قال من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد
كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله وقال عمر من قال في السوق من الاسواق لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب له الف الف حسنة ومحي عنه الف الف سيئة وبنى له في الجنة
الف الف درجة ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس
الى جنبها وفي الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت عن ابي ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل صلوات الله عليه
وفي الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير والحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان
توضأ وصلى قبلت صلوته

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار

قال النبي صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل
صلوة ثلثا وثلثين وكبر ثلثا وثلثين وحمد ثلثا وثلثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كان مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت
خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي
فقال رسول الله عليه السلام فاين انت من صلوة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح ياتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله
عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيمة لك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء
والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعط
وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه
ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوته قال لقد رايت بضعة وثلثين ملكا
يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال صلى الله عليه وسلم الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله اكبر والحمد لله
ولا حول ولا قوة الا بالله وقال عليه السلام ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله
الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى نعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الذين يذكرون من جلال الله

وتسبيحه وتهليله وتحميده يتعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن اولا يحب احدكم ان لا يزال له
عند الله يذكر به وروى ابو هريرة رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية زاد ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها
وقال صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن
بدأت رواه سمرة بن جندب وروى ابو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الطهور شطر
الايمان والحمد لله يملأ الميزان وسبحان الله والله اكبر يملآن ما بين السماء والارض والصلوة نور والصدقة
برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وقال ابو
هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الكلام احب
الى الله تعالى قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان
الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى اخر الكلمات وقال
جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن ابي ذر انه قال
قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون
بفضول اموالهم قال اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة
صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي له
صدقة قالوا يا رسول الله ياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارأيتم لو وضعها في حرام اكان عليه فيها وزر
فكذلك ان وضعها في الحلال كان له فيها اجر وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق اهل الاموال بالاجر
يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق وقال عليه السلام افلا ادلك على عمل اذا انت فعلته ادركت من قبلك وفت من
بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلوة ثلثا وثلثين وتحمد ثلثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين وروى
بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للنساء عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن
بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة في القيمة وقال ابن عمر رايته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح وقد
قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد ابو هريرة وابو سعيد الخدري اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله صدق
عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله عز وجل لا اله الا انا لا شريك لي واذا
قال لا اله الا الله لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله عز وجل صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت
لم تمسه النار وروى مصعب بن سعيد عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايعجز احدكم
ان يكسب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك فقال يسبح الله عز وجل مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة
ويحط عنه الف سيئة وقال عليه السلام يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال
بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وقال ابو هريرة قال عليه السلام عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا
قوة الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال النبي عليه السلام من قال حين يصبح رضيت بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيمة وفي رواية من قال ذلك
رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت على الله
قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فيتفرق عنه الشياطين فيقولون لا سبيل
لكم اليه قد هدي وكفي ووقي فان قلت فما بال ذكر الله تعالى مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل
وانفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي

قوم

الدثور مال بسيار

صدق عبدي

يأكل في الخلوة ما لا يأكل في الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلي بالشهوات وحبها أن يظهرها فإن هذا صدق
الحال وهو بدل عن ثواب المجاهدة بالأعمال فإن أخفى النقص وأظهر ضده من الكمال فهو نقصانان متضاعفان والكذب مع
الإخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه إلا بتوبتين ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل
لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستر وكان ستره لكفره كفرا آخر لأنه استخف بنظر الله إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر
عن ظاهره فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والإخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر
من نفسه الشهوة إسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين
وإنما يقصد به تلبيس حاله فهذه نهاية الزهد في الزهد بإظهار ضده وهذا عمل الصديقين فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول
جمع بين كذبين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين
بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يأخذ ما يعطى جهرا ويرده سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي
أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يغره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره
إصلاحا لغيرك لأنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم له من غيره فهو إنما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان في معرض
إصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل أو لا ينزجر باعتقاده
أنه تارك الشهوات **الآفة الثانية** أن يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح بأن يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات
فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هو الشهوة الخفية فمهما
أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أهم من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة
وقد كنت تاركا لها فأصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت
على نفسك إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلي شهوة نظرت إلى نفسي فإن أظهرت شهوتها أطعمتها منها
وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة
النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية لأن
شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام **القول في شهوة الفرج** اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين إحداهما
أن يدرك لذته فيقيس به لذة الآخرة فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد
والترغيب والترهيب يسوق الخلق إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه
الشوق **الفائدة الثانية** بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط
ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى
ومن شر غاسق إذا وقب هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال في تفسيره الذكر
إذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي
وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي أن موسى صلوات الله عليه كان جالسا
في بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك
قال موسى من أنت قال أنا إبليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي
رأيت عليك قال به أختطف قلوب بني آدم قال فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه قال إذا أعجبته نفسه واستكثر
عمله ونسي ذنوبه وأحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي
حتى أفتنه بها ولا تعاهد الله عهدا إلا وفيت به ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت
صاحبها دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم وعن سعيد بن
المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا شيء أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله
إلا بيتي وبيت ابنتي أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم إن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي

...كلهم على رابعة رحمها الله فكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله
...الدنيا في كل يوم ثمانين ألف درهم وليس تمضي الأيام والليالي حتى أتمها مائة ألف
...ما حبيني فكتبت إليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا
...منها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي
...الا وصيا لك فيقتسموا ميراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت وأما أنا فلو أن الله
...الذي خولك وأضعافه ما يسرني أن أشتغل عن الله طرفة عين فهذا إشارة إلى أن
...ما فهو نقصان فلينظر المريد إلى حاله وقلبه فإن وجده في العزوبة فهو الأقرب فإن عجز فالنكاح
هذه الشهوة بلية الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فإن لم ينفع هذه الثلاثة فالنكاح
...مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما أيس إبليس
إلا أتاه من قبل النساء وقال سعيد وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى ما شيء
أخوف عندي من النساء وعن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال أين كنت قلت توفيت
أهلي فاشتغلت بها فقال ألا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله ومن
يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين
أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى المنزل وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب
وانصرفت إلى المنزل واسترحت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر وكان خبزا وزيتا فإذا بابي يقرع فقلت
من هذا قال سعيد قال ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد
فخرجت فإذا سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له فقلت يا أبا محمد ألا أرسلت إلي فآتيك قال لأنت أحق أن تؤتى قلت
فما تأمر قال إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم
أخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها
الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران فجاءوني فقالوا ما شأنك قلت
ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في
الدار قلت نعم فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأقمت
ثلاثا ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل النساء وإذا هي من أحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه
فرد السلام ولم يكلمني حتى تفرق أهل المجلس فقال ما حال ذلك الإنسان قلت خير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال
إن رابك شيء فالعصا فانصرفت إلى المنزل فوجه إلي بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب
خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك بن مروان
يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة
يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئة نارها بالنكاح **بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج**
والعين اعلم أن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحيى منه
ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب
فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الإثم فإن من ترك
الزنا اندفع عنه إثمه بأي سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع
وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال عليه السلام من عشق فعف فكتم فمات
فهو شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله وعد منهم رجلا دعته امرأة ذات

بتسبيحه بذكره من علم المعاملة ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب واما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل
الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله مع الاشتغال بالدنيا ايضا
قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله عز وجل على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل بها تشرف
ساير العبادات وهي غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب وآخره
يوجبه الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس والحب فان المريد في بداية الامر قد يكون متكلفا بصرف قلبه
ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله تعالى فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان
يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات ان يذكر غايبا غير شاهد بين يدي شخص ويكثر ذكر
خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا
الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيا اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شي وان كان تكلفا احبه
فكذلك اول الذكر متكلفا الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا
والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القران عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس
والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد
هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى
لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف هي النفس ما عودتها تتعود اي ما كلفتها اولا يصير لها طبعا
آخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله عز وجل انقطع عن غير الله وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى
معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله عز وجل فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع
العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحياة تصد عن ذكر الله عز وجل فلا يبقى بعد الموت عائق
فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان
ذلك يفنى في حقه بالموت وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان
يفنى في نفسه عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله عز وجل
ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكرن بقاء ذكر الله معه
بعد الموت فيقول انه اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك
والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة
من رياض الجنة وبقوله ارواح الشهداء في حواصل طير خضر وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين يا فلان
يا فلان وقد سماهم اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فسمع عمر قوله فقال يا
رسول الله كيف يسمعون واني يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون
ان يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله في المشركين واما المومنون والشهداء فقد قال ارواحهم في حواصل طير خضر
معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله وقال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا
بهم الاية ولاجل شرف ذكر الله عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا
والقدوم على الله عز وجل والقلب مستغرق بالله تعالى منقطع العلائق عن غيره فان قدر عبد على ان يجعل همه مستغرقا
بالله فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل من الدنيا
كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله وطلب مرضاته فلا تجرد لله اعظم من ذلك ثم
القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلب ما استولى على قلبه

من ذكر الله ولهذا اعظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن ذكر
الله لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريها فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه امر من
الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى استيلاوه عليه فيحن بعد الموت اليه
ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه واسلم
الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال او ان يقال شجاع او غير ذلك كما
ورد به الخبر بل حب الله واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البايع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك
لا اله الا الله فانه لا مقصد له سوى الله وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قايل بلسان
حاله لا اله الا الله اذ لا مقصد له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فامره في مشية الله
ولا يومن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله الا الله على ساير الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع
الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص
مساعدة الحال للمقال فنسال الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا
حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من احب لقاء الله احب
الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معاني الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم
المعاملة الا ان يشاء الله عز وجل **الباب الثاني** في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض
الادعية الماثورة **فضيلة الدعاء** قال الله تبارك وتعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وقال الله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
وقال عز من قائل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال جل وعلا وقال
ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وروى النعمان
بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم وقال
الدعاء مخ العبادة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ليس شي اكرم على الله تعالى من الدعاء
وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد لا تخطيه من الدعاء احدى ثلث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما
خير يدخر له وقال ابو ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم
سلوا الله تعالى من فضله فانه يحب ان يسال وافضل العبادة انتظار الفرج **آداب الدعاء**
وهي عشرة **الاول** ان يترصد لدعايه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور
ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقوله
صلى الله عليه وسلم ينزل الله عز وجل كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني
فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب صلوات الله عليه انما قال
سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت السحر يدعو واولاده يؤمنون خلفه فاوحى
الله عز وجل اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء **الثاني** ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة
ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا
الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلوات جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله
عليه وسلم الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقال ايضا الصايم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات
الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة
ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله تعالى فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى

ما فيها

وعاها الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه مع
وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه العظيمة
رحمه الله عليه كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها وخرج
قال سليمان فرايت في المنام يوسف عليه السلام وكاني قلت له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت
هممت اشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وعن سليمان ايضا ما هو اعجب
حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلوا بالابوا فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيئا و
وكان من اجمل الناس وجها واورع الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات جماله وحسنه انحدرت
والقفازان فجاءت فوقفت بين يديه فاسفرت عن وجهها كانها فلقة قمر فقالت اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام
ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس ثم وضع راسه بين كميه
النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك سدلت البرقع على وجهها ورفعت رجليها حتى رجعت الى خيمتها فجاء رفيقه
انتفخت عيناه من البكا وانقطع حلقه قال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك
ثلثة ايام او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سلـ
وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكا منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزل يبكيان فلما انتهى سليمن
وطاف وسعى واتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم جميل طوال له شارة حسنة ورايحة طيبة فقال له سليمـ
من انت رحمك الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان امراة العزيز لعجبا فقال له يوسف شانك وشان
صاحبة الابوا اعجب وروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم
المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم
قال رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما
غبوقهما فوجدتهما نايمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون
عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغا وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون
الخروج منها وقال الاخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين
فجاتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم
الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ابتغا
وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم استاجرت اجرا واعطيتهم
اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاني بعد حين فقال يا عبد الله اد الي اجري فقلت
كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزي بي فقلت اني لا استهزي بك فاخذه كله فاستاقه
فلم يترك منه شيا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغا وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن
من قضاء هذه الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدا الزنا فحفظه مهم وهو عسر من حيث انه قد
يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والافات كلها منه تنشا والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يواخذ بها والمعاودة يواخذ بها قال صلى الله عليه
وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان
في ترداداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان
هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم
يلتذ به وتالم لانه قصد الالتذاذ فقد فعل ما المه فلا يخلو في كل حالة عن معصية وعن تالم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا
الطريق اندفع عن قلبه كثير من الافات فان اخطات عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق
وروي عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها

ـه كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة
هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى ما تكون الي العبادة اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين الله
مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان اذا جاع القلب وعطش صفا ورق واذا شبع عمي [illegible] فاذا تاثر
القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الذكر واقتناص المعرفة به فهي فايدة ثانية **الفايدة الثالثة** الانكسار والذل وزوال
البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشي كما تذل بالجوع فعنده
تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا
بشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد ذل نفسه وعجزه لا يرى عز مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون دايما مشاهدا نفسه
بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دايما جايعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق
ولذلك لما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزاينها قال لا اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت
واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة
واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب
من احدهما بعد من الاخر **الفايدة الرابعة** ان لا ينسى بلا الله وعذابه ولا ينسى اهل البلا فان الشبعان ينسى
الجايع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلا الا ويتذكر به الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيمة ومن جوعه
جوع اهل النار حتى انهم يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة
والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا قلة ولا علة ولا بلا نسي عذاب الاخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب
على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلا او مشاهدا لبلا واولى ما يقاسيه من البلا الجوع فان فيه فوايد جمة سوى تذكر
عذاب الاخرة وهذا احد الاسباب الذي اقتضى اختصاص البلا بالانبيا والاوليا والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف
عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايعين والمحتاجين احدى فوايد الجوع
فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجايع **الفايدة الخامسة**
وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلا على النفس الامارة بالسو فان منشا المعاصي كلها الشهوات
والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة في ان يملك الرجل نفسه
والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك
النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد قال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني فلان
احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية وقالت
عايشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم
نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فايدة واحدة بل هي خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله واقل ما يندفع بالجوع
شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش
والنميمة والكذب وغيره فيمنعه الجوع عن كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا
يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى غايلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك
فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك
فكره فيخطر له من الافكار الرديه وحديث النفس باسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته فربما عرض ذلك في اثنا الصلوة وانما
ذكرنا افة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضا السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على
السياسة فيصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط معه شيا من الشهوات وياكل في نصف بطنه رفع الله عنه مونة النسا
الفايدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ
على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم

[illegible] البشر عليها وحالة السجود ايضا جديرة بالاجابة قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا من الدعا وروى ابن عباس عنه صلوات الله
عليه انه قال اني نهيت ان اقرا القران راكعا او ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى واما السجود فاجتهدوا
فيه من الدعا فانه قمن ان يستجاب لكم. **الثالث** ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه
روى جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت
الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما
صفرا وروى انس انه عليه السلام كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعا ولا يشير باصبعيه وروى ابو
هريرة انه صلى الله عليه وسلم مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احد احد اي
اقتصر على الواحدة وقال ابو الدردا ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في اخر
الدعا قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعا لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه
وقال ابن عباس كان عليه السلام اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيات اليد ولا يرفع بصره
الى السما قال عليه السلام لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السما عند الدعا او لتخطفن ابصارهم. **الرابع**
خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الذي تدعون
ليس باصم ولا غايب ان الذي تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم وقالت عايشة رضي الله عنها في قوله ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي بدعايك وقد اثنى الله تعالى على نبيه زكريا حيث قال اذ
نادى ربه ندا خفيا وقال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية. **الخامس** ان لا يتكلف السجع في الدعا فان حال
الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه وقال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعا
وقد قال الله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى ان لا يجاوز
الدعوات الماثورة فانه قد يعتدي في دعايه فيسال ما لا تقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعا ولذلك ورد
في الخبر والاثر ان العلما يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا
من العلما وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعا بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب
اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سياتي قوم يعتدون في الدعا
والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال اعلى الله تبالغ اشهد لقد رايت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد
على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيمة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية
وراه وكان يعرف بركة دعايه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق
وقال ان العلما والابدال لا يزيد احدهم في الدعا على سبع كلمات فما دونها ويشهد له اخر سورة البقرة فان الله
لم يخبر في موضع من ادعية عباده اكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلايم
الضراعة والذلة والا ففي الادعية الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة
كقوله عليه السلام اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين
بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على الماثور من الدعوات او ليلتمس بلسان
الذلة والتضرع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله. **السادس** التضرع والخشوع
والرهبة قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه. **السابع** ان يجزم الدعا
ويوقن بالاجابة ويصدق رجاوه فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لي ان

شئت

١٠٨

شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسالة فانه لا مكره له وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله
تعالى لا يتعاظمه شي وقال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عز وجل
لا يستجيب دعا من قلب غافل وقال سفين بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعا ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل
اجاب شر الخلق ابليس اذ قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين. **الثامن** ان يلح في
الدعا ويكرره ثلثا قال ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلثا واذا سال سال ثلثا وينبغي ان لا يستبطي (دعا)
الاجابة لقوله عليه السلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت فسل الله كثيرا فانك
تدعو كريما وقال بعضهم اني اسال الله منذ عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا ارجو الاجابة سالت الله تعالى
ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم اذا سال احدكم ربه مسالة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله
الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عنه من ذلك شي فليقل الحمد لله على كل حال. **التاسع** ان يفتتح بذكر
الله فلا يبدا بالسوال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعا الا استفتحه وقال
سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب وقال ابو سليمن الداراني من اراد ان يسال الله تعالى حاجته فليبدا بالصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله يقبل الصلوتين وهو اكرم من ان
يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الله تعالى حاجة فابدوا بالصلوة علي فان الله
تعالى اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احداهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي. **العاشر** وهو الادب الباطن
وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة ويروى عن
كعب الاحبار انه قال اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى صلوات الله عليه فخرج موسى ببني اسرايل يستسقي
لهم فلم يسقوا ثم خرج ثلث مرات ولم يسقوا فاوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله عليه اني لا استجيب لك ولمن معك
وفيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله تعالى اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون
نماما فقال موسى لبني اسرايل توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط
الناس في زمان ملك من ملوك بني اسرايل فاستسقوا فقال الملك ليرسلن الله عز وجل علينا السما او لنوذينه
قيل وكيف تقدر ان توذيه وهو في السما فقال اقتل اولياه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له فارسل الله السما وقال
سفين الثوري بلغني ان بني اسرايل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون
الى الجبال ويبكون ويتضرعون فاوحى الله الى انبيايهم لو مشيتم الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم
عنان السما وتكل السنتكم عن الدعا فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها
ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار اصاب الناس في بني اسرايل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله
تعالى الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدما وملاتم
بطونكم من الحرام الان قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو الصديق الناجي خرج
سليمان صلوات الله عليه يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوايمها الى السما وهي تقول اللهم انا
خلق من خلقك ولا غنا بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعا غيركم
وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر
الستم مقرين بالاساة قالوا اللهم نعم قال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساة
فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا ورفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك
بن دينار ادع لنا ربك فقال انتم تستبطون المطر وانا استبطي الحجارة وروي ان عيسى عليه السلام من اصاب منكم
ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق في المفازة الا واحد فقال له عيسى عليه السلام اما لك من ذنب فقال والله
لا اعلم من شي غير اني كنت ذات يوم اصلي فمرت بي امراة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزت ادخلت اصبعي في عيني

(في الهامش: خرج يستسقي فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام صح)

من حيث لا يشعر وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو رأس
مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم فان
تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء
البارد فيتأذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره الى التهجد ثم يحتاج الى
مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع
وقد قال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات
والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له الفائدة السابعة تيسر المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات
لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال
ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفت الى الذكر والمناجات وسائر
العبادات لكثر ربحه وقال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال اني
حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه
في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفى منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر
الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء
واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل
الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا
بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست آفات فقال من شبع
دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا
وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل الفائدة
الثامنة من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق
ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء
والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشهوات
وفي الجوع ما يمنع عنه كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي فقال ليصف كل واحد
منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب
الرشاد الابيض وقال العراقي عندي هو الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب
الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهو داء قالوا فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تأكل الطعام
حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله
عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب
جرى من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال تأكل
بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما
ادخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم
والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما الفائدة التاسعة
خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه
كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل وربما يحتاج
الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة قال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك

الخسيسة

حب الرشاد: سپندان سپید

يعفص: درشت کند

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة
والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم
ان الاخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظا[هر]
والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر على ان يجعل نفسه طويلا
ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق يقمع الغضب
والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله
به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت
الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف
ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التأدب والفرس
من الجماح الى السلاسة وكل ذلك تغيير الاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل
للاختيار الآدمي في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو
حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة قبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه
قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلة اذا انضاف اليه التربية
ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض
فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا سلاستهما
وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بها وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله نعم الجبلات مختلفة بعضها
سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة
الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ
الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما تخلق له الغضب وبعد ذلك تخلق له قوة التمييز والسبب
الثاني ان الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على
اربع مراتب الاولى هو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا من جميع
الاعتقادات ولم تستتم ايضا شهوته باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى
باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان الثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود
العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه لكن
علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود
للفساد والآخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير
وحزم الثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانه حق وجميل وتربى عليه فهذا يكاد تمتنع
معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال والرابعة ان يكون مع نشئه
على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع
من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني
جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الآخر
وهو ان الآدمي ما دام حيا فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان
المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع
شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه
ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك

المال

فاستوعبها وابتعت المراة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع فتجلت السما فيها ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغساني
اصاب الناس قحط على عهد داود النبي صلى الله عليه وسلم فاختاروا ثلثة من علمايهم فخرجوا حتى يستسقوا
لهم فقال احدهم اللهم انك انزلت في توراتك ان نعفوا عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال
الثاني اللهم انك انزلت في توراتك ان نعتق ارقانا اللهم انا ارقاوك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت
في توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعانا فسقوا
وقال عطا السلمي رحمه الله منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر الي فقال
يا عطا هذا يوم النشور او بعثر ما في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطا بقلوب
ارضية او بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطا قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان
الناقد بصير ثم رمق الى السما بطرفه وقال الهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون
من اسمايك وما وارت الحجب من الايك الا سقيتنا ما غدقا تحيي به العباد وتروي البلاد يا من هو على
كل شي قدير قال عطا فما استتم الكلام حتى رعدت السما وابرقت وجات بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول
هذا البيت افلح الزاهدون والعابدونا اذ لمولاهم اجاعوا البطونا اسهروا الاعين العليلة فيه فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى قيل في الناس ان فيهم جنونا وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج
الناس يستسقون وخرجت معهم اذا اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحديهما والقى الاخرى
على عاتقه فجلس الى جنبي فسمعته يقول الهي اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال
وقد حبست عنا غيث السما لتوديب عبادك بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا
الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السما بالغمام واقبل المطر
من كل مكان قال ابن المبارك فجيت الى الفضيل فقال لي اراك كيبا فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت
عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس
رضي الله عنه فلما فرغ من دعايه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلا من السما الا بذنب ولن يكشف الا بتوبة
وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة
وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة وقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت
تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
قال فما تم كلامه حتى ارخت السما مثل الحبال **فضيلة الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم**
قال الله عز وجل ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروي انه
صلى الله عليه وسلم جا ذات يوم والبشرى يرى في وجهه فقال انه جاني جبريل صلوات الله عليه فقال اما ترضى
يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال
صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلت عليه الملايكة ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك او ليكثر وقال ايضا
ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلوة وقال بحسب المومن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي وقال صلى الله
عليه وسلم اكثروا علي الصلوة يوم الجمعة وقال عليه السلام من صلى علي من امتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه
عشر سيات وقال من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة النافعة والصلوة القايمة
صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيمة حلت له شفاعتي وقال
صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملايكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وقال صلى الله
عليه وسلم ان في الارض ملايكة سياحين يبلغوني عن امتي السلام وقال صلى الله عليه وسلم ليس احدكم يسلم علي الا
رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلم وقيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه

وذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم
فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت اولى بالحنين اليك لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت
وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب فقال
عفا الله عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبيا
وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الاية بابي انت وامي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا بابي انت وامي يا رسول الله لين كان موسى بن عمران اعطاه
الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذاك باعجب من اصابعك حين نبع منها الما فتوضات صلى الله عليك بابي
انت وامي يا رسول الله لين كان سليمن اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذاك باعجب من البراق
حين سرت عليه الى السما السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول
الله لين كان عيسى بن مريم اعطاه الله احيا الموتى فما ذاك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي
مشوية فقالت لا تاكلني فاني مسمومة بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا فلقد وطي ظهرك وادمي وجهك
وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله
لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد امن بك الكثير وما امن معه
الا قليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما اكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت النسا واكلتنا
ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى
الله عليك **فضيلة الاستغفار** قال الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود ان في كتاب الله عز وجل آيتين ما اذنب عبد ذنبا فقراهما
واستغفر الله الا غفر الله له والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الاية وقوله تعالى ومن يعمل سوا او
يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال الله عز وجل والمستغفرين بالاسحار وقال الله تعالى
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم
وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله له من
كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله
واتوب اليه في اليوم سبعين مرة هذا مع انه كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال صلى الله عليه
وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين ياوي الى
فراشه استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ثلث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد
البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وقال في حديث اخر من قال ذلك غفرت
ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت
ان يدخلني لساني النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاين انت من الاستغفار اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقالت عايشة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار
وكان صلى الله عليه وسلم يقول في استغفاره اللهم اغفر لي خطييتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به
مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت

وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردهما الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة
الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل
ولذلك قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع
جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عنه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا
فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى
الاعتدال بحيث لا يقهر العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن وهو المراد بتغيير الخلق
فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة يعود الى
حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيه والذي يدل على ان المطلوب
الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى
عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال
في الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو
ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا
والتبذير ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على امساكه
ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب
اليه وكان كمال القلب في ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يمكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد
عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه عن الوصفين وكذلك السخاء بين التبذير والتقتير
والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور ذميم فهذا هو
المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا وامساك المال راسا ولا يرخص
له في شيء منه لانه لو رخص له في ادنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه فاذا قصد قطع
الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يقصد قطع الاصل حتى يتيسر له القدر
المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال
الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما
بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا
معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير معلم ومؤدبا بغير مؤدب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء
صلوات الله عليهم ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا
وربما يخلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني
اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان
يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير
ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب
على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق
المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي
يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة

اي يرفع العبد الى اعالي الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني
التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال
وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم
فقال هو ما بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل فما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس
الاسلام حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم واقرب الخلق
الى الله السالكون آثاره بحسن الخلق **بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق** اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق
الحسن وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته
ما خطر له وكان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك
كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله
وقال شاه الكرماني كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضاء
الخلق في السراء والضراء وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة
للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة ان لا تتهم مولاك في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفاء بما ضمن وتطيع مولاك
ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله تعالى وفيما بينك وبين الخلق وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم
وطلب الحلال والتوسعة على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال الخراز ان لا يكون
لك همة غير الله تعالى فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات وكشف الغطاء عن الحقيقة
اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان تستعملان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر
والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح
ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك
بالبصر ولذلك عظم الله تعالى امره بالاضافة الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فنبه على ان
الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تبارك وتعالى والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة
للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال
الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها الافعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا
سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه
ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد
وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة
بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن او القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل
فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل اما لباعث او لرياء وليس عبارة عن القوة
لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب
خلق البخل ولا خلق السخاء وليس عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى
الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها
الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر
فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت
حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها
في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال
فاذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة

وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله به ما شاء الله ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا
حلف صدقته قال وحدثني ابو بكر رضي الله عنه وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلا قوله تعالى والذين اذا
فعلوا فاحشة الاية وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن اذا اذنب
ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب وندم واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى يعلو قلبه فذلك ونزع
الرين الذي ذكر الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب اني لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضي الله عنها
انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساءوا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم
اذا اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر
الذنب عبدي اعمل ما شئت قد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة
وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط فنظر الى السماء فقال ان لي ربا ثم قال رب اغفر لي فقال الله عز وجل
قد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر وقال
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم ومن علم
اني ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي وقال من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لا
يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كمدب النمل ويروى ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي
وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء اليك بنعمتك علي وابوء على نفسي
بذنبي وقد ظلمت نفسي فاعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت

الاثار قال خالد بن معدان قال الله عز وجل ان احب عبادي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد
والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم
وقال قتادة القران يدلكم على دائكم ودوائكم اما داؤكم فالذنوب واما دواؤكم فالاستغفار وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول ما الهم الله عبدا الاستغفار
وهو يريد ان يعذبه وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيرها اقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة
لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا
ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة
العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله
الله تعالى وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة ويقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للؤم وان
تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني واتبغض اليك بالمعاصي مع فقري
اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفا ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله الوراق
لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله عز وجل
اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم اوف لك
واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على
معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب اتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملا وخلا وسر
وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار الخضر صلوات الله عليه والله اعلم بالصواب

الباب الثالث في ادعية مأثورة

ومعزية الى اسبابها وارباب مما يستحب ان يدعو بها المريد صباحا ومساء وبعقب كل صلاة فمنها دعاء
ومعزية

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنه بعثني العباس الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال
اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتن عني وتصلح
بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني
بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا
والاخرة اللهم اني اسالك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الا نبيا
اللهم اني انزل بك حاجتي وان ضعف رايي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فاسالك يا قاضي الامور ويا شافي
الصدور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور كما تجير بين البحور اللهم ما
قصر عنه رايي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك وخير انت
معطيه احدا من خلقك فاني راغب اليك فيه واسالك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين
ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم
هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم
ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود
والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد
وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان
الذي احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في لحمي
ونورا في شعري ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي
ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا **دعاء عائشة رضي الله عنها**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله واجله
ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسالك من الخير ما سالك عبدك ورسولك
محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسالك ما قضيت
لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين **دعاء فاطمة رضي الله عنها** قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيتك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي
طرفة عين واصلح لي شاني كله **دعاء الصديق رضي الله عنه** علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق
رضي الله عنه ان يقول اللهم اني اسالك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبكلام موسى
وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غني
اقنيته او فقير اغنيته او ضال هديته واسالك باسمك الذي انزلته على موسى صلوات الله عليه واسالك باسمك الذي
بثثت به ارزاق العباد واسالك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت واسالك باسمك الذي وضعته على
السموات فاستقلت واسالك باسمك الذي به استقل عرشك واسالك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر
المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين واسالك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم
وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقني القران والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به
جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين **دعاء بريدة الاسلمي رحمة الله عليه** روي انه قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه ابدا قال
قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى

فهو ذو خير كثير واما قوة الغضب فحسنها في ان تقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما يقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها
في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل
والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلته منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب
هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وموقفه بحسب الاشارة
لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن
استوى فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة
الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن
قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى الضعف
والنقصان سمي جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت الى النقصان سمي خمودا والمحمود هو الوسط
وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا كان فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور
واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص
باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها
تدرك الصواب من الخطا في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما
على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل
في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة
كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا
آفات النفوس ومن افراطها يصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني
بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده
صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون
اصل اختياره واثاره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات
وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة
والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق
الواجب واما خلق العفة فيصدر منه الحياء والسخاء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع
واما ميلها الى الافراط او التفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والريا والهتكة والمجانة
والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنيا واستحقار الفقرا وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربع
وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله
وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن
انفك عن هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد
فينبغي ان يبعد كما ان الاول قرب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
ليتمم محاسن الاخلاق كما قال ولقد اشار القران الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين
وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخا الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع
الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى
ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه

واهله ويحفظ عن مخالطة الادبا الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان
بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين
اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور
ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة
فعند ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين
يدي الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع
الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح
وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب اعضاؤه ولا
يسخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه
لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا
يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على
اقرانه بشي مما يملكه والده او بشي من مطاعمه وملابسه ولوحه ودواته ويعود التواضع والاكرام لكل من عاشره
والتلطف في الكلام معهم ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة
في العطا لا في الاخذ وان الاخذ لوم وخسة وان كان من اولاد الفقرا فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة ومذلة وان ذلك من دأب
الكلب فانه يبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيه ويحذر منهما
اكثر من التحذير من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من آفة السموم على
الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان لا يبزق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع
رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع
ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه عادة ابنا اللئام ويمنع اليمين راسا صادقا او كاذبا
حتى لا يتعوده في الصغر ويمنع ان يبتدئ بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما
تكلم من هو اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه
ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شي من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرنا السو
واصل تاديب الصبيان الحفظ من القرنا السو وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع
باحد بل يصبر ويذكر ان ذلك دأب الشجعان والرجال فان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن
له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي
من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه
راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم
بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة
والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من شهر رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه
من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا
وقع نشوه كذلك في الصبي فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما
المقصود منها ان يتقوى الانسان بها على عبادة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقا لها وان الموت يقطع نعيمها
وانها دار ممر لا دار مقر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للاخرة حتى تعظم عند
الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت فيه كما يثبت
النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر

اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني دعاء قبيصة بن المخارق اذ قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني وعجزت عن اشيا كنت اعملها فقال عليه السلام اما الدنياك
فاذا صليت الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فانك
اذا قلتهن امنت من عمى ومن جذام وبرص وفالج واما الآخرة فقل اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك
وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال عليه السلام اما انه اذا وافى بهن يوم القيمة لم يدعهن
فتح له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شاء دعاء لابي الدردا قيل لابي الدردا قد احترقت دارك وكانت
النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ثلثا فقال ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه ات
وقال يا ابا الدردا ان النار حيث دنت من دارك طفيت قال قد علمت فقيل له ما ندري اي قوليك اعجب
قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يقول هذه الكلمات في ليل او نهار لم يضره شيء وقد قلتهن
وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم اني اعوذ بك
من شر نفسي ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم دعاء الخليل ابرهيم صلوات الله
عليه كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه
حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها انك غفور رحيم ودود قال ومن
يدعو بهذا الدعا اذا اصبح فقد ادى شكر يومه دعاء عيسى صلوات الله عليه كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع
دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت
بي عدوي ولا تسوء بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني
دعاء الخضر صلوات الله عليه يقال ان الخضر والياس اذا التقيا في كل موسم لم يتفرقا الا عن هذه الكلمات
بسم الله ما شا الله لا قوة الا بالله ما شا الله كل نعمة من الله ما شا الله الخير كله بيد الله ما شا الله لا يصرف
السوء الا الله من قالها ثلثا اذا اصبح امن من الحرق والغرق والسرق دعاء معروف الكرخي رضي الله
عنه قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمهما الله الا اعلمك عشر كلمات خمسة للدنيا وخمسة للاخرة
من دعا الله تعالى بهن وجد الله عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن اردها عليك كما ردها علي بكر بن
خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي
حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسائلة في القبر
حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله
الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم دعاء ذكره ابو طالب المكي رحمه الله في كتاب قوت القلوب قال
روينا عن ابن عمر ان جبريل صلوات الله عليه اتى النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه هذا الدعاء يا نور السموات
والارض يا عماد السموات والارض يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا صريخ المستصرخين
يا غوث المستغيثين يا منتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ومجيب
دعوة المضطرين وكاشف السوء وارحم الراحمين واله العالمين منزول بك كل حاجة يا اكرم الاكرمين
ويا ارحم الراحمين وقد روي عن ابي الدرداء انه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما اهمه من امر آخرته صادقا كان بها او
كاذبا دعاء عتبة الغلام وقد رؤي في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين
وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع
الاحيا المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين امين رب العالمين

دعاء آدم صلوات الله عليه قالت عائشة رضي الله عنها لما اراد الله ان يتوب على آدم طاف سبعا بالبيت
وهو يومئذ ليس ببنيان ربوة حمرا ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم
حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا
حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبته علي ورضني بما قسمته لي فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لك
ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت
الفقر من بين عينيه واتجرت له من ورا كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة ولو كان لا يريدها دعاء
علي رضي الله عنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يمجد نفسه كل يوم ويقول
اني انا الله رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم اني انا الله
لا اله الا انا لم الد ولم اولد اني انا الله لا اله الا انا العفو الغفور مبدي كل شيء والي يعود العزيز الحكيم الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ
صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر الخالق البارئ الاحد المصور الكبير المتعالي المقتدر القهار الحليم الكريم اهل الثنا والمجد
اعلم السر واخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة اني انا الله لا اله الا انا كما
اوردناه في الاول فمن دعا بهذه الاسما فليقل انت الله لا اله الا انت كذا وكذا فمن دعا بها كتب من
الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابرهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم اجمعين
في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارض دعا للامن والانس والاهتدا عن بعض السلف
ذكره ابو طالب المكي رحمه الله بسم الله ذي الشان عظيم البرهان شديد السلطان كل يوم هو
في شان لا حول ولا قوة الا بالله دعاء ابي المعتمر وهو سليمان التيمي وتسبيحاته روي ان يونس بن عبيد
راى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما افضل ما رايت ثم من الاعمال قال رايت تسبيحات
ابي المعتمر من الله بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته
وملء ارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ
رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة
وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسيم ونفس من ابد الابد ابد الدنيا وابد الآخرة
واكثر من ذلك لا ينقطع اوله ولا ينفد اخره دعاء ابرهيم بن ادهم روى ابرهيم بن بشار خادمه انه
كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا
هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا
وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله تعالى خاضعا ولسوى الله في الالهية جاحدا والى
الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه
ومن هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا
وان الجنة حق وان النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة
آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله اللهم انت
ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك اللهم من شر كل ذي
شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي
لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك انا لك

بما قلبه عن قبول الحق نبوّ الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل التستري كنت ابن ثلث سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلوة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة احدى عشرة مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والاخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب فحفظت القران وانا ابن ست سنين او سبع وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسالة وانا ابن ثلث عشرة سنة فسالت ان يبعثوا بي الى البصرة اسال عنها فجئت البصرة وسالت علماءها فلم يشف عني احد شيئا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتادب بادبه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة

اعلم ان من شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الاخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان معه خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الاخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الاخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت له ارادة في حرث الاخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد له من التحصن به ليامن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب المال باخراجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى

٢٣١

فلم يترك جميع العادات السيئة ولم يواظب عليها مواظبة مشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون ذلك على الدوام في جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما تتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيه حب الله فلا يكون شيء احب اليه من لقاء الله تعالى فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله الى الله وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به مستلذا له ولا يستبعد ان تصير الصلوة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اغرب من ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح والطرب بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول نهاره في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه ويقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين العلماء والملوك وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى القبائح كيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والزم المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع ويضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سبب حيوته وكل قلب مال الى حب شيء سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض منه على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة

والذي استغفرك واتوب اليك امنت اللهم بما ارسلت من رسول وامنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي وعلى اله وسلم كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين امين رب العالمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظما بعدها ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها وسبحان من سبحت له الجبال باصدائها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السما بابراجها وسبحان من سبحت له الشجر باصولها ونضارتها وسبحان الله من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا اله الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت على كل شي قدير

الباب الرابع في ادعية ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

محذوفة الاسانيد منتخبة من جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون احد ورده الدعا كما سياتي في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الاخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعائك اعقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شي ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وقل اللهم اني اسالك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلث مرات وقل اللهم اني اسالك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك من ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكتسب خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسالك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شي شهيد اللهم اني اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسالك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسالك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني فاذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كان الوفاة خيرا لي اسالك خير الحيوة وبركة الحيوة واعوذ بك من شر الوفاة واسالك خير ما بينهما وخير ما بعد ذلك احيني حيوة السعداء حيوة من تحب بقاه وتوفني وفاة الشهداء وفاة من تحب لقاءك ويحب لقاه يا احسن الرازقين وارحم الراحمين اسالك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تدخلنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصايب الدنيا اللهم املا وجوهنا منك حيا وقلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا

صلاحا واوسطه فلاحا واخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة واخره تكرمة الحمد لله الذي تواضع كل شي لعظمته وذل كل شي لعزته وخضع كل شي لملكه واستسلم كل شي لقدرته الحمد لله الذي سكن كل شي لهيبته واظهر كل شي بحكمته وتصاغر كل شي لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى اله وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى اله وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي رسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك بما صرفتنا بحسن اختيارك لنا نسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بعزتك علي تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك انت ارحم الراحمين وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت ربي لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني اسالك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والاخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة الاية ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا الى قوله انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا الى اخر السورة رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وانت خير الغافرين انا لله وانا اليه راجعون لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

انواع الاستعاذة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع ومن طمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا طمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعا لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والجبن والبخل ومن الهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا نسالك قلوبا اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسالك عزائم مغفرتك ومنجيات امرك والسلامة من كل اثم والعصمة من كل سوء والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي واعوذ بك من الغم والغرق والهدم واعوذ بك ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لطلب دنيا اللهم اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادوا والاهوا اللهم اني اعوذ بك من جهد البلا ودرك الشقا وسوء القضا وشماتة الاعداء اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري ومن شر لساني وقلبي ومن شر منيي اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادي يتحول اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والريا واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم

واخذه في نفسه فيصدر منه بالاخرة الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي
يجعل خطه حسنا ولكن الاول متكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس اثر الى الجارحة فصار يكتب
الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى
ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا يلزمه ان يتعاطى
افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة طبعا لا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة
بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة وكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها
بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم
واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا فيفوته فضيلة الفقه
وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة وينهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار
ليلة لا يحس باثره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك
الطاعة الواحدة لا يحس باثرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات
فان الجملة الكثيرة انما اجتمعت من الاحاد فلكل واحد منها اثر فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فلها لا محالة ثواب
لان الثواب بازاء الاثر وكذا المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما
الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى ان يختطفه
الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه ويتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل
الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا
ومن خلفهم سدا الاية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان يبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك
البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد
ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله واذ قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة
باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق
من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في
غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له الاقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية
البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته
وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان

تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض
فيه كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها
بمحو الرذائل والاخلاق الردية عنها وكسب الفضائل والاخلاق الجميلة لها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة
له وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري العلة المغيرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل
مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي بالتعويد والتعليم تكتسب الرذائل وكما ان البدن
في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل
بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة
وان كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها
وجلب مزيد قوة لها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما
ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة
فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض

الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان
المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه
بالموت ومرض القلب والعياذ بالله عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة
الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف
مقدار النافع منه فانه لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي يعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء
ماخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها
اهي ضعيفة او قوية فاذا عرف التفت معه الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر احواله
وعالج بحسبها وكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة
والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج
واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان
ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته فان كان المريد مبتدئا
جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلوة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية
فيامره اولا بتركها فاذا تزين بالعبادات ظاهره وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه
ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه
حتى لا يلتفت اليه وان رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره ان يخرج الى الاسواق للكدية والسؤال
فان عز الرياسة لا ينكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره
وعز نفسه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذا الرعونة وان رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا
اليه فرحا به ملتفتا اليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان
حتى يتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات
الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما
فمهما عبد غير الله فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليه قلبه فهو مشغول
بنفسه ومن لطائف الرياضة ان المريد اذا كانت لا تسخو نفسه بترك الرعونة راسا او بترك صفة اخرى ولم يسخ بضدها
دفعة فينبغي ان ينقله من الخلق المذموم الى خلق مذموم آخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء
لا يزيل الدم وكذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان ثم ينقله من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقله من ذلك
بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقله عن الجاه بالترغيب في الآخرة وكذلك من لم يسخ نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل
الى جاه اخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك ان رأى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام اولا ثم
كلفه ان يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى به نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه
وكذلك اذا رأى شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن الطول فيامره بالصوم وربما لا يسكن ذلك شهوته فيامره
ان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم راسا حتى تذل نفسه وتنكسر
شهوته فلا علاج في مبادي الارادة انفع من الجوع وان رأى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه
من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه ويمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم
يعود نفسه بالحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب وكان يستاجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم
غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فاراد
ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة وكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل
عن العبادة بالقيام طول ليلة على قصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان يكسل نفسه عن القيام فالزم

نفس القيام

والمأثم اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلوة لا تنفع ودعوة لا تستجاب واعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر
اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء

الباب الخامس في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث

اذا اصبحت وسمعت الاذان فتجيب كما يجيب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا ادعية
دخول الخلاء والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني
نورا واجعل في سمعي نورا وفي بصري نورا واجعل خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا
اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك
وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت فان خرجت من المنزل لحاجة فقل
بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا
انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم
رجلك اليمنى في الدخول فاذا رأيت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد
فقل لا رده الله عليك امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني اسألك رحمة من
عندك تهدي بها قلبي الدعاء الى آخره كما اوردناه عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا ركعت فقل اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربي خشع سمعي وبصري
ومخي وعظامي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان احببت قل سبحان ربي العظيم ثلث مرات
او سبوح قدوس رب الملائكة والروح فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات
وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع
ذا الجد منك الجد فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت ولك آمنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه
وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وبك آمن فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء
بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت او تقول سبحان ربي الاعلى ثلث مرات
فاذا فرغت من الصلوة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية
التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس واردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان
لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا
دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده
الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم اني اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها
وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم
اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب
فلك الحمد اسألك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واذا رأيت شيئا من الطيرة تكرهه
فقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت لا حول ولا قوة الا بالله واذا رأيت الهلال
فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله ويقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك
اللهم اني اسألك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر وتكبر قبله ثلثا فاذا هبت الريح
فقل اللهم اني اسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت
به فاذا بلغك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل
كتابه في عليين واخلف على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وتقول عند التصدق ربنا
تقبل منا انك انت السميع العليم وتقول عند الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول
عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة

من لساني يفقهوا قولي وتقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار فاذا سمعت
صوت الرعد ورأيت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك سبحان من يسبح
الرعد بحمده والملائكة من خيفته قال كعب فاذا مطرت السماء فقل اللهم صيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم
اجعله سبب رحمة ولا تجعله سبب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني
من الشيطان الرجيم فاذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا غزوت
فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل فاذا طنت اذنك فصل على محمد وقل ذكر الله من ذكرني
فاذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا ابطأت فقل الحمد لله
على كل حال فاذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا استقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور
صلواتك اسألك ان تغفر لي فاذا اصابك هم فقل اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض
في حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او اعطيته احدا من خلقك
او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي قال
صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله همه وابدله مكانه فرحا قيل يا رسول الله
افلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها واذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارقه برقية
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى الانسان قرحة او جرحه وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال
بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي
تألم من جسدك وقل بسم الله ثلثا وقل سبع مرات اعوذ بالله وقدرته من شر ما اجد واحاذر واذا اصابك
كرب فقل لا اله الا الله العلي الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض ورب
العرش الكريم فاذا اردت النوم فتوضأ اولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلثين
وسبحه ثلثا وثلثين واحمده ثلثا وثلثين ثم قل اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
واعوذ بك منك اللهم لا استطيع ان احصي ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيا
واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التورية والانجيل والقرآن
اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس
بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم
انت خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني
اسألك العافية باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسي
اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك
الذي انزلت ونبيك الذي ارسلت ويكون هذا آخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل
قبل ذلك اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك التي تقربني اليك زلفى وتبعدني
من سخطك بعدا اسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت من نومك
عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان
لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابرهيم
حنيفا وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير اللهم انا نسألك
ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفاكم
بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس
والقمر حسبانا اسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء

الله

على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل فهذه الأمثلة تعرفك طرق معالجة القلوب فليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما الغرض الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليه وقد جمع الله تعالى ذلك كله في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى والأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فإنه إن عوّد نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبة وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسّنت عنده تناول الشهوة وفسد به الرياضة بالكلية

بيان علامات المرض وعلامات عودها إلى الصحة

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلا أو يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليد أن يتعذر عليه البطش ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار وكذلك مرض القلب بأن يتعذر عليه فعله الخاص الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله سبحانه وعبادته والتلذذ بها وإيثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز به عن البهائم فإنه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقاع والإبصار أو غيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها أشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله فكأنه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم إلى قوله أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا تعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح وإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فإن الأطباء هم العلماء وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءاة فهذه علامة أصل المرض وأما علامة عوده إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فإن كان يعالج داء البخل فإنه المهلك المبعد من الله تعالى وإنما علاجه ببذل المال وإنفاقه ولكنه قد يبذل المال إلى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير أيضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى يغلب الحرارة وهو أيضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فإذا صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الإمساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الأفعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سليما عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها فعند ذلك ترجع إلى ربها

ودعي النفس المطمئنة راضية مرضية وداخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم أعني عن الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال إليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا أي الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة وروي أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني هود فلم قلت ذلك فقال لقوله فاستقم كما أمرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من أراد النجاة فلا نجاة إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب

بيان الطريق الذي به يتعرف الإنسان عيوب نفسه

اعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيرا بصّره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يقف على عيب نفسه فله أربعة طرق الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان الثاني أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما يكرهه من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال سمعت أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز فقل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وما أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بإبعاد العقرب وقتلها وإنما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب ويخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين ثم إنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون هذا من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله تعالى أن يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب أنفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله الطريق الثالث أن يستفيد عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم الطريق الرابع أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسب نفسه إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى

كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا
وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا
ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر
كل دابة ربي آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم وإذا نظرت في المرآة فقل الحمد لله الذي سوى
خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين وإذا اشتريت غلاما أو جارية فخذ بناصيته
وقل اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه وإذا هنأت بالنكاح
فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير وإذا قضيت الدين فقل للمقضي بارك الله لك
في أهلك ومالك إذ قال عليه السلام إنما جزاء السلف الحمد والأداء فهذه أدعية لا يستغني المريد عن حفظها
وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة فإن قلت
فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب
الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم
فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله عز وجل أن لا يحمل
السلاح وقد قال الله خذوا حذركم وأن لا يسقي الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات
نبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر فترتيب تفصيل المسببات
على الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه
سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر
فإنه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات لذلك قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة
والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله تعالى إلا عند إلمام الحاجة وإرهاق الملمة فإن الإنسان
إذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع
والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء ثم الأولياء ثم
الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ويمنع من نسيانه وأما الغنى فسبب
البطر في غالب الأمر فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار
والدعوات والله الموفق للخير وأما بقية الدعوات في الأكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فسيأتي في
مواضعها إن شاء الله عز وجل

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل وهو الكتاب العاشر من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تعالى على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره إذ جعل
الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا
وعلى آله وأصحابه الأكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل
واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا أما بعد فإن الله عز وجل جعل الأرض ذلولا لعباده لا ليستقروا
في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققوا أن العمر
يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد
والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله
وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رؤوس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه
وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله مع الأنكال
والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه

إلى الله عز وجل زلفى متعرض في يوم التغابن لغبن وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب
الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا
بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك
الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد
وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين **الباب الأول**
في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار **الباب الثاني** في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما
يتعلق به

فالباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار

فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا
في لقاء الله وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا به وأن المحبة والأنس لا
يحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته
وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها
والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف
الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب
المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وأن الله عز وجل لا
يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ونوع إلى نوع بحسب كل وقت
لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد
قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة
إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى التدبيرات الدنيوية وشهواتها المباحة مثلا والشطر
الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فأنى يتقاومان
والطبع لأحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد
وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولا يسلم إخلاص القلب وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن
يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق الأوقات ومن أراد أن يترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته
فليستوعب في الطاعات أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع
والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة
فإن لم يكن من أهله فلينظر إلى خطاب الله سبحانه لرسوله وليقتبسه بنور الإيمان فقد قال الله
تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه إن لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه
تبتيلا وقوله واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال الله تعالى
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم وقوله تعالى
ومن الليل فسبحه وأدبار السجود وقال الله تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله
تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وقال الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا
من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم وقال الله عز وجل أمن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال
الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال الله عز وجل والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما وقال عز من قائل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وقال الله تعالى

من القرآن لا ينفك القول الكريم عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه ثم يتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يراه من غيره وما جعل
منها كان دينا ولو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى صلوات الله عليه من ادبك قال
ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين
فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله تعالى نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه
من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده **بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على**
ان الطريق في معالجة امراض القلوب بترك الشهوات فان مادة امراضها هي اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تأملته
بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا
ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة والعلم يحصل بعد الايمان
وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هي الطريق الى
الله ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا
العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال الله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنها محبة الشهوات وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس
تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى ان الله عز وجل اوحى الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك اكل
الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى لمن ترك شهوة
حاضرة لموعود غائب لم يره وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله فقال جهاد النفس وقال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه في الله
عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله اذن تخاصمك يوم القيامة فيلعن
بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا اشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس
الموصلي يقول يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار تحبسين
الا يا نفس الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف
الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام
فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال
الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة
الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام
وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها
فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات
كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من
الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار
اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا
يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد
ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال ايضا من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان امرأة العزيز قالت ليوسف صلوات
الله عليه بعد ان ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا
فقال يوسف قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم
اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح

على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سألت الله ان يحرك لي قلبك
فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواءها فقال اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه وقال اسمعي فقد اجبتك
بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه من الجنيد قال فانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي اليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي
لا احرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى اصمت قال اذا اشتهيت
الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا
راى الشيء يشتهيه قال يا نفس اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذن قد اتفق الحكماء والعلماء على ان لا طريق الى
سعادة الآخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب **واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات**
وما لا يترك فينكشف بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون
مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به
والفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة بحال والخلاص عن ذلك الا بان يكون القلب
مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة
ذلك فليقرب منه والناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من
الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني رجل استغرقت الدنيا
قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا
والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله على قلبه
والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله
في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون
البعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا ايضا وبينا ذلك
في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها
حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام
يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت ارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من هذه
الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الآخرة ولدغ الزنابير
يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فاذن
لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله ما لم تمنع النفس عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات
فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزم السكوت الا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا
بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك
سائر الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو بعينه يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام
فان لم يتعود الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفة اعظم من
هذه وهي ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن اليها اشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من
سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامة وهو موت
القلب قال الله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله
وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور فاولو الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية
بطرة بعيدة من التأثر بذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا
ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب الفرح والبطر ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها
وعلموا ان حلالها حساب وحرامها عذاب ومتشابهها عتاب ومن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية

والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات وقهرها والأنس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا به ما يفعل بالبازي إذا قصد تأديبه ونقله عن توثبه وتوحشه إلى الانقياد والتأدب فإنه يحبس أولا في بيت مظلم ويخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما كان قد ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفا إذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليه الأنس بذكر الله عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه إذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عن الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا فيصير له طبعا فلو رد إلى الثدي لم يرجع إليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السرح الذي ألفته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع عن النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما تزايله بالموت فيقال له أحبب ما أحببت فإنك مفارقه فإذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة بفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فإن ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أياما قلائل فالعمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة وما من عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيره شهرا ليتنعم به سنة وكل العمر بالإضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالإضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطرق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالعز في القضاء والولاية أو بكثرة الأتباع في التدريس والإفادة فينبغي أن يترك أولا ما به فرحه فإنه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة سببا ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا الموت والله أعلم بالصواب

بيان علامات حسن الخلق

اعلم أن كل إنسان جاهل بعيوب نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون إلى قوله أولئك هم الوارثون وقال التائبون العابدون إلى قوله وبشر المؤمنين وقال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إلى قوله هم المؤمنون حقا وقال وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما إلى آخر السورة فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وذكر أن صفات الإيمان هي حسن الخلق فقال أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله فلا يحل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الأصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والأمل والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد إلا الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فإن حسن الخلق احتمال الأذى فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال أنس حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم أمر بإعطائه ولما أكثرت قريش إيذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ولذلك قال الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم ويحكى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه خرج إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الرجل إنما أردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندي ما قال له فقالوا هذا إبراهيم بن أدهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه فقيل له بعد ذلك لم قلت له أنا عبد فقال إنه لم يسألني لمن أنت بل قال أنت عبد فقلت نعم لأني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله تعالى له الجنة قيل له إنه ظلمك فكيف سألت الله له الجنة فقال علمت أني أؤجر على ما نالني منه فلم أحب أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعي أبو عثمان الحيري إلى دعوة وكان الداعي أراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له ارجع يا أستاذ فرجع أبو عثمان فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الثالثة حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لم يتغير فقال إنما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك فقال أبو عثمان إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعي أجاب وإذا زجر انزجر ويروى أن أبا عثمان اجتاز بسكة فطرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل ألا زجرتهم فقال إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز أن يغضب وروي أن علي بن موسى الرضا رحمه الله كان يميل لونه إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان إذا دخل الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق باب الحمام ومضى الحمامي إلى بعض حوائجه فتقدم إنسان رستاقي إلى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه ودخل الحمام فرأى علي بن موسى رضي الله عنه فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل إلي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي له أن يهرب إنما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء وروي أن عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذها ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق أن قام عبد الله من الحانوت لبعض حاجته فأتى المجوسي إلى تلميذه واسترجع منه ما خاطه ودفع إليه درهما زائفا فلما نظر فيه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله أخبره بذلك فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم وألقيها في البئر لئلا يغتر به مسلم وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال قلة الخلاف وحسن الإنصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ومن فوقه وسئل سهل عن حسن الخلق

فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله وقيل كان اويس القرني اذا راه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان ولا بد فارموني بالصغار كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال ان كان قد بقي في قلبك شي فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبوك وروي ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام قال لاتعلم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقي عن الغش والغل بواطنها فاثمرت الرضا بكل ما قدره الله وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهولاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشا عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومودب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والولي عليه وقد قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه من نار الدنيا فبان يصونه من نار الاخرة اولى وصيانته بان يودبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما راى فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحيا فاذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشيا قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شي دون شي وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفا القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يودب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند اخذه ويأكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام والى من ياكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ ثوبه ولا يده ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي المتادب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملونة والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شان النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاغلب رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ من جميع ذلك بحسن التاديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القران واحاديث الاخيار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر

العشق

وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بقول لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضا الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القران وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية القران لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منه الى اسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا واخرا ثم الترقي الى اسرارها واغوارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضا ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سوا السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طرقه فمن سلك سبل البوادي المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطا شيخه لو اخطا اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والسهر والجوع وهذا احتراز من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفواد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلية بالشهوات وقال عيسى صلوات الله عليه يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب ظاهر يشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك الى الصفا الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فيتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص اجتمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب وتدبير امره فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلوب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اسفل الحوض فيتفجر منه الما النظيف الطاهر وكيف يصح ان ينزح الما من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حال اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في مكان

مظلم

فان لم يكن مكان مظلم فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال
الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل
يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن يدفع عنه القواطع ويمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعد ذلك بسلوك
الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات
اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالا... الاسهل وهي تلك الصفات اسرار العلائق التي قطعها في اول الارادة وآثارها
اعني آثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد وان يخلي الباطن عن آثارها كما اخلى
الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه يطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفي اكثر الصفات
فلا يطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما
ذكرناه فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من
الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب
لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر على قلبك
من الجمعة الى الجمعة التي تاتيني شيء غير الله فحرام عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يتصور الا مع صدق الارادة واستيلاء حب
الله على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ووكل به
من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به
لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله او سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى يسقط حركة
لسانه وتكون الكلمة كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى يسقط الاثر عن اللسان ويبقى صورة اللفظ
في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ويبقى حقيقة معناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ
عن كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند
ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل
بشيء منه ولو في لحظة خلا القلب عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك ايضا نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها
ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا
ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك
ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه
ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل الى الله ليدفعه عنه كما قال واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي ان
يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علاقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر
ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو
تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه بحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف
له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر دليل قريب
من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع اخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب
عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه واشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد
للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين
وان اخطا كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق
التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولهذا يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا
فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين

للفكر   اعتقاد

به الغضب واعظم الشهوة شهوة النساء فينبغي
فالاخلق ان موضع سري وانت رسولي في حاجة فتصف بعد
الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى التمتع بالنساء والجواري
فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين
احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم للاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوتها
للطعام وما مثال ذلك الا كمن بلي بسباع ضارية وبهائم عادية ... تنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها
ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب
الخلاص والامر الثاني انه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو
مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع بارادة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان
يستحيى منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي
الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون
مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا سمج افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما
يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار
والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث ينغص عليهم الدين
والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر العشق في اول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها
الى باب ليدخله وما اهون منعه بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب
ثم ياخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما
اواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يؤدي الى نزع الروح فاذن افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو
مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة
ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح قال صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب
عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم
ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة
ومن انس بغير الله شغله عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا
عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رايت
مريدا تزوج فثبت على ما كان وقيل له ما احوجك الى امراة تستانس بها فقال لا آنسني الله بها اي ان الانس بها يمنع الانس
بالله وقال ايضا ما يشغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤم فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في
المعرفة وهذا اذا لم يغلبه الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر
على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره
وتفرق همته وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة
وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى صلوات الله عليه اياكم والنظرة فانها تزرع
في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت فتنة داود عليه السلام من اجل النظرة وقال داود لابنه عليهما
السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال
الفضيل يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطئ به يعني النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر سهم
مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال عليه السلام ما تركت بعدي فتنة
اضر على الرجال من النساء وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء وقال الله تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الآية وقال عليه السلام لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان

دونهما البطش ... العينان تزنيان وزناهما ... القلب يهم او يتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه

وقالت ام سلمة استأذن ابن ام مكتوم الاعمى ... جالستان فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا فقلنا اليس باعمى لا

يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى

الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل

عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر

فانه لو مال قلبه الى امرأة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر

قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين

الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فاقول لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة

كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها

فانه يميل الى احدهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لا يشتهي ملامسة الانوار والازهار وتقبيلها ولا تقبيل الماء

الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها ويدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف

ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب

المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون

قال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الامرد يجلس اليه وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام

بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيين

صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون وآفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط

فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع وقال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدء ارادتي

على امر لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت فوضع يده على صدري

فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة

فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجده واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب

به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك او اشد منه فرأيت شخصا فيما بين صدري وجنبي

يقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج المريد الى النكاح فلا ينبغي

ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة

والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة

ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة

وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون المرأة

دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع

وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك

الى ابيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم

امرأة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصابت المرأة الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل

انه قد اصابه رمد ثم اظهر ان بصره قد ذهب حتى زفت المرأة اليه فزال عنهم الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت

ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدته لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق وتزوج

بعض الصوفية بامرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها

فيتأذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك

الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل البصرة

٢٣٨

[illegible]

والحمد لله ... [illegible]